الكِفايـة
في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء التاسع عشر

[سورة هود، الآية: ٤٠]- [سورة يوسف، الآية:٩٣]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولى(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكترونى الآتى، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)} [هود : ٤٠]

التفسير:

حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وَعدْنا نوحًا بذلك، ونبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرًا وأنثى، واحمل فيها أهل بيتك، إلا مَن سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته، واحمل فيها من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا قليل مع طول المدة والمقام فيهم.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود : ٤٠]، أي:" حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وَعدْنا نوحًا بذلك"[١].

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير في قوله: "{حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور}، قال: كانت علامة بينه وبين ربه إذا رأيت التنور يفور بالماء ف احمل فيها من كل زوجين اثنين"[٢].

قوله تعالى:{وَفَارَ التَّنُّورُ} [هود : ٤٠]، أي:" ونبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَفَارَ التَّنُّورُ} [هود : ٤٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : وجه الأرض ، والعرب تسمي وجه الأرض تَنُّوراً ، قاله ابن عباس[٤]، وعكرمة[٥].

وقيل لنوح عليه السلام : « إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن اتبعك قال: العرب تسمي وجه الأرض تنور الأرض»[٦].

الثاني : أن التنور العين التي بالجزيرة «عين وردة»، رواه عكرمة عن ابن عباس[٧].

وروي عن ابن عباس في قوله:"{ وفار التنور}، قال: بالهند"[٨].

الثالث : أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٩]، ومحمد بن علي[١٠]، وحذيفة[١١]، والشعبي[١٢]، ومجاهد[١٣].

الرابع : أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة[١٤].

عن قتادة قوله: "{وفار التنور}، قال: فيفور التنور علم بين نوح وربه والتنور أشرف الأرض وأعلاها عين بالجزيرة عين الوردة"[١٥].

الخامس : أنه التنور الذي يخبز فيه ، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد.

قال الحسن : كان تنوراً من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح.

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٦.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٣):ص٢٠٢٨/٦.
[٣] التفسير الميسر:٢٢٦.
[٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٨):ص٢٠٢٨/٦.
[٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم٢٠٢٩/٦. قال ابن أبي حاتم:" وروي، عن عكرمة، أنه قال وجه الأرض".
[٦] هذا كلام ابن عباس، انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٨):ص٢٠٢٨/٦.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٩):ص٢٠٢٩/٦.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦١):ص٢٠٢٩/٦.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٦):ص٢٠٢٨/٦.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٦٠):ص٢٠٢٩/٦.
[١٥]أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٠):ص٢٠٢٩/٦.

وقال مقاتل : فارَ من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام، قال أمية بن الصلت:
فار تنورهم وجاش بماءٍ   صار فوق الجبال حتى علاها
وروي عن ابن عباس قوله: "{وفار التنور}، قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك"[1].
قال عطاء:" بلغني أن نوحا عليه السلام قال لجاريته: إذا فار تنورك ماء فأخبريني قال عطاء: بلغني أنها لما فرغت من آخر خبزها فار التنور فذهبت إلى سيدها فأخبرته فركب هو ومن معه في أعلى السفينة وفتح الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا"[2].
السادس : أن التنور هو تنوير الصبح ، من قولهم : نور الصبح تنويراً ، وهو مروي عن علي رضي الله عنه[3].
قوله تعالى:{قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [هود : ٤٠]، أي:" قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرًا وأنثى"[4].
قال الماوردي:" يعني: من الآدميين والبهائم ذكراً وأنثى"[5].
عن مجاهد قوله: "{من كل زوجين اثنين}، ذكر وأنثى من كل صنف"[6].
عن عكرمة، في قوله: "{احمل فيها من كل زوجين اثنين}، خلقته ذكرا وأنثى قال: الذكر زوج، والأنثى زوج"[7].
عن ابن عباس قال: "كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم"[8].
عن ابن عباس، قال " كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا منهم أهلوهم وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما"[9].
عن عبد الله ابن مسلم بن يسار، عن أبيه:"{من كل زوجين اثنين}، قال: أمر نوح عليه السلام أن يحمل معه من كل زوجين اثنين وملك معه فجعل يقبض زوجا زوجا وبقي العنب فجاء إبليس فقال هذا كله لي فنظر نوح إلى الملك فقال إنه شريكك فأحسن شركته فقال لي النصف وله النصف قال إبليس: هذا كله لي فنظر إلى الملك فقال إنه شريكك فأحسن شركته قال نعم لي الثلث وله الثلثان قال أخفت وأنت بحساب أنك تأكله عنبا وتأكله ذبيبا وتشربه عصيرا ثلاثة أيام قال: مسلم: فكانوا يرون أنه إذا شربه كذلك فليس للشيطان فيه نصيب"[10].
عن أبي عبيدة قال: "لما أمر نوح عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين لم يستطع يحمل معه الأسد حتى ألقيت عليه الحمى فحمله فأدخله"[11].
عن مبارك قال: "سمعت بكرا يقول لما حمل نوح الأسد في السفينة اشتهى اللحم فزاد مخافة أهل السفينة فشكوا ذلك إلى نوح فدعا عليه فألقيت عليه الحمى فمر به نوح"[12].
عن زيد بن أسلم، عن أبيه :"أن رسول الله ﷺ قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطمأن أو تطمئن المواشي ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٢):ص٢٠٢٩/٦.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٣):ص٢٠٢٩/٦.
[3] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٧):ص٢٠٢٨/٦.
[4] التفسير الميسر:٢٢٦.
[5] النكت والعيون:٤٧٢/٢.
[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٧):ص٢٠٣٠/٦.
[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٦):ص٢٠٣٠/٦.
[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٤):ص٢٠٣٠/٦.
[9] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٥):ص٢٠٣٠/٦.
[10] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٨):ص٢٠٣٠/٦.
[11] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٩):ص٢٠٣٠/٦.
[12] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٠):ص٢٠٣٠/٦.

فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة فتخبأت الفارة منها"[1].

عن ابن عباس قال:" لما كان نوح في السفينة قرط الفار حبال السفينة فشكى ذلك فأوحي إليه فمسح ذنب الأسد فخرج سنورات وكان في السفينة عذرة فشكى فأوحي إليه فمسح ذنب الفيل فخرج خنزيران"[2].

قوله تعالى:{وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} [هود : ٤٠]، أي:" واحمل فيها أهل بيتك، إلا مَن سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته"[3].

عن قتادة، قوله :"{وأهلك إلا من سبق عليه القول}: إنه مغرق"[4].

قوله تعالى:{وَمَنْ آمَنَ} [هود : ٤٠]، أي:" واحمل فيها من آمن معك من قومك"[5].

قال الزجاج:" أي: واحمل من آمن، ويقال إن الذين آمنوا معه كانوا ثمانين نفسا"[6].

قوله تعالى:{وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود : ٤٠]، أي:" وما آمن بنوح إلا نزرٌ يسير مع طول إقامته بينهم"[7].

عن الحكم :"{ومن آمن وما آمن معه إلا قليل}، قال: كان نوح وثلاثة بنيه وأربع كنانيه"[8].

واختلف في عددهم على أقوال:

أحدها : ثمانون رجلاً ، قاله ابن عباس[9].

قال ابن عباس:" كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما وأن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوقع على الحيف، فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون، ولطخت رجلها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي فبنى قرية وسماها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة أحدها اللسان العربي فكان لا يفقه بعضهم كلام بعض وكان نوح عليه السلام يعبر عنهم"[10].

الثاني : ثمانين ، قاله ابن جريج[11]، وزيد بن اسلم[12].

عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه :"أنه كان مع نوح يوم أغرق قومه ثمانون من أهل الإيمان"[13].

الثالث : اثنان وسبعون، قال كعب الأحبار :"والمؤمنون يومئذ اثنان وسبعون فأرسل الله الماء من السماء وفتح الأرض"[14].

والرابع: سبعة ، قاله الأعمش[15]، ومطر[1].

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧١):ص٦/٢٠٣١.

[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٢):ص٦/٢٠٣١.

[3] التفسير الميسر:٢٢٦.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٥):ص٦/٢٠٣١.

[5] التفسير الميسر:٢٢٦.

[6] معاني القرآن:٣/٥٢.

[7] صفوة التفاسير:٢/١٣.

[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٧):ص٦/٢٠٣١.

[9] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٨٢):ص٦/٢٠٣٢.

[10] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨٢):ص٦/٢٠٣٢.

[11] انظر: النكت والعيون:٢/٤٧٢.

[12] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٧٩):ص٦/٢٠٣٢.

[13] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٩):ص٦/٢٠٣٢.

[14] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٨):ص٦/٢٠٣٢.

[15] انظر: النكت والعيون:٢/٤٧٢.

قال مطر:" كان نوح في السفينة سبعة نوح وثلاثة أولاده وكنانيه ثلاثة"[٢].
الرابع: ثمانية، قال قتادة:" ذكر لنا أنه لم ينج ممن في السفينة إلا نوح وثلاثة بنين له ونساؤهم فجمعهم ثمانية"[٣].
قال الماوردي: "وكان فيهم ثلاثة بنين : سام وحام ويافث ، وثلاث بنات له ونوح معهم فصاروا سبعة، وعلى القول الثاني : كانت فيهم امرأة نوح فصاروا ثمانية[٤].
قال محمد بن عباد بن جعفر : " فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح أن يغير لطفته فجاء السودان"[٥] .
الفوائد:
١- أن الإيمان ينجي، والكفر يهلك ويردي.
٢- أن الله تعالى خلق الخلق لطاعته، إلا من سبق عليه القول في كتابه بشقوته.
٣- استدل بعض أهل العلم من الآية بأن «الآل» هم الخاصة من أهل النبيين دون عامة المؤمنين، وذلك أن الله تعالى جعل المحملين في السفينة بدت قرين الأزواج التي أمره بها من أصناف الحيوان وأهله، والذين آمنوا به. فثبت أن الأهل أخص من الأتباع، وإذا ظهر ذلك ثبت أن الآل أيضا هم الخاصة من أهل النبيين دون عامة المؤمنين[٦].

القرآن
{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١)} [هود : ٤١]
التفسير:
وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها ورُسوُّها. إن ربي لَغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة.
قوله تعالى:{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا} [هود : ٤١]، أي:" وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة"[٧].
قوله تعالى:{بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} [هود : ٤١]، أي:" باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها ورُسوُّها"[٨].
قال مقاتل:" إذا ركبتموها فقولوا :«باسم الله مجراها» حين تجري، «ومرساها» حين تحبس"[٩].
قال الزجاج:" أي بالله تجري، وبه تستقر. ومعنى {قلنا باسم الله}، أي: بالله"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : بسم الله يكون جَرْيُها على وجه الماء ، وبسم الله يكون منتهى سيرها ، وهو رُسُوها... وقال الله تعالى:{ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلْ رَبِّ أَنزلْنِي مُنزلا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزلِينَ } [المؤمنون : ٢٨ ، ٢٩] ؛ ؛ ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الأمور : عند الركوب على السفينة وعلى الدابة ، كما قال تعالى : { وَالَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٣١/٦.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٣١/٦.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٣):ص٢٠٣١/٦.
[٤] انظر: النكت والعيون:٤٧٢/٢-٤٧٣.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨١):٢٠٣٢/٦.
[٦] انظر: المنهاج في شعب الإيمان:١٣٧/٢.
[٧] التفسير الميسر:٢٢٦.
[٨] التفسير الميسر:٢٢٦.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٢/٢.
[١٠] معاني القرآن:٥٢/٣.

عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } [الزخرف : ١٢ - ١٤] ، وجاءت السنة بالحث على ذلك ، والندب إليه"[١].

عن مجاهد: "{بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا}، قال: حين يركبون ويجرون ويرسون"[٢].

قال الضحاك:" إذا أراد أن ترسي قال: "بسم الله " فأرست، وإذا أراد أن تجري قال "بسم الله " فجرت"[٣].

أخرج الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : "أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا : بسم الله الملك ، { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر : ٦٧] ، { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }"[٤].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر وابن عامر«مجرها»، بضم الميم، وقرأ حمزة والكسائى «مجرها» بفتح الميم وكسر الراء، وكذلك حفص عن عاصم «مجرها» بفتح الميم وكسر الراء، وليس يكسر فى القرآن غير هذا الحرف -يعنى «الراء» فى «مجرها»[٥].

وقوله {ومرساها}: كلهم قرأ «ومرسهآ» بضم الميم، وكان ابن كثير وابن عامر يفتحان الراء من «مجرها» والسين من«مرسهآ»، وكان نافع وعاصم فى رواية أبى بكر يقرآنهما بين الكسر والتفخيم، وكان أبو عمرو وحمزة والكسائى يميلون الراء من «مجرها»، ويفتح أبو عمرو وحفص عن عاصم السين من«مرسهآ» ويميلها حمزة والكسائى، وليس فيهم أحد جعلها نعتا لله عز وجل[٦].

وقرأ أبو رجاء العَطاردي : "بسْمِ اللهِ مُجْرِيَها ومُرْسِيهَا"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود : ٤١]، أي:" إن ربي لَغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة"[٨].

قال الطبري:" يقول: إن ربي لساتر ذنوب من تاب وأناب إليه، رحيم بهم أن يعذبهم بعدَ التوبة"[٩].

عن سعيد، بن جبير، قوله: "{لغفور رحيم}، لما كان منهم في الشرك، {رحيم} بهم بعد التوبة"[١٠].

قال ابن كثير:" {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين بإغراقهم أجمعين ذكْرُ أنه غفور رحيم ، كما قال : { إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأعراف : ١٦٧] ، وقال : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } [الرعد : ٦] ، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين انتقامه ورحمته"[١١].

---

[١] تفسير ابن كثير:٣٢٢/٤.
[٢] أخرجه الطبري(١٨١٨٣):ص٣٣٠/١٥.
[٣] أخرجه الطبري(١٨١٨٦):ص٣٣٠/١٥.
[٤]المعجم الكبير (١٢٤/١٢) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٢/١٠) : "فيه نهشل بن سعيد وهو متروك".
[٥] انظر: السبعة في القراءات:٣٣٣.
[٦] انظر: السبعة في القراءات:٣٣٣.
[٧] انظر: تفسير ابن كثير:٣٢٢/٤.
[٨] التفسير الميسر:٢٢٦.
[٩] تفسير الطبري:٣٣٠/١٥.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٠):ص٢٠٣٤/٦.
[١١] تفسير ابن كثير:٣٢٢/٤-٣٢٣.

عن سعيد بن جبير قال: "إذا ركبت في السفينة يذكر نعمة الله وإن شاء قال كما قال نوح ﷺ {بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم}، فمن ركب دابة لم يذكر اسم الله جاء الشيطان فيقول تغنى فإن لم يتغنى يقول له: تمشى"[١].

عن توبة أبي سالم قال: "رأيت رزين بن حبيش يصلي في الزاوية حين تدخل من أبواب كندة عن يمينك، فسألته إنك لكثير الصلاة يوم الجمعة، قال: بلغني أن سفينة نوح أرسيت من هاهنا"[٢].

عن الثوري ، عن غير واحد ، عن الشعبي: " أن النبي ﷺ: كتب أول ما كتب باسمك اللهم ، حتى نزلت: {بسم الله مجراها ومرساها} [هود: ٤١] ، فكتب بسم الله ، حتى نزلت {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن} [الإسراء: ١١٠] فكتب: بسم الله الرحمن ، حتى نزلت: {إنه من سليمان وإنه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [النمل: ٣٠] فكتب: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ "[٣].

الفوائد:

١- مشروعية التسمية عند الركوب في سفينة أو غيرها.
٢- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- فـ«الغفور»: هو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب ففي الحديث: "إن الله يقول يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"[٤]. وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم:٣٢].

وقد فتح الله الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته"[٥].

قال الخطابي:"«الغفور»:هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[٦].

- و«الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء" [٧].

القرآن

{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)} [هود : ٤٢]

التفسير:

وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، ونادى نوح ابنه -وكان في مكانٍ عَزَل فيه نفسه عن المؤمنين- فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق.

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨٨):ص٢٠٣٣/٦.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٨٩):ص٢٠٣٣/٦.

[٣] تفسير عبدالرزاق(٢١٥٨):ص٤٧٦/٢.

[٤]أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٤٧) بنحوه، والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٨) كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥) كتاب الآداب باب فضل العمل، والدارمي (٢/ ٢٣٠) كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله عن أنس، وقال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه. انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٠٠).

[٥]الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.

[٦] انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

[٧] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

قوله تعالى:{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ} [هود : ٤٢]، أي:" وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها"[١].

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره بقوله: {وهي تجري بهم}، والفلك تجري بنوح ومن معه فيها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : السفينة سائرة بهم على وجه الماء ، الذي قد طَبَّق جميع الأرض ، حتى طفت على رءوس الجبال ، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا ، وقيل : بثمانين ميلا وهذه السفينة على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كَنَفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } [الحاقة : ١١ ، ١٢] ، وقال تعالى : { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } [القمر : ١٣ - ١٥]"[٣].

قال الزمخشري:" فإن قلت: بم اتصل قوله وهي تجري بهم؟

قلت: بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون: بسم الله، وهي تجري بهم أى تجرى وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان، شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها.

فإن قلت: الموج: ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره[٤] وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض، وكانت الفلك تجرى في جوف الماء كما تسبح السمكة، فما معنى جريها في الموج؟

قلت: كان ذلك قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الطوفان الجبال. ألا ترى إلى قول ابنه: سآوى إلى جبل يعصمني من الماء. قيل: كان اسم ابنه: كنعان. وقيل: يام"[٥].

عن أبي سهل، عن تبيع أنه قال :"لما استنقذ من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين والكافرين أوحى الله عز وجل إلى نوح أن لو كنت أريد أن أرحم من قومك أحدا إذا لرحمت المرأة وولدها، فهاجت به الفلك ما بين المشرق والمغرب فمرت بالطور فنقرت على الجبل"[٦].

الجبل"[٦].

قوله تعالى:{وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ} [هود : ٤٢]، أي:" ونادى نوح ابنه -وكان في مكانٍ عَزَل فيه نفسه عن المؤمنين-"[٧].

قال ابن كثير:" هذا هو الابن الرابع ، واسمه "يام" ، وكان كافرا ، دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون "[٨].

قال الزمخشري:" «المعزل»: مفعل، من عزله عنه إذا نحاه وأبعده، يعنى: وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين. وقيل: كان في معزل عن دين أبيه"[٩].

عن محمد بن علي: "{ونادى نوح ابنه}، قال: يعني بلغة طيئ: ابن امرأته"[١٠].

عن قتادة، عن الحسن قال: "ليس بابنه"[١١].

عن ثابت بن الحجاج الكلابي في قول الله: "{ونادى نوح ابنه}، قال: ولد على فراشه"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٦.

[٢] تفسير الطبري:٣٣١/١٥.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.

[٤]قوله «عند اضطرابه وزخيره» في الصحاح «زخر الوادي» إذا امتد جدا وارتفع. ومنه يقال: بحر زاخر.

[٥] الكشاف:٣٩٦/٢.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩١):ص٢٠٣٤/٦.

[٧] التفسير الميسر:٢٢٦.

[٨] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩١):ص٢٠٣٤/٦.

[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٤):ص٢٠٣٤/٦.

[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٥):ص٢٠٣٤/٦.

وعن مجاهد قال: "كل نبي أبو أمته"[2].
عن قتادة: "كان اسم ابن نوح الذي غرق: كنعان"[3].
وقرأ على رضى الله عنه:«ابنها»، والضمير لامرأته. وقرأ محمد بن على وعروة بن الزبير: «ابنه»، بفتح الهاء، يريدان ابنها، فاكتفيا بالفتحة عن الألف، وبه ينصر مذهب الحسن، «قال قتادة: سألته فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إن الله حكى عنه إن ابني من أهلى، وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب»[4]، واستدل بقوله :{من أهلي}، ولم يقل: منى، ولنسبته إلى أمه وجهان:
أحدهما: أن يكون ربيبا له، كعمر بن أبى سلمة لرسول الله ﷺ.
والثاني: أن يكون لغير رشدة، وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم السلام [5].
وقرأ السدى: «ونادى نوح ابناه»، على الندبة والترثى. أى: قال يا ابناه[6].
قوله تعالى:{يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا} [هود : ٤٢]، أي:" فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة"[7].
قال السدي:" نادى نوح الغلام وكان قد ولد على فراشه وكان نوح ظن أنه ابنه فناداه نوح :{يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين}، ولا يعلم نوح إلا أنه ابنه وكان ولده وكان كافرا"[8].
قرئ «يا بني» بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة، وبالفتح اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك: يا بنيا، أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين، لأن الراء بعدهما ساكنة[9].
قوله تعالى:{وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]، أي:" ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق"[10].
الفوائد:

١- عقوق الوالدين كثيرا ما يسبب الهلاك في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو لازم له.
٢- مظهر من مظاهر رحمة الوالد بولده.

القرآن

{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)} [هود : ٤٣]

التفسير:
قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أتحصَّن به من الماء، فيمنعني من الغرق، فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا مَن رحمه الله تعالى، فآمِنْ واركب في السفينة معنا، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين الهالكين.
قوله تعالى:{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} [هود : ٤٣]، أي:" قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أتحصَّن به من الماء، فيمنعني من الغرق"[11].

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٦):ص٢٠٣٤/٦.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٧):ص٢٠٣٥/٦.
[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٨):ص٢٠٣٥/٦.
[4] حكاه الزمخشري في الكشاف:٣٩٦/٢.
[5] انظر: الكشاف:٣٩٦/٢.
[6] انظر: الكشاف:٣٩٦/٢.
[7] التفسير الميسر:٢٢٦.
[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٩٩):ص٢٠٣٥/٦.
[9] انظر: الكشاف:٣٩٦/٢-٣٩٧.
[10] التفسير الميسر:٢٢٦.
[11] التفسير الميسر:٢٢٦.

قال ابن كثير:" قيل : إنه اتخذ له مركبا من زُجاج ، وهذا من الإسرائيليات ، والله أعلم بصحته. والذي نص عليه القرآن أنه قال : { قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ } اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رءوس الجبال ، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجّاه ذلك من الغرق"[1].

قوله تعالى:{قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود : ٤٣]، أي:" فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا مَن رحمه الله تعالى"[2].

قال ابن كثير:" فقال له أبوه نوح ، عليه السلام : { لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ } أي : ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله. وقيل : إن عاصما بمعنى معصوم ، كما يقال : "طاعم وكاس" ، بمعنى مطعوم ومكسُوّ"[3].

قوله تعالى:{وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ} [هود : ٤٣]، أي:" وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه"[4].

قوله تعالى:{فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود : ٤٣]، أي:" فكان من المغرقين الهالكين"[5].

الفوائد:

1- الآية دليل على أن دخول الجنة يكون برحمته سبحانه وتعالى، قال تعالى: {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}.

2- اتّفقت الأمة الإسلامية على أن الأنبياء معصومون في التبليغ عن الله عزوجل، وعن ارتكاب الكبائر من الذنوب. أما غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين ولو كانوا أبناء الأنبياء أو أولياء الله. فهذا ابن نوح عليه السلام يعصي ربه وأباه. قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِي قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ... } . [سورة هود، الآية:٤٢-٤٧] . وهؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام وأخوة يوسف عليه السلام قد حالوا قتل يوسف حسداً من أنفسهم ثم كذبوا على أبيهم يعقوب عليه السلام واحتالوا عليه وقصتهم مبسوطة في سورة يوسف.

والعصمة لغة: المنع يقال: عصمته عن الطعام: منعته عن تناوله، وعصمته من الكذب أي منعته منه، ومنه قوله تعالى: قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وحالَ [هود، آية: ٤٣] أي لا مانع. وفي الحديث " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله"[6]، أي: منعوا مني دماءهم.

وهي في الاصطلاح: حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المحرمات[7].

ومن هذا التعريف يظهر أن لفظ" معصوم" اسم مفعول من عصم ويدل على أن غيره عصمه فاطلاقه في حق الله غير صحيح، لأنه هو العاصم لغيره سبحانه، وإن كان كثير من العلماء يطلقونه على أنه صاحب الكمال سبحانه الذي لا صدر منه كذب ولا نقص، ولكن الأولى عدم اطلاق لفظ" معصوم" على الله لما ذكرنا[8]. والله أعلم.

---

[1] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.
[2] التفسير الميسر:٢٢٦.
[3] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.
[4] التفسير الميسر:٢٢٦.
[5] التفسير الميسر:٢٢٦.
[6]رواه البخاري في الإيمان باب ١٧ ومسلم في الإيمان حديث ٣٤ - ٣٦، وغيرهما.
[7]النبوة والأنبياء للصابوني ص ٥٣، ٥٤، ولسان العرب ١٣/ ٤٠٣ - ٤٠٤.
[8] انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية:٤١٢/١[كلام المحقق: سالم بن محمد القرني].

القرآن

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)} [هود : ٤٤]

التفسير:

وقال الله للأرض -بعد هلاك قوم نوح-: يا أرض اشربي ماءك، ويا سماء أمسكي عن المطر، ونقص الماء ونضب، وقُضي أمر الله بهلاك قوم نوح، ورست السفينة على جبل الجوديّ، وقيل: هلاكًا وبعدًا للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، ولم يؤمنوا به.

قوله تعالى:{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ} [هود : ٤٤]، أي:" وقال الله للأرض -بعد هلاك قوم نوح-: يا أرض اشربي ماءك"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة ، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها "[٢].

قوله تعالى:{وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود : ٤٤]، أي:" ويا سماء أمسكي عن المطر"[٣].

قال ابن كثير:" وأمر السماء أن تُقلعَ عن المطر "[٤].

قوله تعالى:{وَغِيضَ الْمَاءُ} [هود : ٤٤]، أي:" ونقص الماء ونضب"[٥].

قال ابن كثير:" أي : شرع في النقص "[٦].

قوله تعالى:{وَقُضِيَ الْأَمْرُ} [هود : ٤٤]، أي:" وقُضي أمر الله بهلاك قوم نوح"[٧].

قال ابن كثير:" أي : فُرِغَ من أهل الأرض قاطبة ، ممن كفر بالله ، لم يبق منهم دَيّار "[٨].

قوله تعالى:{وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود : ٤٤]، أي:" ورست السفينة على جبل الجوديّ"[٩].

قوله تعالى:{وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود : ٤٤]، أي:" وقيل: هلاكًا وبعدًا للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، ولم يؤمنوا به"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : هلاكًا وخسارًا لهم وبعدا من رحمة الله ، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم ، فلم يبق لهم بقية "[١١].

عن عائشة أن النبي ﷺ قال : "لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم أم الصبي" ، قال رسول الله ﷺ : "كان نوح ، عليه السلام ، مكث في قومه ألف سنة [إلا خمسين عاما] [١٢] ، يعني وغرس مائة سنة الشجر ، فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون : تعمل سفينة في البَرّ ، فكيف تجري ؟ قال : سوف تعلمون. فلما فرغ ونَبَع الماء ، وصار في السكك خشِيت أمّ الصبي عليه ، وكانت تحبه حبا شديدًا ، فخرجت إلى الجبل ، حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء [ارتفعت حتى بلغت ثلثيه ، فلما

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٦.

[٢] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.

[٣] التفسير الميسر:٢٢٦.

[٤] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.

[٥] التفسير الميسر:٢٢٦.

[٦] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.

[٧] التفسير الميسر:٢٢٦.

[٨] تفسير ابن كثير:٣٢٣/٤.

[٩] التفسير الميسر:٢٢٦.

[١٠] التفسير الميسر:٢٢٦.

[١١] تفسير ابن كثير:٣٢٥/٤.

[١٢]زيادة من الدر المنثور. مستفاد من ط. الشعب.

بلغها الماء][1] خرجت به حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي"[2].

الفوائد:

١- مظاهر عظمه الرب تعالى وإطاعة الخلق أمره حتى الأرض والسماء.

٢- إثبات القوى، والطبائع في الجمادات، قال تعالى: {وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي} [هود: ٤٤]، وقال: {وأخرجت الأرض أثقالها} [الزلزلة: ٢] وقال: {اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج} [الحج: ٥] وقال: {تدمر كل شيء بأمر ربها} [الأحقاف: ٢٥] وقال: {وأرسلنا الرياح لواقح} [الحجر: ٢٢] ، {وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله} [البقرة: ٧٤] ، وقال - تعالى -: {كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه} [الفتح: ٢٩] وهذا في القرآن كثير جدا[3].

القرآن

{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)} [هود : ٤٥]

التفسير:

ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعَدْتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي، وإن وعدك الحق الذي لا خُلْف فيه، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم.

قوله تعالى:{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود : ٤٥]، أي:" ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعَدْتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي"[4].

قال ابن كثير:" هذا سؤال استعلام وكشف من نوح ، عليه السلام ، عن حال ولده الذي غرق ، { فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي } أي : وقد وعدتني بنجاة أهلي"[5].

قوله تعالى:{وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ} [هود : ٤٥]، أي:" وإن وعدك الحق الذي لا خُلْف فيه"[6].

قال ابن كثير:" ووعدُك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق؟"[7].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود : ٤٥]، أي:" وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم"[8].

القرآن

---

[1] زيادة من الدر المنثور. مستفاد من ط. الشعب.

[2] تفسير الطبري (٣١٠/١٥) ورواه الحاكم في المستدرك (٣٤٢/٢) من طريق سعيد بن أبي مريم عن موسى بن يعقوب به نحوه ، وقال الحاكم : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي قلت : "إسناده مظلم وموسى بن يعقوب ليس بذاك".

قال ابن كثير ٣٢٥/٤:" وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن كعب الأحبار ، ومجاهد بن جبر قصةُ هذا الصبي وأمه بنحو من هذا".

[3] انظر: لوامع الانوار البهية:٣١٤/١.

[4] التفسير الميسر:٢٢٦.

[5] تفسير ابن كثير:٣٢٥/٤.

[6] التفسير الميسر:٢٢٦.

[7] تفسير ابن كثير:٣٢٥/٤.

[8] التفسير الميسر:٢٢٦.

{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)} [هود : ٤٦]

التفسير:

قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم؛ وذلك بسبب كفره، وعمله عملا غير صالح، وإني أنهاك أن تسألني أمرًا لا علم لك به، إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين في مسألتك إياي عن ذلك.

قوله تعالى:{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود : ٤٦]، أي:" قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم"[١].

قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره: قال الله يا نوح إن الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك"[٢].

قال ابن كثير:" أي : الذين وعدت إنجاءهم ؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ؛ ولهذا قال : { وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ } [هود : ٤٠]، فكان هذا الولد ممن سَبَق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبيّ الله نوحا ، عليه السلام "[٣].

وفي كونه ابن النبي نوح-عليه السلام- أقوال:

أحدها : أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغيره رشدة ، قاله الحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وابن جريج[٦].

قال عبيد بن عمير: "نرى أن ما قضى رسول الله ﷺ "الولد للفراش"، من أجل ابن نوح"[٧].

عن قتادة قال: "كنت عند الحسن فقال: "نادى نوح ابنه"، لعمْر الله ما هو ابنه! قال: قلت: يا أبا سعيد يقول: {ونادى نوح ابنه}، وتقول: ليس بابنه؟ قال: أفرأيت قوله: (إنه ليس من أهلك) ؟ قال: قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه. قال: إن أهل الكتاب يكذبون"[٨].

سعيد، عن قتادة، قال: "سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: {إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه. ثم قرأ هذه الآية: {فَخَانَتَاهُمَا}، [سورة التحريم: ١٠] قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف! "[٩].

الثاني : أنه ابن امرأته. رواه جابر عن أبي جعفر[١٠].

قال أبو جعفر:" لو كان من أهله لنجا"[١١].

قال ابن كثير:" وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن ، أو أراد أنه نسب إليه مجازا ، لكونه كان ربيبًا عنده"[١٢].

الثالث : أنه كان ابنه ، قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١]، وعكرمة[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، والضحاك[٤]، وميمون[٥]، وثابت بن الحجاج[٦].

---

[١]التفسير الميسر:٢٢٧.

[٢] تفسير الطبري:٣٤٠/١٥.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٢٥/٤-٣٢٦.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٠٨)، و(١٨٢١٠):ص٣٤٠/١٥.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٢١٥)-(١٨٢١٨):ص٣٤١/١٥-٣٤٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٣٤٢/١٥.

[٧] أخرجه الطبري(١٨٢٢٠):ص٣٤٢/١٥.

[٨] أخرجه الطبري(١٨٢١٣):ص٣٤١/١٥.

[٩] أخرجه الطبري(١٨٢١٤):ص٣٤١/١٥.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٠٩):ص٣٤٠/١٥.

[١١] أخرجه الطبري(١٨٢١٩):ص٣٤٢/١٥.

[١٢] تفسير ابن كثير:٣٢٦/٤.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٢٢):ص٣٤٢/١٥-٣٤٣.

قال ابن عباس : "هو ابنه، ما بغت امرأة نبيٍّ قطُّ"[٧].

قال الضحاك:" هو والله ابنه لصُلْبه"[٨].

قال بزيع: "سأل رجل الضحاك عن ابن نوح، فقال: ألا تعجبون إلى هذا الأحمق! يسألني عن ابن نوح، وهو ابن نوح كما قال الله: {قال نوح لابنه}"[٩].

قال عكرمة:" كان ابنه، ولكن كان مخالفًا له في النية والعمل، فمن ثم قيل له: {إنه ليس من أهلك}"[١٠].

وقال عكرمة:" أشهد أنه ابنه، قال الله: {ونادى نوح ابنه}"[١١].

عن سليمان بن قتة قال: "سمعت ابن عباس يُسْأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى: {فَخَانَتَاهُمَا}، [سورة التحريم: ١٠] ، قال: أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل، على الأضياف. ثم قرأ: {إنه عملٌ خير صالح} ،قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدُّهني: أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال: كانَ ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال: {ونادى نوح ابنه} ، قال: وقال بعض العلماء: ما فجرت امرَأة نبيٍّ قط"[١٢].

عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير: "أنه جاء إليه رجل فسأله. فقال: أرأيتك ابن نُوح أبنه؟ فسبَّحَ طويلا ثم قال: لا إله إلا الله، يحدِّث الله محمدًا: {ونادى نوح ابنه} وتقول ليس منه؟ ولكن خالفه في العمل، فليس منه من لم يؤمن"[١٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود : ٤٦]، وجهان:

أحدهما : ليس من أهل دينك وولايتك ، حكاه الماوردي عن الجمهور[١٤].

الثاني : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، قاله ابن عباس[١٥]، وسعيد بن جبير[١٦]، وأبو بشر[١٧].

قال ابن عباس:" يقول: ليس ممن وعدناه النجاة"[١٨].

قال الضحاك:"يقول: ليس هو من أهل ولايتك، ولا ممن وعدتك أن أنجى من أهلك، {إنه عمل غير صالح}، قال: يقول كان عمله في شرك"[١٩].

قال ابن كثير:" وقولُ ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه ، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رمَوا أم المؤمنين عائشة بنتَ الصدّيق زوج النبي ﷺ، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ؛ ولهذا قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٤):ص٣٤٥/١٥.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٢٦):ص٣٤٣/١٥.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٢٧)، و(١٨٢٢٨):ص٣٤٣/١٥-٣٤٤.
[٤]انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٥):ص٣٤٥/١٥ .
[٥]انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤١):ص٣٤٦/١٥ .
[٦]انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤١):ص٣٤٦/١٥ .
[٧] أخرجه الطبري(١٨٢٢٣):ص٣٤٣/١٥.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٢٣٧):ص٣٤٥/١٥.
[٩]انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٥):ص٣٤٥/١٥ .
[١٠] أخرجه الطبري(١٨٢٢٦):ص٣٤٣/١٥.
[١١] أخرجه الطبري(١٨٢٣٣):ص٣٤٤/١٥-٣٤٥.
[١٢] أخرجه الطبري(١٨٢٢٧):ص٣٤٣/١٥-٣٤٤.
[١٣] أخرجه الطبري(١٨٢٣٢):ص٣٤٤/١٥.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٤٧٦/٢.
[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٢٤):ص٣٤٣/١٥.
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٠):ص٣٤٤/١٥.
[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣٠):ص٣٤٤/١٥.
[١٨] أخرجه الطبري(١٨٢٣٩):ص٣٤٦/١٥.
[١٩] أخرجه الطبري(١٨٢٣٦):ص٣٤٥/١٥.

اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } إلى قوله { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } [النور : ١١ - ١٥]"(١).

قال الطبري:الصواب" قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفًا، وبي كافرًا وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدًا ﷺ أنه ابنه فقال: {ونادى نوح ابنه} ، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: {إنه ليس من أهلك}، دلالةٌ على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله: {ليس من أهلك}، محتملا من المعنى ما ذكرنا، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف "الدين" فيقال: {إنه ليس من أهلك} ، كما قيل: {واسأل القرية التي كنا فيها} ، [سورة يوسف: ٨٢]"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} [هود : ٤٦]، أي:" إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح"(٣).

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} [هود : ٤٦]، وجوه:

أحدها : أن مسألتك إياي أن أنجيه عمل غير صالح ، قاله قتادة(٤)، وإبراهيم(٥)، وهو تأويل من قرأ «عملٌ غير صالح» بالتنوين.

وقال ابن عباس:" يقول: سؤالك عما ليس لك به علم"(٦).

وروي عن مجاهد:" سؤالك إياي، عمل غير صالح"(٧).

والثاني : معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ ، أي: أنه لغير رشدة ، قاله الحسن(٨).

قال الحسن:" ما هو والله بابنه"(٩).

والثالث : معناه: إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ، قاله ابن عباس(١٠)، وهو تأويل من لم ينون.

عن ابن عباس: "«إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ»، قال: كان مخالفًا في النية والعمل"(١١).

قال الطبري:" يعني: إن سؤالك إياي ما تسألنيه في أبنك -المخالفِ دينَك، الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك: {لا تَذَرْ على الأرض مع الكافرين ديَّارًا}، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم- عملٌ غير صالح، لأنَّه مسألة منك إليّ أن لا أفعل ما قد تقدّم مني القول بأني أفعله، في إجابتي مسألتك إياي فعله. فذلك هو العمل غير الصالح"(١٢).

قوله تعالى:{فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [هود : ٤٦]، أي:" وإني أنهاك أن تسألني أمرًا لا علم لك به"(١٣).

قال الطبري:" قوله: {فلا تسألن ما ليس لك به علم}، نهيٌ من الله تعالى ذكرهُ نبيه نوحًا أن يسأله أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره: إني

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٤.
(٢) تفسير الطبري:٣٤٦/١٥.
(٣) تفسير الطبري:٣٤٦/١٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٢):ص٣٤٧/١٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٣):ص٣٤٧/١٥.
(٦) أخرجه الطبري(١٨٢٤٤):ص٣٤٧/١٥.
(٧) أخرجه الطبري(١٨٢٤٥):ص٣٤٧/١٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٦):ص٣٤٧/١٥.
(٩) أخرجه الطبري(١٨٢٤٦):ص٣٤٧/١٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٤٧):ص٣٤٨/١٥.
(١١) أخرجه الطبري(١٨٢٤٨):ص٣٤٨/١٥.
(١٢) تفسير الطبري:٣٥٠/١٥.
(١٣)التفسير الميسر:٢٢٧.

يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكي ابنك الذي أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طويتُ علمه عنك من أسباب أفعالي، وليس لك به علم"[1].

وقرئ: «فَلا تَسْأَلَنَّ»، بتشديد النون وفتحها بمعنى: فلا تسألنَّ يا نوح ما ليس لك به علم[2].

قوله تعالى:{إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود : ٤٦]، أي:" إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين في مسألتك إياي عن ذلك"[3].

قال الطبري:أي:" في مسألتك إياي عن ذلك"[4].

قال ابن زيد:" أنْ تبلغ الجهالة بك أن لا أفي لك بوعد وعدتك، حتى تسألني ما ليس لك به علم"[5].

فوائد الآيتين:[٤٥-٤٦]:

١- رابطة الإيمان والتقوى أعظم من رابطة النسب.
٢- حرمة العمل بغير علم فلا يحل القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.
٣- ذم الجهل وأهله.

القرآن

{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)} [هود : ٤٧]

التفسير:

قال نوح: يا رب إني أعتصم وأستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} [هود : ٤٧]، أي:" قال نوح: يا رب إني أعتصم وأستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم"[6].

قوله تعالى:{وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود : ٤٧]، أي:" وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا"[7].

الفوائد:

١- الإذعان الكامل لله تعالى والخوف من الله سبحانه وطلب مرضاته ورحمته، إذ يقول عبده الصالح نوح-عليه السلام- {رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين} .
٢- ومن الفوائد: عصمة الأنبياء والرسل-عليهم السلام-، إذ أن الأمة الإسلامية مجمعة على عصمة الأنبياء والرسل من الكبائر من الذنوب وقبائح العيوب، كالزنى والسرقة والمخادعة، وصناعة الأصنام وعبادتها، والسحر، ونحو ذلك، وقد برأ كتاب الله وسنة رسوله أنبياء الله ورسله مما افتراه عليهم اليهود والنصارى في المحرف من كتبهم، وإليك بعض ما نسبوه إليهم[8].

---

[1] تفسير الطبري:١٥/٣٥٠.
[2] انظر: تفسير الطبري:١٥/٣٥٢.
[3] التفسير الميسر:٢٢٧.
[4] تفسير الطبري:١٥/٣٥٠.
[5] أخرجه الطبري(١٨٢٤٩):ص١٥/٣٥٠.
[6] التفسير الميسر:٢٢٧.
[7] التفسير الميسر:٢٢٧.
[8] وإليك بعض ما نسبوه إليهم:
أولاً: ما نسب اليهود إلى الأنبياء والمرسلين من القبائح:
١- زعموا أن نبيّ الله هارون صنع عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل، [إصحاح (٣٢) عدد (١) من سفر الخروج] .

وأما ما ورد فى القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم، فهو ليس على ظاهره.

فإن ما وقع من النبي نوح-عليه السلام- فهو أنه سأل الله عن هلاك ابنه مع من هلكوا فى الطوفان، مع وعد الله بنجاته ونجاة أهله، فقال: {رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين *قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين *قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين}.

فلم يكن لنوح عليه السلام علم بأن نسب ابنه إليه قد انتفى بكفره وإعراضه عن دعوة الله، فسأل الله كيف هلك مع الوعد بنجاة أهله، وابنه من أهله؟ فعلمه الله أن الصلة الدينية والنسب الروحى أقوى من صلة الدم، فإذا انقطعت هذه الصلة، ذهبت بصلة

وقد بيّن ضلالهم هذا القرآن عندما حدثنا أنّ الذي صنع لهم عجلاً جسداً له خوار هو السامري، وأن هارون قد أنكر عليهم إنكاراً شديداً.

٢- أن إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قدّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها. [إصحاح (١٢) عدد (١٤) من سفر التكوين] .

وقد كذبوا على خليل الرحمن، وقد قص علينا الرسول ﷺ قصة إبراهيم هذه عند دخوله لمصر، وفيها أن ملك مصر كان طاغية، وكان إذا وجد امرأة جميلة ذات زوج قتل زوجها وحازها لنفسه، فلما سئل إبراهيم عنها قال هي أخته، يعني أخته في الإسلام، وأخبر الرسول ﷺ أن الله حفظ سارة عندما ذهبت إلى الطاغية، فلم يمسها بأذى.

٣- ومن ذلك أن لوطاً عليه السلام شرب خمراً حتى سكر، ثمّ قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة بعد الأخرى.. [سفر التكوين، إصحاح (١٩) عدد (٣٠)] ومعاذ الله أن يفعل لوط ذلك، وهو الذي دعا إلى الفضيلة طيلة عمره، وحارب الرذيلة، ولكنّه الحقد اليهودي يمتد إلى الكملة من البشر، فلعنة الله على الظالمين.

٤- وأن يعقوب عليه السلام سرق مواشٍ من حميّه، وخرج بأهله خلسة دون أن يُعلمه.. [سفر التكوين، إصحاح (٣١) عدد (١٧)] .

٥- وأن روابين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب عليه السلام، علم بهذا الفعل القبيح وسكت.. [سفر التكوين، إصحاح (٣٥) عدد (٣٢)] .

٦- وأن داود عليه السلام زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبر حيلة لقتل الرجل، فقتل، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه، فولدت له سليمان. [سفر صموئيل الثاني إصحاح (١١) عدد (١)] .

٧- وأن سليمان ارتد في آخر عمره، وعبد الأصنام، وبنى لها المعابد.. [سفر الملوك الأول، إصحاح (١١) عدد (٥)] .

هذه بعض المخازي والقبائح والكبائر التي نسبتها هذه الأمة المغضوب عليها إلى أنبياء الله الأطهار، وحاشاهم مما وصفوهم به، ولكنها النفوس المريضة تنسب إلى خيرة الله من خلقه القبائح، ليسهل عليهم تدبير ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكر، ويعترض عليهم معترض.

ثانياً: ما نسبه النصارى من القبائح إلى الأنبياء:

والنصارى ليسوا بأفضل من اليهود في هذا، فقد نسبوا إلى الأنبياء والرسل القبائح، وذلك بتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم والتي فيها ما ذكرنا، بالإضافة إلى ما في الإنجيل المحرف ومما فيه:

١- ورد في إنجيل (متى) أن عيسى من نسل سليمان بن داود، وأن جدهم فارض الذي هو من نسل الزنى من يهوذا بن يعقوب.. [إصحاح متى الأول، عدد (١٠)] .

٢- وفي إنجيل [يوحنا إصحاح (٢) عدد (٤)] أن يسوع أهان أمَّه في وسط جمع من الناس، فأين هذا مما وصفه به القرآن (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) [مريم: ٣٢] .

٣- وأن يسوع شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل هم سراق ولصوص.. [إنجيل يوحنا، إصحاح (١٠) عدد (٨)] .

هذا غيض من فيض مما تطفح به تلك الأناجيل المحرفة من وصف الأنبياء والرسل بما هم بريئون منه (١) ، إن الأنبياء والرسل أزكى الناس وأطهرهم وأفضلهم، ووالله إن هؤلاء لضالون فيما وصفوا به أنبياء الله الأبرار الأطهار.

ولذا فإن الأمة الإسلامية هي المدافعة عن الأنبياء والرسل، المشيدة بمآثرهم، فهي وراثة الأنبياء، المقيمة لدينهم، بخلاف ما عليه اليهود والنصارى تجاه أنبيائهم.[انظر: الرسل والرسالات:١٠٤-١٠٧]

.

النسب والدم، فقال له معلما إياه: {إنه ليس من أهلك} معللا ذلك بأن عمله غير صالح، ومادام ذلك كذلك، فليس هناك صلة نسبية، وبذلك ينتفى نسبه من أبيه، فلا يكون من أهله الذين وعدوا بالنجاة.

وكان على نوح عليه السلام - وهو الأب الثانى للبشر - الذى بذل حياته لله، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو إلى الله، ويجاهد فى سبيله، كان عليه أن يفطن لهذا المعنى، وأن يدركه، فلما لم ينتبه إليه، وغلبت عليه عاطفة الأبوة اعتبر ذلك نقصا بالنسبة لمقامه الرفيع، ومنزلته الكبرى التى حباه الله بها .. ومن ثم فقد لجأ إلى الله أن يغفر له هذه العثرة التي لم يقصد إليها؛ ولم يكن له علم بها فقال: { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ}.

وقد اختلف العلماء في مسألة عصمة الانبياء من «الصغائر»، فذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، وقال ابن تيمية: " القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاّ ما يوافق هذا القول.."[1] .

وقد استدل جماهير العلماء على دعواهم بأدلة:

أ- معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى - فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى - إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى - وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى - فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى - فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه: ١١٦-١٢١] . والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد، فقد صرحت بعصيان آدم ربه.

ب- ونوح دعا ربه في ابنه الكافر (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) [هود: ٤٥] ، فلامه ربه على مقالته هذه، وأعلمه أنّه ليس من أهله، وأن هذا منه عمل غير صالح {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: ٤٦] فاستغفر ربّه من ذنبه وتاب وأناب {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} [هود: ٤٧] . والآية صريحة في كون ما وقع منه كان ذنباً يحتاج إلى مغفرة {وإلاّ تغفر لي وترحمني..} .

ت- وموسى أراد نصرة الذي من شيعته، فوكز خصمه فقضى عليه (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ - قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [القصص: ١٥-١٦] ، فقد اعترف موسى بظلمه لنفسه، وطلب من الله أن يغفر له، وأخبر الله بأنه غفر له.

ث- وداود عليه السلام تسّرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني، فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه {فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعاً وأناب - فغفرنا له ذلك} [ص: ٢٤-٢٥] .

ج- ونبينا محمد ﷺ عاتبه ربه في أمور {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التحريم: ١] نزلت بسبب تحريم الرسول ﷺ العسل على نفسه، أو تحريم مارية القبطية.

---

[1] الفتاوى: ٣١٩/٤.

وعاتبه ربه بسبب عبوسه في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، وانشغاله عنه بطواغيت الكفر يدعوهم إلى الله، والإقبال على الأعمى الراغب فيما عند الله هو الذي كان ينبغي أن يكون من الرسول ﷺ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى - أَن جَاءهُ الْأَعْمَى - وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى - أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى..} [عبس: ١-٤] .

وقبل الرسول ﷺ من أسرى بدر الفدية فأنزل الله تعالى: {لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٦٨] .

هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها، وإلاّ فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه، وخروجه من قومه من غير إذن من ربه، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غيابة الجبِّ، ثم أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء.

القائلون بعصمة الأنبياء من الصغائر:

يستعظم بعض الباحثين أن ينسب إلى الأنبياء صغائر الذنوب التي أخبرت نصوص الكتاب والسنة بوقوعها منهم، ويذهب هؤلاء إلى تهويل الأمر، ويزعمون أنّ القول بوقوع مثل هذا منهم فيه طعن بالرسل والأنبياء، ثم يتحملون في تأويل النصوص، وهو تأويل يصل إلى درجة تحريف آيات الكتاب كما يقول ابن تيمية، وكان الأحرى بهم تفهم الأمر على حقيقته، وتقديس نصوص الكتاب والسنة، واستمداد العقيدة في هذا الأمر وفي كل أمر من القرآن وأحاديث الرسول، وبذلك نحكمها في كل أمر، وهذا هو الذي أمرنا به، أمّا هذا التأويل، والتحريف بعد تصريح الكتاب بوقوع مثل ذلك منهم فإنّه تحكيم للهوى، ونعوذ بالله من ذلك.

وقد انتشرت هذه التأويلات عند الكتاب المحدثين، وهي تأويلات فاسدة من جنس تأويلات الباطنية والجهمية، كما يقول ابن تيمية[(١)] .

والذين منعوا من وقوع الصغائر من الأنبياء أوردوا شبهتين:

- الأولى: أن الله أمر باتباع الرسل والتأسي بهم (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١] ، وهذا شأن كل رسول، والأمر باتباع الرسول يستلزم أن تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله جميعها طاعات لا محالة، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى لحصل تناقض في واقع الحال، إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول ﷺ، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهي عنها، وهذا تناقض، فلا يمكن أن يأمر الله عبداً بشيء في حال أنه ينهاه عنه.

وقولهم هذا يكون صحيحاً، لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة، بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية، أمّا وأنّ الله ينبه رسله وأنبياؤه إلى ما وقع منهم من مخالفات ويوفقهم إلى التوبة منها، من غير تأخير فإنّ ما أوردوه لا يصلح دليلاً بل يكون التأسي بهم في هذا منصباً على الإسراع في التوبة عند وقوع المعصية، وعدم التسويف في هذا، تأسياً بالرسل والأنبياء الكرام في مبادرتهم بالتوبة من غير تأخير.

- الثانية: أنّ هؤلاء توهموا أن الذنوب تنافي الكمال، وأنها تكون نقصاً وإن تاب التائب منها، وهذا غير صحيح، فإنّ التوبة تغفر الحوبة، ولا تنافي الكمال، ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم، بل إنّ العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيراً منه قبل وقوع المعصية، وذلك لما يكون في قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء، ولما يقوم به من صالح الأعمال، يرجو بذلك أن تمحو الصالحات السيئات، وقد قال بعض السلف: " كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة "، وقال آخر: " لو لم تكن التوبة أحبّ الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه ".

---

(١) نقلا عن: الرسل والرسالات:١٠٩.

وقد ثبت في الصحاح " والله لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل كان فى سفر فى فلاة من الأرض فأوى إلى ظل شجرة فنام تحتها واستيقظ فلم يجد راحلته فأتى شرفا فصعد عليه فأشرف فلم ير شيئا ثم أتى آخر فأشرف فلم ير شيئا فقال أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأكون فيه حتى أموت فذهب فإذا براحلته تجر خطامها فوالله لله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته"[1].

وفي الكتاب الكريم: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] وقال تعالى مبيناً مثوبة التائبين: (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ...) [الفرقان: ٧٠]، وفي يوم القيامة " إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"[2].

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار منه، يدلنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار، فأدم وزوجه عصيا فبادرا إلى التوبة قائلين: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: ٢٣] وما كادت ضربة موسى تسقط القبطي قتيلاً حتى سارع طالباً الغفران والرحمة قائلاً: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) [القصص: ١٦] . وداود ما كاد يشعر بخطيئته حتى خرّ راكعاً مستغفراً (فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعاً وأناب) [ص: ٢٤] .

فالأنبياء لا يقرون على الذنب، ولا يؤخرون التوبة، فالله عصمهم من ذلك، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها.

وبذلك انهارت هاتان الشبهتان، ولم يثبتا في مجال الحجاج والنقاش، وحسبنا بالأدلة الواضحة البينة التي تهدي للتي هي أقوم.

وأما السبب في عصمة الأنبياء مما عصموا منه وعدم عصمتهم مما لم يعصموا منه، فإن الرسل والأنبياء بشر من البشر، عصمهم الله في تحمل الرسالة وتبليغها، فلا ينسون شيئاً، ولا ينقصون شيئاً، وبذلك يصل الوحي الذي أنزله الله إلى الذين أرسلوا إليهم كاملاً وافياً، كما أراده الله جلّ وعلا، وهذه العصمة لا تلازمهم في كلّ أمورهم فقد تقع منهم المخالفة الصغيرة، بحكم كونهم بشراً، ولكنّ رحمة الله تتداركهم، فينبههم الله إلى خطئهم، ويوفقهم للتوبة والأوبة إليه.

يقول الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر: " إنّ الوحي لا يلازم الأنبياء في كلّ عمل يصدر عنهم، وفي كلِّ قول يبدر منهم، فهم عرضة للخطأ، يمتازون عن سائر البشر بأنّ الله لا يقرّهم على الخطأ بعد صدوره، ويعاتبهم عليه أحياناً "[3].

القرآن

---

[1] أخرجه أحمد (٢٧٥/٤، رقم ١٨٤٤٦) ، ومسلم (٢١٠٣/٤، رقم ٢٧٤٥) .

[2] أخرجه أحمد (٧٤/٢، رقم ٥٤٣٦) ، والبخارى (٨٦٢/٢، رقم ٢٣٠٩) ، ومسلم (٢١٢٠/٤، رقم ٢٧٦٨) ، والنسائى فى الكبرى (٣٦٤/٦، رقم ١١٢٤٢) ، وابن ماجه (٦٥/١، رقم ١٨٣) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٦٣/٧، رقم ٣٤٢٢١) ، وعبد بن حميد (ص ٢٦٦ رقم ٨٤٦) ، وابن حبان (٣٥٣/١٦ رقم ٧٣٥٥) والطبرانى فى الأوسط (١٨٠/٤، رقم ٣٩١٥) ، والديلمى (١٥٢/١، رقم ٥٥٣) .

[3] الرسل والرسالات:١١٢.

{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)} [هود : ٤٨]

التفسير:

قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منَّا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك. وهناك أمم وجماعات من أهل الشقاء سنمتعهم في الحياة الدنيا، إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموجع يوم القيامة.

قوله تعالى:{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} [هود : ٤٨]، أي:" قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منَّا"[١].

قال القرطبي:" أي: قالت له الملائكة، أو قال الله تعالى له: اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض، فقد ابتلعت الماء وجفت {بسلام منا}، أي: بسلامة وأمن، وقيل: بتحية"[٢].

قال ابن زيد:" هبطوا والله عنهم راض هبطوا بسلام من الله كانوا أهل رحمته من أهل ذلك الدهر"[٣].

قال قتادة:" هبط إلى الأرض يوم عاشوراء وصام نوح ومن معه من المغرب إلى المغرب"[٤].

قال ابن عباس:" أول شيء غرس نوح حين خرج من السفينة الآس"[٥].

قوله تعالى:{وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ} [هود : ٤٨]، أي:" وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة"[٦].

قال القرطبي:" أي نعم ثابتة، مشتق من بروك الجمل وهو ثبوته وإقامته. ومنه البركة لثبوت الماء فيها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نوح آدم الأصغر، فجميع الخلائق الآن من نسله، ولم يكن معه في السفينة من الرجال والنساء إلا من كان من ذريته، على قول قتادة وغيره، حسب ما تقدم، وفي التنزيل: { وجعلنا ذريته هم الباقين} [الصافات: ٧٧]"[٧].

قال محمد بن كعب:" فما بقي مؤمن ولا مؤمنة إلا دخل في ذلك السلام وفي تلك البركات إلى يوم القيامة"[٨].

قال الضحاك:"{أمما ممن معك}، يعني: ممن لم يولد، قد مضى لمن سبق كلام الله السعادة وأما من سبق له في قضاء الله وكلمته الشقوة، فيمتعهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ"[٩].

قال الحسن:" نجى الله نوحا والذين آمنوا معه وأهلك المتمنعين ثم استقرا الأنبياء هود وشعيب وصالح فأنجاهم وأهلك المتمنعين"[١٠].

قوله تعالى:{وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]، أي:" هناك أمم وجماعات من أهل الشقاء سنمتعهم في الحياة الدنيا، إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموجع يوم القيامة"[١١].

عن ابن عباس :"{عذاب أليم}، يقول: نكال موجع"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٧.
[٢] تفسير القرطبي:٤٨/٩.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٤):ص٢٠٤٠/٦.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٣):ص٢٠٤٠/٦.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٥):ص٢٠٤٠/٦.
[٦] صفوة التفاسير:١٤/٢.
[٧] تفسير القرطبي:٤٨/٩.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٨):ص٢٠٤١/٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٧):ص٢٠٤٠/٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٩):ص٢٠٤١/٦.
[١١] التفسير الميسر:٢٢٧.

عن الضحاك، قوله:"{ثم يمسهم منا عذاب أليم}، لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة"[2].

عن ابن زيد:" {ثم يمسهم منا عذاب أليم}، قال: بعد الرحمة"[3].

قال السدي:" هؤلاء الأمم من أبناء من كان في السفينة مثل عاد وثمود وتلك القرون"[4].

عن الضحاك، في قوله: "{وأمم سنمتعهم}، يعني: متاع الحياة الدنيا"[5].

قال ابن زيد:" ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما، منهم من رحم، ومنهم من عذب. قال: إنما افترقت الأمم من العصابة التي أخرجت من الماء وسلمت"[6].

قال الحسن:" فما زال الله يأخذ لنا بسهمنا وحفظنا ويذكرنا من حيث لا نذكر أنفسنا كلما هلكت أمة خلصنا في أصلاب من نجوا بلطفه حتى جعلنا في خير أمة أخرجت للناس"[7].

قال القرطبي:" {وعلى أمم ممن معك} قيل: دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة. ودخل في قوله {وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم} كل كافر إلى يوم القيامة، روي ذلك عن محمد بن كعب[8]"[9].

الفوائد:

١- شرف نوح عليه السلام وانه أحد أولى العزم من الرسل.

٢- أن «البركة»: زيادة ونماء في شيءٍ يريده المتبرك في تبركه بما تبرك به. وهذه الزيادة والنماء قد تكون في أمكنةٍ، وقد تكون في ذوات، وقد تكون في صفاتٍ، هذا على مقتضى ورودها اللغوي، وأما الشرعي فيأتي تفصيل الكلام فيه إن شاء الله.

ومن الأول قوله تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا} [فصلت: ١٠] ، وقوله: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف: ١٣٧] ، وقوله: {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦] ، وقوله: {وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا} [المؤمنون: ٢٩] .

ومن الثاني قوله تعالى: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات: ١١٣] ، وقوله تعالى في قصة نوح: {اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ} [هود: ٤٨] .

ومن الثالث: قوله تعالى: {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} [النور: ٦١] ، وقوله: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} [الأنبياء: ٥٠].

والحق: أنه ليست البركات والفيوض من الأشهر، ولا من غيرها من المخلوقات، وإنما هي من الله وحده لا شريك له، وإذا تدبرت كتاب الله العزيز وجدت أنه يدل على أن البركة من الله، وتُطلب منه سبحانه وتعالى وحده، وهو يضعها فيمن شاء من خلقه، وفي ما شاء من بريته.

قال تعالى: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] ، وقال: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [الفرقان: ١] وقال: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا} [الفرقان: ٦١] ، وقال: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤] ،

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٧):ص٢٠٤٣/٦.

[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٥):ص٢٠٤٢/٦.

[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٦):ص٢٠٤٢/٦.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤١):ص٢٠٤٢/٦.

[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٠):ص٢٠٤٢/٦.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٢):ص٢٠٤٢/٦.

[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٤٣):ص٢٠٤٢/٦.

[8] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٣٨):ص٢٠٤١/٦.

[9] تفسير القرطبي:٤٨/٩.

وقال: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨] ، والآيات الواردة بلفظ (تبارك) كثيرة.

ولفظ {تَبَارَكَ} لم يرد في كتاب الله إلا مسنداً إلى الله، وهي صيغة مفيدة أعظم أنواع معنى البركة، وأكثرها نفعاً، وأعمها متعلقاً وأثراً. فالبركة لله، والله -سبحانه وتعالى -أخبر أنه أعطى بركة لأصنافٍ من خلقه: فمن ذلك:

أ- الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ} [الصافات: ١١٣] ، وقال في إبراهيم وأهل بيته: {رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} [هود: ٧٣] ، وقال في نوح: {اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ} [هود: ٤٨] ، وقال عيسى عليه السلام: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ} [مريم: ٣١] .

ب- ومن ذلك وضعه البركة في أماكن العبادة كالمسجد الأقصى، والمسجد الحرام، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء: ١] ، وقال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا} [آل عمران: ٩٦] .

ت- ومن إخباره عن ما أنزله من الذكر أنه مبارك، قال تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} [الأنبياء: ٥٠] ، وهذا الذكر هو القرآن العظيم كما قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام: ٩٢] ، وقوله: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: ٢٩] .

فالقرآن الحكيم ذكر مبارك، وتدبر آياته عمل مبارك، ومن هذا التدبر علوم القرآن، والسنة مبينة لمجمل القرآن، وهي مباركة، واتباع القرآن والسنة مبارك، وعلومهما الناشئة عن تدبر آيات الكتاب وفقه السنة علوم مباركة.

هذه أنواع ثلاثة فيها بركة خاصة، دل عليها الذكر الحكيم، وهناك بركة عامة، لها أنواع أيضاً: فمن ذلك:

أ- أن المطر مبارك لما يحصل به من زيادة في معايش الناس وزروعهم، ونماء في ذلك، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} [ق: ٩].

ب- ومن ذلك مباركته تعالى في الأرض كما قال: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا} [فصلت: ١٠] ، وقوله: {مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف: ١٣٧] .

ت- ومن ذلك مباركته تعالى ما يأتي من السماء وما يخرج من الأرض، كما قال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦] ، فهذه وأشباهها، مباركة عامة يحصل بها النفع والخير، والنماء والزيادة.

ولعله يظهر أن البركة الخاصة اللازمة لذاتٍ -دون المكان والصفة -تكون متعدية يحصل التبرك بأعيانها لما فيها من البركة اللازمة الدائمة بالذات.

وأما البركة الخاصة بمكان العبادة كالمسجد الحرام والمسجد النبوي، فإن البركة لا تكون متعدية بأجزاء المسجد، فلا يتمسح بأعمدة المساجد ولا جدرانها بإجماع المسلمين، والمساجد مباركة، فعلم أن بركتها معناها زيادة ونماء في ما يحصله العابد من الخير، فالمسجد الحرام صلاة فيه بمئة ألف صلاةٍ فيما سواه، والمسجد النبوي بألف صلاة.

وهذا نحو بركة الرسل -صلوات الله عليهم- فإنها في أحد قسميها بركة اتباع عمل، فالمتبع لسنتهم المهتدي بهديهم يحصل له نماء وزيادة في ثواب عمله بسبب اتباعهم، فهذه معنى البركة الخاصة بقسميها، بخلاف المباركة العامة فإنها قد تحصل في وقتٍ دون وقت، أو في نوع دون نوع، فمما هو بَيِّن أنه ما كل ما جاء من السماء وخرج من الأرض يكون مباركاً دائماً، بل إعطاؤه البركة من الله متعلق بأمورٍ أخرى، إن وجدت أعطي البركة، وإن انتفت زالت البركة، فهي بركة عامة من حيث ظرفها،

خاصة من حيث وقتها، غير لازمة للشيء، إذا تقرر هذا، فالبركة في مواردها من الكتاب والسنة قسمان:

الأول: بركة ذات، وأثرها أن يكون ما اتصل بتلك الذات مباركاً، وهذا النوع للأنبياء والمرسلين لا يشركهم فيه غيرهُم، حتى أكابر أصحاب النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي لا يشركونهم في هذه البركة.

ولا يعتدى أثر بركة الأنبياء إلا لمن كان على ما دعى به سائرين، وبعمله مقتدين، وبأمره ملتزمين وعن نهيه منتهين، ولذا فصحابة رسول الله ﷺ لم تتعهد إليهم بركته في معركة أحد حين خالفوا أمره وعصوه.

وهذا النوع من تعدي البركة قد انقطع بعد موت النبي ﷺ إلا ما كان من أجزاء ذاته باقياً بيقين بعد موته أحد، وقد ذهب ذلك المتيقن مع انقراض قرن الصحابة -رضي الله عنهم-.

الثاني: بركة عمل واتباع: وهي عامة لكل من وافق عمله سنة النبي صلى الله عليه وسلم فكل مسلم فيه بركة عمل مقدرة بقدر اتباعه وموافقته لأمر الله ونهيه، بالإتمار بالأمر، والانتهاء عن النهي.

ولذا جاء في الحديث في النخلة: " وإن من الشجر لما بركته كبركة المسلم"[١].

فكل مسلم بركة بقدره، وليست هي بركة ذات، معلوم هذا باليقين وما ادعاه مدع، وإنما هي بركة عمل.

وفي الصالحين من عباد الله المتبعين بركة عمل واتباع بقدر ما فيهم من مقتضيات تلك البركة، فالعالم بالسنة له بركة علم، والحافظ لكتاب الله الواقف عند حدوده فيه بركة من أثر ذلك، وهكذا.

وإن أعلى الصالحين بركة أشدهم اتباعاً لدين الإسلام، ومحافظة على واجباته، ومباعدة عن محرماته، ومن المحرمات أفعال القلوب، فكم من مبتعد عن محرمات الجوارح، خائض في محرمات القلوب، ولا يبالي.

وبهذا تجتمع النصوص، فما كان من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- فهو مما اجتمع فيه نوعي البركة، وما كان من غيرهم فهم مما بورك فيهم بركة عمل وعلم واتباع، ولذا تجد أثر هذه البركة لا يتعدى إلا بالأعمال، لا بالذات ولا بأجزائها.

ولذا قال أُسيد بن حُضير في سبب مشروعية التيمم: " لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر"[٢].

واللفظ المروي عند الشيخين البخاري ومسلم: "ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر" ومعنى اللفظين واحد، ومعلوم أنه ما كان أسيد ولا غيره يبتغي من أبي بكر أو آله بركة ذاتٍ كما كانوا يفعلونه مع النبي ﷺ، من التبرك بشعره ونحوه، وإنما هي بركة عمل هو الإيمان والتصديق والنصرة والاتباع.

ومن ذلك ما قالته عائشة -رضي الله عنها- لما تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث قالت: " فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها"[٣].

فهذه بركة عمل لتزوج النبي ﷺ بها، فكان أن سبب ذلك عتق كثير من قومها[٤].

القرآن

---

[١]أخرجه البخاري في " صحيحه " (٥٦٩/٩).

[٢]أخرجه البخاري في " التفسير " من صحيحه.

[٣]أخرجه أحمد في " المسند " (٢٧٧/٦) ، وأبو داود في " السنن " بإسناد جيد..

[٤] انظر: هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ:٣١٥-٣٢٠.

{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)} [هود : ٤٩]

التفسير:

تلك القصة التي قصصناها عليك -أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب السالفة، نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك مِن قبل هذا البيان، فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله.

قوله تعالى:{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ} [هود : ٤٩]، أي:" تلك القصة التي قصصناها عليك -أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب السالفة، نوحيها إليك"[١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ. هذه القصة وأشباهها { مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ } يعني : من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها وجليتها، كأنك شاهدها ، { نُوحِيهَا إِلَيْكَ } أي : نعلمك بها وحيا منا إليك"[٢].

قوله تعالى:{مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود : ٤٩]، أي:" ما كنت تعلم تلك القصة أنت ولا قومك مِن قبل هذا البيان"[٣].

قال ابن كثير:" أي : لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها ، حتى يقول من يكذبك : إنك تعلمتها منه ، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح ، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك "[٤].

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ} [هود : ٤٩]، أي:" فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل"[٥].

قال ابن كثير:" فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك ، وأذاهم لك "[٦].

قوله تعالى:{إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود : ٤٩]، أي:" إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله"[٧].

قال ابن كثير:أي:" فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، كما فعلنا بإخوانك بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم ، { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ] } [غافر : ٥١ ، ٥٢] ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ [وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] } [الصافات : ١٧١ - ١٧٣] ، وقال تعالى : { فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }"[٨].

الفوائد:

١- بيان العبرة من القصص القرآني وهي تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين.

٢- تقرير نبوة الرسول ﷺ وإثباتها ببرهان عقلي وهو الإخبار بالغيب الذي لا يعلم إلا من طريق الوحي.

٣- بيان فضل الصبر، وأن العاقبة الحميدة للمتقين وهم أهل ألتوحيد والعمل الصالح.

القرآن

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٧.

[٢] تفسير ابن كثير:٣٢٨/٤.

[٣] التفسير الميسر:٢٢٧.

[٤] تفسير ابن كثير:٣٢٨/٤.

[٥] التفسير الميسر:٢٢٧.

[٦] تفسير ابن كثير:٣٢٨/٤.

[٧] التفسير الميسر:٢٢٧.

[٨] تفسير ابن كثير:٣٢٨/٤-٣٢٩.

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)} [هود : ٥٠]

التفسير:

وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، فما أنتم إلا كاذبون في إشراككم بالله.

قوله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [هود : ٥٠]، أي:" وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا"[١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ولقد أرسلنا ، { إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا }"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودًا"[٣].

قال الزجاج:" وقيل أخاهم من جهتين:

إحداهما: أنه منهم وبين بلسانهم.

والأخرى: أنه أخوهم من ولد آدم، بشر مثلهم"[٤].

قال السدي:" إن عادا كانوا باليمن والأحقاف هي الرمال فأتاهم فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن فكذبوه وكفروا وسألوه أن يأتيهم بالعذاب"[٥].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [هود : ٥٠]، أي:" قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"[٦].

قال ابن كثير:"آمرا لهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ناهيا لهم عن عبادة الأوثان"[٧].

قال الطبري:" فقال لهم: «يا قوم اعبدوا الله» وحده لا شريك له، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان، ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالألوهة"[٨].

عن محمد بن إسحاق:"وكان من حديث عاد فيها بلغني والله أعلم أنهم كانوا قوما عربا فبعث الله إليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله عز وجل"[٩].

قوله تعالى:{إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} [هود : ٥٠]، أي:" فما أنتم إلا كاذبون في إشراككم بالله"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه"[١١].

قال البيضاوي:أي:" على الله باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء"[١٢].

قال ابن كثير:" افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة"[١٣].

الفوائد:

١- دعوة الرسل من نوح إلى محمد ﷺ واحدة وهي أن يعبد الله وحده.

---

[١]التفسير الميسر:٢٢٧.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٢٩/٤.
[٣] تفسير الطبري:٣٥٧/١٥.
[٤] معاني القرآن:٥٦/٣.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٥):ص٢٠٤٤/٦.
[٦]التفسير الميسر:٢٢٧.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٢٩/٤.
[٨] تفسير الطبري:٣٥٧/١٥.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٦):ص٢٠٤٤/٦.
[١٠]التفسير الميسر:٢٢٧.
[١١] تفسير الطبري:٣٥٧/١٥.
[١٢] تفسير البيضاوي:١٣٧/٣.
[١٣] تفسير ابن كثير:٣٢٩/٤.

٢- تقرير مبدأ: «لا إله إلا الله».
٣- المشركون مفترون على الله كاذبون حيث عبدوه بما لم يشرع لهم.

القرآن

{يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١)} [هود : ٥١]

التفسير:

يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجرًا، ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقني، أفلا تعقلون فتميّزوا بين الحق والباطل؟

قوله تعالى:{يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [هود : ٥١]، أي:" يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجرًا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هود لقومه: يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها، جزاءً وثوابًا"[٢].

قال عطاء بن دينار:" لا أسئلكم على ما جئتكم به أجرا"[٣].

قال ابن عباس:" لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا يقول عرضا من عرض الدنيا"[٤].
الدنيا"[٤].

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي} [هود : ٥١]، أي:" ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقني"[٥].

قال الطبري:" يقول: إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم، ودعائكم إلى الله، إلا على الذي خلقني"[٦].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:أي: "إلا على الذي خلقني على الفطرة السليمة من هذه البدع الوثنية التي ابتدعها قوم نوح"[٧].

قال قتادة:" {فطرني}، أي: خلقني"[٨].

قال البيضاوي:" {يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني}، خاطب كل رسول به قومه إزاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة، فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع"[٩].

قوله تعالى:{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [هود : ٥١]، أي:" أفلا تعقلون فتميّزوا بين الحق والباطل"[١٠].

قال البيضاوي:أي:" أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ"[١١].

قال الزمخشري:أي:" إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله. وهو ثواب الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٧.
[٢] تفسير الطبري:٣٥٧/١٥.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٨):ص٢٠٤٤/٦.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٧):ص٢٠٤٤/٦.
[٥] التفسير الميسر:٢٢٧.
[٦] تفسير الطبري:٣٥٧/١٥.
[٧] تفسير المنار:١١٥/١٢.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٥٩):ص٢٠٤٤/٦.
[٩] تفسير البيضاوي:١٣٧/٣-١٣٨.
[١٠] التفسير الميسر:٢٢٧.
[١١] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[١٢] الكشاف:٤٠٢/٢.

قال الطبري:" يقول: أفلا تعقلون أني لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب؟"[١].

الفوائد:

١- وجوب الإخلاص في الدعوة.
٢- أن شأن الرسل تمحيض النصح لأقوامهم، وذلك لا يكون إلا خلت دعوتهم عن المطامع، وتمحضت لإرضاء الله تعالى، والرغبة فيما عنده من ثواب.

القرآن

{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)} [هود : ٥٢]

التفسير:

ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم، ولا تُعرضوا عما دعوتكم إليه مصرّين على إجرامكم.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} [هود : ٥٢]، أي:" ويا قوم اطلبوا مغفرة الله والإيمان به"[٢].

قال الزمخشري:" قيل: {استغفروا ربكم}: آمنوا به"[٣].

قال البيضاوي:أي:" اطلبوا مغفرة الله بالإيمان"[٤].

قال الطبري:" يقول: آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم، و«الاستغفار»: هو الإيمان بالله في هذا الموضع، لأن هودًا ﷺ إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم، كما قال نوح لقومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [سورة نوح: ٣: ٤]" [٥].

قال الزجاج:" وكان قوم هود - أعني عادا - أهل بساتين وزروع وعمارة، وكانت مساكنهم الرمال التي هي بين الشام واليمن، فدعاهم هود إلى توحيد الله واستغفاره وترك عبادة الأوثان، فلم يطيعوه وتوعدهم بالعذاب فأقاموا على كفرهم، فبعث الله عليهم الريح، فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا"[٦].

قال الشعبي:" خرج عمر بن الخطاب يستغفر فما زاد على الاستغفار حتى رجع، قالوا: ما رأيناك استسقيت قال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ: {ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم}"[٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : ٥٢]، أي:" ثم توبوا إليه من ذنوبكم"[٨].

قال البيضاوي:أي:" ثم توسلوا إليها بالتوبة وأيضا التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده"[٩].

قال الزمخشري:أي:"من عبادة غيره، لأن التوبة لا تصلح إلا بعد الإيمان"[١].

---

[١] تفسير الطبري:٣٥٧/١٥.
[٢]التفسير الميسر:٢٢٧.
[٣] الكشاف:٤٠٢/٢.
[٤] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[٥] تفسير الطبري:٣٥٨/١٥.
[٦] معاني القرآن:٥٧/٣.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٠):ص٢٠٤٥/٦.
[٨]التفسير الميسر:٢٢٧.
[٩] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

قال الطبري:" يقول: ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به"[٢].

قال الزجاج:" «التوبة»: الندم على ما سلف، والعزم على ترك العود في الذنوب. والإقامة على أداء الفرائض"[٣].

قوله تعالى:{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [هود : ٥٢]، أي:" فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا، فتكثر خيراتكم"[٤].

قال البيضاوي:أي:" كثير الدر"[٥].

قال الطبري:" يقول: فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به، أرسل قَطْر السماء عليكم يدرَّ لكم الغيثَ في وقت حاجتكم إليه، وتحَيَا بلادكم من الجدب والقَحط"[٦].

وفي قوله تعالى:{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [هود : ٥٢]، وجوه:

أحدها : أنه المطر في إبانه، قاله هارون التيمي[٧].

عن هارون التيمي في قوله: "{يرسل السماء عليكم مدرارا}، قال: المطر"[٨].

الثاني : المطر المتتابع ، قاله ابن عباس[٩].

عن ابن عباس قوله: "{مدرارا}، قال: يتبع بعضه بعضا"[١٠].

وعن ابن زيد: "{يرسل السماء عليكم مدرارا}، قال: يدر ذلك عليهم مطرا مطرا"[١١].

والثالث: يُدرُّه عند الحاجة. أفاده الماوردي[١٢].

والرابع : يُدرُّ به البركة ، وهو مأخوذ من: «درور اللبن من الضرع». أفاده الماوردي[١٣].

قال الزجاج:" كان أصابهم جدب فاعلمهم أنهم إن استغفروا ربهم وتابوا أرسل السماء عليهم مدرارا"[١٤].

قال الزمخشري:" «المدرار»: الكثير الدرور، كالمغزار. وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة، لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات، حراصا عليها أشد الحرص، فكانوا أحوج شيء إلى الماء. وكانوا مدلين[١٥] بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة، مستحرزين بها من العدو، مهيبين في كل ناحية"[١٦].

قوله تعالى:{وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود : ٥٢]، أي:" ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النِّعم عليكم"[١٧].

قال البيضاوي:أي:" ويضاعف قوتكم"[١٨].

وفي قوله تعالى:{وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود : ٥٢] وجوه:

---

[١] الكشاف:٤٠٢/٢.
[٢] تفسير الطبري:٣٥٨/١٥.
[٣] معاني القرآن:٥٧/٣.
[٤]التفسير الميسر:٢٢٧.
[٥] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[٦] تفسير الطبري:٣٥٨/١٥.
[٧] انظر: النكت والعيون: ٤٧٧/٢، وتفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٦١):ص٢٠٤٥/٦.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦١):ص٢٠٤٥/٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٢):ص٢٠٤٥/٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٢):ص٢٠٤٥/٦.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٣):ص٢٠٤٥/٦.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٤٧٧/٢.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٤٧٧/٢.
[١٤] معاني القرآن:٥٧/٣.
[١٥]قوله «وكانوا مدلين» من الدل. وفي الصحاح: الدل قريب من الهدى، وهما من السكينة والوقار.
[١٦] الكشاف:٤٠٢/٢.
[١٧]التفسير الميسر:٢٢٧.
[١٨] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

أحدها : يعني: شدة إلى شدتك ، قاله مجاهد(١).
وقال ابن زيد:" جعل لهم قوة فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم، وذكر لنا أنه إنما قيل لهم: {ويزدكم قوة إلى قوتكم}، قال: إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين، فقال هود لهم: إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد، لأن ذلك من القوة "(٢).
قال الزجاج:" يجوز أن يكون: ويزدكم قوة في أبدانكم"(٣).
الثاني : خصباً إلى خصبكم ، قاله الضحاك(٤).
الثالث : عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم وأموالكم ، حكاه الماوردي عن علي بن عيسى(٥).
الرابع : أنه ولد الولد ، قاله عكرمة(٦).
والخامس: يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوتكم في أبدانكم. أفاده الماوردي(٧).
السادس: أراد القوة في المال. حكاه الزمخشري(٨).
السابع: أراد القوة على النكاح(٩).
قال الزمخشري:" وقيل: حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم"(١٠).
قال البيضاوي:" قيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل"(١١).
عن الحسن بن على رضى الله عنهما :"أنه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال: إنى رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا، فقال: عليك بالاستغفار، فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلا سألته مم قال ذلك، فوفد وفدة أخرى، فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود عليه السلام {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُم}(١٢)، وقول نوح عليه السلام : {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِين}(١٣)"(١٤).
قوله تعالى:{وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود : ٥٢]، أي:" ولا تُعرضوا عما دعوتكم إليه مصرِّين على إجرامكم"(١٥).
قال الزمخشري:أي:" ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم"(١٦).
قال الطبري:" يقول: ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام {مجرمين}، يعني: كافرين بالله"(١٧).
الفوائد:

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٦٤):ص٢٠٤٥/٦.
(٢) أخرجه الطبري(١٨٢٦٦):ص٣٥٩/١٥، وابن ابي حاتم(١٠٩٦٥):ص٢٠٤٥/٦. [مختصرا]
(٣)معاني القرآن:٥٧/٣ .
(٤) انظر: النكت والعيون:٤٧٧/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:٤٧٧/٢.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٦٦):ص٢٠٤٥/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤٧٧/٢.
(٨) انظر: الكشاف:٤٠٢/٢.
(٩) انظر: الكشاف:٤٠٢/٢.
(١٠)الكشاف:٤٠٢/٢ .
(١١) تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
(١٢)[هود : ٥٢].
(١٣)[نوح : ١٢].
(١٤)الكشاف:٤٠٢/٢ .
(١٥)التفسير الميسر:٢٢٧.
(١٦)الكشاف:٤٠٢/٢ .
(١٧) تفسير الطبري:٣٦٠/١٥.

١- فضل الاستغفار ووجوب التوبة، فبسببهما تهطل الأمطار المتتابعة، وتحصل الخيرات، ويزيدهم ربهم قوة إلى قوتهم
٢- تقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولا بذنبه لا يمكنه أن يتوب منه

القرآن

{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)} [هود : ٥٣]

التفسير:

قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي آلهتنا التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدِّقين لك فيما تدَّعيه.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ} [هود : ٥٣]، أي:" قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه"[١].

قال البيضاوي:أي:" بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات"[٢].

قال الطبري:أي:" بتاركي عبادتهم، صادرين عن قولك"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ} [هود : ٥٣]، أي:" وما نحن بتاركي آلهتنا التي نعبدها من أجل قولك"[٤].

قال البيضاوي:أي:" بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات"[٥].

قال الطبري:" يقول: وما نحن بتاركي آلهتنا، يعني: لقولك: أو من أجل قولك"[٦].

قال السعدي:" أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك، الذي ما أقمت عليه بينة بزعمهم"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [هود : ٥٣]، أي:" وما نحن بمصدِّقين لك فيما تدَّعيه"[٨].

قال الطبري:" يقول: قالوا: وما نحن لك بما تدعي من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدِّقين"[٩].

عن سعيد، بن جبير قوله: "{بمؤمنين}، قال: بمصدقين"[١٠].

قال السعدي:" وهذا تأييس منهم لنبيهم، هود عليه السلام، في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم يعمهون"[١١].

قال البيضاوي:" {وما نحن لك بمؤمنين}: إقناط له من الإجابة والتصديق"[١٢].

الفوائد:

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٧.
[٢] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[٣] تفسير الطبري:٣٦٠/١٥.
[٤] التفسير الميسر:٢٢٧.
[٥] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[٦] تفسير الطبري:٣٦٠/١٥.
[٧] تفسير السعدي:٢٨٣.
[٨] التفسير الميسر:٢٢٧.
[٩] تفسير الطبري:٣٦٠/١٥.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٦٧):ص٢٠٤٦/٦.
[١١] تفسير السعدي:٢٨٣.
[١٢] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

١- يان مدى مجاحدة ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان.
٢- أن دلائل النبوة من أعظم الوسائل التي يثبت بها الدين، فإن الإنسان إذا عرف دلائل نبوة النبي ﷺ وأنه رسول الله ﷺ فإن ما يترتب على ذلك يعتبر من أعظم الحجة، يترتب عليه صدق الرسول، ويترتب على صدق الرسول صحة الدين، ويترتب عليه صحة كل التفصيلات الواردة في الدين في القرآن وسنة النبي ﷺ، فلهذا ينبغي أن يدرك الإنسان دلائل النبوة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن نبوة الرسول ﷺ وأن رسالته تدل عليها أدلة كثيرة ربما تصل إلى أكثر من ألف دليل، وأبلغ ذلك وأعظم ذلك القرآن.
٣- أن هود-عليه السلام- كان من الأنبياء والمرسلين الذين كانت آيات نبوتهم خفية، إذ قال له قومه: {مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ} [هود:٥٣].

يقول شارح العقيدة الطحاوية: " حتى إن من أخفى آيات الرسل آيات هود، حتى قال له قومه: {يا هود ما جئتنا ببينة} ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبرها، وقد أشار إليه بقوله: {إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون} {من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون} {إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم} [1]، فهذا من أعظم الآيات: أن رجلا واحدا يخاطب أمة عظيمة بهذا الخطاب، غير جزع ولا فزع ولا خوار، بل هو واثق بما قاله، جازم به، فأشهد الله أولا على براءته من دينهم وما هم عليه، إشهاد واثق به معتمد عليه، معلم لقومه أنه وليه وناصره وغير مسلط لهم عليه. ثم أشهدهم إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة أنه بريء من دينهم وآلهتهم التي يوالون عليها ويبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أكد ذلك عليهم بالاستهانة لهم واحتقارهم وازدرائهم ولو يجتمعون كلهم على كيده وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلونه ولا يمهلونه، لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه. ثم قرر دعوتهم أحسن تقرير، وبين أن ربه تعالى وربهم الذي نواصيهم بيده هو وليه ووكيله القائم بنصره وتأييده، وأنه على صراط مستقيم، فلا يخذل من توكل عليه وأقر به، ولا يشمت به أعداءه"[2].

القرآن

{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤)} [هود : ٥٤]

التفسير:

ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون بسبب نهيك عن عبادتها. قال لهم: إني أُشهد الله على ما أقول، وأُشهدكم على أنني بريء مما تشركون.

قوله تعالى:{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود : ٥٤]، أي:" ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون بسبب نهيك عن عبادتها"[3].

قال البيضاوي:" أي: أصابك من عراه، يعروه إذا أصابه، {بعض آلهتنا بسوء} بجنون لسبك إياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم لخرافات"[4].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود: أنهم قالوا له، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمّها والنهي عن عبادتها، أنه أصابك منها خَبَلٌ من جنون"[5].

---

[1] سورة هود الآيات: ٥٤ ـ ٥٦.
[2] شرح الطخاوية، الأذرعي الصالحي الدمشقي:٤٧.
[3] التفسير الميسر:٢٢٨.
[4] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[5] تفسير الطبري:٣٦٠/١٥.

قال الضحاك:" يقولون: نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء، ولا نحب أن تعتريك، يقولون: يصيبك منها سوء"[١].

قال الزجاج:" أي: ما نقول إلا مسك بعض أصنامنا بجنون، بسبك إياها"[٢].

قال ابن زيد:" يقولون: اختلَط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلهتنا"[٣].

عن ابن عباس قوله: "{إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء}، قال: تصيبك آلهتنا بالجنون"[٤].

عن مجاهد: "{إعتراك بعض آلهتنا بسوء}، قال: أصابتك الأوثان بجنون"[٥].

عن قتادة قوله: "{إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء}، قال: إنما تصنع هذا بآلهتنا أنها أصابتك بسوء"[٦].

قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود : ٥٤]، أي:" قال لهم: إني أُشهد الله على ما أقول، وأُشهدكم على أنني بريء مما تشركون"[٧].

قال الطبري:" فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسي وأشهدكم أيضًا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله"[٨].

قال البيضاوي:" أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن إضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له، وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم"[٩].

قال أبو حيان:" وسمى الأصنام شركاءهم من حيث أن لهم نسبة إليهم بتسميتهم إياهم آلهة وشركاء الله تعالى"[١٠].

قال السمعاني:" فإن قيل: كيف قال للمشركين: {واشهدوا} ولا شهادة لهم؟
قلنا: هذا مذكور على طريق المبالغة في الحجة، لا على طريق إثبات الشهادة لهم"[١١].

القرآن

{مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥)} [هود : ٥٥]

التفسير:

مِن دون الله من الأنداد والأصنام، فانظروا واجتهدوا أنتم ومَن زعمتم من آلهتكم في إلحاق الضرر بي، ثم لا تؤخروا ذلك طرفة عين.

قوله تعالى:{مِنْ دُونِهِ} [هود : ٥٥]، أي:" مِن دون الله من الأنداد والأصنام"[١٢].

قال البغوي:" يعني: الأوثان"[١٣].

قال النسفي:" أي: من إشراككم آلهة من دونه"[١٤].

قوله تعالى:{فَكِيدُونِي جَمِيعًا} [هود : ٥٥]، أي:" فانظروا واجتهدوا أنتم ومَن زعمتم من آلهتكم في إلحاق الضرر بي"[١].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٧٦):ص١٥/٣٦٢.
[٢] معاني القرآن:٣/٥٧ .
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٧٧):ص١٥/٣٦٢.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٧٢):ص١٥/٣٦٢.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٦٧):ص١٥/٣٦١.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٧٤):ص١٥/٣٦٢.
[٧] التفسير الميسر:٢٢٨.
[٨] تفسير الطبري:١٥/٣٦٠.
[٩] تفسير البيضاوي:٣/١٣٨.
[١٠] البحر المحيط:٥/٢٥٢.
[١١] تفسير السمعاني:٢/٤٣٦.
[١٢] التفسير الميسر:٢٢٨.
[١٣] تفسير البغوي:٤/١٨٣.
[١٤] تفسير النسفي:٢/٦٧.

قا ل الطبري:" يقول: فاحتالوا أنتم جميعًا وآلهتكم في ضري ومكروهي"[٢].
عن ابن إسحاق، قوله: "{فكيدوني جميعا}، أي: فكيدوني أنتم ومن معكم جميعا"[٣].
قال السمعاني :" «الكيد»: احتيال بشر. وهذا القول معجزة لهود صلوات الله عليه فإنه أمرهم أن يحتالوا بكل حيلة لإيصال مكروه إليه، ومنعهم الله تعالى عن ذلك فلم يقدروا عليه، وهذا مثل قول نوح في سورة «يونس»: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس : ٧١] "[٤].
قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ} [هود : ٥٥]، أي:" ثم لا تؤخروا ذلك طرفة عين"[٥].
قا ل الطبري:" يقول: ثم لا تؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟"[٦].
قال الزمخشري:أي:" من غير إنظار، فإنى لا أبالى بكم وبكيدكم، ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم على وأنتم الأقوياء الشداد، فكيف تضرني آلهتكم، وما هي إلا جماد لا تضر ولا تنفع، وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها، بأن تخبلنى وتذهب بعقلي"[٧].
قال السعدي:" وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكترث منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"[٨].
قال البيضاوي:أي:" وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير إنظار حتى إذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاما منه، وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله وتثبطهم عن إضراره ليس إلا بعصمته إياه"[٩].
عن محمد بن مهاجر قال: كان عمر جالسا وهو يشق عليه الجلوس فكان متكئا وعنده يومئذ سعيد، بن خالد، وعنبسة بن سعيد، وأناس من بني عمه فقال: يا بني عم أسألكم صنع أما لكم كذا قالوا بلى قال سعيد، بن خالد، وكانت فيه أعرابية والله إنك لتريد أمرا لا تناله حتى تنال السماء قال: فاستوى قاعدا ثم قال: {فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون}، قال: فقال عنبسة بن سعيد، يا أمير المؤمنين أما لنا قرابة أما لنا حق قال: بلى ولكني والله ما لكم فيه إلا كالرجل في حضرموت راعي غنم قال: فلما سمعوها افترقوا ولحقوا بمنازلهم"[١٠].
فوائد الآيتين:[٥٤-٥٥]:
١- مواقف أهل الإيمان واحدة فما قال نوح لقومه متحديا لهم قاله هود لقومه.
٢- أن الخوف أنواعه ثلاثة[١١]:
أ- خوف واجب: وهو الخوف من الله عز وجل أن يصيبك بما يشاء، والمطلوب فيه: أن يحملك على فعل المأمورات، واجتناب المنهيات والمحظورات. وهذا الخوف يجب أن يكون مقترنا بالرجاء والمحبة؛ بحيث لا يكون خوفا باعثا على القنوط من

---

[١]التفسير الميسر:٢٢٨.
[٢] تفسير الطبري:٣٦١/١٥.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٢):ص٢٠٤٧/٦.
[٤] تفسير السمعاني:٤٣٦/٢.
[٥]التفسير الميسر:٢٢٨.
[٦] تفسير الطبري:٣٦١/١٥.
[٧] الكشاف:٤٠٤/٢.
[٨] تفسير السعدي:٢٨٣.
[٩] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧١):ص٢٠٤٦/٦.
[١١] انظر: فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن :٤٨٩. والإرشاد للفوزان:٦٧ وما بعدها، والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم:٣٩ ، والمفيد في مهمات التوحيد:١٢٥-١٢٧.

رحمة الله، أو اليأس من روح الله عز وجل؛ فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء؛ بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن من مكر الله؛ لأن القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله ينافيان التوحيد. قال تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩] ، وقال تعالى: {إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧] ، وقال تعالى: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: ٥٦][1].

ب- خوف طبيعي: وهو الخوف مما يخاف منه طبعا؛ كالخوف من السبع، كالأسد ونحوه، والعدو المبغت، وغير ذلك، مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله وحده. وهذا الخوف مباح، وهو غير مذموم. وقد وقع لموسى عليه السلام، يقول تعالى حاكيا عنه: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢١].

ت- الخوف المحرم: وهو قسمان:

- الأول: الخوف السري "الاعتقادي"، وسمي اعتقاديا لأن محله القلب، وهو: الخوف من غير الله أن يؤثر فيه، أو يصيبه لما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل؛ من مرض، أو منع رزق، أو إصابة بفقر، أو نحو ذلك بقدرته ومشيئته، كما قال الله عن قوم هود عليه السلام إنهم قالوا له: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود: ٥٤]. وهذا الخوف حرام لايجوز.
- الثاني: الخوف العملي: وهو الخوف من الناس المؤدي إلى ترك الواجب، أوالمؤدي إلى عمل المحرم، وينافي كال التوحيد.

وهذا الخوف حرام، وهو خوف أصغر.

ودليله: قول الله عز وجل: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] ؛ فاخشوهم: أي واتركوا الجهاد، ويشهد لهذا القسم أيضا قوله ﷺ: "إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس؛ فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى" [2].

القرآن

{إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)} [هود : ٥٦]

التفسير:

إني توكلت على الله ربي وربكم مالك كل شيء والمتصرف فيه، فلا يصيبني شيء إلا بأمره، وهو القادر على كل شيء، فليس من شيء يدِبُّ على هذه الأرض إلا والله مالكه، وهو في سلطانه وتصرفه. إن ربي على صراط مستقيم، أي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قوله تعالى:{إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ} [هود : ٥٦]، أي:" إني توكلت على الله ربي وربكم مالك كل شيء والمتصرف فيه، فلا يصيبني شيء إلا بأمره، وهو القادر على كل شيء"[3].

قال الطبري:" يقول: إني على الله الذي هو مالكي ومالككم، والقيّم على جميع خلقه، توكلت من أن تصيبوني، أنتم وغيركم من الخلق بسوء"[1].

---

[1] انرظ: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص٦٩-٧٠.

[2]أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٧، ٢٩، ٧٧، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨١٤.

[3]التفسير الميسر:٢٢٨.

قال البيضاوي:" المعنى: أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضروني فإني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده، ولا تقدرون على ما لم يقدره"[٢].

قوله تعالى:{مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود : ٥٦]، أي:" فليس من شيء يدِبُّ على هذه الأرض إلا والله مالكه، وهو في سلطانه وتصرفه"[٣].

قال الطبري:" فإنه ليس من شيء يدب على الأرض، إلا والله مالكه، وهو في قبضته وسلطانه. ذليلٌ له خاضعٌ"[٤].

قال الزجاج:" أي: هي في قبضته، وتنالها بما تشاء قدرته"[٥].

قال البيضاوي:" أي: إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذل"[٦].

عن صفوان بن عمرو، عن يفع بن عبد الكلاعي:" أنه قال في قوله: {ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم}، قال: فيأخذ بنواصي عباده فيلين للمؤمن حتى يكون لهم ألين من الوالد بولده، ويقال للكافر: ما غرك بربك الكريم"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود : ٥٦]، أي:" إن ربي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"[٨].

قال البيضاوي:" أي: أنه على الحق والعدل، لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم"[٩].

قال الطبري:" يقول: إن ربي على طريق الحق، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته، لا يظلم أحدًا منهم شيئًا ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به"[١٠].

قال الزجاج:" أي: هو سبحانه وإن كانت قدرته تنالها بما شاء، فهو لا يشاء إلا العدل"[١١].

عن مجاهد: "{إن ربي على صراط مستقيم}، الحقّ"[١٢].

قال المراغي:" هذا جواب منه عن مقالتهم وهو يتضمن جملة أمور:

(١) البراءة من إشراكهم الذي اقترفوه ولا حقيقة له.

(٢) إشهاد الله على ذلك ثقة منه بأنه على بينة من ربه.

(٣) إشهادهم أيضا على ذلك إعلاما منه بعدم مبالاته بهم وبما يزعمون من قدرة شركائهم على إيذائه وضرره:

(٤) طلبه منهم أن يجمعوا كلهم على الكيد له والإيقاع به بلا إمهال ولا تأخير إن استطاعوا. وفى هذا دليل واضح على أنه لا يخافهم ولا يخاف آلهتهم، وقد صدرت مثل هذه المقالة عن نوح عليه السلام إذ قال «فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون» كما لقن الله نبيه مثل هذا بقوله «قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون» .

(٥) عدم الخوف منهم ومن آلهتهم، إذ وكل أمر حفظه وخذلانهم إلى ربه وربهم، ومالك أمره وأمرهم، المتصرف فى كل مادب على وجه الأرض والمسخر له وهو سبحانه مطلع على أمور

---

[١] تفسير الطبري:٣٦٣/١٥.

[٢] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

[٣]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٤] تفسير الطبري:٣٦٣/١٥.

[٥] معاني القرآن:٥٨/٣.

[٦] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٣):ص٢٠٤٧/٦.

[٨]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٩] تفسير البيضاوي:١٣٨/٣.

[١٠] تفسير الطبري:٣٦٤/١٥.

[١١] معاني القرآن:٥٨/٣.

[١٢]أخرجه الطبري(١٨٢٧٨):ص٣٦٤/١٥ .

العباد، مجاز لهم بالثواب والعقاب، كاف لمن اعتصم به، وهو لا يسلط أهل الباطل من أعدائه على أهل الحق من رسله ولا يفوته ظالم"[١].

الفوائد:

١- فضيلة التوكل على الله.

٢- تقرير مبدأ أن كل شيء في الكون خاضع لتدبير الله لا يخرج عما أراده له أو به.

القرآن

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧)} [هود : ٥٧]

التفسير:

فإن تُعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له فقد أبلغتكم رسالة ربي إليكم، وقامت عليكم الحجة، وحيث لم تؤمنوا بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ويخلصون لله العبادة، ولا تضرونه شيئًا، إن ربي على كل شيء حفيظ، فهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [هود : ٥٧]، أي:" فإن تُعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هود لقومه: {فإن تولوا} ، يقول: فإن أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان"[٣].

عن ابن عباس:"{فإن تولوا}، يعني: الكفار"[٤].

قوله تعالى:{فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ} [هود : ٥٧]، أي:" فقد أبلغتكم رسالة ربي إليكم، وقامت عليكم الحجة"[٥].

قال الطبري:أي:" {فقد أبلغتكم} أيها القوم {ما أرسلت به إليكم} ، وما على الرسول إلا البلاغ "[٦].

قال البيضاوي: أي: " فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم"[٧].

قوله تعالى:{وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [هود : ٥٧]، أي:" وحيث لم تؤمنوا بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ويخلصون لله العبادة"[٨].

قال الطبري:أي:" يهلككم ربي، ثم يستبدل ربي منكم قومًا غيركم، يوحِّدونه ويخلصون له العبادة"[٩].

قال القرطبي:" أي: يهلككم ويخلق من هو أطوع له منكم يوحدونه ويعبدونه"[١٠].

قال البيضاوي:" استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم، أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل: وإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف"[١١].

---

[١] تفسير المراغي:١٢/٤٩-٥٠.

[٢]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٣] تفسير الطبري:١٥/٣٦٥.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٤):ص٦/٢٠٤٧.

[٥]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٦] تفسير الطبري:١٥/٣٦٥.

[٧] تفسير البيضاوي:٣/١٣٩.

[٨]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٩] تفسير الطبري:١٥/٣٦٥.

[١٠] تفسير القرطبي:٩/٥٣.

[١١] تفسير البيضاوي:٣/١٣٩.

عن أبي سعيد، الخدري قال: "«الخلف»: من بعد ستين سنة"[١].
قوله تعالى:{وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا} [هود : ٥٧]، أي:"ولا تضرون الله شيئاً بإشراككم"[٢].
قال البيضاوي:أي:" من الضرر"[٣].
قال القرطبي:" أي: بتوليكم وإعراضكم"[٤].
قال الطبري:" يقول: ولا تقدرون له على ضرّ إذا أراد إهلاككم أو أهلككم، وقد قيل: لا يضره هلاككُم إذا أهلككم، لا تنقصونه شيئًا، لأنه سواء عنده كُنتم أو لم تكونوا"[٥].
قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} [هود : ٥٧]، أي:" إنه سبحانه رقيبٌ على كل شيء، وهو يحفظني من شركم ومكركم"[٦].
قال الطبري:" يقول: إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم، يقول: هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء"[٧].
قال القرطبي:" أي: لكل شي حافظ.، {على} بمعنى اللام، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء"[٨].
قال البيضاوي:أي:" رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم، أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء"[٩].
الفوائد:

١- تقرير التوحيد إذ القصة كلها مسوقة لذلك.
٢- ومن اسمائه تعالى:«الحفيظ»: وهو"الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات، والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها"[١٠].

و«الحفيظ» يتضمن معنيين[١١]:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها، وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها، وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله، وعدله.
والمعني الثاني: من معنيي الحفيظ: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه:٥٠] أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البر، والفاجر بل

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٥):ص٢٠٤٧/٦.
[٢] صفوة التفاسير:١٩/٢.
[٣] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.
[٤] تفسير القرطبي:٥٣/٩.
[٥] تفسير الطبري:٣٦٥/١٥.
[٦] صفوة التفاسير:١٩/٢.
[٧] تفسير الطبري:٣٦٥/١٥.
[٨] تفسير القرطبي:٥٣/٩.
[٩] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.
[١٠] تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي:١٨٣.
[١١] انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي/١٨٣-١٨٤، والحق الواضح المبين:٥٩ – ٦١، وتوضيح الكافية الشافية:١٢٢.

الحيوانات، وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات، والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام { يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد : ١١]، أي: يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.
والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}[الحج:٣٨] وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث: "إحفظ الله يحفظك"[(١)]، أي: احفظ أوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله.

قال الخطابي:" هو الحافظ. «فعيل» بمعنى:« فاعل»، كالقدير والعليم. يحفظ السموات والأرض وما فيهما؛ لتبقى مدة بقائها؛ فلا تزول ولا تدثر. كقوله -عز وجل: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} [البقرة : ٢٥٥]، وقال: {وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ} [الصافات : ٧] ،أي: حفظناها حفظا. والله أعلم.
وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع السوء. كقوله – سبحانه: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّ} [الرعد : ١١]، أي: بأمره، ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية، ويحفظ أؤلياءه، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم عن مكايدةالشيطان، ليسلموا من شره، وفتنته"[(٢)].

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)} [هود : ٥٨]

التفسير:
ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود نجَّينا منه هودًا والمؤمنين بفضل منَّا عليهم ورحمة، ونجَّيناهم من عذاب شديد أحله الله بعادٍ فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم.
قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود : ٥٨]، أي:" ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود"[(٣)].
قال البغوي:أي:" عذابنا"[(٤)].
قال البيضاوي:أي:" عذابنا أو أمرنا العذاب"[(٥)].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولما جاء قوم هود عذابُنا"[(٦)].
قوله تعالى:{نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} [هود : ٥٨]، أي:" نجَّينا منه هودًا والمؤمنين"[(٧)].

[(١)]أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٣) والترمذي (٤/ ٦٦٧) كتاب صفة القيامة وقال: حديث حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر في المسند (٣/ ٢٦٧١) وصححه الألباني في المشكاة (٣/ ١٤٥٩).
[(٢)] شأن الدعاء:٦٧-٦٨.
[(٣)]التفسير الميسر:٢٢٨.
[(٤)] تفسير البغوي:١٨٤/٤.
[(٥)] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.
[(٦)] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.
[(٧)]التفسير الميسر:٢٢٨.

قال الطبري:" نجينا منه هودًا والذين آمنوا بالله معه"[١].
قال البغوي والبيضاوي:" وكانوا أربعة آلاف"[٢].
قوله تعالى:{بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [هود : ٥٨]، أي:" بفضل منَّا عليهم ورحمة"[٣].
قال البغوي:أي:" بنعمة "[٤].
قال الطبري:" يعني: بفضل منه عليهم ونعمة"[٥].
قوله تعالى:{وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [هود : ٥٨]، أي:" ونجَّيناهم من عذاب شديد أحله الله بعادٍ فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم"[٦].
قال الطبري:" يقول: نجيناهم أيضًا من عذاب غليظ يوم القيامة، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعادٍ"[٧].
قال البغوي:" وهو الريح التي أهلك بها عادا، وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة، أي: كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة"[٨].
قال البيضاوي:" {ونجيناهم من عذاب غليظ}: تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم، كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم، أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا، والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ"[٩].
عن أبي مالك قوله: "{غليظا}، يعني: شديدا"[١٠].
الفوائد:
١- بيان سنة الله في الأولين وهي انه لبعث الرسل مبشرين ومنذرين فإن استجاب المرسل إليهم سعدوا، وإن لم يستجيبوا يمهلهم حتى تقوم الحجة عليهم ثم يهلكهم، وينجي المؤمنين.
٢- ومن الفوائد: أن دخول الجنة لايكون إلا برحمة الله، ويشهد لذلك:
- قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [هود: ٦٦].
- وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [هود: ٥٨].
- {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٩٤].
- ونحوه: {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود: ٤٣].
- {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} [يوسف: ٥٣].
- ونحوه: {وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣]، وقال: {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون: ١١٨] وهو في خطابه لمحمدٍ - ﷺ -.
- وقول نوح: {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود: ٤٧].

---

[١] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.
[٢] تفسير البغوي:١٨٤/٤، وتفسير البيضاوي:١٣٩/٣
[٣] التفسير الميسر:٢٢٨.
[٤] تفسير البغوي:١٨٤/٤.
[٥] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.
[٦] التفسير الميسر:٢٢٨.
[٧] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.
[٨] تفسير البغوي:١٨٤/٤.
[٩] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٦):ص٢٠٤٧/٦.

- وقول آدم وحواء: {وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين} (١) [الأعراف: ٢٣].
- وقول يونس: {سبحانك إني كنت من الظالمين} [الأنبياء: ٨٧].
- وقول إبراهيم: {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين} [الأنعام: ٧٧].
- وقوله: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين} [الشعراء: ٨٢].

فهؤلاء الأنبياء، فكيف غيرهم؟!

القرآن

{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)} [هود : ٥٩]

التفسير:

وتلك عاد كفروا بآيات الله وعصَوا رسله، وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُذْعن له.

قوله تعالى:{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} [هود : ٥٩]، أي:" وتلك عاد كفروا بآيات الله"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا، عادٌ، جحدوا بأدلة الله وحججه"[٢].

قال البيضاوي:" {وتلك عاد} أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم. {جحدوا بآيات ربهم}: كفروا بها"[٣].

قوله تعالى:{وَعَصَوْا رُسُلَهُ} [هود : ٥٩]، أي:" وعصوا رسوله هوداً"[٤].

قال الطبري:أي:" وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيده واتباع أمره"[٥].

أمره"[٥].

قال البيضاوي:" لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصي الكل لأنهم أمروا بطاعة كل رسول"[٦].

قال الصابوني:أي: "عصوا رسولهم هوداً وفيه تفظيع لحالهم وبيان أن عصيانهم له عصيانٌ لجميع الرسل السابقين واللاحقين، وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة البعض"[٧].

قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [هود : ٥٩]، أي:" وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُذْعن له"[٨].

قال البيضاوي:" يعني كبراءهم الطاغين، و«عنيد» من: عند عندا وعندا وعنودا، إذا طغى، والمعنى: عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم"[٩].

قال الطبري:" يعني: كلّ مستكبر على الله، حائد عن الحق، لا يُذعن له ولا يقبله، قال منه: "عَنَد عن الحق، فهو يعنِد عُنُودًا"، و"الرجل عَاند وعَنُود". ومن ذلك قيل للعرق الذي ينفجر فلا يرقأ: "عِرْق عاند": أي ضَارٍ، ومنه قول الراجز[١]:

---

[١]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٢] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.

[٣] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.

[٤] صفوة التفاسير:١٩/٢.

[٥] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.

[٦] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.

[٧] صفوة التفاسير:٢١/٢.

[٨]التفسير الميسر:٢٢٨.

[٩] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.

إِنِّي كَبِيرٌ لا أَطِيقُ العُنَّدَا"[2]

قال قتادة:" العنيد: المشرك"[3].

عن السدي، قوله: "{أمر كل جبار عنيد}، قال: المشاق"[4].

قال مقاتل:" يعني: متعظما عن التوحيد، فهم الأتباع اتبعوا قول الكبراء في تكذيب هود ،«عنيد»: يعني معرضا عن الحق، وكان هذا القول من الكبراء للسفلة فى سورة المؤمنين،«ما هذا» يعني: هودا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون[5] من الشراب، وقال للأتباع {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}[6]، يعني: لعجزة فهذا قول الكبراء للسفلة"[7].

الفوائد:

١- التنديد بالكبر والعناد إذ هما من شر الصفات الخلقية في الإنسان.

٢- أنه إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: ٢٣] ، وقال تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [هود: ٥٩] ، فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودًا معصية تكذيب لجنس الرسل، فكانت المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال: {فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الملك: ٩] ، ومعصية من كذب وتولى، قال تعالى: {لا يَصْلاهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [الليل: ١٥، ١٦] ، أي: كذب بالخبر، وتولي عن طاعة الأمر، وإنما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا، ويطيعوهم فيما أمروا. وكذلك قال في فرعون: {فَكَذَّبَ وَعَصَى} [النازعات: ٢١] ، وقال عن جنس الكافر: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [القيامة: ٣١، ٣٢] . فالتكذيب للخبر، والتولي عن الأمر. وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا، ومنه قوله: {كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} [المزمل: ١٥، ١٦] [8].

القرآن

{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)} [هود : ٦٠]

التفسير:

وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطًا منه يوم القيامة. ألا إن عادًا جحدوا ربهم وكذَّبوا رسله. ألا بُعْدًا وهلاكًا لعاد قوم هود؛ بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم.

---

[1] لم أعرف قائله، وانظر البيت في: مجاز القرآن ١/ ٢٩١، البطليوسي: ٤١٥، الجواليقي: ٣٣٦، اللسان (عند)، وغيرها، وغيرها، وهي أبيات لشواهد الإكفاء، يقول:

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطَا ... إِنِّي كَبِيرٌ لاَ أَطِيقُ العُنَّدَا

وَلاَ أُطِيقُ البَكَرَاتِ الشُّرَّدَا.

[2] تفسير الطبري:٣٦٦/١٥.

[3] أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٧):ص٢٠٤٧/٦.

[4] أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٨):ص٢٠٤٧/٦.

[5] يشير إلى الآية ٣٣.، وهو قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ} [المؤمنون : ٣٣].

[6] [المؤمنون : ٣٤].

[7] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٧/٢.

[8] انظر: الإيمان لابن تيمية:٥١-٥٢.

قوله تعالى:{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٦٠]، أي:" وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطًا منه يوم القيامة"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبًا من الله وسخطةً يوم القيامة، مثلها، لعنةً إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا"[٢].

قال البيضاوي:" أي: جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب"[٣].

قال السدي:" لم يبعث نبي بعد عادا إلا لعنت عاد على لسانه"[٤].

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ} [هود : ٦٠]، أي:" ألا إن عادًا جحدوا ربهم وكذَّبوا رسله"[٥].

قال البيضاوي:أي:" جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به، فحذف الجار"[٦].

قال الطبري:" وقيل :إن معنى: {كفروا ربهم}، كفروا نعمةَ ربهم"[٧].

قوله تعالى:{أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} [هود : ٦٠]، أي:" ألا بُعْدًا وهلاكًا لعاد قوم هود؛ بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم"[٨].

قال الطبري:" يقولُ: أبعدهم الله من الخير"[٩].

قال الزجاج:" معنى:«بعدا»، أي: بعدا من رحمة الله"[١٠].

قال البيضاوي:" دعاء عليهم بالهلاك، والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم، وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لأمرهم وحثا على الاعتبار بحالهم. {قوم هود} عطف بيان لـ«عاد»، وفائدته: تمييزهم عن «عاد» الثانية، عاد إرم، والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود"[١١].

جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى أرى منه لهواته، وإنما كان يبتسم، وقالت: وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال: "يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا"[١٢].

الفوائد:

١- اتباع الطغاة والظلم والكفر والفساد لا تقود إلا إلى الدمار والخسار.

٢- أن قوم هود لما كذبوا رسوله وأصروا على شركهم وضلالهم ونزل بهم عذابه وبأسه الذي لا يرد، جزاءاً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد. وهكذا نهاية كل من أشرك بالله تعالى غيره ورد دعوة أنبيائه ورسله.

القرآن

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)} [هود : ٦١]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٨.

[٢] تفسير الطبري:٣٦٧/١٥.

[٣] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٧٩):ص٢٠٤٨/٦.

[٥] التفسير الميسر:٢٢٨.

[٦] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.

[٧] تفسير الطبري:٣٦٧/١٥.

[٨] التفسير الميسر:٢٢٨.

[٩] تفسير الطبري:٣٦٧/١٥.

[١٠] معاني القرآن:٥٩/٣.

[١١] تفسير البيضاوي:١٣٩/٣.

[١٢] البخاري مع الفتح ٨/ ٥٧٨، ١٠/ ٥٠٤. ومسلم بشرح النووي ٦/ ١٩٧.

وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُمَّارا لها، فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح. إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

قوله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [هود : ٦١]، أي:" وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا"[٢].

قال الزجاج:المعنى:" وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا. و«ثمود»: لم ينصرف لأنه اسم قبيلة، ومن جعله اسما للحي صرفه وقد جاء في القرآن مصروفا: { أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ} [هود : ٦٨] "[٣].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [هود : ٦١]، أي:" فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"[٤].

قال الطبري:" فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة، ولا تجوز الألوهة إلا له"[٥].

قوله تعالى:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [هود : ٦١]، أي:" هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها"[٦].

قال أبو عبيدة:" أي: ابتدأكم فخلقكم منها"[٧].

قال الطبري:" يقول: هو ابتدأ خلقكم من الأرض، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه"[٨].

وفي قوله تعالى:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [هود : ٦١]، وجوه:

أحدها : خلقكم من الأرض، لأنكم من آدم وآدم من الأرض ، قاله السدي[٩]، ومقاتل[١٠].

والثاني : معناه أنشأكم في الأرض[١١].

والثالث : أنشأكم بنبات الأرض[١٢].

قوله تعالى:{وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود : ٦١]، أي:" وجعلكم عُمَّارا للأرض"[١٣].

قال الطبري:" يقول: وجعلكم عُمَّارًا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : جعلكم فيها عُمَّارا تعمرونها وتستغلونها ، لسالف ذنوبكم"[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود : ٦١]، وجوه:

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٨.
[٢] تفسير الطبري:٣٦٨/١٥.
[٣] معاني القرآن:٥٩/٣.
[٤] التفسير الميسر:٢٢٨.
[٥] تفسير الطبري:٣٦٨/١٥.
[٦] التفسير الميسر:٢٢٨.
[٧] مجاز القرآن:٢٩١/١.
[٨] تفسير الطبري:٣٦٨/١٥.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٨١):ص٢٠٤٨/٦.
[١٠] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٨/٢.
[١١] انظر: النكت والعيون:٤٧٨/٢.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٤٧٨/٢.
[١٣] التفسير الميسر:٢٢٨.
[١٤] تفسير الطبري:٣٦٨/١٥.
[١٥] تفسير ابن كثير:٣٣١/٤.

أحدها : معناه: أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم ، قاله مجاهد[1]، من قولهم: أعمر فلان فلان فلاناً داره فهي له عمرى.

قال أبو عبيدة:" مجازه: جعلكم عمّار الأرض، يقال: اعمرته الدار، أي جعلتها له أبدا وهى العمرى، وأرقبته: أسكنته إيّاها إلى موته"[2].

الثاني : امركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها بناء مساكن وغرس أشجار حكاه الماوردي عن علي بن عيسى[3].

الثالث : أطال فيها أعمالكم ، قال الضحاك"كانت أعماركم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة"[4].

الرابع: استخلفكم فيها. قاله ابن زيد[5].

قوله تعالى:{فَاسْتَغْفِرُوهُ} [هود : ٦١]، أي:" فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم"[6].

قال الطبري:" يقول: اعملوا عملا يكون سببًا لستر الله عليكم ذنوبكم، وذلك الإيمان به، وإخلاص العبادة له دون ما سواه، واتباعُ رسوله صالح"[7].

قوله تعالى:{ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : ٦١]، أي:" وارجعوا إليه بالتوبة النصوح"[8].

قال الطبري:" يقول: ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم، إلى ما يرضاه ويحبه"[9].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود : ٦١]، أي:" إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه"[10].

قال الطبري:" يقول: إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيبٌ له إذا دعاه"[11].

الفوائد:

١- وحدة الوسيلة والغاية عند كافة الرسل فالوسيلة عبادة الله وحده، والغاية رضا الله والجنة.

٢- تقديم الاستغفار على التوبة في الآية سره إن المرء لا يقلع عن ذنبه حتى يعترف به.

٣- اثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما«القريب»، و«المجيب»:

- فـ«القريب» أي: "هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

أ- قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، واحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

ب- وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة، وهو المذكور في قوله تعالى: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}[العلق:١٩] وفي قوله: {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود:٦١]، وفي قوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة:١٨٦] وهذا النوع قرب يقتضي الطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم ولهذا يقرن باسمه "القريب" اسمه "المجيب" وهذا القرب قربه لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطف

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٨٣):ص١٥/٣٦٩.
[2] مجاز القرآن:١/٢٩١.
[3] انظر: النكت والعيون:٢/٩٨.
[4] انظر: النكت والعيون:٢/٩٨.
[5] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٩٨٣):ص٦/٢٠٤٨.
[6] التفسير الميسر:٢٢٨.
[7] تفسير الطبري:١٥/٣٦٩.
[8] التفسير الميسر:٢٢٨.
[9] تفسير الطبري:١٥/٣٦٩.
[10] التفسير الميسر:٢٢٨.
[11] تفسير الطبري:١٥/٣٦٩.

بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين"[1].

- و«المجيب»: أي: " المجيب لدعوة الداعين، وسؤال السائلين، وعباده المستجيبين، وإجابته نوعان:

أ- إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:٦٠]، فدعاء المسألة يقول العبد اللهم أعطني كذا أو اللهم أدفع عني كذا، فهذا يقع من البر والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من دعاه بحسب الحالة المقتضية، وبحسب ما تقتضيه حكمته، وهذا يستدل به على كرم المولى وشمول إحسانه للبر والفاجر، ولا يدل بمجرده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إن لم يقترن بذلك ما يدل عليه وعلى صدقه وتعين الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيجيبهم الله، فإنه يدل على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على ربهم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو بدعاء يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة الدعوات فإنه من أدلة كراماتهم على الله.

ب- وأما الإجابة الخاصة: فلها أسباب عديدة، منها دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة، فإن الله يجيب دعوته، قال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل:٦٢]، وسبب ذلك شدة الافتقار إلى الله، وقوة الانكسار، وانقطاع تعلقه بالمخلوقين، ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها فكيف بمن اضطر إليها، ومن أسباب الإجابة طول السفر والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه، وصفاته، ونعمه. وكذلك دعوة المريض، والمظلوم، والصائم، والوالد على ولده، أو له في الأوقات والأحوال الشريفة"[2].

القرآن

{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)} [هود : ٦٢]

التفسير:

قالت ثمود لنبيِّهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا مطاعًا قبل هذا القول الذي قلته لنا، أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كان يعبدها آباؤنا؟ وإننا لفي شكٍّ مريب مِن دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} [هود : ٦٢]، أي:" قالت ثمود لنبيِّهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا مطاعًا قبل هذا القول الذي قلته لنا"[3].

قال البيضاوي:أي:" لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا في الأمور، أو أن توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك"[4].

قال ابن كثير:" يذكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح ، عليه السلام ، وبين قومه ، وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم : { قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا } أي : كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت"[5].

---

[1] تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي:٢٢٢، والحق الواضح المبين:٦٤٠.

[2] تفسير اسماء الله الحسنى للسعدي:٢٣٥-٢٣٦.

[3] التفسير الميسر:٢٢٨.

[4] تفسير البيضاوي:١٤٠/٣.

[5] تفسير ابن كثير:٣٣١/٤-٣٣٢.

قوله تعالى:{أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود : ٦٢]، أي:" أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كان يعبدها آباؤنا؟"[١].

قال ابن كثير:" وما كان عليه أسلافنا "[٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [هود : ٦٢]، أي:" وإننا لفي شكٍّ مريب مِن دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده"[٣].

قال البيضاوي:أي:" من التوحيد والتبري عن الأوثان"[٤].

قال ابن كثير:أي:"في شك كثير "[٥].

الفوائد:

١- أن التوحيد هو الكفر بالطواغيت والأصنام وإخلاص العبادة لله وحده.

٢- أن التوحيد محور الخصومة بين الرسل وأممهم

٣- بيان سنة في الناس وهي أن المرء الصالح يرجى في أهله حتى إذا دعاهم إلى الحق وإلى ترك الباطل كرهوه وقد يصارحونه بما صارح به قوم صالح نبيهم إذ قالوا {قد كنت فينا مرجوا قبل هذا} .

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)} [هود : ٦٣]

التفسير:

قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلِّغ الرسالة وأنصحْ لكم؟ فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود : ٦٣]، أي:" قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله"[٦].

قال ابن كثير:" فيما أرسلني به إليكم على يقين وبرهان من الله"[٧].

قال البيضاوي:أي: على" بيانٍ وبصيرة، وحرف الشك باعتبار المخاطبين"[٨].

قوله تعالى:{وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً} [هود : ٦٣]، أي:" وآتاني منه النبوة والحكمة"[٩].

قال البيضاوي:أي:" نبوة"[١٠].

قوله تعالى:{فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ} [هود : ٦٣]، أي:" فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلِّغ الرسالة وأنصحْ لكم؟"[١١].

قال البيضاوي:أي:"يمنعني من عذابه إن عصيته في تبليغ رسالته والمنبع عن الإشراك به"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٨.

[٢] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

[٣] التفسير الميسر:٢٢٨.

[٤] تفسير البيضاوي:١٤٠/٣.

[٥] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

[٦] التفسير الميسر:٢٢٩.

[٧] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

[٨] تفسير البيضاوي:١٤٠/٣.

[٩] التفسير الميسر:٢٢٩.

[١٠] تفسير البيضاوي:١٤٠/٣.

[١١] التفسير الميسر:٢٢٩.

[١٢] تفسير البيضاوي:١٤٠/٣.

قال الطبري:" يقول: فمن الذي يدفع عنِّي عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته، فيخلصني منه"[1].

قال ابن كثير:" وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده "[2].

قوله تعالى:{فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} [هود : ٦٣]، أي:" فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير"[3].

قال البيضاوي:" {فما تزيدونني} إذن باستتباعكم إياي. غير تخسير غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه، أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلى الخسران"[4].

قال الطبري:" {فما تزيدونني} بعذركم الذي تعتذرون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبدُ آباؤكم، {غير تخسير}، لكم يخسركم حظوظكم من رحمة الله"[5].

قال ابن كثير:" فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني { غَيْرَ تَخْسِيرٍ } أي : خسارة "[6].

وفي قوله تعالى:{فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} [هود : ٦٣] وجهان:

أحدهما : يعني ما تزيدونني في احتجاجكم بتباع آبائكم إلا خساراً تخسرونه أنتم ، قاله مجاهد[7]، مجاهد[7]، وعطاء الخراساني[8].

الثاني : فما تزيدونني مع الرد والتكذيب إن أجبتم إلى ما سألتم إلا خساراً لاستبدال الثواب بالعقاب[9].

الثالث: أي: هلكة. قاله ابن قتيبة[10].

قال ابن قتيبة:"«الخسران» النقصان. وكذلك الخسر، ويكون بمعنى الهلكة. قال الله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [التوبة : ٦٩]، أي: الهالكون. وقال: {فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِير} [هود : ٦٣]، أي: هلكة، وقال في موضع آخر: {وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود : ١٠١] ،أي: هلكة"[11].

قال الفراء:" يقول: فما تزيدونني غير تخسير لكم وتضليل لكم، أي كلما اعتذرتم بشيء هو يزيدكم تخسيرا. وليس غير تخسير لي أنا. وهو كقولك للرجل: ما تزيدني إلا غضبا، أي: غضبا عليك"[12].

الفوائد:

١- حرمة الاستجابة لأهل الباطل بأي نوع من الاستجابة، إذ الاستجابة لا تزيد العبد إلا خسارا.

٢- كان النبي صالح لطيفا في القول، ولين الجانب، يظهر ذلك في جوابه لهم: { ... قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ }، { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ}.

---

[1] تفسير الطبري:٣٧١/١٥.

[2] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

[3] التفسير الميسر:٢٢٩.

[4] تفسير البيضاوي:١٤٠/٣.

[5] تفسير الطبري:٣٧١/١٥.

[6] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

[7] انظر: تفسير الطبري(١٨٢٨٥):ص٣٧١/١٥.

[8] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٩٨٥):ص٢٠٤٩/٦ .

[9] انظر: النكت والعيون:٤٨٠/٢.

[10] غريب القرآن:٣٢. وقال في صفحة:١٧٨:" أي: غير نقصان".

[11] غريب القرآن:٣٠.

[12] معاني القرآن:٢٠/٢.

القرآن

{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)} [هود : ٦٤]

التفسير:

ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسُّوها بعَقْر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عَقْرها.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [هود : ٦٤]، أي:" ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه"[١].

قال الزجاج:" يقال: إنها خرجت من حجر، وفي هذا أعظم الآيات، ويقال إنها كانت ترد الماء لا ترد الماء معها دابة، فإذا كان يوم لا ترد، وردت الواردة كلها. وفي هذا أعظم آية"[٢].

قوله تعالى:{فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ} [هود : ٦٤]، أي:" فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها"[٣].

قوله تعالى:{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} [هود : ٦٤]، أي:" ولا تمسُّوها بعَقْر"[٤].

قوله تعالى:{فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} [هود : ٦٤]، أي:" فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عَقْرها"[٥].

الفوائد:

١- إعطاء الله تعالى الآيات للمطالبين بها لا يستلزم الإيمان بها.
٢- آية صالح عليه السلام من أعظم الآيات ولم يؤمن عليها قومه.

القرآن

{فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)} [هود : ٦٥]

التفسير:

فكذَّبوه ونحروا الناقة، فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وَعْدٌ من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه.

قوله تعالى:{فَعَقَرُوهَا} [هود : ٦٥]، أي:" فكذَّبوه ونحروا الناقة"[٦].

قوله تعالى:{فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ} [هود : ٦٥]، أي:" فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها"[٧].

قوله تعالى:{ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} [هود : ٦٥]، أي:" وذلك وَعْدٌ من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه"[٨].

قال عبدالواحد بن زيد قلت للحسن: " يا أبا سعيد، أخبرني عن رجل، لم يشهد فتنة ابن المهلب إلا أنه سكت بلسانه ورضي بقلبه قال: يا ابن أخي كم يدا عقرت الناقة؟ قال: قلت: يد واحدة قال: أليس قد هلك القوم جميعا برضاهم وتماليهم" [٩].

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٢] معاني القرآن:٥٩/٣.
[٣] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٤] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٥] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٦] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٧] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٨] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٩] رواه أحمد في الزهد(١٦٧١):ص٢٣٤.

الفوائد:

١- لئن كان صالح عليه السلام أنذر قومه: إن آذوا الناقة ومسوها بسوء بعذاب قريب، فعقروها ولم يخافوا عقبى جناتهم عليها، فقد صدق الله تعالى وعده وأرسل عليهم الثالثة والرابعة صيحة أهلكتهم

٢- إقامة ثلاثة أيام لا يعد صاحبها مقيما وعليه أن يقصر الصلاة.

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)} [هود : ٦٦]

التفسير:

فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحًا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلَّته. إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومِن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجَّى الرسل وأتباعهم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود : ٦٦]، أي:" فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود"[١].

قوله تعالى:{نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [هود : ٦٦]، أي:" نجينا صالحًا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا"[٢].

قال مقاتل:" يعني: بنعمة عليهم منا"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما جاء ثمود عذابُنا{نجينا صالحًا والذين آمنوا به معه برحمة منا}، يقول: بنعمة وفضل من الله"[٤].

قال قتادة:" نجاه الله برحمة منه"[٥].

قوله تعالى:{وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} [هود : ٦٦]، أي:" ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلَّته"[٦].

قال الطبري:" يقول: ونجيناهم من هوان ذلك اليوم، وذلِّه بذلك العذاب"[٧].

قال السمعاني:" معناه: ومن هلاك يومئذ"[٨].

قال البغوي:" أي: من عذابه وهوانه"[٩].

قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: "خزي يومئذ" و"عذاب يومئذ" بفتح الميم. وقرأ الباقون بالكسر[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [هود : ٦٦]، أي:" إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومِن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجَّى الرسل وأتباعهم"[١١].

قال الطبري:" {القوي} في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطَش بها ، {العزيز} فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٢] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٩/٢.
[٤] تفسير الطبري:٣٧٣/١٥.
[٥] أخرجه الطبري(١٨٢٨٩):ص٣٧٣/١٥-٣٧٤.
[٦] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٧] تفسير الطبري:٣٧٣/١٥.
[٨] تفسير السمعاني:٤٤٠/٢.
[٩] تفسير البغوي:١٨٧/٤.
[١٠] انظر: السبعة في القراءات:٣٣٦، وتفسير البغوي:١٨٧/٤.
[١١] التفسير الميسر:٢٢٩.
[١٢] تفسير الطبري:٣٧٣/١٥.

عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة قال: "قلنا له: حدّثنا حديثَ ثمود. قال: أحدثكم عن رسول الله ﷺ عن ثمود: كانت ثمودُ قومَ صالح، أعمرهم الله في الدنيا فأطال أعْمَارهم، حتى جعل أحدهم يبني المسكنَ من المدر، فينهدم، والرَّجلُ منهم حيٌّ. فلما رأوا ذلك، اتخذوا من الجبال بيوتًا فَرِهين، فنحتوها وجَابُوها وجوَّفوها. وكانوا في سعةٍ من معايشهم. فقالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله، فدعا صالح ربَّه، فأخرج لهم الناقة، فكان شِرْبُها يومًا، وشِرْبهم يومًا معلومًا. فإذا كان يوم شربها خَلَّوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنًا، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئًا، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء. فأوحى الله إلى صالح: إن قومك سيعقرون ناقتك! فقال لهم، فقالوا: ما كنا لنفعل! فقال: إلا تعقروها أنتم، يوشكُ أن يولد فيكم مولود [يعقرها]. قالوا: ما علامة ذلك المولود؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه! قال: فإنه غلام أشقَر أزرَق أصهَبُ، أحمر. قال: وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤًا، فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما يمنعك أن تزوج ابنك؟ قال: لا أجد له كفؤًا. قال: فإن ابنتي كفؤ له، وأنا أزوجك. فزوّجه، فولد بينهما ذلك المولود. وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فلما قال لهم صالح: "إنما يعقرها مولود فيكم"، اختاروا ثماني نسوة قوابل من القرية، وجعلوا معهن شُرَطًا كانوا يطوفون في القرية، فإذا وجدُوا المرأة تمخَضُ، نظروا ما ولدُها إن كان غلامًا قلَّبنه فنظرن ما هو وإن كانت جارية أعرضن عنها. فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن: "هذا الذي يريد رسول الله صالح "، فأراد الشرط أن يأخذوه، فحال جدّاه بينهم وبينه، وقالا لو أن صالحًا أراد هذا قتلناه! فكان شرَّ مولود، وكان يشبُّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة. فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفيهم الشيخان، فقالوا: "استعمل علينا هذا الغلام " لمنزلته وشرَف جديه، فكانوا تسعة. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، كان في مسجد يقال له: "مسجد صالح"، فيه يبيت بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه".

قال حجاج: وقال ابن جريج: لما قال لهم صالح: "إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه"، قالوا: فكيف تأمرنا؟ قال: آمركم بقتلهم! فقتلوهم إلا واحدًا. قال: فلما بلغ ذلك المولود، قالوا: لو كنا لم نقتل أولادَنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عملُ صالح! فأتمروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين والناس يروننا علانيةً، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أنَّا مسافرون، كما نحن! فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصُدُونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضَخَتهم، فأصبحوا رَضْخًا. فانطلق رجال ممَّن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رضْخٌ، فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادَهم حتى قتلهم؟ ! فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر.

ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله ﷺ، قال: وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح، فاختبأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله، فبيَّتْناهُمْ! فأمر الله الأرض فاستوت عنهم. قال: فاجتمعوا ومشَوْا إلى الناقة وهي على حَوْضها قائمة، فقال الشقيُّ لأحدهم: ائتها فاعقرها! فأتاها، فتعاظَمَه ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك. فجعل لا يبعث رجلا إلا تعاظمه أمرُها، حتى مشوا إليها، وتطاول فضرب عرقوبيها، فوقعت تركُضُ، وأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال: "أدرك الناقةَ فقد عمرت "! فأقبل، وخرجوا يتَلَقَّونه ويعتذرون إليه: "يا نبيّ الله، إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا"! قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟ ، فإن أدركتموه، فعسَى الله أن يرفعَ عنكم العذابَ! فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمَّه تضطرب، أتى جبلا يقال له "القارَة" قصيرًا، فصعد وذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل، فطالَ في السماء حتى ما تَناله الطير. قال: ودخل صالح القرية،

فلما رآه الفصيل بكى حتى سألت دموعه، ثم استقبل صالحًا فرغًا رَغْوةً، ثم رغَا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل رغوة أجلُ يوم، (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) ، ألا إن أية العذاب أنّ اليوم الأوّل تصبح وجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة! فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق، صغيرُهم وكبيرُهم، ذكرهم وأنثَاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: "ألا قد مضى يوم من الأجل، وحضركم العذاب "! فلما أصبحوا اليوم. الثاني إذا وجوههم محمرة، كأنها خُضِبت بالدماء، فصاحوا وضجُّوا وبكوا وعرفوا آية العذاب، فلما أمسوا صاحُوا بأجمعهم: "ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب "! فلما أصبحوا اليوم الثالث، فإذا وجوههم مسودّة كأنها طُليت بالقار، فصاحوا جميعا: "ألا قد حضركم العذاب"! فتكفَّنُوا وتحنَّطوا، وكان حنوطهم الصَّبر والمقر، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض، جَشَعًا وفَرَقًا. فلما أصبحوا اليومَ الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتُ كل صاعقة، وصوت كلّ شيء له صوتٌ في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدُورهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين"[1].

الفوائد:

١- أنه تعالى نجى القلة المؤمنة بتوحيدها لله وتوكلها عليه.

٢- ومن الفوائد: إثبات اسمين من أسماء الله. وهما «القوي»، و«العزيز»:

- فـ«القوي»: "معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال"[2].
- و«العزيز»:هو المنيع الذي لا يغلب"[3].

القرآن

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧)} [هود : ٦٧]

التفسير:

وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حِرَاك لهم.

قوله تعالى:{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود : ٦٧]، أي:" وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين"[4].

وفي قوله تعالى:{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود : ٦٧]، ثلاثة أقوال[5]:

أحدها : أن جبريل عليه السلام صاح بهم. قاله يحيى بن سلام[6].

قال أبو الليث السمرقندي:" صيحة جبريل. صاح صيحة، فماتوا كلهم"[7].

الثاني : أن الله تعالى أحدثها في حيوان صاح بهم .

الثالث : أن الله تعالى أحدثها من غير حيوان.

قال محمد بن إسحاق:" فلما كان صبيحة الأحد واشتد الضحى أخذتهم الصيحة فلم يبق منهم صغيرا ولا كبيرا إلا هلك إلا جارية مقعدة يقال لها: الذريعة، وهي كانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها عند ما عاينت أجمع فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط

---

[1] أخرجه الطبري(١٨٢٩٠):ص١٥/٣٧٤-٣٧٧.

[2]شأن الدعاء:٧٧ .

[3] شأن الدعاء:١/٤٧-٤٨.

[4] التفسير الميسر:٢٢٩.

[5] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٠.

[6] انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٤٠.

[7] بحر العلوم:٢/١٦٠.

حتى أتت أهل خرج فأخبرتهم بما عانت من العذاب وما أصاب ثمود منه استقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت"[١].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود : ٦٧]، أي:" فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حِرَاك لهم"[٢].

قال مقاتل:" يعني: في منازلهم خامدين"[٣].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: صاروا خامدين ميتين"[٤].

قال الطبري:" قد جثمتهم المنايا، وتركتهم خمودًا بأفنيتهم "[٥].

عن أبي مالك :"{في ديارهم}، يعني: بيوتهم"[٦].

وفي قوله تعالى:{جَاثِمِينَ} [هود : ٦٧]، وجهان:

أحدهما : مبيتين، لأن الصحية كانت بياتاً في الليل ، قاله عبد الرحمن بن زيد[٧].

قال قتادة:"{ فأصبحوا في ديارهم جاثمين}، يقول: أصبحوا قد هلكوا"[٨].

الثاني : هلكى بالجثوم[٩].

وفي «الجثوم»، تأويلان[١٠]:

أحدهما : أنه السقوط على الوجه .

الثاني : أنه القعود على الرُّكب .

القرآن

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨)} [هود : ٦٨]

التفسير:

كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها. ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه. ألا بُعْدًا لثمود وطردًا لهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذلَّهم!!

قوله تعالى:{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [هود : ٦٨]، أي:" كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها"[١١].

قال مقاتل:" يقول: كأنهم لم يكونوا في الدنيا قط"[١٢].

قال الطبري:" يقول: كأن لم يعيشوا فيها، ولم يعمروا بها"[١٣].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: صاروا كأن لم يكونوا في الدنيا. ويقال: كأن لم ينزلوا في ديارهم، ولم يكونوا"[١٤].

عن ابن عباس قوله: "{كأن لم يغنوا فيها}، كأن لم يعيشوا فيها"[١٥]. وروي عن قتادة مثله[١].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٩٩):ص٢٠٥٢/٦.
[٢] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٩/٢.
[٤] بحر العلوم:١٦٠/٢.
[٥] تفسير الطبري:٣٨٠/١٥.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٠٠):ص٢٠٥٢/٦.
[٧] انظر: النكت والعيون:٤٨١/٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٢٩٤):ص١٥/٣٨٠-٣٨١.
[٩] انظر: النكت والعيون:٤٨١/٢.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٤٨١/٢.
[١١] التفسير الميسر:٢٢٩.
[١٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٩/٢.
[١٣] تفسير الطبري:٣٨١/١٥.
[١٤] بحر العلوم:١٦٠/٢.
[١٥] أخرجه الطبري(١٨٢٩٥):ص٣٨١/١٥.

وفي رواية عن ابن عباس:" كأن لم يعمروا فيها"[٢].
وقال قتادة: "كأن لم ينعموا"[٣].
وروي عن أبي مالك:"كأن لم يكونوا فيها"[٤].
قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ} [هود : ٦٨]، أي:" ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه"[٥].
قال مقاتل:" كفروا بتوحيد ربهم"[٦].
قال الطبري:" يقول: ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها"[٧].
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: جحدوا وحدانية ربهم، فهذا تنبيه وتخويف لمن بعدهم"[٨].
قوله تعالى:{أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ} [هود : ٦٨]، أي:" ألا بُعْدًا لثمود وطردًا لهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذلَّهم!!"[٩].
قال الطبري:" يقول: ألا أبعد الله ثمود! لنزول العذاب بهم"[١٠].
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: خزيا وسحقا لثمود في الهلاك"[١١].
قرأ الكسائي: «ألا بعدا لثمود» بكسر الدال مع التنوين، وجعله اسما للقوم، فلذلك جعله منصرفا. وقرأ الباقون بنصب الدال، لأنه اسم القبيلة. وإنما يجري في قوله: «ألا إن ثمود» اتباعا للكتابة في مصحف الإمام، وأما الكسائي، فأجراه لقربه من قوله: «ألا إن ثمود كفروا ربهم»[١٢].
قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لما مرّ بوادي ثمود، وهو عامد إلى تبوك قال: فأمر أصحابه أن يسرعوا السير، وأن لا ينزلوا به، ولا يشربوا من مائه، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون. قال: وذكر لنا أن الرجل المُوسِر من قوم صالح كان يعطي المعسر منهم ما يتكَفّنون به، وكان الرجل منهم يَلْحَد لنفسه ولأهل بيته، لميعاد نبي الله صالح الذي وعدهم. وحدَّث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت، فيهم شبان وشيوخ، أبقاهم الله عبرة وآية"[١٣].
فوائد الآيتين: [٦٧-٦٨]:
١- شؤم الظلم وسوء عاقبة أهله.
٢- ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسم من اسمائه تعالى، وهو: "الرب": أي::"المالك والمتصرف والمدبر والسيد والمربي"[١٤].
و«الرب»: صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، وذلك من اسمه «الرب» الثابت بالكتاب والسنة في مواضع عديدة؛ تارة وحده «الرب»، وتارة مضافاً؛ مثل: «رب العالمين»، و«رب المشرقين».

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٣٨١/١٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٠٢):ص٢٠٥٢/٦.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٠٤):ص٢٠٥٣/٦.
[٤] تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٥٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
[٥] التفسير الميسر:٢٢٩.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٩/٢.
[٧] تفسير الطبري:٣٨١/١٥.
[٨] بحر العلوم:١٦٠/٢.
[٩] التفسير الميسر:٢٢٩.
[١٠] تفسير الطبري:٣٨١/١٥.
[١١] بحر العلوم:١٦٠/٢.
[١٢]انظر: السبعة في القراءات ٣٣٧، وتفسير السمرقندي (بحر العلوم(:١٦٠/٢.
[١٣] أخرجه الطبري(١٨٢٩٢):ص٣٧٩/١٥.
[١٤]صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف:١٧١.

قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]، وقوله تعالى:{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧].

و"الرب": لم يأت في القرآن بدون إضافة لكن في السنة قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "أما الركوع فعظموا فيه الرب"[١].

وقال في «السواك»: "مطهرة للفم مرضاة للرب"[٢].

وعن عمرو بن عبسة مرفوعاً: "أقرب ما يكون الرَّبُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة؛ فكن"[٣].

قال ابن قتيبة:"ومن صفاته «الرب»، والرب المالك، يُقال: هذا رب الدار ورب الضيعة ورب الغلام؛ أي: مالكه، قال الله سبحانه: {ارْجِعْ إلى رَبِّكَ} ؛ أي: إلى سيدك. ولا يُقال لمخلوق: هذا الرَّبُّ؛ معرفاً بالألف واللام؛ كما يُقال لله، إنما يُقال: هذا رب كذا، فيُعرَّف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء. فإذا قيل: الرَّبُّ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: ربُّ كذا وربُّ كذا؛ نُسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك [شيئاً] غيره"[٤].

وقال ابن القيم:" وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة، وهي «الله» ، و«الرب»، و«الرحمن»؛ كيف نشأ عنها الخلق والأمر والثواب والعقاب، وكيف جمعت الخلق وفرقتهم؛ فلها الجمع، ولها الفرق.

فاسم «الرب» له الجمع الجامع لجميع المخلوقات؛ فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألَّهه وحده السعداء، وأقروا له طوعاً بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلاَّ له، وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة؛ فالإلهية هي التي فرقتهم كما أنَّ الربوبية هي التي جمعتهم؛ فالدين والشرع، والأمر والنهي -مظهره وقيامه- من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك، وهو ملك يوم الدين، فأمرهم بإلهيته، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله، وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى ..."[٥].

قال السعدي:" «الرب»: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الإسم الجليل لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة، وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها وهي صفات الكمال كلها والمحامد كلها له والفضل كله والإحسان كله، وأنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير} [الشورى : ١١] ، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعاً عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم نداً ولا شريكاً لله في عبادته وإلوهيته، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم خلقاً ورزقاً وتدبيراً وإحياءً وإماتةً، وهم يشكرونه على ذلك

---

[١]رواه: البخاري (٥٧٤٢)، ومسلم (٢١٩١)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

[٢]رواه البخاري معلقًا مجزومًا (٤/ ١٥٨)، ووصله أحمد (٦/ ٦٢)، والنسائي (١/ ١٠)، وابن حبان (٢/ ٢٨٧)، وحسّنه البغوي في "شرح السنة" (١/ ٣٤٩).

[٣]صحيح سنن الترمذي: (٣٨٣٢).

[٤]غريب القرآن: ٩.

[٥]مدارج السالكين:٣٤/١.

بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيؤلهونه ولا يتخذون من دونه ولياً ولا شفيعاً، فالإلهية حق له سبحانه على عباده بصفة ربوبيته"[1].

قال الحازمي:" و«الرب»:هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور، وإذا أُفْرِدَ أو عُرِّفَ لم يطلق إلا على الله عز وجل[2].

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)} [هود : ٦٩]

التفسير:

ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوبَ بعده، فقالوا: سلامًا، قال ردًّا على تحيتهم: سلام، فذهب سريعًا وجاءهم بعجل سمين مشويٍّ ليأكلوا منه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} [هود : ٦٩]، أي:" ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق، ويعقوبَ بعده"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {ولقد جاءت رسلنا}، من الملائكة وهم فيما ذكر، كانوا جبريل وملكين آخرين. وقيل: إن الملكين الآخرين كان ميكائيل وإسرافيل معه {إبراهيم}، يعني: إبراهيم خليل الله، {بالبشرى} ، يعني: بالبشارة"[4].

وفي اسم«إبراهيم»، وجهان[5]:

أحدهما : أنه اسم أعجمي ، قاله الأكثرون[6]. وقيل معناه:«أب رحيم».

الثاني : أنه عربي مشتق من «البرهمة» وهي: إدامة النظر .

وفي البشرى التي جاءوه بها أربعة أقوال :

أحدها : بشروه بنبّوته ، قاله عكرمة[7].

الثاني : بإسحاق ، قاله الحسن[8].

قال ابن كثير:" ويشهد [له] قوله تعالى : { فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ } [هود : ٧٤]"[9].

الثالث : بشروه بإخراج محمد -ﷺ- من صلبه وأنه خاتم الأنبياء[10].

الرابع : بشروه بهلاك قوم لوط ، قاله قتادة[11].

قوله تعالى:{قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [هود : ٦٩]، أي:" فقالوا: سلامًا، قال ردًّا على تحيتهم: سلام"[12].

قال ابن كثير:" قال علماء البيان : هذا أحسن مما حَيّوه به ؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام "[13].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [هود : ٦٩]، وجهان[1]:

---

[1] تفسير اسماء الله الحسنى للسعدي:١٩٩-٢٠٠.

[2]شرح العقيدة الواسطية، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي:الدرس(١٠/٢٢)[مرقم آليا]..

[3] التفسير الميسر:٢٢٩.

[4] تفسير الطبري:٣٨١/١٥-٣٨٢.

[5] انظر: النكت والعيون:٤٨١/٢-٤٨٢.

[6] انظر: النكت والعيون:٤٨١/٢-٤٨٢.

[7] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٠٥):ص٢٠٥٣/٦.

[8] انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢.وحكاه الطبري:٣٨٣/١٥، عن بعضهم.

[9] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

[10] انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢.

[11] انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢.وحكاه الطبري:٣٨٣/١٥، عن بعضهم.

[12] التفسير الميسر:٢٢٩.

[13] تفسير ابن كثير:٣٣٢/٤.

أحدهما: تحية من الملائكة لإبراهيم عليه السلام فحياهم بمثله فدل على أن السلام تحية الملائكة والمسلمين جميعاً .
الثاني : سلمت أنت وأهلك من هلاك قوم لوط .
وقوله «سلام»، أي: الحمد لله الذي سلّمني، فمعنى «سلام» : سلمت .
وقرأ حمزة والكسائي«سِلم»، بكسر السين وإسقاط الألف[2].
واختلف في «السلم» و«السلام» على وجهين [3]:
أحدهما : أن السلم من المسالمة والسلام من السلامة .
الثاني : أنهما بمعنى واحد ، قال الشاعر ، وقد أنشده الفراء لبعض العرب[4]:
مَرَرْنَا فَقُلْنَا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالَبْرقِ الغَمَامُ الَّلوَائِحُ
قوله تعالى:{فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود : ٦٩]، أي:" فذهب سريعًا وجاءهم بعجل سمين مشويٍّ ليأكلوا منه"[5].
قال ابن كثير:" أي : ذهب سريعا ، فأتاهم بالضيافة ، وهو عجل : فتى البقر ، حَنِيذ : وهو مَشْوي شيًا ناضجًا على الرّضْف ، وهي الحجارة المُحْماة.. وقد تضمَّنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة "[6].
قال الماوردي:" ظنَّ رُسُل ربه أضيافاً لأنهم جاؤُوه في صورة الناس فعجل لهم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ"[7].
وفي معنى «الحنيذ»، قولان:
أحدهما : أنه الحار ، حكاه أبان بن تغلب عن علقمة النحوي[8].
الثاني : هو المشوي نضيجاً وهو المحنوذ مثل: طبيخ ومطبوخ[9]، وفيه قولان[10]:
أحدهما : هو الذي حُفر له في الأرض ثم غُمَّ فيها ، قال الشاعر[11] :
اذا ما اعتبطنا اللحم للطالب القِرى حنذناه حتى عَين اللحم آكله
قال الكلبي : "و«الحنيذ»: الذي يُحْنَذُ في الأرض"[12].
الثاني : هو أن يوقد على الحجارة فإذا اشتد حرها ألقيت في جوفه ليسرع نضجه ، قال طرفة بن العبد[13]:
لهم راحٌ وكافور ومسكٌ وعِقر الوحش شائله حنوذ
عن الضحاك:"{ بعجل حنيذ}: الذي أنضج بالحجارة"[14].
عن ابن عباس قوله:"{بعجل حينذ}، يقول: نضيج"[1]. وروي عن الضحاك مثله[2].

---

[1] انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢.
[2] انظر: السبعة في القراءات:٣٣٧-٣٣٨، وتفسير الطبري:٣٨٣/١٥، والنكت والعيون:٤٨٢/٢.
[3] انظر: تفسير الطبري:٣٨٢/١٥-٣٨٣، والنكت والعيون:٤٨٢/٢.
[4] لم أعرف قائله، والبيت من شواهد الطبري:٣٨٢/١٥، اللسان في مادة (كلل) ، عن ابن الأعرابي.
. يقال: " انكل السحاب عن البرق، واكتل "، أي: لمع به، و" اللوائح " التي لاح برقها، أي لمع وظهر.
[5] التفسير الميسر:٢٢٩.
[6] تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤-٣٣٣.
[7] النكت والعيون:٤٨٢/٢.
[8] انظر: النكت والعيون:٤٨٢/٢-٤٨٣.
[9] انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٥-٣٨٤.
[10] انظر: النكت والعيون:٤٨٣/٢.
[11] لم أقف عليه، والبيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٤٨٣/٢.
[12] أخرجه الطبري(١٨٣٠١):ص٣٨٥/١٥. قام المحقق بوضع عبارة[وقال الكلبي] داخل قوسين، وقال:" الذي بين القوسين ليس في المخطوطة، وقد تركته على حاله، وإن كنت أشك فيه، وأرجح أنه زيادة من ناسخ آخر، بعد ناسخ مخطوطتنا".

[13] انظر: النكت والعيون:٤٨٣/٢.
[14] أخرجه الطبري(١٨٣٠٧):ص٣٨٦/١٥.

قال السدي:" ذبحه ثم شواه في الرَّضْف[3]، فهو «الحنيذ» حين شواه"[4].
عن مجاهد:{بعجل حينئذ}، قال: "بعجل، حَسِيل البقر، و«الحنيذ»: المشوي النضيج"[5].
عن قتادة: "«الحنيذ»: النضيج"[6].
عن سفيان: "{فما لبث أن جاء بعجل حنيذ} ، قال: مشويّ"[7].
عن شمر بن عطية: "{فجاء بعجل حنيذ}، قال: المشويّ الذي يقطر"[8].
قال الطبري:" وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقارباتُ المعاني بعضها من بعض"[9].

القرآن
{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)} [هود : ٧٠]
التفسير:
فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضمرها، قالت الملائكة -لما رأت ما بإبراهيم من الخوف-: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.
قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ} [هود : ٧٠]، أي:" فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه"[10].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيديَهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به، والطعام الذي قدّم إليهم"[11].
قوله تعالى:{نَكِرَهُمْ} [هود : ٧٠]، أي:" أنكر ذلك منهم"[12].
قال ابن كثير:" تَنَكرهم"[13].
قال الطبري:" وذلك أنه لما قدم طعامه ﷺ إليهم، فيما ذكر، كفّوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله، عند إبراهيم، وهم ضِيَفانه مستنكرًا. ولم تكن بينهم معرفةٌ، وراعه أمرهم"[14].
عن جندب بن سفيان قال: "لما دخل ضيف إبراهيم عليه ، قرّب إليهم العجل، فجعلوا ينكثُون بقِداح في أيديهم من نبْل، ولا تصل أيديهم إليه، نكرهم عند ذلك"[15].
وفي «نكرهم وأنكرهُم»، وجهان[16]:
أحدهما : أن معناهما مختلف ، فنكرهم إذا لم يعرفهم ونكرهم إذا وجدهم على منكر.

---

[1] اخرجه الطبري(١٨٢٩٧):ص١٥/٣٨٤.
[2] انظر: تفسير الطبري(١٨٣٠٦):ص١٥/٣٨٦.
[3]" الرضف " (بفتح فسكون) الحجارة المحماة على النار. و " شواء مرضوف "، مشوي على الرضفة.
[4] أخرجه الطبري(١٨٣٠٣):ص١٥/٣٨٥.
[5] اخرجه الطبري(١٨٢٩٨):ص١٥/٣٨٤-٣٨٥. والحسيل " (بفتح الحاء وكسر السين) : ولد البقرة.
[6] أخرجه الطبري(١٨٣٠٠):ص١٥/٣٨٥.
[7] أخرجه الطبري(١٨٣٠٨):ص١٥/٣٨٦.
[8] أخرجه الطبري(١٨٣٠٤):ص١٥/٣٨٥.
[9] تفسير الطبري:١٥/٣٨٦.
[10] التفسير الميسر:٢٢٩.
[11] تفسير الطبري:١٥/٣٨٧.
[12] التفسير الميسر:٢٢٩.
[13] تفسير ابن كثير:٤/٣٣٣.
[14] تفسير الطبري:١٥/٣٨٧.
[15] أخرجه الطبري(١٨٣١٣):ص١٥/٣٨٧-٣٨٨.
[16] انظر: تفسير الطبري:١٥/٣٨٨-٣٨٩، والنكت والعيون:٢/٤٨٣.

الثاني : أنهما بمعنى واحد ، قال الأعشى[1]:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ   مِنَ الحَوَادِثِ، إلا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا

فجمع اللغتين جميعا في البيت. وقال أبو ذؤيب[2]:

فَنَكِرْنَهُ، فَنَفَرْنَ، وامْتَرَسَتْ بِهِ   هَوْجَاءُ هَادِيَةٌ وَهَادٍ جُرْشُعُ

واختلف في سبب إنكاره لهم على قولين :

أحدهما : أنهم لم يطعموا ، ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شراً ، فنكرهم إبراهيم لذلك ، قاله قتادة[3].

والثاني : لأنه لم تكن لهم أيدي فنكرهم ، قاله يزيد بن أبي حبيب[4].

قال الماوردي:"وامتنعوا من طعامه لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون"[5].

قوله تعالى:{وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود : ٧٠]، أي:" وأحس في نفسه خيفة وأضمرها"[6].

قال الطبري:" يقول: احسَّ في نَفسه منهم خيفة وأضمرها"[7].

قال ابن كثير:" وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه ؛ فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به ، فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نَكرهم ، { وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً }"[8].

وفي قوله تعالى:{وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود : ٧٠]، وجهان[9]:

أحدهما : أضمر في نفسه خوفاً منهم .

والثاني : أحسّ من نفسه تخوفاً منهم ، كما قال يزيد بن معاوية[10]:

جاء البريد بقرطاس يُخَبُّ به   فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

قوله تعالى:{قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٠]، أي:" قالت الملائكة -لما رأت ما بإبراهيم من الخوف-: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم"[11].

---

[1]ديوانه: ٧٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢٩٣، واللسان (نكر) وغيرهما.
ومما يرويه أبو عبيدة، أن أبا عمرو بن العلاء قال: " أنا قلت هذا البيت وأستغفر الله "، فلم يروه، وأنه أنشد بشارًا هذا البيت وهو يسمعه وقيل له: إنه للأعشى، فقال: ليس هذا من كلامه. فقلت له: يا سيدي، ولا عرف القصيدة. ثم قال: أعمى شيطان. وهذه قصة تروى أنا في شك منها.

[2]ديوان الهذليين) ١: ٨، وشرح المفضليات: ٨٦٧، وغيرهما، يذكر حمر الوحش، لما شرعت في الماء، وسمعت حس الصائد، فقال: فَشَرِبْنَ ثُمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ ... شَرَفُ الحِجَابِ، وَرَيْبَ قَرْعٍ يَقْرَعُ
وَنمِيمَةً مِنْ قَانِصٍ متلبِّبٍ ... في كَفِّهِ جَشْءٌ أَجَشُّ وأَقْطَعُ
يقول: سمعن حس الصائد، يحجبه ما ارتفع من الحرة وهو " شرف الحجاب "، ثم يقول: سمعن ما رابهن من قرع القوس وصوت الوتر، وسمعن نميمة الصائد، وهو ما ينم عليه من حركته، و" المتلبب "المحتزم بثوبه. و" الجشء " القضيب الذي تعمل منه القوس. و" أجش " غليظ الصوت. و" الأقطع " جمع " قطع " (بكسر فسكون) ، وهو نصل بين النصلين، صغير. يقول: فلما سمعت ذلك أنكرته فنفرت، فامترست الأتان بالحمار، أي دنت منه دنوًا شديدًا، من شدة ملازمتها له. و"سطعاء " طويلة العنق، و"هادية " متقدمة، وهو "هاد " متقدم، " جرشع "، منتفخ الجنبين.
وأما رواية " هوجاء هادية "، فإنه يعني: جريئة متقدمة.

[3] انظر: تفسير الطبري(١٨٣١١):ص٣٨٧/١٥.

[4] انظر: النكت والعيون:٤٨٣/٢.

[5] النكت والعيون:٤٨٣/٢.

[6] التفسير الميسر:٢٢٩.

[7] تفسير الطبري:٣٨٩/١٥.

[8] تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.

[9] انظر: النكت والعيون:٤٨٣/٢.

[10] انظر: ديوانه: ٢٥، والنكت والعيون:٤٨٣/٢، ووتفسير القرطبي:٦٥/٩، قاله حينما جاءه نعي والده معاوية-رضي الله عنه-

[11] التفسير الميسر:٢٢٩.

قال الطبري:" يقول: قالت الملائكة، لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم: لا تخف منا وكن آمنًا، فإنا ملائكة ربّك {أرسلنا إلى قوم لوط}"[١].

وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان[٢]:

أحدهما : ليزول خوفه منهم .

والثاني : لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول : ويحكم أينهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه.

قال السدّي : "لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صُور رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه ، فلما رآهم إبراهيم أجَلَّهم ،{ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ } فذبحه ثم شواه في الرضف ، فهو الحنيد حين شواه، وأتاهم به فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول : «وامرأته قائمة وهو جالس» في قراءة ابن مسعود : "فلما قَربه إليهم قال ألا تأكلون قالوا : يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن. قال فإن لهذا ثمنا. قالوا: وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله ، وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال : حُق لهذا أن يتخذه ربه خليلا" ، { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } يقول : فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ، ضحكت وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا"[٣].

روي عن نوح بن قيس عن عثمان بن مِحْصن -في ضيف إبراهيم- قال : "كانوا أربعة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل، ورفائيل. قال نوح بن قيس : فزعم نوح بن أبي شداد أنهم لما دخلوا على إبراهيم ، فقرب إليهم العجل ، مسحه جبريل بجناحه ، فقام يدرج حتى لحق بأمه ، وأم العجل في الدار"[٤].

فوائد الآيتين:[٦٩-٧٠]:

١- أن الملائكة ليسوا كالبشر: يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتصفون الذكورة أو الأنوثة؛ وإنما هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية، ولهم قدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية.

٢- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة.

٣- مشروعية السلام لمن دخل على غيره أو وقف عليه أو مر به ووجوب رد السلام.

٤- وجوب إكرام الضيف، وفي الحديث الصحيح "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[٥].

القرآن

{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)} [هود : ٧١]

---

[١] تفسير الطبري:٣٨٩/١٥.

[٢] انظر: النكت والعيون:٤٨٤/٢.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٣٣/٤.

[٥]حديث أبى شريح: أخرجه أحمد (٣١/٤، رقم ١٦٤١٧) ، والبخارى (٢٢٤٠/٥، رقم ٥٦٧٣) ، ومسلم (٦٩/١، رقم ٤٨) وأبو داود (٣٤٢، رقم ٣٧٤٨) ، والترمذى (٣٤٥/٤، رقم ١٩٦٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٢١١/٢ رقم ٣٦٧٢) . وأخرجه أيضا: أبو عوانة (٤٢/١، رقم ٩٥).
حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٢٦٧/٢، رقم ٧٦١٥) ، والبخارى (٢٢٤٠/٥، رقم ٥٦٧٢) ، ومسلم (١٠٩١/٢ رقم ١٤٦٨) ، وأبو داود (٣٣٩/٤، رقم ٥١٥٤) والترمذى (٦٥٩/٤، رقم ٢٥٠٠) وقال: صحيح. وابن ماجه (١٣١٣/٢ رقم ٣٩٧١) ، وابن حبان (٢٥٩/٢، رقم ٥٠٦) . وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ٣٠٨، رقم ٢٣٤٧) ، وأبو يعلى (٨٥/١ رقم ٦٢١٨) .
حديث ابن عمرو: أخرجه أحمد (١٧٤/٢، رقم ٦٦٢١) .
حديث رجل من مزينة: أخرجه أحمد (٤١٢/٥، رقم ٢٣٥٤٣).

التفسير:
وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجبًا مما سمعت، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

قوله تعالى:{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ} [هود : ٧١]، أي:" وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجبًا مما سمعت"[1].

قال ابن أبي زمنين:" يعني: سارة امرأة إبراهيم"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وامرأته}، سارَة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم {قائمة} ، قيل: كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام. وقيل: كانت قائمة تخدُم الرسل، وإبراهيم جالسٌ مع الرسل"[3].

وفي قيامها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم ، قاله وهب[4]، واختاره البيضاوي[5].

قال وهب بن منبه:" فلما رأى الله ذلك يعني فاحشة قوم لوط بعث الله عز وجل الملائكة ليعذبوهم فأتوا إبراهيم فلما رأهم راعه هيئتهم وجمالهم فسلموا عليه وجلسوا إليه فقام ليقرب لهم العجل فقالوا مكانك قال: بل دعوني آتيكم بما ينبغي لكم فإن لكم حقا لم يأتنا أحد أحق بالكرامة منكم فأمر بعجل سمين فحنذ له يعني شوي فقرب إليهم الطعام فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وسارة وراء الباب تسمع"[6].

الثاني : أنها كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد[7].

الثالث : أنها كانت قائمة تُصَلّي ، قاله محمد بن إسحاق[8].

وفي تفسير قوله تعالى:{ فَضَحِكَتْ}[هود: ٧١] ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني حاضت ، قاله ابن عباس[9]، ومجاهد[10].

والعرب تقول: ضحكت المرأة إذا حاضت.

عن مجاهد:"{فضحكت} قال: حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة. قال: وكان إبراهيم ابن مائة سنة"[11].

و«الضحك»: الحيض في كلام العرب ، قال الشاعر :

وضحك الأرانب فوق الصفا ... كمثل دم الخوف يوم اللّقا

قال البيضاوي:" ومنه ضحكت السمرة إذا سال صمغها"[12].

قال الزجاج:" فأما من قال: «ضحكت»: حاضت، فليس بشيء"[13].

قال الفراء:" وأما قوله {فضحكت}: حاضت فلم نسمعه من ثقة"[14].

---

[1] التفسير الميسر:٢٢٩.
[2] تفسير ابن أبي زمنين:٢/٢٩٩.
[3] تفسيرالطبري:١٥/٣٨٩.
[4] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠١٨):ص٦/٢٠٥٥.
[5] انظر: تفسير البيضاوي:٣/١٤١.
[6] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠١٨):ص٦/٢٠٥٥.
[7] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٢٠):ص٦/٢٠٥٥.
[8] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٤.
[9] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٢١):ص٦/٢٠٥٥.
[10] انظر: تفسير الطبري(١٨٣٢٠):ص١٥/٣٩٢.
[11] أخرجه الطبري(١٨٣٢٠):ص١٥/٣٩٢.
[12] تفسير البيضاوي:٣/١٤١.
[13] معاني القرآن:٣/٦٢.
[14] معاني القرآن:٢/٢٢.

والثاني : أن معنى «ضحكت»: تعجبت ، وقد يسمى التعجب ضحكاً لحدوث الضحك عنه، ومنه قول أبي ذؤيب[1]:

فَجَاءَ بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ   هُوَ الضَّحْكُ إلا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ

ومنه قول الشاعر[2]:

وَضِحْكُ الأرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا   كَمِثْلِ دَمِ الجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا

وللكميت[3]:

فَأَضْحَكَتِ الضِّبَاعُ سُيُوفُ سَعْدٍ   بِقَتْلَى مَا دُفِنَّ وَلا وُدِينَا

عن ضمرة بن حبيب :"أن سارة لما بشرها الرسل بإسحاق قال بينما هي تمشي وتحدثهم حين آنست بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل إسحاق فكان من قولها للرسل حين بشروها بإسحاق كنت شابة وكان إبراهيم شابا فلم أحمل فحين كبرت وكبر أألد قالوا: تعجبين من ذلك يا سارة فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك، ان الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد"[4].

الثالث : أنه الضحك المعروف في الوجه ، حكاه الماوردي عن الجمهور[5].

قال الطبري:" وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قولُ من قال: معنى قوله: {فضحكت} فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه، وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: {لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط}، فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: {لا تخف}، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط"[6].

فإن حمل تأويله على الحيض ففي سبب حيضها ثلاثة وجوه[7]:

أحدها : أنه وافق وقت عاتها فخافت ظهور دمها وأرادت شداده فتحيرت مع حضور الرسل.

الثاني : ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته ، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع .

الثالث: أن يكون الحيض بشيراً بالولادة لأن من لم تحض لا تلد. أفاده الماوردي[8].

وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجب منه أربعة أقوال :

أحدها : أنها تعجبت من أنها وزوجها يخدمان الأضياف تكرمة لهم وهم لا يأكلون ، قاله السدي[9].

الثاني : تعجبت من أن قوم لوط قد أتاهم العذاب وهم غافلون، قاله قتادة[10].

---

[1] ديوان الهذليين) ١: ٤٢، واللسان (ضحك) ، وغيرهما، من قصيدة من عجائبه، ذكر في آخرها الخمر، وكيف وكيف تزودها من أهل مصر وغزة، وأقبل بها يقطع الأرض، حتى بات بمزدلفة (جمع) ، ومنى، فقال قبل البيت: فَبَاتَ بِجَمْعٍ، ثُمَّ تَمَّ إِلَى مِنًى ... فأَصْبَحَ رَأْدًا يَبْتَغِي المِزْجَ بالسَّحْلِ

وقوله: " رأدًا "، أي طالبًا، و " المزج " العسل يمزج بالخمر، و"السحل" يعني ينقد الدراهم، يقول: فلما طلب ذلك "المزج" اشترى بماله مزجا أي: عسلًا، كأنه ثغر حسناء في بياضه وصفائه ورقته. هكذا قالوا، وفي النفس منه شيء. وأجود منه عندي أن يقال إن " الضحك " في هذا البيت، هو طلع النخل حين ينشق عما في جوفه، وهو أبيض شديد البياض والنقاء.

[2] لم أعرف قائله، وانظر البيت في اللسان"ضحك"، وتفسير الطبري:٣٩٣/١٥.

[3] اللسان (ضحك) ، من قصيدة له مشهورة، لم أجدها مجموعة في مكان، ويزعمون أن الضبع تحيض، إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم. وكان ابن دريد يرد هذا ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض؟.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٣):ص٢٠٥٥/٦-٢٠٥٦.

[5] انظر: النكت والعيون:٤٨٤/٢.

[6] تفسير الطبري:٣٩٤/١٥.

[7] انظر: النكت والعيون:٤٨٤/٢.

[8] انظر: النكت والعيون:٤٨٤/٢.

[9] انظر: تفسير الطبري(١٨٣١٤):ص٣٨٩/١٥.

[10] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠١٧):ص٢٠٥٤/٦.

وقال محمد بن إسحاق:" لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط"[1].

وعن كعب :"{إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت}، بخزي الله إياهم"[2].

الثالث : أنها عجبت من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها ، قاله وهب بن منبه[3].

الرابع : أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار ، قاله عون بن أبي شداد[4].

وإن حمل تأويله على ضحك الوجه ففيما ضحكت منه سبعة أقوال :

أحدها : ضحكت سروراً بالأمن والسلامة. وهذا قول الفراء[5].

قال الفراء:" وإنما ضحكت سرورا بالأمن"[6].

قال الطبري:" وقال آخرون: بل ضحكت سرورًا بالأمن منهم، لما قالوا لإبراهيم: لا تخف، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضًا كما خافهم إبراهيم. فلما أمِنَت ضحكت، فأتبعوها البشارة بإسحاق"[7].

الثاني : سروراً بالولد، لأن في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: فبشرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة وهو مما قد يحتمله الكلام والله أعلم بصوابه. حكاه الفراء عن بعض المفسرين [8]، واختاره ابن قتيبة[9].

قال ابن قتيبة:" أي: بشرناها بإسحاق فضحكت"[10].

قال ابن كثير:" وقال وهب بن مُنَبِّه : إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق. وهذا مخالف لهذا السياق ، فإن البشارة صريحة مُرتبة على.{ فَبَشَّرْنَاهَا ..."[11].

الثالث : لما رأت ما بزوجها من الرّوع، قاله الكلبي[12]، ومقاتل[13].

قال مقاتل:" {فضحكت}، من خوف إبراهيم ورعدته من ثلاثة نفر وإبراهيم في حشمه وخدمه"[14].

الرابع :أنها ضحكت سرورا بزوال الخيفة. قاله البيضاوي [15].

الخامس: أنها ضحكت بهلاك أهل الفساد. حكاه البيضاوي [16].

السادس: أنها ضحكت لإصابة رأيها، فإنها كانت تقول لإبراهيم: اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم، فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت. حكاه الزجاج[17]، وذكره البيضاوي [18].

وقال مقاتل:" لوط بن حازان، وامرأة سارة بنت حازان، أخت لوط وإبراهيم عم لوط وختنه على أخته"[1].

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠١٩):ص٢٠٥٥/٦.

[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠١٦):ص٢٠٥٤/٦.

[3] انظر: تفسير الطبري(١٨٣١٩):ص٣٩١/١٥.

[4] انظر: النكت والعيون:٤٨٥/٢.

[5] انظر: معاني القرآن:٢٢/٢.

[6] معاني القرآن:٢٢/٢.

[7] تفسير الطبري:٣٩٢/١٥.

[8] معاني القرآن:٢٢/٢.

[9] انظر: تاويل مشكل القرآن:١٣٠.

[10] تاويل مشكل القرآن:١٣٠.

[11] تفسير ابن كثير:٣٣٤/٤.

[12] انظر: تفسير الطبري(١٨٣١٨):ص٣٩١/١٥.

[13] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٠/٢ .

[14]تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٠/٢ .

[15] انظر: تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[16] انظر: تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[17] انظر: معاني القرآن:٦١/٣-٦٢.

[18] انظر: تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

السابع: أنها ضحكت ظناً بأن الرسل يعملون عمل قوم لوط ، قاله محمد بن عيسى[٢].

قال الإمام ابن كثير:" وقول محمد بن [عيسى]: إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط ، وقول الكلبي :إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم، ضعيفان جدا ، وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما ، فلا يلتفت إلى ذلك ، والله أعلم"[٣].

وقرئ :«فضحكت»، بفتح الحاء [٤].

وقرأ ابن مسعود: «وامرأته قائمة وهو جالس فضحكت»[٥].

قوله تعالى:{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود : ٧١]، أي:" فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يسمى إسحاق وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب"[٦].

وفي قوله تعالى:{ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود : ٧١] وجهان :

أحدهما : أن «الوراء»: ولد الولد، قاله ابن عباس[٧]، وعامر الشعبي[٨]، ومحمد بن إسحاق[٩].

قال البيضاوي:" قيل «الوراء»: ولد الولد ،ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا تكون إضافته إلى إسحاق ليس من حيث أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه، بل من حيث إنه وراء إبراهيم من جهته وفيه نظر. والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى، ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به"[١٠].

قال الزجاج:" وفي هذه البشارة -بشارة بالولد وولد الولد- يقال: هذا ابني من الوراء، أي: هذا ابن ابني. فبشرناها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش حتى ترى ولده، وروينا في التفسير أن عمرها كان تسعا وثمانين، وأن عمر إبراهيم كان تسعا وتسعين في وقت البشارة"[١١].

عن حبيب بن أبي ثابت قال: "جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال: من هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني. قال: هذا ولدُك من الوراء! قال: فكأنه شقَّ على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب}، فولد الولد هم الوراء"[١٢].

عن أبي اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعري، قال: "كنت إلى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران، في مسجد عليّ بن زيد، فمر بنا الحسنُ بن أبي الحسن فقال: يا أبا المغيرة من هذا الفتى؟ قال: ابني من ورائي، فقال الحسن: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} "[١٣].

قال السدي:"لما ضحكت سارَة. وقالت: "عجبًا لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا "! قال لها جبريل: أبشري بولد اسمُه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. فَضربتْ وَجْهَهَا عجبًا، فذلك قوله: {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} ، [سورة الذاريات: ٢٩] . وقالت: {أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب} قالوا {أتعجبين من أمر الله

---

[١]تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٠/٢ .

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٣١٧):ص٣٩٠/١٥-٣٩١.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٣٤/٤.

[٤] انظر: تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[٥] انظر: الكشف والبيان:١٧٨/٥.

[٦] التفسير الميسر:٢٢٩.

[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٢٤):ص٢٠٥٦/٦.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٣٢٣)-(١٨٣٢٦):ص٣٩٥/١٥، ووتفسير ابن ابي حاتم(١١٠٢٥):ص٢٠٥٦/٦.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٣٢٩):ص٣٩٦/١٥.

[١٠] تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[١١] معاني القرآن:٦٢/٣.

[١٢] أخرجه الطبري(١٨٣٢٧):ص٣٩٥/١٥.

[١٣]أخرجه الطبري(١٨٣٢٢):ص٣٩٤/١٥-٣٩٥ .

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد}، قالت سارة: ما آية ذلك؟ قال: فأخذ بيده عودًا يابسا فلواه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هُو لله إذا ذبيحًا"[1].

الثاني : أنه بمعنى «بعد»، قاله ابن الأنباري[2]، و مقاتل[3]، والزجاج[4]، ومنه قول نابغة الذبياني[5].

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراءَ اللهِ للمرء مذهبُ

أي: ليس بعد مذاهب الله للمرء مذهب.

قال الزجاج:" {وراء}: يكون لخلف وقدام، وإنما معناه ما توارى عنك أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة"[6].

قال الماوردي :"فعجلوا لها البشرى بالولدين مظاهرة للنعمة ومبالغة في التعجب ، فاحتمل أن يكون البشارة بهما باسميهما فيكون الله تعالى هو المسمى لهما ، واحتمل أن تكون البشارة بهما وسماها أبوهما"[7].

فإن قيل : فلم خصت سارة بالبشرى من دون إبراهيم ؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها : أنها لما اختصت بالضحك خصت بالبشرى. أفاده الماروي[8].

الثاني : أنهم كافأُوها بالبشرى مقابلة على استعظام خدمتها. أفاده الماروي[9].

الثالث : أن وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر. أفاده البيضاوي[10]

الرابع: لأنها كانت عقيمة حريصة على الولد. أفاده البيضاوي[11].

الخامس: لأن النساء في البشرى بالولد أعظم سروراً وأكثر فرحاً. أفاده الماروي[12].

نقل الماوردي عن ابن عباس : "سمي إسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به"[13].

قال ابن كثير:" ومن هاهنا استدل من استدل بهذه الآية ، على أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق ؛ لأنه وقعت البشارة به ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده. ووعد الله حق لا خُلْفَ فيه ، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ، فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه ، ولله الحمد"[14].

وقوله: {يَعْقُوبَ}: نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره: ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب. وقيل إنه معطوف على موضع بإسحاق أو على

---

[1] أخرجه الطبري(١٨٣٢٨):ص١٥/٣٩٥-٣٩٦.
[2] انظر: زاد المسير: ٤ / ٣٥٢.
[3] انظر: تفسير مقاتل٢/٤٠١، وعبارته: من بعدهم؛ يعني من بعد موته، وانظر: "تفسيرالثعلبي" ٧/ ١٤٨.
[4] معاني القرآن:٣/١٥٦-١٥٧.
[5]"ديوانه" ص ٢٧،وفي معاهد التنصيص ٧/ ٢ (مطلب)..
[6] معاني القرآن:٣/١٥٦-١٥٧.
[7] النكت والعيون:٢/٤٨٦.
[8] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٦.
[9] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٦.
[10] تفسير البيضاوي:٣/١٤١.
[11] تفسير البيضاوي:٣/١٤١.
[12] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٦.
[13] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٦.
[14] تفسير ابن كثير:٤/٣٣٤.

لفظ إسحاق، وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف. وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره الظرف، أي: ويعقوب مولود من بعده[1].

الفوائد:

١- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة.

٢- مشروعية خدمة أهل البيت لضيوفهم ووجوب إكرام الضيف.

٣- شرف أهل بيت إبراهيم عليه السلام.

القرآن

{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)} [هود : ٧٢]

التفسير:

قالت سارة لما بُشِّرت بإسحاق متعجبة: يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟ إن إنجاب الولد مِن مثلي ومثل زوجي مع كبر السن لَشيء عجيب.

قوله تعالى:{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} [هود : ٧٢]، أي:" قالت سارة لما بُشِّرت بإسحاق متعجبة: يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟"[2].

قال البيضاوي:أي:" {أألد وأنا عجوز} ابنة تسعين أو تسع وتسعين. {وهذا بعلي} زوجي -وأصله القائم بالأمر-{شيخا} ابن مائة أو مائة وعشرين"[3].

قال الطبري:" تقول: أنى يكون لي ولد {وأنا عجوز وهذا بعلي شيْخًا} ، والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمي بذلك لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء "بعله"، وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الأنهار والعيون "البعل"، لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل، بماء السمَاء حياتُه... {يا ويلتا} وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء والاستنكار للشيء، فيقولون عند التعجب: "ويلُ أمِّه رجلا ما أرْجَله"!"[4].

عن أبي مالك قوله: بعلي تعني: زوجي"[5].

عن قتادة في قول الله: "{قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز}، وهي يومئذ بنت سبعين"[6]، "قوله: {وهذا بعلي شيخا}،وهو يومئذ ابن تسعين سنة""[7].

قال ابن إسحاق:" ذكر أبي، عن بعض من قرأ الكتاب أنها كانت بنت تسعين سنة"[8].

وقال ابن إسحاق:" ذكر لي، عن بعض من قرأ الكتاب وهذا بعلي شيخا: إن إبراهيم ابن عشرين ومائة سنة"[9].

قال البيضاوي:" {يا ويلتى}: يا عجبا، وأصله في الشر فأطلق على كل أمر فظيع"[10].

وقرئ:« يا ويلتى» بالياء على الأصل[11].

وفي قراءة ابن مسعود: «وهذا بعلي شيخ»، على الخبر[12].

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود : ٧٢]، أي:" إن إنجاب الولد مِن مثلي ومثل زوجي مع كبر السن لَشيء عجيب"[1].

---

[1] انظر: معاني القرآن للزجاج:٦٢/٣-٦٣، وتفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[2] التفسير الميسر:٢٣٠.

[3] تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[4] تفسير الطبري:٣٩٨/١٥-٣٩٩.

[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٨):ص٢٠٥٦/٦.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٦):ص٢٠٥٦/٦.

[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٩):ص٢٠٥٦/٦.

[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٢٧):ص٢٠٥٦/٦.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٣٠):ص٢٠٥٦/٦.

[10] تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[11] انظر: تفسير البيضاوي:١٤١/٣.

[12] انظر: تفسير السمعاني:٤٤٤/٢.

قال السمعاني:" يعني: إن هذا لشيء مستعجب بخلاف العادة"[٢].

قال البيضاوي:" يعني: الولد من هرمين، وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب"[٤].

القرآن

{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)} [هود : ٧٣]

التفسير:

قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال، ذو مَجْد وعظمة فيها.

قوله تعالى:{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود : ٧٣]، أي:" قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله وقضائه؟"[٥].

قال الطبري:" الت سَارة لما بُشِّرت بإسحاق أنَّها تلد تعجبًا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء، وقيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : قالت الملائكة لها ، لا تعجبي من أمر الله ، فإنه إذا أراد شيئًا أن يقول له : "كن" فيكون ، فلا تعجبي من هذا ، وإن كنت عجوزا كبيرة عقيما ، وبعلك -وهو زوجها الخليل عليه السلام -، وإن كان شيخا كبيرا ، فإن الله على ما يشاء قدير"[٧].

قال ابن إسحاق:" كانت سارَة يوم بُشِّرت بإسحاق، فيما ذكر لي بعض أهل العلم، ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة"[٨].

قوله تعالى:{رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} [هود : ٧٣]، أي:" رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة"[٩].

قال الطبري:" يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم"[١٠].

قال البيضاوي:" منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات، وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود : ٧٣]، أي:" إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال، ذو مَجْد وعظمة فيها"[١٢].

قال الطبري:" يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه {مجيد}، يقول: ذو مجد ومَدْح وَثَناء كريم"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٢] تفسير السمعاني:٤٤٤/٢.
[٣] تفسير البيضاوي:١٤١/٣.
[٤] تفسير الطبري:٣٩٩/١٥.
[٥] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٦] تفسير الطبري:٣٩٨/١٥.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٣٥/٤.
[٨] اخرجه الطبري(١٨٣٣٠):ص٣٩٨/١٥.
[٩] التفسير الميسر:٢٣٠.
[١٠] تفسير الطبري:٤٠٠/١٥.
[١١] تفسير البيضاوي:١٤٢/٣.
[١٢] التفسير الميسر:٢٣٠.

قال ابن كثير:" أي : هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود ، ممجد في صفاته وذاته ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين أنهم قالوا : قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : قولوا : «اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد»[٢]"[٣].

فوائد الآيتين: [٧٢-٧٣]:

١- أن عبارة "أهل البيت" تطلق أصلاً على الأزواج خاصة، ثم تستعمل في الأولاد والأقارب.

٢- ومن الفوائد: اثبات اسمين من اسمائه تعالى، هما: «الحميد»«المجيد»:

- فـ«الحميد»: "هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ؛ فهو محمود على كل حال"[٤].

قال السعدي: أي:"الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل، والعدل"[٥].

وهو سبحانه «حميد»، من وجهين[٦]:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم، والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا، والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً، ومقدراً حيثما تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي، والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد، ولا إحصاء فإن الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة، والباطنة الدينية، والدنيوية، وصرف عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه، ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها، وأعظمها فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد، والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله لأنها دائرة بين أفعال الفضل، والإحسان، وبين أفعال العدل، والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى، والآخرة، وتفاصيل حمده، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام.

- و«المجيد»:" هوالواسع الكرم، وأصل المجد في كلامهم: السعة. يقال: رجل ماجد إذا كان سخيا واسع العطاء، وفي بعض الأمثال: "في كل شجر نار واستمجد المرخ

---

[١] تفسير الطبري:١٥/٤٠٠.

[٢]صحيح البخاري برقم (٤٧٩٧) وصحيح مسلم برقم (٤٠٦) من حديث كعب بن عجرة ، رضي الله عنه.

[٣] تفسير ابن كثير:٤/٣٣٥.

[٤] شأن الدعاء:٧٨.

[٥] اسماء الله الحسنى:١٩٠.

[٦] انظر: الحق الواضح المبين، السعدي: ٣٩ -٤٠.

والعفار"[١]، أي: استكثرا منها. وقيل في تفسير قوله -جل وعز-:{ق، والقرآن المجيد} [ق: ١] إن معناه: الكريم، وقيل: الشريف"[٢].

القرآن

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤)} [هود : ٧٤]

التفسير:

فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه لعدم أكل الضيوف الطعام، وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب، ظلَّ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} [هود : ٧٤]، أي:" فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه لعدم أكل الضيوف الطعام"[٣].

قال قتادة:" يقول: ذهب عنه الخوف"[٤].

قال ابن إسحاق:" وأمن مما كان يخاف"[٥].

قوله تعالى:{وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى} [هود : ٧٤]، أي:" وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب"[٦].

ويعقوب"[٦].

قال قتادة:" بإسحاق"[٧].

قال ابن إسحاق:" بإسحاق، ويعقوب ولد من صلب إسحاق"[٨].

قال الطبري:" «الروع»: فهو الخوف، يقال منه: راعني كذا يَرُوعني روعًا، إذا خافه. ومنه قول النبي ﷺ لرجل: "كيف لَكَ بَرَوْعَة المؤمن"[٩]؟ ومنه قول عنترة[١٠]:

مَا رَاعَني إلا حَمُوَلُة أَهْلِهَا وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

بمعمى: ما أفزعني"[١١].

عن مجاهد: «"الروع"، الفَرَق»[١٢].

وروي عن قتادة: {وجاءته البشرى}، قال: حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وأنهم ليسوا إياه يريدون"[١٣].

---

[١] المثل في غريب الحديث للخطابي ٢/ ١٤٧، وجمهرة الأمثال ٢/ ٩٢، والتلخيص ١/ ٤٨٢، وكتاب الأمثال لأبي عبيد ص ٣٦١، وفصل المقال ص ٢٠٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٧٤، والمستقصى ٢/ ١٨٣، وفي اللسان (مرخ- عفر)، قال الأزهري: وقد رأيتها في البادية، والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. اهـ منه. قال الزمخشري في المستقصى: هما شجرتان من أسرع الشجر خروج نار. وفي الميداني استمجد المرخ والعفار، أي: استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما. شبها بمن يكثر العطاء طلبا للمجد. قال أبو زياد: ليس في الشجر كله أورى زنادا من المرخ، قال: وربما كان المرخ مجتمعا ملتفا، وهبت الريح فحك بعضه بعضا فأورى فاحترق الوادي كله ..... والزند الأعلى يكون من العفار، والأسفل من المرخ. انظر تفسير الأسماء للزجاج ص ٥٣.

[٢] شأن الدعاء:٧٤-٧٥.

[٣] التفسير الميسر:٢٣٠.

[٤] أخرجه الطبري(١٨٣٣١):ص١٥/٤٠٠-٤٠١.

[٥] أخرجه الطبري(١٨٣٣٢):ص١٥/٤٠١.

[٦] التفسير الميسر:٢٣٠.

[٧] أخرجه الطبري(١٨٣٣١):ص١٥/٤٠٠-٤٠١.

[٨] أخرجه الطبري(١٨٣٣٢):ص١٥/٤٠١.

[٩] الحديث:" كيف بروعة المؤمن". أخرجه الطبرانى (٣٩٤/٢٢، رقم ٩٨٠) ، قال الهيثمى (٢٥٣/٦) : حسين حسين بن عبد الله بن عبيد الله الهاشمى ضعيف.

[١٠] ديوانه: ١٢٣، من معلقته المشهورة، وقبله: إنْ كُنْتِ أَزْمَعتِ الفِرَاقَ، فإنَّما ... زُمَّتْ رِكابُكُمْ بِيَوْمٍ مُظْلِمِ

"الخمخم"، بقلة لها حب أسود. وذلك أنهم كانوا مجتمعين في الربيع، فلما يبس البقل، سفت حب الخمخم، فكان ذلك نذيرًا بوشك فراقهم.

[١١] تفسير الطبري:١٥/٤٠١-٤٠٢.

[١٢] أخرجه الطبري(١٨٣٣٤):ص١٥/٤٠٢.

[١٣] أخرجه الطبري(١٨٣٣٣):ص١٥/٤٠١.

قوله تعالى:{يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٤]، أي:" ظلَّ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم"[١].

عن مجاهد: "{يجادلنا}، يخاصمنا"[٢].

قال الطبري:" وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله: {يجادلنا} يكلمنا، وقال: لأن إبراهيم لا يجادل الله، إنما يسأله ويطلب إليه. وهذا من الكلام جهلٌ، لأن الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط، فقول القائل: "إبراهيم لا يجادل"، موهمًا بذلك أن قول من قال في تأويل قوله: {يجادلنا}، يخاصمنا، أن إبراهيم كان يخاصم ربَّه، جهلٌ من الكلام، وإنما كان جدالُه الرسلَ على وجه المحاجَّة لهم. ومعنى ذلك: "وجاءته البشرى يجادل رسلنا"، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف «الرسل»"[٣].

وفي قوله تعالى:{يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} [هود : ٧٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه جادل الملائكة بقوله{إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينة وأهله} [العنكبوت : ٣٢]. قاله الحسن[٤].

الثاني : أنه سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين ؟ قالوا لا ، قال : فإن كان فيها أربعون ؟ قالوا : لا ، إلى أن أنزلهم إلى عشرة ، فقالوا : لا ، قتادة[٥].

قال قتادة:" ذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذبوها أنتم؟ قالوا: لا! حتى صار ذلك إلى عشرة قال، أرأيتم إن كان فيها عشرة أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا! وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد"[٦].

وقال سعيد:"لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم: إنَّا مهلكو أهل هذه القرية إنَّ أهلها كانوا ظالمين: قال لهم إبراهيم: أتهلكون قريةً فيها أربع مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها ثلاث مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا! وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكتَ عنهم واطمأنت نفسه"[٧].

قال ابن جريج:" قال إبراهيم: أتهلكونهم إن وجدتم فيها مائة مؤمن ثم تسعين؟ حتى هبَط إلى خمسة. قال: وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف"[٨].

عن صفوان قال: حدثنا أبو المثني ومسلم أبو الحبيل الأشجعي قالا: "{لما ذهب عن إبراهيم الروع}، إلى آخر الآية قال إبراهيم: أتعذب عالمًا من عالمك كثيرًا، فيهم مائة رجل؟ قال: لا وعزتي، ولا خمسين! قال: فأربعين؟ فثلاثين؟ حتى انتهى إلى خمسة. قال: لا! وعزتي لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني! قال الله عز وجل: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [سورة الذاريات:٣٦] ، أي لوطًا وابنتيه، قال: فحلّ بهم من العذاب، قال الله عز وجل: {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [سورة الذاريات:٣٧] ، وقال: {فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط}"[٩].

وعن السدي، "{فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى}، قال: ما خطبُكم أيها المرسلون؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فجادلهم في قوم لوط قال، أرأيتم إن كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا! فلم يزل يحُطُّ حتى بلغ عشرة من المسلمين، فقالوا: لا نعذبهم، إن

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٢] أخرجه الطبري(١٨٣٣٩):ص١٥/٤٠٢.
[٣] تفسير الطبري:١٥/٤٠٢-٤٠٣.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٣٤٣):ص١٥/٤٠٣.
[٦] أخرجه الطبري(١٨٣٤٣):ص١٥/٤٠٣.
[٧] أخرجه الطبري(١٨٣٤١):ص١٥/٤٠٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٣٤٧):ص١٥/٤٠٥.
[٩] أخرجه الطبري(١٨٣٤٨):ص١٥/٤٠٥.

كان فيهم عشرة من المسلمين، ثم قالوا: "يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين " هو لوط وأهل بيته، وهو قول الله تعالى ذكره: {يجادلنا في قوم لوط}. فقالت الملائكة: {يا إبراهيم أعرض عن هذا إنَّه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}"[١].

عن ابن إسحاق قال: "{فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى}، يعني: إبراهيم جادل عن قوم لوط ليردّ عنهم العذاب قال: فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم حين جادلهم في قوم لوط ليردّ عنهم العذاب، إنما قال للرسل فيما يكلمهم به: أرأيتم إن كان فيهم مائة مؤمن أتهلكونهم؟ قالوا:، لا! قال: أفرأيتم إن كانوا تسعين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا ثمانين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا سبعين؟ قالوا: لا! قال: أفرأيتم إن كانوا ستين؟ قالوا لا! قال: أفرأيتم إن كانوا خمسين؟ قالوا لا! قال: أفرأيتم إن كان رجلا واحدًا مسلمًا؟ قالوا: لا! قال: فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنًا واحدًا، {قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا}، يدفع به عنهم العذاب، {قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [سورة العنكبوت: ٣٢] ، {قالوا يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}"[٢].

وروي عن ابن عباس قال، "قال الملك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصلون رُفع عنهم العذاب"[٣].

قال معمر: "بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان، أو ما شاء الله من ذلك"[٤].

الثالث : أنه سألهم عن عذابهم هل هو عذاب الاستئصال فيقع بهم لا محالة على سبيل التخويف ليؤمنوا ، فكان هذا هو جداله لهم وإن كان سؤالاً لأنه خرج مخرج الكشف عن أمر غامض[٥].

الفوائد:

١- مشروعية الجدال عمن يرجى له الخير من الناس، وذلك في غير الحدود الشرعية إذا رفعت إلى الحاكم.

٢- أن الحوار في الآية يقصد به الترجي، أو الاسترشاد وحب الاستطلاع، فمن هذا القبيل، جدل إبراهيم عليه السلام مع ربه لتأخير العذاب عن قوم لوط عليه السلام، قال تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}، وكذلك جدال الملائكة في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٣٠]، وكذا جدال خولة بنت ثعلبة التي حكى الله قصتها في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[المجادلة:١]

القرآن

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)} [هود : ٧٥]

التفسير:

إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة بالعقاب، كثير التضرع إلى الله والدعاء له، تائب يرجع إلى الله في أموره كلها.

قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ} [هود : ٧٥]، أي:" إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة بالعقاب"[٦].

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٣٤٥):ص١٥/٤٠٤.

[٢] أخرجه الطبري(١٨٣٤٦):ص١٥/٤٠٤-٤٠٥.

[٣] أخرجه الطبري(١٨٣٤٢):ص١٥/٤٠٣.

[٤] أخرجه الطبري(١٨٣٤٤):ص١٥/٤٠٤.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢/٤٨٧.

[٦] التفسير الميسر:٢٣٠.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم لبطيء الغضب"[١].
قال ابن عباس:" كان من حلمه أنه كان إذا أذاه الرجل من قومه قال له: هداك الله"[٢].
قال الحسن:" الحليم: الرحيم"[٣].
قوله تعالى:{أَوَّاهٌ} [هود : ٧٥]، أي:" كثير التضرع إلى الله والدعاء له"[٤].
قال الطبري:" متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره"[٥].
عن عبد الله بن شداد قال: "قال رجل: يا رسول الله، ما «الأواه؟» قال: الخاشع، المتضرع الدعاء، قال: إن إبراهيم لأواه حليم"[٦].
عن شعبة عن أبي يونس الباهلي :"سمعت رجلا كان بمكة أصله رومي يحده عن أبي ذر، قال: كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه: أوه أوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لأواه، قال أبو ذر فخرجت ليلة فإذا رسول الله- ﷺ- معه المصباح يدفن ذلك الرجل"[٧].
قال ابن كثير:" هذا حديث غريب رواه ابن جرير ومشاه"[٨].
وروي عن يحيى بن الجزار "أن أبا العبيدين سأل عبد الله عن «الأواه»؟ فقال: الرحيم"[٩]. وروي عن أبي ميسرة. والحسن ومجاهد وقتادة مثل ذلك[١٠].
وروي عن ابن عباس قال: "«الأواه»: الموقن"[١١].
عن مجاهد وعكرمة قالا:"«الأواه»: الموقن بلسان الحبشة"[١٢].
وروي عن مجاهد قال:" فقيه موقن"[١٣].
وروي عن ابن عباس قوله: "{إن إبراهيم لأواه}، يعني: التواب"[١٤].
وعن مجاهد قال: "«الأواب»: المنيب"[١٥].
وروي عن أبي أيوب قال: "«الأواه»: الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها"[١٦].
وعن مجاهد في قول آخر: "«الأواه»: الحفيظ، الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا"[١٧].
وروي عن أبي الدرداء قال: "لا يحافظ على سبحة الضحى إلا أواه"[١٨].
وعن الشعبي قوله:"«اواه»: المسبح"[١٩].
قوله تعالى:{مُنِيبٌ} [هود : ٧٥]، أي:" تائب يرجع إلى الله في أموره كلها"[٢٠].

---

[١] تفسير الطبري:١٥/٤٠٦.
[٢] أخرجه ابم ابي حاتم(١١٠٤١):ص٦/٢٠٥٨.
[٣] أخرجه ابم ابي حاتم(١١٠٤٢):ص٦/٢٠٥٨.
[٤] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٥] تفسير الطبري:١٥/٤٠٦.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٢):ص٦/١٨٩٥-١٨٩٦.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦١):ص٦/١٨٩٥.
[٨] تفسير ابن كثير:٤/٢٢٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٣):ص٦/١٨٩٦.
[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٦/١٨٩٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٤):ص٦/١٨٩٦.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٥):ص٦/١٨٩٦.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٦):ص٦/١٨٩٦.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٧):ص٦/١٨٩٦.
[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٨):ص٦/١٨٩٦.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٩):ص٦/١٨٩٦.
[١٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧١):ص٦/١٨٩٧.
[١٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٠):ص٦/١٨٩٧.
[١٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٧٢):ص٦/١٨٩٧.
[٢٠] التفسير الميسر:٢٣٠.

قال الطبري:أي:" رَجَّاع إلى طاعته"[1].
قال ابن عباس:" المنيب: المقبل إلى طاعة الله"[2].
عن مجاهد وعكرمة، قالا: المنيب: المخبت"[3].
قال قتادة:" الله يثني عليه :{إن إبراهيم لحليم أواه منيب}، و«المنيب»: التائب"[4].
عن مجاهد: "{أوّاه منيب}، قال: القانت: الرَّجاع"[5].

الفوائد:

١- فضيلة خلق الحلم.

٢- أن صفة «الحلم» من الصفات التي اختلف فيها المتكلمون، هل هي صفات فعل أو صفات معنى؟ قيل: أنها صفات معان قائمة بذات الله - جلّ وعلا –

فإنه وصف نفسه - سبحانه - بالحلم، قال: {ليدخلنَّهم مدخلاً يرضونه وإنَّ الله لعليم حليمٌ} [الحج: ٥٩] {واعلموا أنَّ الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أنَّ الله غفور حليمٌ} [البقرة: ٢٣٥] ، {قولٌ معروفٌ ومغفرة خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى والله غني حليم ٌ} [البقرة: ٢٦٣] .

ووصف بعض المخلوقين بالحلم، قال: {إنَّ إبراهيم لأوَّاه حليمٌ} [التوبة: ١١٤]، {فبشَّرناه بغلامٍ حليمٍ} [الصافات: ١٠١][6].

٣- فضل الإنابة إلى الله تعالى.

القرآن

{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)} [هود : ٧٦]

التفسير:

قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم؛ فإنه قد حق عليهم العذاب، وجاء أمر ربك الذي قدَّره عليهم بهلاكهم، وإنهم نازل بهم عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع.

قوله تعالى:{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [هود : ٧٦]، أي:" قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم"[7].

قال الطبري:"فقالوا: دع عنك الجدالَ في أمرهم والخصومة فيه"[8].

قال الزمخشري:" أى: قالت له الملائكة أعرض عن هذا الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك، فلا فائدة فيه"[9].

قال كعب:" فكلمهم إبراهيم في أمر قوم لوط إن كان فيهم قالوا يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك"[10].

قوله تعالى:{إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} [هود : ٧٦]، أي:"فإنه قد جاء أمر ربك الذي قدَّره عليهم بهلاكهم"[11].

---

[1] تفسير الطبري:٤٠٦/١٥.
[2]أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٤٦):ص٢٠٥٩/٦ .
[3]أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٤٧):ص٢٠٥٩/٦ .
[4]أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٤٨):ص٢٠٥٩/٦ .
[5] أخرجه الطبري(١٨٣٤٩):ص٤٠٦/١٥.
[6] انظر: العقيدة في الله، عمر بن سليمان الأشقر:٢٣٦.
[7] التفسير الميسر:٢٣٠.
[8] تفسير الطبري:٤٠٧/١٥.
[9] الكشاف:٤١٢/٢.
[10] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٤٩):ص٢٠٥٩/٦.
[11] التفسير الميسر:٢٣٠.

قال الزمخشري:" وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة"[١].

قال الطبري:" يقول: قد جاء أمر ربك بعذابهم. وحقَّ عليهم كلمة العذاب، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء"[٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} [هود : ٧٦]، أي:" وإنهم نازل بهم عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع"[٣].

قال الطبري:" يقول: وإن قوم لوط، نازلٌ بهم عذابٌ من الله غير مدفُوع"[٤].

قال الزمخشري:" والعذاب نازل بالقوم لا محالة، لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك"[٥].

الفوائد:

١- قضاء الله لا يرد أي ما حكم الله به لابد واقع.

٢- يستفاد من قوله تعالى:{ يا إبراهيم اعرض عن هذا}، بيان فضل نبينا محمد المصطفي ﷺ، إذ أن الله عز وجل لم يخاطبه في القرآن قط إلا بالنبي ﷺ أو الرسول أو لم يناده باسمه، بل قال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}، وأما سائر الأنبياء صلوات الله عليهم فإنه دعاهم بأسمائهم، قال تعالى: {يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} [البقرة: ٣٥] ، {واذكر في الكتاب إدريس} [مريم: ٥٦] ، {يا نوح اهبط بسلام منا} [هود: ٤٨] ، {يا إبراهيم أعرض عن هذا} [هود: ٧٦] ، {يا موسى إني اصطفيتك} [الأعراف: ١٤٤] ، {يا داود إنا جعلناك خليفة} [ص: ٢٦] ، {يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي} [المائدة: ١١٠] ، {يا زكريا إنا نبشرك} [مريم: ٧] ، {يا يحيى خذ الكتاب} [مريم: ١٢] ، ودعا نبينا محمدا - ﷺ - بالتعظيم والتفخيم فقال: {يا أيها النبي} [الأنفال: ٦٤] ، {يا أيها الرسول} [المائدة: ٤١] ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} [آل عمران: ١٤٤] ، {محمد رسول الله والذين معه} [الفتح: ٢٩] ، {وآمنوا بما نزل على محمد} [محمد: ٢] ، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله} [الأحزاب: ٤٠] ، ولما ذكر الخليل وسيدنا رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي} [آل عمران: ٦٨] .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:"وكان الأنبياء - عليهم السلام - يجادلون أممهم عن أنفسهم كقول نوح: {إنا لنراك في ضلال} [الأعراف: ٦٠] فقال دافعا عن نفسه: ليس بي ضلالة، وقال قوم هود: {إنا لنراك في سفاهة} [الأعراف: ٦٦] ، فقال: {ليس بي سفاهة} [الأعراف: ٦٧] ، وقال فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورا، فقال موسى: إني لأظنك يا فرعون مثبورا أي مصروفا عن الحق مطبوعا على قلبك، وأما نبينا - ﷺ - فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا: هذا شاعر. قال الله تعالى: {وما علمناه الشعر} [يس: ٦٩] ، ولما قالوا: كاهن. قال الله تعالى: (ولا هو بقول كاهن) ، وقالوا: ضل. فقال: {ما ضل صاحبكم وما غوى} [النجم: ٢] ، وقالوا: مجنون. فقال: {ما أنت بنعمة ربك بمجنون} [القلم: ٢] حتى قال تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} [النور: ٦٣]"[٦].

---

[١] الكشاف:٤١٢/٢.

[٢] تفسير الطبري:٤٠٧/١٥.

[٣] التفسير الميسر:٢٣٠.

[٤] تفسير الطبري:٤٠٧/١٥.

[٥] الكشاف:٤١٢/٢.

[٦] نقلا عن: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:٢٩٧/٢.

قال الواحدي: علمهم الله فضل النبي ﷺ على سائر البرية في المخاطبة، وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه: يا محمد، يا ابن عبد الله، كما يدعو بعضهم بعضا، قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، في لين وتواضع وخفض صوت"[١].

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)} [هود : ٧٧]

التفسير:

ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ساءه مجيئهم واغتمَّ لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه، وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ} [هود : ٧٧]، أي:" ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ساءه مجيئهم"[٢].

قال ابن عباس:" يقول: ساء ظنًا بقومه"[٣].

قال كعب:" ساء مكانهم لما رأى منهم من الحال"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطًا، ساءَه مَجيئهم"[٥].

قال مقاتل:" {ولما جاءت رسلنا}: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، {لوطا سيء بهم}، يعني: كرههم لصنيع قومه بالرجال مخافة أن يفضحوهم "[٦].

قال البيضاوي:" لأنهم جاءوه في صورة غلمان فظن أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم"[٧].

قال الزمخشري:" كانت مساءة لوط وضيق ذرعه، لأنه حسب أنهم إنس، فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم. روى أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا، يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد، فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها"[٨].

قال حذيفة: "لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهدَ لوط. قال: فأتوه فقالوا: إنا مُتَضيِّفوك الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعةً التفت فقال: أما تعلمون ما يعمَل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسًا أخبث منهم! قال: فمضى معهم. ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم. فلما بصرت بهم عجوزُ السَّوْء امرأته، انطلَقت فأنذرتهم"[٩].

قال قتادة:" أتت الملائكة لوطًا وهو في مزرعة له، وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات فقد أذنت لكم في هَلكتهم. فقالوا: يا لوط، إنا نريد أن نُضيِّفك الليلة. فقال: وما بلغكم من أمرهم؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قرية في الأرض عملا! يقول ذلك أربع مرات، فشهد عليهم لوط أربع شهادات، فدخلوا معه منزله"[١٠].

---

[١] التفسير الوسيط:٣٣١/٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٣] أخرجه الطبري(١٨٣٥٠):٤٠٨/١٥.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٥٤):ص٢٠٦١/٦.
[٥] تفسير الطبري:٤٠٧/١٥.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٢/٢.
[٧] تفسير البيضاوي:١٤٢/٣.
[٨] الكشاف:٤١٣/٢.
[٩] أخرجه الطبري(١٨٣٥١):ص٤٠٨/١٥.
[١٠] أخرجه الطبري(١٨٣٥٢):ص٤٠٨/١٥.

قوله تعالى:{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [هود : ٧٧]، أي:" ضاق صدره بمجيئهم خشيةً عليهم من قومه الأشرار"[١].

قال ابن عباس:" وضاق ذرعًا بأضيافه"[٢].

قال الطبري:" يقول: وضاقت نفسه غما بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه"[٣].

قال البيضاوي:" وضاق بمكانهم صدره، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه"[٤].

قال ابن إسحاق:" خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة، فلما جاءت الرسل لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا، وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحُوه في ضيفه، فقال: {هذا يوم عصيبٌ}"[٥].

يقول ابن كثير: " تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر"[٦].

قوله تعالى:{وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود : ٧٧]، أي:" وقال: هذا يوم بلاء وشدة"[٧].

وقال مقاتل:" وقال جبريل {هذا يوم عصيب} يعنى: فظيع فاش شره عليهم"[٨].

قال الزمخشري:" يقال: يوم عصيب، وعصبصب، إذا كان شديدا من قولك: عصبه، إذا شده"[٩].

قال الطبري:أي: " وقال لوط: هذا اليوم يوم شديد شره، عظيم بلاؤه، يقال منه: عصب يومنا هذا يعصب عصبًا، ومنه قول عدي بن زيد[١٠]:

وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيب

وقول الراجز[١١]:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأَبْطَالا ... عَصْبَ القَوِيِّ السَّلَمَ الطِّوَالا

وقول الآخر[١٢]:

---

[١] صفوة التفاسير:٢٣/٢.

[٢] أخرجه الطبري(١٨٣٥٠):٤٠٨/١٥.

[٣] تفسير الطبري:٤٠٧/١٥.

[٤] تفسير البيضاوي:١٤٢/٣.

[٥] أخرجه الطبري(١٨٣٥٥):ص٤٠٩/١٥.

[٦]البداية والنهاية: ٤٣/١.

[٧] التفسير الميسر:٢٣٠.

[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٢/٢.

[٩] الكشاف:٤١٣/٢.

[١٠]الأغاني ٢: ١١١، مجاز القرآن ١: ٢٩٤، اللسان (سلك). من قصيدة له طويلة، قالها وهو في حبس النعمان بن المنذر، يقول للنعمان قبله: سَعَى الأَعْدَاءُ لاَ يَأْلُونَ شَرًّا ... عَلَيَّ وَربِّ مَكَّةَ والصَّلِيبِ
أَرَادُوا كي تُمَهَّلَ عَنْ عَدِيٍّ ... لِيُسْجَنَ أَو يُدَهْدَهَ فِي القَلِيبِ
وَكُنْتُ لِزازَ خَصْمِكَ. . . ..
أُعَالِنُهُم وأُبْطِنُ كُلَّ سِرٍّ ... كَمَا بَيْنَ اللِّحَاءِ إِلَى العَسِيبِ
فَفُزْتُ عَلَيْهِمْ لَمّا الْتَقَيْنَا ... بِتَاجِكَ فَوْزَةَ القِدْحِ الأرِيبِ
" دهدهه "، دحرجه من علو إلى سفل، و " القليب "، البئر، إنما عنى القبر هنا. و " لزاز الخصم "، الشديد المعاند ذو البأس في الملمات. و"عرد عن خصمه"، أحجم ونكص. وكان في المطبوعة هنا " أعدد "، وفي المخطوطة: " أعود "، والصواب ما أثبت. و" اللحاء " قشر العود، و " العسيب " جريد النخل، يقول: سرك كما بين هذين، يعني خفي لا يرى. و" القدح الأريب " من قداح الميسر، هو القدح ذو الآراب الكثيرة، و"الآراب" أعضاء الجذور.

[١١]لم أعرف قائله، وهو في مجاز القرآن ١/ ٢٩٤، وتفسير الطبري:٤١٠/١٥.

[١٢]لم أعرف قائله، وهو في مجاز القرآن ١/ ٢٩٤، وتفسير الطبري:٤١٠/١٥.

وَإِنَّكَ إنْ لا تُرْضِ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ   يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بالعِرَاقِ عَصِيبِ

وقال كعب بن جعيل[1]:

ومُلَبُّونَ بِالحَضِيضِ فِئَامٌ   عَارِفاتٌ مِنْهُ بِيَوْمٍ عَصِيب"[2]

عن ابن عباس، قوله: "{وقال هذا يوم عصيب}، أي: يوم شديد"[3].

عن مجاهد: "{عصيب}: شديد"[4].

عن قتادة قال: "{هذا يوم عصيب}، يقول: شديد"[5].

عن ابن إسحاق قال: "{هذا يوم عصيب}، أي: يوم بلاء وشدة"[6].

عن جعفر :"{وقال هذا يوم عصيب}، قال: يوم سيء من قومي"[7].

عن محمد بن كعب القرظي:"{وقال هذا يوم عصيب}، قال: يعصب شره"[8].

قال السدي:" خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سَدُوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى "ريثا"، والصغرى "زغرتا"، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فَمكانَكم لا تدخُلوا حتى آتيكم! فَرِقَتْ عليهم من قَوْمها. فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسنَ منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم! وقد كان قومه نهوه أن يُضيف رجلا فقالوا: خَلِّ عنَّا فلنضِف الرجال! فجاء بهم، فلم يعلم أحدٌ إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قَطّ! فجاءه قومه يُهْرَعون إليه"[9].

عن عبد الرحمن بن بشر الأنصاري :"أن رسول الله ﷺ قال إن الناس كانوا قد أنذروا قوم لوط فجاءتهم الملائكة عشية فمروا بناديهم فقال قوم لوط بعضهم لبعض: لا تنفروهم ولم يروا قوما قط أحسن من الملائكة فلما دخلوا على لوط حاز قوم لوط نحو السماطين فخرج إليهم لوط فراوده، عن ضيفه فلم يزل بهم حتى عرض عليهم بناته فأبوا فدخلوا بيته فقالت الملائكة: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك قال: رسل ربي قالوا: نعم قال: لوط فالآن إذا"[10].

الفوائد:

١- أن المراد من قوله«يوم عصيب» الوصف وهذا جائ ولا يسمى سب الدهر المنهي عنه.

٢- تشكل الملائكة على صورة البشر، وقد خاض بعض أهل العلم في كيفية تشكل الملائكة بنظرة عقلية مجردة، فجاؤوا بكلام غث، وما كان أغناهم عن الخوض في هذا المبحث الغيبي، فالله أعلمنا بتشكلهم، ولم يعلمنا بكيفية ذلك، وكان يسع هؤلاء ما وسع رسول الله وأصحابه من بعده، فيقفوا حيث وقفوا، وإن شئت أن ترى شيئاً من كلام من تكلم في هذا الموضوع، فارجع إلى كتاب السيوطي: «الحبائك في أخبار الملائك»[11].

---

[1] لم أعرف قائله، وهو في تفسير الطبري:٤١٠/١٥. قال السيد محمد شاكر:" وكأن هذا البيت من شعره الذي رثى به عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وروى أبياتا منه المصعب الزبيري في نسب قريش ص: ٣٢٥، وكان كعب بن جعيل مداحًا له".

[2] تفسير الطبري:٤٠٩/١٥-٤١٠.

[3] أخرجه الطبري(١٨٣٦٠):ص٤١١/١٥.

[4] أخرجه الطبري(١٨٣٥٦):ص٤١١/١٥.

[5] أخرجه الطبري(١٨٣٥٧):ص٤١١/١٥.

[6] أخرجه الطبري(١٨٣٥٨):ص٤١١/١٥.

[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٥٧):ص٢٠٦١/٦.

[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٥٨):ص٢٠٦١/٦.

[9] أخرجه الطبري(١٨٣٥٤):ص٤٠٨/١٥-٤٠٩.

[10] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٥٠):ص٢٠٦٠/٦.

[11] ص: ٢٦١.

القرآن
{وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)} [هود : ٧٨]
التفسير:
وجاء قومُ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا مِن قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تَزَوَّجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون، وسماهن بناته؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فاخشوا الله واحذروا عقابه، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبينها، فإهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة؟

قوله تعالى:{وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} [هود : ٧٨]، أي:" وجاء قومُ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة"[١].

قال الزمخشري:" {يهرعون}: يسرعون كأنما يدفعون دفعا"[٢].

قوله تعالى:{وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} [هود : ٧٨]، أي:" ، وكانوا مِن قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء"[٣].

قال الزمخشري:" ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها، فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها، فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء. وقيل معناه: وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك"[٤].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [هود : ٧٨]، أي:" فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تَزَوَّجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون"[٥].

عن كعب :"{هؤلاء بناتي هن أطهر لكم}، قال: تزوجوهن"[٦].

قال سعيد بن جبير:" إنما دعاهم إلى نسائهم قال: وكل نبي هو أبو أمته وكان في بعض القراءة :«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»"[٧].

وقوله تعالى:{ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي}[هود : ٧٨]، فيهن قولان:
أحدهما : أنه أراد نساء أمته ولم يرد بنات نفسه. قاله مجاهد[٨].

قال مجاهد:" لم يكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته"[٩].

وقال سعيد بن جبير :" إنما دعاهم إلى نسائهم قال: وكل نبي هو أبو أمته وكان في بعض القراءة :«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»"[١٠].
الثاني : أنه أراد بنات نفسه وأولاد صلبه لأن أمره فيهن أنفذ من أمره في غيرهن ، وهو معنى قول حذيفة بن اليمان[١١].

قال حذيفة بن اليمان:" عرض بناته عليهم تزويجا وأراد نبي الله ﷺ إن يفي بتزويج بناته"[١٢].

فإن قيل : كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته ؟

---

(١) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٢) الكشاف:٤١٣/٢.
(٣) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٤) الكشاف:٤١٣/٢.
(٥) التفسير الميسر:٢٣٠.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٥):ص٢٠٦٢/٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٧):ص٢٠٦٢/٦. والآية في [سورة الأحزاب : ٦].
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠٦٦):ص٢٠٦٢/٦.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٦):ص٢٠٦٢/٦.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٦٧):ص٢٠٦٢/٦. والآية في [سورة الأحزاب : ٦].
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٠٦٩):ص٢٠٦٣/٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٦٩):ص٢٠٦٣/٦.

قيل عن هذا ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة ، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتى نسخ ، قاله الحسن[1].

قال الزمخشري:" أراد أن يقي أضيافه ببناته، وذلك غاية الكرم، وأراد: هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا، كما زوج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل[2] قبل الوحى وهما كافران، وقيل كان لهم سيدان مطاعان، فأراد أن يزوجهما ابنتيه"[3].

الثاني : أنه يزوجهم على شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح . ذكره الماوردي[4].

الثالث : أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا بخطبتهن، قاله ابن أبي نجيح[5].

قال الزمخشري:" يجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه[6] مما أوردوا عليه، طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك، فيتركوا فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم"[7].

وقرأ ابن مروان: «هن أطهر لكم»، بالنصب، وضعفه سيبويه وقال: احتبى ابن مروان في لحنه. وعن أبى عمرو بن العلاء: من قرأ «هن أطهر» بالنصب فقد تربع في لحنه، وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في «هؤلاء» من معنى الفعل، كقوله: هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر، كأنه قيل: خذوا هؤلاء، وبناتي: بدل، ويعمل هذا المضمر في الحال، وهن فصل، وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزأى الجملة، ولا يقع بين الحال وذى الحال، وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا، وذلك أن يكون «هؤلاء» مبتدأ و«بناتي هن» جملة في موضع خبر المبتدإ، كقولك: هذا أخى هو، ويكون أطهر حالا[8].

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ} [هود : ٧٨]، أي:" فاخشوا الله واحذروا عقابه"[9].

قال الزمخشري:أي:" بإيثارهن عليهم"[10].

قوله تعالى:{وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} [هود : ٧٨]، أي:" ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي"[11].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٨٨/٢.

(٢) قال المحقق:" قوله «أبو العاص بن وائل» غلط فاحش وإنما هو أبو العاص بن الربيع، ليس في نسبته من اسمه وائل. وكأنه انتقل ذهنه إلى العاص بن وائل السهمي والد عمرو، وليس له في هذه القضية مدخل، وأما قصة تزويج أبى العاص بن الربيع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذا عتبة بن أبى لهب فذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبراني من طريقه قال: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة مالا وأمانة وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بزينب وكان لا يخالفها. وذلك قبل أن ينزل عليه فلما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة آمنت خديجة وبناته وثبت أبو العاص على شركه. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبى لهب بنته رقية. فلما دعا قريشا إلى أمرين قال بعضهم لبعض: قد فرغتم محمدا من همه ببناته. فردوهن عليه فمشوا إلى أبى العاص. فأبى عليهم. ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب. ففارق رقية. وزوجوه بنت سعيد بن العاص. فتزوجها بعده عثمان بن عفان. فذكر قصة أبى العاص وأسره ببدر» وروى البيهقي في الدلائل من طريق قتادة «أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته أم كلثوم في الجاهلية عتبة ابن أبى لهب. ورقية أخاه. فلما جاء الإسلام أمر أبو لهب ولديه فطلقا البنتين".

(٣) الكشاف:٤١٣/٢-٤١٤.

(٤) انظر: النكت والعيون:٤٨٨/٢.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠٦٨):ص٢٠٦٣/٦.

(٦)قوله «لشدة امتعاضه» امتعض من الأمر: غضب منه وشق عليه، كذا في الصحاح.

(٧) الكشاف:٤١٤/٢.

(٨) انظر: الكشاف:٤١٤/٢.

(٩) التفسير الميسر:٢٣٠.

(١٠) الكشاف:٤١٤/٢.

(١١) التفسير الميسر:٢٣٠.

قال الزمخشري: أي:"ولا تهينونى ولا تفضحوني، من الخزي. أو ولا تخجلوني، من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفى فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل، وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة"[1].

قال وهب بن منبه: "فدخلوا على لوط يعني الملائكة فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قوم لم نر قوما أحسن منهم ولا أجمل فتسامعوا بذلك فغشوا دار لوط من كل ناحية تسوروا عليهم الجدران فلقيهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحوني في ضيفي وإني أزوجكم بناتي ف هن أطهر لكم فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهم ولكن لا بد لنا من هؤلاء القوم الذين نزلوا بك، خل بيننا وبينهم"[2].

وقرئ: «ولا تخزون»، بطرح الياء[3].

قوله تعالى:{أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} [هود : ٧٨]، أي:" أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبينها"[4].

قال ابن عباس:" يقول: أليس منكم واحد يقول لا إله إلا الله"[5].

قال أبو مالك:" رجل يأمر بالمعروف وينهى، عن المنكر"[6].

قال الزمخشري: " رجل واحد يهتدى إلى سبيل الحق وفعل الجميل، والكف عن السوء"[7].

الفوائد:

١- فظاعة العادات السيئة وما تحدثه من تغير في الإنسان.

٢- أسوأ الحياة أن لا يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

القرآن

{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)} [هود : ٧٩]

التفسير:

قال قوم لوط له: لقد علمتَ من قبلُ أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

قوله تعالى:{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} [هود : ٧٩]، أي:" قال قوم لوط له: لقد علمتَ من قبلُ أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة"[8].

قال البيضاوي:أي:" من حاجة"[9].

قال السمعاني:" معناه: إنا نريد أدبار الرجال"[10].

عن ابن إسحاق:"{قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق}، أي: من أزواج"[11].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} [هود : ٧٩]، وجهان[12]:

أحدهما: ما لنا في بناتم من حق، أي: حاجة وشهوة.

والثاني: ما لنا في بناتك من حق، أي: من نكاح.

---

[1] الكشاف:٤١٤/٢.

[2] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٧٠):ص٢٠٦٣/٦.

[3] انظر: الكشاف:٤١٤/٢.

[4] التفسير الميسر:٢٣٠.

[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧١):ص٢٠٦٣/٦.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧٢):ص٢٠٦٣/٦.

[7] الكشاف:٤١٤/٢.

[8] التفسير الميسر:٢٣٠.

[9] تفسير البيضاوي:١٤٣/٢.

[10] تفسير السمعاني:٤٤٧/٢.

[11] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠٧٣):ص٢٠٦٣/٦.

[12] انظر: تفسير السمعاني:٤٤٧/٢، وتفسير البغوي:١٩٢/٤.

قال البغوي:" أي: لسن أزواجا لنا فنستحقهن بالنكاح"[١].

قال الثعلبي:" أي: ليس لنا أزواجا نلتصقهن بالتزويج"[٢].

قال الزمخشري:" ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لأنك لا ترى مناكحتنا، وما هو إلا عرض سابرى[٣]، وقيل: لما اتخذوا إتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطؤهم عليه، كان عندهم أنه هو الحق، وأن نكاح الإناث من الباطل، فلذلك قالوا: ما لنا في بناتك من حق قط، لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه. ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة، والغرض نفى الشهوة لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة"[٤].

نقل الماوردي عن ابي مالك:"ولم يؤمن بلوط إلا ابنتاه رقية وهي الكبرى وعروبة وهي الصغرى"[٥].

نقل ابن الجوزي عن مقاتل أن اسمي بنتي لوط-عليه السلام-: ريثا وزعرثا، وعن السدي: رية وعروبة[٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود : ٧٩]، أي:" وأنت تعلم غرضنا"[٧].

قال البيضاوي:" وهو إتيان الذكران"[٨].

قال الثعلبي: أي: "من إتيان الأضياف"[٩].

قال السمعاني:" معناه: إنا نريد أدبار الرجال"[١٠].

قال الطبري:" يقول: قالوا: وإنك يا لوط لتعلم أنَّ حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي نُريد هو ما تنهانَا عنه"[١١].

عن السدي :"{وإنك لتعلم ما نريد}، إنما نريد الرجال"[١٢].

عن محمد بن إسحاق:"{وإنك لتعلم ما نريد}، إن بغيتنا لغير ذلك"[١٣].

وقال الكلبي:" تعلم أننا لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وليس منا رجل إلا له امرأة"[١٤].

القرآن

{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)} [هود : ٨٠]

التفسير:

قال لهم حين أبوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصارًا معي، أو أركَن إلى عشيرة تمنعني منكم، لَحُلْتُ بينكم وبين ما تريدون.

---

[١] تفسير البغوي:١٩٢/٤.

[٢] الكشف والبيان:١٨٢/٥.

[٣]قوله «وما هو إلا عرض سابري» عرض سابري بفتح العين: نوع من الثياب رقيق، منسوب إلى سابور من الأكاسرة، كذا بهامش. وفي الصحاح: عرضت له الشيء. أى: أظهرته له وأبرزته إليه. يقال: عرضت له ثوبا مكان حقه. وفي المثل: عرض سابري، لأنه ثوب جيد يشترى بأول عرض ولا يبالغ فيه.

[٤] الكشاف:٤١٤/٢.

[٥] النكت والعيون:٤٨٧/٢.

[٦] انظر: زاد المسير: ٤/ ١٤١.

[٧] صفوة التفاسير:٢٤/٢.

[٨] تفسير البيضاوي:١٤٣/٢.

[٩] الكشف والبيان:١٨٢/٥.

[١٠] تفسير السمعاني:٤٤٧/٢.

[١١] تفسير الطبري:٤١٧/١٥.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧٤):ص٢٠٦٤/٦.

[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٧٥):ص٢٠٦٤/٦.

[١٤] النكت والعيون:٤٨٩/٢.

قوله تعالى:{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً} [هود : ٨٠]، أي:" لو كان لي قوة أستطيع أن أدفع أذاكم بها"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: {لو أن لي بكم قوة} ، بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني"[٢].

قال الزمخشري:" جواب «لو» محذوف، كقوله تعالى : {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَال} [الرعد : ٣١]، يعنى: لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت. يقال: مالى به قوة، وما لي به طاقة. ونحوه لا قبل لهم بها ومالى به يدان، لأنه في معنى :لا اضطلع به ولا أستقل به. والمعنى: لو قويت عليكم بنفسي"[٣].

قوله تعالى:{أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود : ٨٠]، أي:" ألجأ إلى عشيرة وأنصار تنصرني عليكم"[٤].

قال الطبري:" يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منِّي في أضيافي، وحذف جواب «لو» لدلالة الكلام عليه، وأن معناه مفهوم"[٥].

قال الزمخشري:" جواب «لو» محذوف، كقوله تعالى : {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَال} [الرعد : ٣١]، يعنى: لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت. يقال: مالى به قوة، وما لي به طاقة. ونحوه لا قبل لهم بها ومالى به يدان، لأنه في معنى :لا اضطلع به ولا أستقل به. والمعنى: لو قويت عليكم بنفسي"[٦].

قال الصابوني:" وجواب «لو» محذوف تقديره: لبطشتُ بكم"[٧].

قال الزمخشري:أي:" أو أويت إلى قوى أستند إليه وأتمنع به فيحمينى منكم. فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته، ولذلك قالت الملائكة- وقد وجدت عليه-: إن ركنك لشديد... وروى أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم، فتسوروا الجدار"[٨].

قال وهب بن منبه:" قال لوط: {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد}، فوجد عليه الرسلُ وقالوا: إنَّ ركنَك لشديد!"[٩].

عن السدي: "قال لوط: {قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد}، يقول: إلى جُنْد شديد، لقاتلتكم"[١٠].

عن ابن إسحاق قال: "{لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد}، أي: عشيرة تمنعني أو شيعة تنصرني، لحلت بينكم وبين هذا"[١١].

عن قتادة: "{أو آوى إلى ركن شديد}، قال: العشيرة"[١٢].

عن الحسن: "{أو آوى إلى ركن شديد}، قال: إلى ركن من الناس"[١٣].

---

[١] صفوة التفاسير:٢٤/٢.
[٢] تفسير الطبري:٤١٨/١٥.
[٣] الكشاف:٤١٥/٢.
[٤] صفوة التفاسير:٢٤/٢.
[٥] تفسير الطبري:٤١٨/١٥.
[٦] الكشاف:٤١٥/٢.
[٧] صفوة التفاسير:٢٤/٢.
[٨] الكشاف:٤١٥/٢.
[٩] أخرجه الطبري(١٨٤٠٦):ص٤٢٢/١٥.
[١٠] أخرجه الطبري(١٨٣٨٨):ص٤١٨/١٥.
[١١] أخرجه الطبري(١٨٣٩٣):ص٤١٩/١٥.
[١٢] أخرجه الطبري(١٨٣٨٩):ص٤١٩/١٥.
[١٣] أخرجه الطبري(١٨٣٩١):ص٤١٩/١٥.

قال ابن جريج:" بلغنا أنه لم يبعث نبيٌّ بعد لوط إلا في ثَرْوَة من قومه، حتى النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

عن الحسن قال، قال رسول الله ﷺ: "رحم الله أخي لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، فلأيّ شيء استكان!"[2].

عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحمة الله على لوط، إن كان ليأوي إلى ركن شديد، إذ قال لقومه: {لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد}، ما بعث الله بعدَه من نبيّ إلا في ثَرْوة من قومه، قال محمد: و«الثروة»، الكثرة والمنعة"[3].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال في قوله: "{أو آوى إلى ركن شديد}، قد كان يأوي إلى ركن شديد -يعني الله تبارك وتعالى-. قال رسول الله ﷺ: فما بَعثَ الله بعده من نبيّ إلا في ثَرْوة من قومه"[4].

قال ابن كثير:" وذكروا أن جبريل - عليه السلام - خرج عليهم، فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه، فطمست أعينهم، حتى قيل غارت بالكلية، ولم يبق لها محل ولا أثر ... قال تعالى: وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ [القمر: ٣٧]"[5].

وقرئ «أو آوى» بالنصب بإضمار «أن» كأنه قيل: لو أن لي بكم قوة أو أويا، وقرئ: «إلى ركن»، بضمتين [6].

فوائد الآيتين: [٧٩-٨٠]:

١- إظهار الرغبة في القوة لدفع الشر وإبعاد المكروه ممدوح.

٢- أن قوله عليه السلام: {لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد}، فليس مخالفا لقول رسول الله ﷺ «رحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد»[7]، بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لأن لوطا عليه السلام إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة وأو عشيرة أو اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوي من ربه تعالى إلى أمنع قوة وأشد ركن ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة : ٢٥١]، فهذا الذي طلب لوط عليه السلام وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيف ينكر على لوط أمرا هو فعله عليه السلام تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ وإنما أخبر عليه السلام أن لوطا كان يأوي إلى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك[8].

٣- أنه ليس بشرط أن يكون الرسول ذا سيادة وشرف في قومه، لكن ذلك هو الأكثر، ولا سيما في خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فإنه كان أشرف قومه نسباً؛ لأن الله اصطفى إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاه ﷺ من بني هاشم، فهو كريم من كرام؛ كرام الآباء والأجداد، عليه الصلاة والسلام، ولكن ليس هذا بشرط[9].

---

[1] أخرجه الطبري(١٨٣٩٢):ص١٥/٤١٩.

[2] أخرجه الطبري(١٨٣٩٦):ص١٥/٤١٩.

[3] أخرجه الطبري(١٨٣٩٧):ص١٥/٤١٩-٤٢٠.

[4] أخرجه الطبري(١٨٤٠٢):ص١٥/٤٢١.

[5] البداية والنهاية:١/ ١٦٧.

[6] انظر: الكشاف:٢/٤١٥.

[7] سبق تخريجه في تفسير الآية.

[8] انظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل:٤/٧.

[9] انظر: شرح العقيدة السفارينية: ٥٢٤.

القرآن

{قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)} [هود : ٨١]

التفسير:

قالت الملائكة: يا لوط إنَّا رسل ربك أَرْسَلَنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فاخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه، لكنَّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} [هود : ٨١]، أي:" قالت الملائكة: يا لوط إنَّا رسل ربك أَرْسَلَنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك"[١].

قوله تعالى:{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} [هود : ٨١]، أي:" فاخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل"[٢].

قال الزجاج:" أي: بظلمة من الليل. يقال: معنى قطع من الليل أي قطعة صالحة، وكذلك مضى عنك من الليل، وسعو من الليل"[٣].

قال ابن كثير:" أمروه أن يسري بأهله من آخر الليل ، وأن يتَّبع أدبارهم ، أي : يكون ساقة لأهله"[٤].

ويقرأ: «فأسر» بإثبات الهمزة في " اللفظ، ويقرأ: فاسر يقال أسريت، وسريت إذا سرت ليلا[٥].

قوله تعالى:{وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} [هود : ٨١]، أي:" ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : إذا سمعتما نزل بهم، ولا تهولنَّكم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن استمروا ذاهبين كما أنتم"[٧].

قوله تعالى:{إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ} [هود : ٨١]، أي:" لكنَّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك"[٨].

قال مقاتل:" فالتفتت فأصابها حجر فقتلها"[٩].

قال الطبري:" ولا يلتفت منكم أحد، إلا امرأتك، فإن لوطًا قد أخرجها معه، وإنه نهي لوط ومن معه ممن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته، وأنها التفتت فهلكت لذلك، وقوله: {إنه مصيبها ما أصابهم}، يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب"[١٠].

قال ابن كثير:" {إلا امْرَأَتَكَ} قال الأكثرون : هو استثناء من المثبت وهو قوله:{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ} تقديره {ِلا امْرَأَتَكَ} وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك ؛ لأنه من مثبت فوجب نصبه عندهم، وقال آخرون من القراء والنحاة : هو استثناء من قوله : { وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلا امْرَأَتَكَ } فجَّوزوا الرفع والنصب ، وذكر هؤلاء وغيرهم من الإسرائيليات أنها خرجت معهم ، وأنها لما سمعت الوَجْبَة التفتت وقالت: واقوماه. فجاءها حجر من السماء فقتلها"[١١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٣] معاني القرآن:٦٨/٣-٦٩.
[٤] تفسير ابن كثير:٣٣٨/٤.
[٥] انظر: معاني القرآن:٦٩/٣.
[٦] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٣٨/٤.
[٨] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٣/٢.
[١٠] تفسير الطبري:٤٢٤/١٥.
[١١] تفسير ابن كثير:٣٣٨/٤-٣٣٩.

قوله تعالى:{إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} [هود : ٨١]، أي:" إن موعد هلاكهم الصبح"[١].

قال الطبري:" يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح"[٢].

قوله تعالى:{أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود : ٨١]، أي:" أليس وقت الصبح قريباً؟"[٣].

قال الطبري:" فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم: بلى عجّلوا لهم الهلاك! فقالوا: {أليس الصبح بقريب}، أي: عند الصبح نزولُ العذاب بهم"[٤].

قال مقاتل:" قال لوط لجبريل: عجل علي بهلاكهم الآن فرد عليه جبريل أليس الصبح بقريب؟"[٥].

عن ابن إسحاق: "{أليس الصبح بقريب}، أي: إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه، فامض لما تؤمر"[٦].

قال الماتريدي:" كأن لوطا استبطأ الصبح لعذابهم، فقالوا: {أليس الصبح بقريب}، هذا من لوط لا يحتمل أن يكون قال ذلك وهو بين أظهرهم، ويعلم أن قراه يقلب أعلاها أسفلها، وأسفلها أعلاها، ولكن قال ذلك - والله أعلم - بعدما أخرجوه وأهله من بين أظهرهم، فعند ذلك قال ما قال، واستبطأ وقت نزول العذاب بهم؛ والله أعلم"[٧].

قال ابن كثير:" ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرًا له ؛ لأنه قال لهم : "أهلكوهم الساعة" ، فقالوا : { إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } هذا وقومُ لُوطِ وقُوف على الباب وعُكوف قد جاءوا يُهرعون إليه من كل جانب ، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه ، وهم لا يقبلون منه ، بل يتوعدونه ، فعند ذلك خرج عليهم جبريل ، عليه السلام ، فضرب وجوههم بجناحه ، فطمس أعينهم ، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ } [القمر : ٣٧ - ٣٩]"[٨].

الفوائد:

١- استحباب السير في الليل لما فيه من البركة بقطع المسافات البعيدة بدون تعب.

٢- كراهة التأسف لهلاك الظالمين.

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢)} [هود : ٨٢]

التفسير:

فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلِّب متين، قد صُفَّ بعضها إلى بعض متتابعة.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود : ٨٢]، أي:" فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك"[١٠].

قال ابن كثير:" كان ذلك عند طلوع الشمس"[١١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٠.

[٢] تفسير الطبري:٤٢٤/١٥.

[٣] صفوة التفاسير:٢٤/٢.

[٤] تفسير الطبري:٤٢٤/١٥.

[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٣/٢.

[٦] أخرجه الطبري(١٨٤٠٧):ص٤٢٤/١٥.

[٧] تأويلات أهل السنة:١٦٣/٦.

[٨] تفسير ابن كثير:٣٣٩/٤.

[٩] التفسير الميسر:٢٣٠.

[١٠] تفسير الطبري:٤٣٢/١٥.

[١١] تفسير ابن كثير:٣٤٠/٤.

قوله تعالى:{جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} [هود : ٨٢]، أي:" بهم جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها"[١].

قال مجاهد: "أخذ جبريل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وامتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم"[٢].

قال قتادة:" بلغنا أن جبريل عليه السلام أخذَ بعُرْوة القرية الوُسْطى، ثم ألوَى بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء ضَواغِي كلابهم، ثم دمَّر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم الحجارة، قال قتادة: وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف"[٣].

عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيهم، فاحتملها بجناحه، ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نُباح كلابها وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله: {جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل} ، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات، وكنّ خمس قريات، "صنعة" و"صعوة" "وعثرة"، و"دوما" و"سدوم" -وسدوم هي القرية العظمى -ونجى الله لوطًا ومن معه من أهله، إلا امرأته كانت فيمن هلك"[٤].

قوله تعالى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ} [هود : ٨٢]، أي:" وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلِّب متين، قد صُفَّ بعضها إلى بعض متتابعة"[٥].

وفي قوله تعالى:{ مِنْ سِجِّيلٍ} [هود : ٨٢]، تسعة أقوال:

أحدها : أنه فارسي معرب وهو «سنك وكيل» فالسنك : الحجر ، و«الكيل» الطين، قاله ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، ووهب[٩].

قال الزجاج:" قال الناس في سجيل أقوالا، ففي التفسير أنها من جل وحجارة. وقال أهل اللغة: هو فارسي معرب، والعرب لا تعرف هذا. والذي عندي أنه إذا كان هذا التفسير صحيحا فهو فارسي أعرب لأن الله - جل وعز - قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط، فقال: {لنرسل عليهم حجارة من طين} فقد تبين للعرب ما عني بـ سجيل، ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب، نحو: جاموس وديباج. فلا أنكر أن هذا مما أعرب"[١٠].

الثاني : فارسية ونبطية: «سج»، «إيل». قاله سعيد بن جبير[١١].

قال الطبري:" فذهب سعيد بن جبير في ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية "جل " لا "إيل"، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان "سِجْل " لا "سجيل"، لأن الحجر بالفارسية يدعى "سج "والطين "جل"، فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية"[١٢].

الثالث: أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء ، ذكره ابن عيسى[١٣].

الرابع : أنه الحجارة الصلبة الشديدة ، قاله أبو عبيدة[١٤]، وأنشد قول ابن مقبل[١]:

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٢] أخرجه الطبري(١٨٤٥٨):ص١٥/٤٤٠.
[٣] أخرجه الطبري(١٨٤٦٢):ص١٥/٤٤١.
[٤] أخرجه الطبري(١٨٤٦٦):ص١٥/٤٤٢-٤٤٣.
[٥] التفسير الميسر:٢٣٠.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٢)، (١٨٤٣٣):ص١٥/٤٣٣-٤٣٤.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٤)-(١٨٤٢٧):ص١٥/٤٣٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٨):ص١٥/٤٣٣.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣١):ص١٥/٤٣٣.
[١٠] معاني القرآن:٣/٧٠.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٥):ص١٥/٤٣٦.
[١٢] تفسير الطبري:١٥/٤٣٦.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٢/٤٩٢.
[١٤] انظر: معاني القرآن:١/٢٩٦.

وَرَجْلةً يَضْرِبُونَ البَيْضَ عَنْ عُرُض ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلا

إلا أن النون قلبت لاماً .

الخامس : من سجيل، يعني: من سماء الدنيا، والسماء الدنيا اسمها «سجيل»، قاله ابن زيد[٢].

السادس : {من سجيل} من جهنم، واسمها «سجين» فقلبت النون لاماً[٣].

السابع : {أن السجيل} من «السجل»، وهو «الكتاب»، وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها ، وفي التنزيل{كلا إن كتاب الفجار لفي سجين. وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم } [المطففين : ٧ - ٩][٤].

الثامن : أنه «فِعّيل» من السجل وهو الإرسال ، يقال: أسجلته، أي: أرسلته ، ومنه سمي الدلو سجلاً لإرساله فكان السجل هو المرسل عليهم. حكاه الطبري عن آخرين[٥].

التاسع : أنه مأخوذ من «السجل» الذي هو «العطاء»، يقال: سجلت له سجلاً من العطاء ، فكأنه قال سُجلوا البلاء، أي: أعطوه. حكاه الطبري عن آخرين[٦].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤]"[٧].

وفي معنى قوله تعالى: {مَنْضُودٍ} [هود : ٨٢]، قولان:

أحدهما : قد نُضّد بعضه على بعض ، قال الربيع بن انس[٨].

وروي عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله: "أما قوله: {منضود}، فإنها في السماء منضودة: معدَّة، وهي من عُدَّة الله التي أعَدَّ للظلمة"[٩].

الثاني : مصفوف ، قاله قتادة[١٠]، وعكرمة[١١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس، وذلك أن قوله: {منضود} من نعت "سجيل"، لا من نعت "الحجارة"، وإنما أمطر القوم حجارة من طين، صفة ذلك الطين أنه نُضِد بعضه إلى بعض، فصُيِّر حجارة، ولم يُمطَرُوا الطين، فيكونَ موصوفًا بأنه تتابع على القوم بمجيئه، وإنما كان جائزًا أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل لو كان التنزيل بالنصب "منضودةً"، فيكون من نعت "الحجارة " حينئذ"[١٢].

القرآن

{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)} [هود : ٨٣]

التفسير:

أن هذه الحجارة التي أمطروا بها من السماء كانت معلَّمة ومميزة عند الله بما يدل على أَنها ليست من حجارة الأرض وأنه - سبحانه - أعدّها لعذاب هؤلاء، وليست تلك الحجارة الموصوفة بما ذكر ببعيدة من غيرهم من كل ظالم يأثَم إثمهم ويظلم ظلمهم.

---

[١]مجاز القرآن ١: ٢٩٦، ومنتهى الطلب: ٤٤، والمعاني الكبير: ٩٩١، واللسان (سجن) ، وغيرها.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٤):ص٤٣٤/١٥.

[٣] انظر: النكت والعيون:٤٩٣/٢.

[٤] انظر: النكت والعيون:٤٩٣/٢.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.

[٧] تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٨):ص٤٣٦/١٥.

[٩] أخرجه الطبري(١٨٤٣٩):ص٤٣٧/١٥.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٦)، و(١٨٤٣٧):ص٤٣٦/١٥.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٦):ص٤٣٦/١٥.

[١٢] تفسير الطبري:٤٣٧/١٥.

قوله تعالى:{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ} [هود : ٨٣]، أي:" أن هذه الحجارة التي أمطروا بها من السماء كانت معلَّمة ومميزة عند الله بما يدل على أنها ليست من حجارة الأرض وأنه - سبحانه - أعدّها لعذاب هؤلاء[١].

قال أبو عبيدة:" أي: معلمة بالسيماء وكانت عليها أمثال الخواتيم"[٢].

قال الطبري:" يقول: معلمة عند الله، أعلمها الله"[٣].

قال ابن كثير:" أي: مُعْلَمَة مختومة ، عليها أسماء أصحابها ، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه... وذكروا أنها نزلت على أهل البلد ، وعلى المتفرقين في القرى مما حولها ، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدّث ، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس ، فدّمره ، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد ، حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد "[٤].

عن ابن عباس قوله: "{مسومة}، يقول معلمة"[٥].

عن مجاهد: "{مسوّمة}، قال: معلمة"[٦].

وفي علامتها أقوال:

أحدها : أنها كانت مختمة، على كل حجر منها اسم صاحبه[٧].

عن السدي: "{مسومة} قال: «المسومة»، المختَّمة"[٨].

الثاني : معلمة ببياض في حمرة ، على قول ابن عباس[٩].

وعن قتادة، قوله: "{مسومة}، حدثني من رآها أنها حجارة مطوقة عليها نصح من حمرة ليست كحجارتكم هذه"[١٠].

والثالث: مطوقة بسواد وحمرة. قاله قتادة[١١].

والرابع: عليها سيما خطوط. قاله الربيع[١٢].

وفي قوله تعالى:{ عِنْدَ رَبِّكَ} [هود : ٨٣]، وجهان:

أحدهما : في علم ربك ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٣].

الثاني : في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره[١٤].

قوله تعالى:{وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٣]، أي:" وليست تلك الحجارة الموصوفة بما ذكر ببعيدة من غيرهم من كل ظالم يأثَم إثمهم ويظلم ظلمهم[١٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره متهددًا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم"[١٦].

عن مجاهد، في قوله: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، قال: أن يصيبهم ما أصاب القوم"[١]. وفي رواية أخرى:" يُرْهِب بها من يشاء"[٢]. وفي رواية :" يرهب بها قريش"[٣].

---

[١] انظر: التفسير الوسيط:٢٣٢/٤.
[٢] مجاز القرآن:٢٩٧/١.
[٣] تفسير الطبري:٤٣٧/١٥.
[٤] تفسير ابن كثير:٣٤٠/٤-٣٤١.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٠٧):ص٢٠٦٩/٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٨٤٤٠):ص٤٣٧/١٥.
[٧] انظر: النكت والعيون:٤٩٣/٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٤٤٧):ص٤٣٨/١٥.
[٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٠٨):ص٢٠٦٩/٦.
[١٠] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٠٩):ص٢٠٦٩/٦.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١١٠):ص٢٠٦٩/٦.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١١١):ص٢٠٦٩/٦.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٤٩٤/٢.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٤٩٤/٢.
[١٥] انظر: التفسير الوسيط:٢٣٢/٤.
[١٦] تفسير الطبري:٤٣٨/١٥.

وعن قتادة: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، يقول: ما أجار الله منها ظالمًا بعد قوم لوط"[٤].

وعن قتادة وعكرمة: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، يقول: لم يترك منها ظالمًا بعدهم"[٥].

عن قتادة أيضا: في قوله: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، قال: يعني ظالمي هذه الأمة. قال: والله ما أجارَ منها ظالمًا بعدُ! "[٦].

عن السدي: "{وما هي من الظالمين ببعيد}، يقول: من ظَلَمة العرب، إن لم يتوبوا فيعذّبوا بها"[٧].

عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله قال: "يقول: {وما هي من الظالمين ببعيد}، من ظلمة أمتك ببعيد، فلا يأمنها منهم ظالم"[٨].

فوائد الآيتين:[٨٢-٨٣]:

١- مظاهر قدرة الله تعالى في قلب أربع مدن في ساعة فكان الأعلى أسفل٤ والأسفل أعلى.

٢- وعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها.

القرآن

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤)} [هود : ٨٤]

التفسير:

وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيبًا، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم مِن إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم، إني أراكم في سَعَة عيش، وإني أخاف عليكم -بسبب إنقاص المكيال والميزان- عذاب يوم يحيط بكم.

قوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [هود : ٨٤]، أي:" وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيبًا"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى وَلَد مدين أخاهم شعيبًا"[١٠].

قال السدي:" إن الله تبارك وتعالى بعث شعيبا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة، والأيكة هي الغيضة من الشجر"[١١].

وفي تسميتهم بذلك قولان[١٢]:

أحدهما : لأنهم بنو مدين بن إبراهيم ، فقيل مدين والمراد بنو مدين ، كما يقال: مضر، والمراد: بنو مضر.

الثاني : أن «مدين»: اسم مدينتهم، فنسبوا إليها ثم اقتصر على اسم المدينة تخفيفاً .

ثم فيه وجهان[١]:

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٤٤٨):ص٤٣٩/١٥.

[٢] أخرجه الطبري(١٨٤٤٩):ص٤٣٩/١٥.

[٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١١٣):ص٢٠٦٩/٦.

[٤] أخرجه الطبري(١٨٤٥٣):ص٤٣٩/١٥.

[٥] أخرجه الطبري(١٨٤٥٤):ص٤٣٩/١٥.

[٦] أخرجه الطبري(١٨٤٥٥):ص٤٣٩/١٥.

[٧] أخرجه الطبري(١٨٤٥٦):ص٤٤٠/١٥.

[٨] أخرجه الطبري(١٨٤٥٧):ص٤٤٠/١٥.

[٩] التفسير الميسر:٢٣١.

[١٠] تفسير الطبري:٤٤٣/١٥.

[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٠٥):ص١٥١٩/٦، و(١١١١٩):ص٢٠٧٠/٦.

[١٢] انظر: النكت والعيون:٤٩٤/٢.

أحدهما : أنه اسم أعجمي .
الثاني : أنه اسم عربي وفي اشتقاقه وجهان[٢]:
أحدهما : أنه من قولهم :مدن بالمكان إذا أقام فيه ، والياء زائدة ، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة .
الثاني : أنه مشتق من قولهم: دَيَنْت، أي: ملكت والميم زائدمة ، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل
وأما «شعيب» فتصغير «شعب»، وفيه ثلاثة وجوه[٣]:
أحدها : أنه الطريق في الجبل .
الثاني : أنه القبيلة العظيمة .
الثالث : أنه مأخوذ من: شَعْب الإناء المكسور .

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [هود : ٨٤]، أي:" فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم مِن إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"[٤].

قال الطبري:" يقول: أطيعوه، وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه، ما لكم من معبود سواه يستحقّ عليكم العبادة غيره"[٥].

قوله تعالى:{وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} [هود : ٨٤]، أي:" ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم"[٦].

قال الطبري:" يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم"[٧].

قال السدي:" إن الله بعث شعيبا إلى مدين فكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله في القرآن وما ردوا عليه، فلما عتوا وكذبوا سألوه العذاب"[٨].

قال خلف بن حوشب: "هلك قوم شعيب من شعيرة إلى شعيرة كانوا يأخذون بالرزينة ويعطون بالخفيفة"[٩].

قوله تعالى:{إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} [هود : ٨٤]، أي:" إني أراكم في سَعَة عيش"[١٠].

وفي قوله تعالى:{إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} [هود : ٨٤]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه رخص السعر ، قاله ابن عباس[١١]، والحسن[١٢].
الثاني : أنه المال وزينة الدنيا ، قال قتادة[١٣]، وابن زيد[١٤].
والثالث: أنه الخصب والكسب. أفاده الماوردي[١٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله: {إني أراكم بخير}، يعني بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر، ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك

---

[١] انظر: النكت والعيون:٤٩٤/٢.
[٢] انظر: النكت والعيون:٤٩٤/٢-٤٩٥.
[٣] انظر النكت والعيون:٤٩٥/٢.
[٤] التفسير الميسر:٢٣١.
[٥] تفسير الطبري:٤٤٣/١٥.
[٦] التفسير الميسر:٢٣١.
[٧] تفسير الطبري:٤٤٣/١٥.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢١):ص٢٠٧٠/٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٠):ص٢٠٧٠/٦.
[١٠] التفسير الميسر:٢٣١.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٦٧):ص٤٤٤/١٥.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٦٨):ص٤٤٤/١٥.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٧٠):ص٤٤٤/١٥.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٧٢):ص٤٤٤/١٥.
[١٥] انظر: النكت والعيون:٤٩٥/٢.

على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها، وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم، فقد وَسَّع الله عليكم رزقكم"[١].

قوله تعالى:{وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ} [هود : ٨٤]، أي:" وإني أخاف عليكم -بسبب إنقاص المكيال والميزان- عذاب يوم يحيط بكم"[٢].

قال الطبري:" بمخالفتكم أمر الله، وبَخْسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم، {عذاب يوم محيط}، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه. فجعل "المحيط" نعتًا لليوم، وهو من نعت «العذاب»، إذ كان مفهومًا معناه، وكان العذاب في اليوم، فصار كقولهم: «بعْض جُبَّتِك محترقة»"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ} [هود : ٨٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : غلاء السعر، وهو مقتضى قول ابن عباس[٤]، والحسن[٥].

الثاني : عذاب الاستصال في الدنيا[٦].

الثالث : عذاب النار بالآخرة[٧].

الفوائد:

١- وحدة دعوة الرسل وهي البداية بتوحيد الله تعالى أولا ثم الأمر والنهي لإكمال الإنسان وإسعاده بعد نجاته من الخسران.

فإن الرسل من أولهم إلى آخرهم إنما بعثوا بإخلاص العبادة لله تعالى والنهي عن عبادة كل ما سواه وهذا هو التوحيد الذي جحدته الأمم وهو الذي خلق الله له الخليقة من الثقلين كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

٢- حرمة نقص الكيل والوزن أشد حرمة.

٣- وجوب الرضا بالحلال وإن قل، وسخط الحرام وإن كثر.

القرآن

{وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)} [هود : ٨٥]

التفسير:

ويا قوم أتمُّوا المكيال والميزان بالعدل، ولا تُنْقِصوا الناس حقهم في عموم أشيائهم، ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [هود : ٨٥]، أي:" ويا قوم أتمُّوا المكيال والميزان بالعدل"[٨].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: أتموا الكيل والوزن بالقسط يقول: بالعدل"[٩].

عن ابن عباس في قوله: "{بالقسط}، يعني: بالعدل"[١٠].

---

[١] تفسير الطبري:١٥/٤٤٥.
[٢] التفسير الميسر:٢٣١.
[٣] تفسير الطبري:١٥/٤٤٥.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٦٧):ص١٥/٤٤٤.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٤٦٨):ص١٥/٤٤٤.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢/٤٩٥.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢/٤٩٥.
[٨] التفسير الميسر:٢٣١.
[٩] بحر العلوم:٢/١٦٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٤):ص٦/٢٠٧١.

قوله تعالى:{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [هود : ٨٥]، أي:" ولا تُنْقِصوا الناس حقهم في عموم أشيائهم"[١].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: لا تنقصوا الناس حقوقهم"[٢].

قال ابن عباس:" لا تظلموا الناس أشياءهم"[٣]. وروي، عن قتادة والسدي نحو ذلك[٤].

وقال ابن زيد:" لا تنقصوهم: يسمي له شيئا ثم يعطيه غير ذلك"[٥].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [هود : ٨٥]، أي:" ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد"[٦].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: لا تسعوا في الأرض بالفساد والمعاصي، ونقصان الكيل والوزن"[٧].

قال قتادة:" لا تسيروا في الأرض مفسدين"[٨].

قال أبو مالك:" لا تمشوا بالمعاصي"[٩].

عن ابن عباس، قوله: "{ولا تعثوا في الأرض}، يقول: لا تسعوا في الأرض"[١٠].

القرآن

{بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)} [هود : ٨٦]

التفسير:

إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم ممَّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب الحرام، إن كنتم تؤمنون بالله حقا، فامتثلوا أمره، وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم.

قوله تعالى:{بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} [هود : ٨٦]، أي:" إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم ممَّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب الحرام"[١١].

قال أبو الليث السمرقندي :"يقال: ثواب الله خير لكم في الآخرة"[١٢].

قال الفراء:" يقول: ما أبقى لكم من الحلال خير لكم، ويقال بقية الله خير لكم أي مراقبة الله خير لكم"[١٣].

قال الزجاج:" عناه طاعة الله {خير لكم إن كنتم مؤمنين}، ويجوز أن يكون معناه الحال التي تبقى لكم من الخير خير لكم"[١٤].

عن مجاهد: {بقيت الله خير لكم}، قال: طاعة الله"[١٥].

وقال قتادة:" يقول: حظكم من ربكم خير لكم"[١٦].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣١.
[٢] بحر العلوم:١٦٦/٢.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٥):ص٢٠٧١/٦.
[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٧١/٦.. حكاه دون ذكر الإسناد.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٦):ص٢٠٧١/٦.
[٦] التفسير الميسر:٢٣١.
[٧] بحر العلوم:١٦٦/٢.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٨):ص٢٠٧١/٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٩):ص٢٠٧٢/٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٢٧):ص٢٠٧١/٦.
[١١] التفسير الميسر:٢٣١.
[١٢] بحر العلوم:١٦٦/٢.
[١٣] معاني القرآن:٢٥/٢.
[١٤] معاني القرآن:٧٢/٣.
[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٠):ص١٠٧٢/٦.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣١):ص١٠٧٢/٦.

وقال الربيع بن أنس:" وصية الله خير لكم"[1].
وقال الحسن:" رزق الله خير لكم من بخسكم الناس"[2].
قال ابن زيد:" الهلاك في العذاب والبقية في الرحمة"[3].
قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [هود : ٨٦]، أي:" إن كنتم تؤمنون بالله حقا، فامتثلوا أمره"[4].
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: مصدقين، فصدقوني فيما أقول لكم"[5].
قوله تعالى:{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [هود : ٨٦]، أي:" وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم"[6].
قال أبو الليث السمرقندي :" يعني: رقيبا ووكيلا، وإنما علي البلاغ"[7].
وفي قوله تعالى:{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [هود : ٨٦]، ثلاثة وجوه[8]:
أحدها : حفيظ من عذاب الله تعالى أن ينالكم .
الثاني : حفيظ لنعم الله تعالى أن تزول عنكم .
الثالث : حفيظ من البخس والتطفيف إن لم تطيعوا فيه ربكم .
فوائد الآيتين:[٨٥-٨٦]
١- حرمة بخس الناس حقوقهم كأجور العمال، وأسعار البضائع ونحو ذلك.
٢- حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد وأعظمه تعطيل شرائع الله تعالى.
٣- ومن الفوائد: أن"بقيت"، رسمت هكذا في موضع واحد هو {بَقِيَّت اللَّهِ خَيْرٌ لَكُم} [هود:٨٦]، وما عداه بالهاء مثل: {أُولُو بَقِيَّة} [هود: ١١٦] {بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى} البقرة.

القرآن
{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)} [هود : ٨٧]
التفسير:
قالوا: يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبده آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟ وقالوا -استهزاءً به-: إنك لأنت الحليم الرشيد.
قوله تعالى:{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود : ٨٧]، أي:" قالوا: يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبده آباؤنا من الأصنام والأوثان"[9].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب: يا شعيب، أصَلواتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام"[10].
قال الزجاج:" هذا دليل أنهم كانوا يعبدون غير الله - جل وعز –"[11].

---
[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٢):ص١٠٧٢/٦.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٣):ص١٠٧٢/٦.
[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٤):ص١٠٧٢/٦.
[4] التفسير الميسر:٢٣١.
[5] بحر العلوم:١٦٦/٢.
[6] التفسير الميسر:٢٣١.
[7] بحر العلوم:١٦٦/٢.
[8] انظر: النكت والعيون:٤٩٦/٢.
[9] التفسير الميسر:٢٣١.
[10] تفسيرالطبري:٤٥٠/١٥.
[11] معاني القرآن:٧٢/٣.

وفي قوله تعالى:{أَصَلَاتُكَ} [هود : ٨٧]، ثلاثة وجوه[١]:
أحدها : قراءتك ، قاله الأعمش[٢].
الثاني : صلاتك التي تصليها لله تعبّداً .
الثالث : دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع ، ومنه أخذ المصلي في الخيل.
قال الحسن:" أي والله إن صلواته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم"[٣].
ويقرأ: «أصلواتك»[٤].
وفي قوله تعالى:{تَأْمُرُكَ} [هود : ٨٧]، وجهان[٥]:
أحدهما : تدعوك إلى أمرنا .
الثاني : فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الأوثان والأصنام .
قوله تعالى:{أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} [هود : ٨٧]، أي:" أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟"[٦].
قال الطبري:أي:" من كسر الدراهم وقطعها، وبخس الناس في الكيل والوزن"[٧].
قال الزجاج:" المعنى: إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا، وفي التفسير أنه نهاهم أن يحذفوا الدراهم. أي (أن) يكسروها"[٨].
عن قتادة :"{أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء}، أي: ما نشتهي"[٩].
وفي قوله تعالى:{أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} [هود : ٨٧]، ثلاثة وجوه:
أحدها : ما كانوا عليه من البخس والتطفيف[١٠].
الثاني : الزكاة ، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها، قاله سفيان الثوري[١١].
الثالث : حذف الدراهم والدنانير، لأنه كان ينهاهم عنه، وحذف الدراهم من الفساد في الأرض، قال زيد بن أسلم[١٢].
قوله تعالى:{إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود : ٨٧]، أي:" وقالوا -استهزاءً به-: إنك لأنت الحليم الرشيد"[١٣].
قال الفراء:" استهزاء منهم به"[١٤].
قال أبو الليث السمرقندي :" يعني: السفيه الضال استهزاء منهم به"[١٥].
قال الزجاج:" قيل كنى بذا عن أنهم قالوا له: إنك السفيه الجاهل، وقيل إنهم قالوا له هذا على وجه السخري"[١٦].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٤٩٦/٢.
[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٣٥):ص١٠٧٢/٦.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٦):ص٢٠٧٢/٦.
[٤] انظر: معاني القرآن للزجاج:٧٢/٣.
[٥] انظر: النكت والعيون:٤٩٦/٢.
[٦] التفسير الميسر:٢٣١.
[٧] تفسيرالطبري:٤٥٠/١٥.
[٨] معاني القرآن:٧٢/٣.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٣٨):ص٢٠٧٢/٦.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٤٩٦/٢.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٣٩):ص٢٠٧٣/٦.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٣٧):ص٢٠٧٣/٦.
[١٣] التفسير الميسر:٢٣١.
[١٤] معاني القرآن:٢٦/٢.
[١٥] بحر العلوم:١٦٦/٢.
[١٦] معاني القرآن:٧٢/٣.

قال الماتريدي:" قال بعضهم من أهل التأويل: قالوا ذلك له؛ استهزاء به وسخرية، كنوا بـ«الحليم» عن السفيه، وبـ«الرشيد» عن الضال، أي: أنت السفيه الضال؛ حيث سفهت آباءنا في عبادتهم الأصنام، الضال، حيث تركت ملتهم ومذهبهم، وقال بعضهم: على النفي والإنكار، أي: ما أنت الحليم الرشيد"[1].

عن ميمون بن مهران في قول الله: "{إنك لأنت الحليم الرشيد}، قال: هزوا"[2].

عن قتادة قوله: "{إنك لأنت الحليم الرشيد}، قال: استهزاء بالنبي ﷺ"[3].

قال ابن عباس:" يقولون: إنك لست بحليم ولا برشيد"[4].

وحكي الماوردي عن ابن بحر، قال:" أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه والحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلِم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء ؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله"[5].

قال الطبري:" { الحليم} وهو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرّضى، {الرشيد}، يعني: رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان"[6].

الفوائد:

١- بيان ازدياد قوم شعيب تهكمًا به وسخرية بدينه.

٢- أنه على الرغم من الجهود التي بذلها شعيب عليه السلام في معالجة هذه الإنحرافات في قومه فإنه لم يلق منهم غير العناد والإصرار، وذلك لشيوع تلك الانحرافات بينهم وتأصلها فيهم، وفي آخر الأمر ردوا عليه ردّاً قبيحاً، إذ اعتبروا محاولاته في صرفهم عن معاملاتهم الجائرة ضرباً من الهذيان سببه ما يدوم عليه من الصلاة، قال تعالى:" قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ" (هود، آية: ٨٧)، فقولهم:" أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء" يعنون به ما درجوا عليه من نقص المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم وسائر معاملاتهم الظالمة، فاستهزأوا بشعيب، وأنكروا عليه تدخله في تلك الأمور، بدعوى أن الأموال لهم، وهم أحرار فيها، يتصرفون فيها كيف شاءوا، ويفرضون على الناس ما يحقق لهم الأرباح.

وهذا عين ما يردّده المنحرفون عن المنهج الرباني في هذا العصر، بل وفي كل عصر، يتعاطون أكل أموال الناس بالباطل عن طريق الغش والخداع، والحيل والربا وسائر المعاملات المحرمة، فإذا نهوا عن ذلك تعللوا واحتجوا بما يسمونه بحرية الاقتصاد، واستنكروا أن يتدخل الدين في هذه الأمور[7].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)} [هود : ٨٨]

التفسير:

قال شعيب: يا قوم أرأيتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقًا واسعًا حلالا طيبًا؟ وما أريد أن

---

[1] تأويلات أهل السنة:١٧٠/٦.

[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤١):ص٢٠٧٣/٦.

[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٢):ص٢٠٧٣/٦.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٠):ص٢٠٧٣/٦.

[5] النكت والعيون:٤٩٧/٢.

[6] تفسيرالطبري:٤٥٠/١٥.

[7] انظر: في ظلال القرآن:٤/ ٦٠٩.

أخالفكم فأرتكب أمرًا نهيتكم عنه، وما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قَدْر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقي -في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم- إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود : ٨٨]، أي:" قال شعيب: يا قوم أرأيتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال"[١].

قال ابن كثير:" أي : على بصيرة فيما أدعو إليه"[٢].

عن جعفر بن سليمان قال: "سمعت أبا عمران الجوني قرأ هذه الآية: إني على بينة من ربي قال: على ثقة"[٣].

وحكي الماوردي عن ابن عيسى:" أنه النبوة "[٤]، قال :وفي الكلام محذوف وتقديره ، أفأعدل مع ذلك عن عبادته"[٥].

قوله تعالى:{وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} [هود : ٨٨]، أي:" ورزقني منه رزقًا واسعًا حلالا طيبًا"[٦].

قال الضحاك:" الرزق الحسن: الحلال"[٧].

قال ابن كثير:" قيل : أراد النبوة. وقيل : أراد الرزق الحلال ، ويحتمل الأمرين "[٨].

قوله تعالى:{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} [هود : ٨٨]، أي:" وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمرًا نهيتكم عنه"[٩].

قال قتادة:" يقول لم أكن أنهاكم، عن أمر وأركبه"[١٠].

عن مسروق :"أن امرأة جاءت ابن مسعود رضي الله عنه فقالت أتنهى، عن الواصلة قال: نعم فقالت المرأة: فلعله في بعض نسائك فقال ما حفظت إذا وصية العبد الصالح {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه}"[١١].

عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه : أن أخاه مالكًا قال : "يا معاوية ، إن محمدًا أخذ جيراني ، فانطَلق إليه ، فإنه قد كلمك وعرفك ، فانطلقت معه فقال : دع لي جيراني ، فقد كانوا أسلموا. فأعرض عنه. فقام مُتَمَعطًا، فقال : أما والله لئن فَعلتَ إن الناس يزعمون أنك تأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. وجعلت أجرّه وهو يتكلم ، فقال رسول الله ﷺ "ما تقول ؟" فقال : إنك والله لئن فعلت ذلك. إن الناس ليزعمون أنك لتأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. قال : فقال : "أوَ قد قالوها - أو قائلهم - ولئن فعلت ذلك ما ذاك إلا عليّ ، وما عليهم من ذلك من شيء ، أرسلوا له جيرانه"[١٢].

قوله تعالى:{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} [هود : ٨٨]، أي:" وما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قَدْر طاقتي واستطاعتي"[١٣].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣١.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٤٤/٤.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٤٣):ص٢٠٧٣/٦.
[٤] النكت والعيون:٤٩٧/٢.
[٥] النكت والعيون:٤٩٧/٢.
[٦] التفسير الميسر:٢٣١.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٤٤):ص٢٠٧٣/٦.
[٨] تفسير ابن كثير:٣٤٤/٤.
[٩] التفسير الميسر:٢٣١.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٦):ص١٠٧٤/٦.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٥):ص١٠٧٤/٦.
[١٢]المسند (٤٤٧/٤).
[١٣] التفسير الميسر:٢٣١.

قوله تعالى:{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ} [هود : ٨٨]، أي:" ، وما توفيقي -في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم- إلا بالله"[١].

قال ابن كثير:" أي : في إصابة الحق فيما أريده { إلا بِاللَّهِ }"[٢].

قوله تعالى:{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود : ٨٨]، أي:" على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة"[٣].

قال ابن كثير:أي:" في جميع أموري ، { وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } أي : أرجع "[٤].

عن مجاهد، قوله: "{وإليه أنيب}، قال: إليه أرجع"[٥].

وروي عن عبيد بن يعلى قال: "«الإنابة»: الدعاء"[٦].

عن أبي سليمان الضبي قال: "كانت تجيئنا كتب عمر بن عبد العزيز إلى خراسان فيها الأمر والنهي فيكتب في آخرها: وما كنت في ذلك إلا كما قال العبد الصالح: {وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب}"[٧].

الفوائد:

١- التعريض القريب يعطي حكم القذف الصريح.
٢- كراهية إتيان الشيء بعد النهى عنه، وترك الشيء بعد الأمر به والحث عليه.
٣- بيان فضيلة التوكل، حيث أن الله تعالى يكفي عبده إذا توكل عليه، كما في الحديث "لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصا وتروح بطانا"[٨].

- فائدة(أ) : التوكل هو الاعتماد، ولكنه أخص فهو عبادة[٩].
- فائدة(ب:)في شرح حديث :"من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل"[١٠]، قال المناوي- رحمه الله-"من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل) لفعله ما يسن التنزه عنه من الاكتواء لخطره، والاسترقاء بما لا يعرف من كتاب الله؛ لاحتمال كونه شركا، أو هذا فيمن فعل معتمدا عليها لا على الله فصار بذلك بريئا من التوكل، فإن فقد ذلك لم يكن بريئا منه، وقد سبق أن الكي لا يترك مطلقا ولا يستعمل مطلقا، بل عند تعينه طريقا للشفاء وعدم قيام غيره مقامه - مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى والتوكل عليه –"[١١].

وبنحوه قال الإمام أحمد رحمه الله كما نقله البيهقي عنه: "قال الإمام أحمد رحمه الله: وذلك لأنه ركب ما يستحب التنزيه عنه من الاكتواء والاسترقاء لما فيه من الخطر، ومن الاسترقاء بما لا يعرف من كتاب الله عز وجل أو ذكره؛ لجواز أن يكون شركا، أو استعملها معتمدا عليها لا على الله تعالى فيما وضع فيهما من الشفاء، فصار بهذا أو بارتكابه المكروه بريئا من التوكل، فإن لم يوجد واحد من هذين وغيرهما من الأسباب المباحة لم يكن صاحبها بريئا من التوكل، والله تعالى أعلم"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣١.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٤٤/٤.
[٣] التفسير الميسر:٢٣١.
[٤] تفسير ابن كثير:٣٤٤/٤.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٨):ص٢٠٧٤/٦.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٩):ص٢٠٧٤/٦.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٤٧):ص١٠٧٤/٦.
[٨]صحيح. أحمد (٣٧٠)، والترمذي (٢٣٤٤) عن عمر مرفوعا. الصحيحة (٣١٠)..
[٩]أفاده الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في أشرطة فتاوى سلسلة الهدى والنور (ش ٣٢٦).
[١٠]صحيح. الترمذي (٢٠٥٥) عن المغيرة بن شعبة مرفوعا. الصحيحة (٢٤٤).
[١١]فيض القدير :٨٢/ ٦.
[١٢]الشعب :٣٩٦/ ٢.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ في صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: "هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون[١].
يتوكلون[١].

القرآن

{وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩)} [هود : ٨٩]

التفسير:

ويا قوم لا تحملنَّكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك، وما قوم لوط وما حلَّ بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان.

قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ} [هود : ٨٩]، أي:" ويا قوم لا تحملنَّكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك"[٢].

قال السدي:" يقول: لا تحملنكم عداوتي على أن تمادوا في الضلال والكفر فيصيبكم من العذاب ما أصابهم"[٣].

قال الطبري:" يقول: لا يحملنكم عداوتي وبغضي، وفراق الدين الذي أنا عليه، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم {مثلُ ما أصاب قوم نوح}، من الغرق، {أو قوم هود} من العذاب، {أو قوم صالح} من الرّجفة"[٤].

قال الزجاج:" لا تكسبنكم عداوتكم إياي أن يصيبكم عذاب العاجلة {مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح}"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد ، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح"[٦].

عن قتادة قوله: "{لا يجرمنكم شقاقي}، أي: لا يحملنكم"[٧].

قال الفراء:" يقول: لا تحملنكم عداوتي أن يصيبكم. وقد يكون: لا يكسبنكم"[٨].

وفي قوله تعالى:{شِقَاقِي} [هود : ٨٩]، أربعة أقوال:

أحدها : إضراري ، قاله الحسن[٩].

الثاني : عداوتي ، قاله السدي[١٠]، واختاره الفراء[١١].

ومنه قول الأخطل[١٢]:

ألا من مبلغ قيساً رسولاً فكيف وجدتم طعمَ الشقاق

---

[١] أخرجه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥، ٥٦٤١) ومسلم (٣٧٤) وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[٢] التفسير الميسر:٢٣١.

[٣] اخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٥):ص٢٠٧٥/٦.

[٤] تفسير الطبري:٤٥٥/١٥.

[٥] معاني القرآن:٧٤/٣.

[٦] تفسير ابن كثير:٣٤٦/٤.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٠):ص٢٠٧٤/٦.

[٨] معاني القرآن:٢٦/٢.

[٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٥١):ص٢٠٧٥/٦.

[١٠] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٥٣):ص٢٠٧٥/٦.

[١١] انظر معاني القرآن:٢٦/٢.

[١٢] انظر: النكت والعيون:٤٩٨/٢، وتفسير القرطبي:٩٠/٩، وفتح القدير للشوكاني:٥٨٩/٢، وغيرها.

الثالث : فراقي، قاله قتادة[١].
الرابع: عداوتي وبغضائي وفراقي. قاله ابن جريج[٢].

عن أبي ليلى الكندي قال: "كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان بن عفان رضي الله عنه إذا أشرف علينا من داره فقال: يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم لا تقتلوني إنكم إن قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه."[٣].

قوله تعالى:{وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٩]، أي:" وما قوم لوط وما حلَّ بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان"[٤].

قال ابن كثير:" وقوم لوط من النقمة والعذاب "[٥].

قال الطبري:"{وما قوم لوط} الذين ائتفكت بهم الأرض {منكم ببعيد} هلاكهم، أفلا تتعظون به، وتعتبرون؟ يقول: فاعتبروا بهؤلاء، واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثلُ الذي أصابهم"[٦].

قال الزجاج:" وكان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها، فكأنه قال لهم: العظة في قوم لوط قريبة منكم"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٩]، وجوه:
أحدهما : يعني: بعد الدار لقربهم منهم.
قال الطبري:" وقد يحتمل أن يقال: معناه: وما دارُ قوم لوط منكم ببعيد"[٨].
الثاني : بعد العهد لقرب الزمان. قاله قتادة [٩].
قال قتادة:"إنما كانوا حديثي عهد قريب بعد قوم نوح وعاد وثمود"[١٠].
قال الفراء:" يقول: إنما هلكوا بالأمس قريبا"[١١].
والثالث: أن يكون مراداً به قرب الدار وقرب العهد [١٢].
قال ابن كثير:" ويحتمل الأمران "[١٣].
قال قتادة:" إنما أهلكوا من أيديكم أمس"[١٤].

قال الماوردي:"وقد أهلك قوم هود بالريح العاصف ، وقوم صالح بالرجفة والصيحة ، وقوم لوط بالرجم"[١٥].

الفوائد:
١- كراهية اللجاج والعناد لما يمنع من الاعتراف بالحق والالتزام به.
٢- أن السبب في عدم الفهم عند هؤلاء الكافرين إنما هو الطبع على القلوب بكفرهم، لا القصور في البيان والتفهيم.

---

[١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٥٢):ص٢٠٧٥/٦.
[٢] انظر تفسير الطبري(١٨٥٠٤):ص٤٥٥/١٥.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٤):ص٢٠٧٥/٦.
[٤] التفسير الميسر:٢٣١.
[٥] تفسير ابن كثير:٣٤٦/٤.
[٦] تفسير الطبري:٤٥٥/١٥.
[٧] معاني القرآن:٧٤/٣.
[٨] تفسير الطبري:٤٥٦/١٥.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٥٧):ص٢٠٧٥/٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٧):ص٢٠٧٥/٦.
[١١] معاني القرآن:٢٦/٢.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٤٩٨/٢.
[١٣] تفسير ابن كثير:٣٤٦/٤.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٦):ص٢٠٧٥/٦.
[١٥] النكت والعيون:٤٩٨/٢.

القرآن
{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)} [هود : ٩٠]
التفسير:
واطلبوا من ربِّكم المغفرة لذنوبكم، ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها. إن ربِّي رحيم كثير المودة والمحبة لمن تاب إليه وأناب، يرحمه ويقبل توبته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة والمودة لله تعالى، كما يليق به سبحانه.
قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} [هود : ٩٠]،أي:" واطلبوا من ربِّكم المغفرة لذنوبكم"[١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه: {استغفروا ربكم}، أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون، من عبادة الآلهة والأصنام، وبَخْس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين"[٢].
قوله تعالى:{ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : ٩٠]، أي:" ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها"[٣].
قال الطبري:" يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه"[٤].
قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود : ٩٠]، أي:" إن ربِّي رحيم كثير المودة والمحبة لمن تاب إليه وأناب، يرحمه ويقبل توبته"[٥].
قال الطبري:" يقول: هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة، {ودود}، يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يودُّه ويحبُّه"[٦].
عن سفيان في قوله:"{ إن ربي رحيم ودود}: مجيب"[٧].
قال ابن كثير:" أي : لمن تاب وأناب"[٨].
الفوائد:
١- وجوب لاستغفار والتوبة من الذنوب.
٢- وصف الرب تعالى بالرحمن والمودة.
فـ«الرحيم»:أي: ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء [٩].
و«الودود»: "هو المحب المحبوب بمعنى واد ومودود فهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلئت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً واخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه٨.
ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها ولا في كيفيتها ولا في متعلقاتها وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة غالبة كل محبة ويتعين أن تكون بقية المحاب تبعاً لها"[١٠].
قال الخطابي:" «الودود»: هو اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون فعولا في محل مفعول. كما قيل: رجل هيوب بمعنى: مهيب، وفرس ركوب بمعنى: مركوب -والله سبحانه- مودود في قلوب أوليائه لما يتعرفونه من إحسانه إليهم

---

[١] التفسير الميسر:٢٣١.
[٢] تفسير الطبري:٤٥٦/١٥.
[٣] التفسير الميسر:٢٣١.
[٤] تفسير الطبري:٤٥٦/١٥.
[٥] التفسير الميسر:٢٣١.
[٦] تفسير الطبري:٤٥٦/١٥.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٥٨):ص٢٠٧٦/٦.
[٨] تفسير ابن كثير:٣٤٦/٤.
[٩] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.
[١٠] .تفسير ابماء الله الحسنى، السعدي:٢٤٢-٢٤٣.

وكثرة عوائده عندهم، والوجه الآخر: أن يكون الودود بمعنى: الواد، أي: أنه يود عباده الصالحين بمعنى أن يرضى عنهم ويتقبل أعمالهم، وقد يكون معناه أن يوددهم إلى خلقه؛ كقوله -جل وعز: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا} [مريم/٩٦]"[١].

اخرج البيهقي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما :"قوله: الودود ، يقول: الرحيم وقال في موضع آخر من التفسير: الودود الحبيب"[٢].

القرآن

{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)} [هود : ٩١]

التفسير:

قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول، وإننا لَنراك فينا ضعيفًا لست من الكبراء ولا من الرؤساء، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رَجْما بالحجارة -وكان رهطه من أهل ملتهم-، وليس لك قَدْر واحترام في نفوسنا.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ} [هود : ٩١]، أي:" قالوا لنبيّهم شعيب على وجه الاستهانة: ما نفهم كثيراً مما تحدثنا به"[٣].

قال الطبري:" أي: ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به"[٤].

قال الآلوسي:" أي: ما نفهم ذلك، كأنهم جعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف إذ ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل ولم يجدوا إلى محاورته عليه السلام سبيلا من قبيل التخليط والهذيان الذي لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه، وقيل: قالوا ذلك استهانة به عليه السلام كما يقول الرجل لمن لا يعبأ به: لا أدري ما تقول، وليس فيه كثير مغايرة للأول، ويحتمل أن يكون ذلك لعدم توجههم إلى سماع كلامه عليه السلام لمزيد نفرتهم عنه أو لغباوتهم وقصور عقولهم، قيل: وقولهم كَثِيراً للفرار عن المكابرة ولا يصح أن يراد به الكل وإن ورد في اللغة لأن مما تقول يأبى ذلك كما أن كَثِيراً نفسه يأبى حمل كلامهم هذا على أنه كناية عن عدم القبول، وزعم بعضهم أنهم إنما لم يفقهوا كثيرا مما يقول لأنه عليه السلام كان ألثغ، وأظن أنه لم يفصح بذلك خبر صحيح على أن ظاهر ما جاء من وصفه عليه السلام بأنه خطيب الأنبياء يأبى ذلك. ولعل صيغة المضارع للإيذان بالاستمرار"[٥].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} [هود : ٩١]، أي:" وإننا لَنراك فينا ضعيفًا لست من الكبراء ولا من الرؤساء[٦].

قال الآلوسي:" أي: فيما بيننا ضَعِيفاً لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} [هود : ٩١]، وجوه:

أحدها : ضعيف البصر ، قاله سفيان[٨].

قال سفيان:" كان ضعيف البصر، وكان يقال له: «خطيب الأنبياء»"[٩].

---

[١] شان الدعاء:٧٤.

[٢] الاسماء والصفات:١٩٨/١.

[٣] صفوة التفاسير:٢٦/٢.

[٤] تفسير الطبري:٤٥٧/١٥.

[٥] روح المعاني:٣١٨/٦.

[٦] التفسير الميسر:٢٣٢.

[٧] روح المعاني:٣١٨/٦.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٥١٢):ص٤٥٨/١٥.

[٩] أخرجه الطبري(١٨٥١٢):ص٤٥٨/١٥.

الثاني : ضعيف البدن ، حكاه ابن عيسى[١].
الثالث : أعمى ، قاله ابن عباس[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، وقتادة، وشريك[٤].
الرابع : قليل المعرفة وحيداً ، قاله السدي[٥].
الخامس : ذليلاً مهيناً ، قاله الحسن، وأبو روق[٦].
وقال مقاتل:" يعني ذليلا لا قوة لك ولا حيلة"[٧].
قال أبو روق:" قالوا له إن عشيرتك ليسوا على دينك فأنت ذليل ضعيف"[٨].
السادس : قليل العقل[٩].
السابع : قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها[١٠].
قوله تعالى:{وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} [هود : ٩١]، أي:" ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رَجْما بالحجارة[١١].
قال الطبري:" يقول: يقولون: ولولا أنك في عشيرتك وقومك {لرجمناك}، يعنون: لسببناك"[١٢].
وفي قوله تعالى:{وَلَوْلَا رَهْطُكَ} [هود : ٩١]، وجهان:
أحدهما : عشيرتك ، قاله أبو روق[١٣]، والزجاج[١٤]، وحكاه الماوردي عن الجمهور[١٥].
قال أبو روق:" أي: ولولا عشيرتك نحفظك فيهم لرجمناك"[١٦].
الثاني : لولا شيعتك ، حكاه الماوردي عن النقاش[١٧].
وفي قوله تعالى:{ لَرَجَمْنَاكَ} [هود : ٩١]، وجهان[١٨]:
أحدهما : لقتلناك بالرجم. قال ابن زيد[١٩]، وابن قتيبة[٢٠]، والزجاج[٢١].
قال الزجاج:" أي: لولا عشيرتك {لرجمناك}، أي: لقتلناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم"[٢٢].
قال ابن قتيبة:" أي: قتلناك. وكانوا يقتلون رجما. فسمى القتل رجما. ومثله: قوله: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [يس : ١٨]"[٢٣].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٤٩٩/٢.
[٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٦٠):ص٢٠٧٦/٦.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٠٧):ص٤٥٧/١٥.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٥١٠):ص٤٥٨/١٥.
[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٦٣):ص٢٠٧٦/٦.
[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٦٤):ص٢٠٧٦/٦.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٥/٢.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٦٤):ص٢٠٧٦/٦.
[٩] انظر: النكت والعيون:٤٩٩/٢.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٤٩٩/٢.
[١١] التفسير الميسر:٢٣٢.
[١٢] تفسير الطبري:٤٥٨/١٥.
[١٣] مانظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٦٥):ص٢٠٧٦/٦.
[١٤] انظر: معاني القرآن:٧٤/٣.
[١٥] انظر: النكت والعيون:٤٩٩/٢.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٦٥):ص٢٠٧٦/٦.
[١٧] انظر: النكت والعيون:٤٩٩/٢.
[١٨] انظر: النكت والعيون:٤٩٩/٢-٥٠٠.
[١٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٥١٤):ص٤٥٨/١٥.
[٢٠] انظر: غريب القرآن:٢٠٩.
[٢١] انظر: معاني القرآن:٧٤/٣.
[٢٢] معاني القرآن:٧٤/٣.
[٢٣] انظر: غريب القرآن:٢٠٩.

الثاني : لشتمناك بالكلام ، قاله أبو روق[١]، والطبري[٢]، ومنه قول الجعدي[٣]:
تَرَاجَمْنَا بِمُرِّ الْقَوْلِ حَتَّى   نَصِيْرَ كَأَنَّنَا فَرَسَا رِهَانِ
قال أبو روق:" أي لشتمناك وآذيناك ولفعلنا بك"[٤].
قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود : ٩١]، أي:" وليس لك قَدْر واحترام في نفوسنا[٥].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)} [هود : ٩٢]

التفسير:
قال: يا قوم أعشيرتي أعزُّ وأكرم عليكم من الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلا وآجلا.
قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ} [هود : ٩٢]، أي:" قال: يا قوم أعشيرتي أعزُّ وأكرم عليكم من الله؟"[٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم، أعزّزتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله"[٧].
قوله تعالى:{وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} [هود : ٩٢]، أي:" ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه"[٨].
قال يحيى بن سلام:" يعني جعلتم الله بظهر فلا تعظمونه وتعظمون غيره. وقال في سورة البقرة: { كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِم} [البقرة : ١٠١]، يعني: جعلوا كتاب الله بظهر فلا يعملون به وعملوا بالسِّحر"[٩].
قال الفراء:" رميتم بأمر الله وراء ظهوركم كما تقول: تعظمون أمر رهطي وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه"[١٠].
قال ابن قتيبة:" أي: لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عنه، تقول العرب: جعلتني ظهريا وجعلت حاجتي منك بظهر؛ إذا أعرضت عنه وعن حاجته"[١١].
قال الطبري:" واستخففتم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظِّمونه حق عظَمته؟"[١٢].
قال ابن عباس:" وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله، وصَغُر شأن الله عندهم، عزَّ ربُّنا وجلَّ"[١٣].

---

[١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١٦٧):ص٢٠٧٧/٦.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٤٥٨/١٥.
[٣] انظر: النكت والعيون:٥٠٠/٢، وتفسير القرطبي:٩١/٩، وفتح القدير للشوكاني:٥٩٠/٢.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٦٧):ص٢٠٧٧/٦.
[٥] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٦] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٧] تفسير الطبري:٤٥٩/١٥.
[٨] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٩]التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٨٣-٢٨٤.
[١٠] معاني القرآن:٢٦/٢.
[١١] غريب القرآن:٢٠٩.
[١٢] تفسير الطبري:٤٥٩/١٥.
[١٣] أخرجه الطبري(١٨٥١٥):ص٤٦٠/١٥.

قال قتادة:" يقول: عززتم قومكم، وأظهرْتم بربكم"[١]. وفي رواية أخرى:" لا تخافونه"[٢].

قال مجاهد:" رهط شعيب جعلوا الله وراءهم ظهريا"[٣]. وفي رواية:" تركتم ما جاء به شعيب"[٤].

قال مقاتل:" يقول: أطعتم قومكم ونبذتم الله وراء ظهوركم فلم تعظموه فمن لم يوحده لم يعظمه"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} [هود : ٩٢]، وجوه:

أحدها : اطرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به، وهذا معنى قول مجاهد[٦]، وسفيان[٧]،والسدي[٨]، وأبو عبيدة[٩]، ومنه قول الشاعر[١٠]:

فَمَنْ مُبْلِغٌ أَبْنَاءَ مُرَّة أَنَّنَا   وَجَدْنَا بَنِي البَرْصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْر

أي: من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إلى أرحامهم.

قال أبو عبيدة:" ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه، ويقال: للذى لا يقضى حاجتك ولا يلتفت إليها: ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهريّة أي خلف ظهرك"[١١].

الثاني : يعني أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم، حكاه الماوردي عن السدي[١٢]، من قولهم: حملت فلاناً على ظهري اذا أظهرت عناده .

الثالث : يعني: أنكم جعلتم الله ظهرياً إن احتجتم استعنتم به ، وإن اكتفيتم تركتموه . كالذي يتخذه الجمَّال من جماله ظهرياً إن احتاج إليها حمل عليها وإن استغنى عنها تركها ، قاله عبد الرحمن بن زيد[١٣].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [هود : ٩٢]، أي:" إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلا وآجلا"[١٤].

قال الطبري:" يقول: إن ربي محيط علمه بعملكم، فلا يخفى عليه منه شيء، وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا"[١٥].

قال مقاتل بن حيان:" يقول: أحاط عليه بأعمالهم"[١٦].

قال مقاتل:" يعني من نقصان الكيل والميزان، يعني: أحاط علمه بأعمالكم"[١٧].

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٥١٧):ص٤٦٠/١٥.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٧٤):ص٢٠٧٧/٦.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٧٢):ص٢٠٧٧/٦.

[٤] أخرجه الطبري(١٨٥٢٢):ص٤٦١/١٥.

[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٢٢)-(١٨٥٢٧):ص٤٦١/١٥-٤٦٢.

[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٧٠):ص٢٠٧٧/٦.

[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١١٧٦):ص٢٠٧٨/٦.

[٩] انظر: مجاز القرآن:٢٩٨/١.

[١٠] البيت لأرطأة بن سهية فى اللسان (ظهر)، وغير مغزو في مجاز القرآن:٢٩٨/١، وتفسير الطبري:٤٥٩/١٥، والأغاني ١٣: ٢٩ - ٤٤ (دار الكتب) ترجمة أرطاة بن سهية = والأغاني ١٢: ٢٧١ - ٢٨١ (ساسي) ترجمة شبيب بن البرصاء

وكان أرطاة يهاجي شبيب بن البرصاء، وهما جميعًا من بني مرة بن سعد بن ذبيان، والهجاء بينهما كثير، وهذا منه.

[١١] مجاز القرآن:٢٩٨/١.

[١٢] انظر: النكت والعيون:٥٠٠/٢.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٢١):ص٤٦١/١٥.

[١٤] التفسير الميسر:٢٣٢.

[١٥] تفسير الطبري:٤٦٢/١٥.

[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٧٧):ص٢٠٧٨/٦.

[١٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.

فوائد الآيتين:[٩٠-٩١]:
١- بيان ما أوتي نبي الله شعيب العربي من فصاحة وبيان حتى قيل فيه خطيب الأنبياء.
٢- أن السبب في عدم الفهم إنما هو الطبع على القلوب بكفرهم، لا القصور في البيان والتفهيم
٣- اشتداد الأزمات مؤذن بقرب انفراجها.
٤- بيان فساد عقل من يهتم بتنفيذ أوامر الناس ويهمل أوامر الله تعالى ولا يلتفت إليها.

القرآن
{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)} [هود : ٩٣]
التفسير:
ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقتكم وحالتكم، إني عامل مثابر على طريقتي وما وهبني ربي مِن دعوتكم إلى التوحيد، سوف تعلمون مَن منا يأتيه عذاب يذلُّه، ومَن منا كاذب في قوله، أنا أم أنتم؟ وانتظروا ما سيحل بكم إني معكم من المنتظرين.
قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} [هود : ٩٣]، أي:" ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقتكم وحالتكم"[١].
قال مقاتل:" هذا وعيد، يعني: على جديلتكم التي أنتم عليها"[٢].
عن ابن عباس قوله:"{يا قوم اعملوا على مكانتكم}، قال: على ناحيتكم"[٣].
قال البغوي:" أي: على تؤدتكم وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على مكانته إذا عمل على تؤدة وتمكن"[٤].
قوله تعالى:{إِنِّي عَامِلٌ} [هود : ٩٣]، أي:" إني عامل مثابر على طريقتي وما وهبني ربي مِن دعوتكم إلى التوحيد"[٥].
قال البغوي:أي:" على تمكني"[٦].
قوله تعالى:{سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} [هود : ٩٣]، أي:" ، سوف تعلمون مَن منا يأتيه عذاب يذلُّه"[٧].
قال البغوي:" أينا الجاني على نفسه، والمخطئ في فعله، فذلك قوله: {من يأتيه عذاب يخزيه} يذله"[٨].
عن الحسن :"{سوف تعلمون}، قال: وعيد"[٩].
عن عكرمة، في قوله: "{من يأتيه عذاب يخزيه}، قال: الغرق"[١٠].
قوله تعالى:{وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ} [هود : ٩٣]، أي:" ومَن منا كاذب في قوله، أنا أم أنتم؟"[١١].
قال الزمخشري:" يعنى: في زعمكم ودعواكم"[١٢].

---
[١] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٧٨):ص٢٠٧٨/٦.
[٤] تفسير البغوي:١٩٧/٤.
[٥] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٦] تفسير البغوي:١٩٧/٤.
[٧] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٨] تفسير البغوي:١٩٧/٤.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٧٩):ص٢٠٧٨/٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٠):ص٢٠٧٨/٦.
[١١] التفسير الميسر:٢٣٢.
[١٢] الكشاف:٤٢٥/٢.

قال البغوي:" قيل: «من» في محل النصب، أي: فسوف تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال أمره"[1].

قوله تعالى:{وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} [هود : ٩٣]، أي:" وانتظروا ما سيحل بكم إني معكم من المنتظرين"[2].

قال الزمخشري:أي:"وانتظروا العاقبة وما أقول لكم، {إني معكم رقيب}، أى: منتظر"[3].

قال البغوي:" {وارتقبوا} وانتظروا العذاب {إني معكم رقيب} منتظر"[4].

قال القرطبي:" أي: انتظروا العذاب والسخطة، فإني منتظر النصر والرحمة"[5].

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤)} [هود : ٩٤]

التفسير:

ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب نجَّينا رسولنا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء، فأهلكتهم، فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكَبهم ميتين لا حِرَاك بهم.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا } [هود : ٩٤]، أي:" ولما جاء أمرنا بإهلاكهم نجينا شعيباً والمؤمنين معه بسبب رحمة عظيمة منا لهم"[6].

قال محمد بن إسحاق: "بلغني والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى إذ أنضجهم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها ما هم فيه حتى إذا دخلوا تحتها أطبقت. فهلكوا جميعا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه فأصابه على قومه حزن لما نزل بهم من نقمة الله"[7].

قوله تعالى:{وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ} [هود : ٩٤]، أي:" وأخذ أولئك الظالمين صيحةُ العذاب"[8].

قال مقاتل:" يعني: صيحة جبريل- عليه السلام-"[9].

قال البغوي:" قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم"[10].

عن محمد بن كعب القرظي قال:"إن أهل مدين عذبوا ثلاثة أصناف من العذاب أحدهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا البيوت إن تسقط عليهم، فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال: ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد، هلموا أيها الناس، فدخلوا جميعا تحت الظلة، فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا"[11].

---

[1] تفسير البغوي:١٩٧/٤.
[2] التفسير الميسر:٢٣٢.
[3] الكشاف:٤٢٤/٢.
[4] تفسير البغوي:١٩٧/٤.
[5] تفسير القرطبي:٩٢/٩.
[6] صفوة التفاسير:٢٧/٢.
[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨١):ص٢٠٧٩/٦.
[8] صفوة التفاسير:٢٧/٢.
[9] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[10] تفسير البغوي:١٩٧/٤.
[11] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٢):ص٢٠٧٩/٦.

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود : ٩٤]، أي:" فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكَبهم ميتين لا حِرَاك بهم"[١].
قال مقاتل:" يعني: في منازلهم موتى"[٢].
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: "{فأصبحوا في ديارهم جاثمين}، قال: ميتين"[٣].

القرآن

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)} [هود : ٩٥]

التفسير:

كأن لم يقيموا في ديارهم وقتًا من الأوقات. ألا بُعدًا لـ «مدين» -إذ أهلكها الله وأخزاها- كما بَعِدت ثمود، فقد اشتركت هاتان القبيلتان في البعد والهلاك.
قوله تعالى:{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [هود : ٩٥]، أي:" كأن لم يقيموا في ديارهم وقتًا من الأوقات"[٤].
قال مقاتل:" يعني:كأن لم يكونوا فى الدنيا قط"[٥].
قال البغوي:" أي: كأن لم يقيموا ولم يكونوا فيها"[٦].
قال الزمخشري:" كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين"[٧].
قوله تعالى:{أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [هود : ٩٥]، أي:" . ألا بُعدًا لـ «مدين» -إذ أهلكها الله وأخزاها- كما بَعِدت ثمود"[٨].
قال البغوي:" {ألا بعدا} هلاكا، {لمدين كما بعدت} هلكت {ثمود}"[٩].
قال مقاتل:" {ألا بعدا لمدين} فى الهلاك {كما بعدت ثمود}، يعني: كما هلكت ثمود، لأن كل واحدة منهما هلكت بالصيحة، فمن ثم اختص ذكر ثمود من بين الأمم"[١٠].
وقرأ السلمي: «بعدت»، بضم العين، والمعنى في البناءين واحد، وهو نقيض القرب[١١].

فوائد الآيات:[٩٣-٩٥]:

١- فضل انتظار الفرج من الله تعالى وهو الرجاء المأمور به.
٢- صدق وعد الله رسله وعدم تخلفه أبدا.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦)} [هود : ٩٦]

التفسير:

ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها -بقلب صحيح- أنها تدل على وحدانية الله، وكَذِبِ كلِّ من ادَّعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} [هود : ٩٦]، أي:" لقد أرسلنا موسى بشرائع وأحكام وتكاليف إلهية"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٣):ص٢٠٧٩/٦.
[٤] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[٦] تفسير البغوي:١٩٨/٤.
[٧] الكشاف:٤٢٥/٢.
[٨] التفسير الميسر:٢٣٢.
[٩] تفسير البغوي:١٩٨/٤.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[١١] انظر: الكشاف:٤٢٥/٢.
[١٢] صفوة التفاسير:٢/ ٢٧.

قال مقاتل:" يعني: اليد والعصى"[١].
قال القرطبي: "بيّن أنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجة، وإزاحة كل علة، {بآياتنا}، أي: بالتوراة. وقيل: بالمعجزات"[٢].
عن أبي صالح: "{أرسل}، قال: بعث"[٣].
عن مجاهد "{بآياتنا}، قال: بالبينات"[٤].
قوله تعالى:{وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [هود : ٩٦]، أي:" وأيدناه بمعجزات قاهرة، وبينات قاهرة، كالعصا واليد"[٥].
قال القرطبي:" أي: حجة بينة، يعني: «العصا»"[٦].
قال الزمخشري:" {بآياتنا وسلطان مبين}، فيه وجهان:
[أحدهما]: أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته.
[والثاني]: وأن يراد بالسلطان المبين: العصا، لأنها أبهرها"[٧].
قال ابن عباس:" كل «سلطان» في القرآن: حجة"[٨].
عن قتادة قوله: "{وسلطان مبين}: سلطان من الله وعذر مبين"[٩].

القرآن

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)} [هود : ٩٧]

التفسير:

أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه، فكفر فرعون وأمر قومه أن يتبعوه، فأطاعوه، وخالفوا أمر موسى، وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد.

قوله تعالى:{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [هود : ٩٧]، أي:" أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه"[١٠].
قال مقاتل :"{وملائه}، يعنى: أشراف قومه"[١١].
قال مجاهد:" كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر"[١٢].
قال ابن وهب :"أخبرني ابن لهيعة أن فرعون كان من أبناء مصر"[١٣].
قال محمد بن المنكدر: "عاش فرعون ثلاثمائة سنة، فيها مائتان وعشرون سنة لم ير فيها يقذي عينه، ودعاه موسى ثمانين سنة"[١٤].
قوله تعالى:{فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ} [هود : ٩٧]، أي:" فأطاعوا أمر فرعون وعصوا أمر الله"[١٥].
قال القرطبي: " أي: شأنه وحاله، حتى اتخذوه إلها، وخالفوا أمر الله تعالى"[١].

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[٢] تفسير القرطبي:٩٣/٩.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٤):ص١٠٧٩/٦.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٥):ص١٠٧٩/٦.
[٥] صفوة التفاسير:٢/ ٢٧.
[٦] تفسير القرطبي:٩٣/٩.
[٧] الكشاف:٤٢٦/٢.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٦):ص٢٠٨٠/٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٨٧):ص٢٠٨٠/٦.
[١٠] التفسير الميسر:٢٣٣.
[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٦/٢.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٨٩):ص٢٠٨٠/٦.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٩٠):ص٢٠٨٠/٦.
[١٤] أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٨٨):ص٢٠٨٠/٦.
[١٥] صفوة التفاسير:٢٧/٢.

قال مقاتل: "حين قال: { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى}[٢]، فأطاعوا فرعون في قوله"[٣].
قوله تعالى:{وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود : ٩٧]، أي:" وما أمر فرعون بسديد لأنه ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال"[٤].
قال القرطبي:" أي: بسديد يؤدي إلى صواب: وقيل:{برشيد}، أي: بمرشد إلى خير"[٥].
قال الزمخشري:" تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل، وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم، وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد، ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا، فاتبعوه وسلموا له دعواه، وتتابعوا على طاعته. والأمر الرشيد: الذي فيه رشد: أى: وما في أمره رشد إنما هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف، وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم، لا من يضلهم ويغويهم. وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام، وعلموا أن معه الرشد والحق، ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط... ويجوز أن يريد بقوله: {وما أمر فرعون برشيد}: وما أمره بصالح حميد العاقبة. ويكون قوله {يقدم قومه} تفسيرا لذلك وإيضاحا. أى: كيف يرشد أمر من هذه عاقبته. و«الرشد»: مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى، كما استعمل الغى في كل ما يذم ويتسخط."[٦].

القرآن

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨)} [هود : ٩٨]

التفسير:

يَقْدُم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار، وقبُح المدخل الذي يدخلونه.
قوله تعالى:{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٩٨]، أي:" يتقدم فرعون أمام قومه إلى النار يوم القيامة كما كان يتقدمهم في الدنيا"[٧].
قال مقاتل: " يعني: فرعون قائدهم إلى النار ويتبعونه كما يتبعونه في الدنيا"[٨].
قال الزمخشري:" أى كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه... ويقال: قدمه بمنى تقدمه. ومنه: قادمة الرجل، كما يقال: قدمه بمعنى تقدمه. ومنه مقدمة الجيش. وأقدم بمعنى تقدم. ومنه مقدم العين.
فإن قلت: هلا قيل: يقدم قومه فيوردهم؟ ولم جيء بلفظ الماضي؟
قلت: لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة"[٩].
قال القرطبي:" يعني: أنه يتقدمهم إلى النار إذ هو رئيسهم. يقال: قدمهم يقدمهم قدما وقدوما إذا تقدمهم"[١٠].
قال قتادة:" يقول: يقود قومه يوم القيامة"[١١]. وفي رواية أخرى:" يمضي بين أيديهم يحم بهم على النار"[١٢].
قوله تعالى:{فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود : ٩٨]، أي:" فأدخلهم نار جهنم"[١].

---

[١] تفسير القرطبي:٩٣/٩.
[٢][غافر : ٢٩].
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/٢.
[٤] صفوة التفاسير:٢٧/٢.
[٥] تفسير القرطبي:٩٣/٩.
[٦] الكشاف:٤٢٦/٢.
[٧] صفوة التفاسير:٢٧/٢.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/٢.
[٩] الكشاف:٤٢٦/٢.
[١٠] تفسير القرطبي:٩٣/٩.
[١١] اخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩١):ص٢٠٨٠/٦.
[١٢] اخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩٢):ص٢٠٨٠/٦.

قال مقاتل: " فأدخلهم"[٢].

قال القرطبي:" أي: أدخلهم فيها. ذكر بلفظ الماضي، والمعنى: فيوردهم النار، وما تحقق وجوده فكأنه كائن، فلهذا يعبر عن المستقبل بالماضي"[٣].

قال ابن عباس:" «الورد»: الدخول"[٤].

قال نافع بن الأزرق لابن عباس يا ابن عباس ما الورود قال: الدخول قال إنما الورود: الوقوف على شفيرها قال: فقال ابن عباس والله لأردنها ولتردنها وإني لأرجوا أن أكون من الذين قال الله: ثم ننجي الذين اتقوا وتكون أنت من الذين قال الله تعالى: ونذر الظالمين فيها جثيا قال: وكذلك كان يقرأها ويحك يا نافع بن الأزرق أما تقرأ كتاب الله وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار أفتراه ويحك إنما أقامهم على شفيرها والله تعالى يقول: ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"[٥].

قوله تعالى:{وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود : ٩٨]، أي:" وقبُح المدخل الذي يدخلونه"[٦].

قال مقاتل: " المدخل المدخول"[٧].

قال القرطبي:" أي: بئس المدخل المدخول، ولم يقل: «بئست»، لأن الكلام يرجع إلى المورود، وهو كما تقول: نعم المنزل دارك، ونعمت المنزل دارك والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد، وهو بمعنى المفعول"[٨].

قال الزمخشري:" المورود الذي وردوه. شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء. وشبه أتباعه بالواردة، ثم قيل: بئس الورد الذي يردونه النار، لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، والنار ضده"[٩].

قال ابن عباس:"المورد في القرآن أربعة أوراد وإن منكم إلا واردها"[١٠].

القرآن

{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)} [هود : ٩٩]

التفسير:

وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجَّله لهم فيها من الغرق في البحر لعنةً، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار، وبئس ما اجتمع لهم وترادَف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٩٩]، أي:" وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجّله لهم فيها من الغرق في البحر لعنةً، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار"[١١].

قال الزمخشري:" أى: يلعنون في الدنيا، ويلعنون في الآخرة"[١٢].

قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره: وأتبعهم الله في هذه - يعني في هذه الدنيا-مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنتَه، {ويوم القيامة}، يقول: وفي يوم القيامة أيضًا يلعنون لعنةً أخرى"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٧/٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/٢.
(٣) تفسير القرطبي:٩٣/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩٣):ص٢٠٨٠/٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩٤):ص٢٠٨٠/٦-٢٨١.
(٦) التفسير الميسر:٢٣٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/٢.
(٨) تفسير القرطبي:٩٣/٩.
(٩) الكشاف:٤٢٦/٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١١٩٥):ص٢٨١/٦.
(١١) التفسير الميسر:٢٣٣.
(١٢) الكشاف:٤٢٦/٢.

عن مجاهد: "{وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة}، قال: زِيدوا بلعنته لعنةً أخرى، فتلك لعنتان"[2].

وفي قوله تعالى:{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود : ٩٩]، وجهان:

أحدهما : أن اللعنة في الدنيا من المؤمنين وفي الآخرة من الملائكة[3].

الثاني : أنه عنى بلعنة الدنيا الغرق ، وبلعنة الآخرة النار ، قاله الكلبي[4]، ومقاتل[5].

قوله تعالى:{بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} [هود : ٩٩]، أي:" وبئس ما اجتمع لهم وترادَف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة"[6].

قال الزمخشري:" أى: بئس العون المعان. وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له، وقد رفدت باللعنة في الآخرة. وقيل: بئس العطاء المعطى"[7].

قال الطبري:« يقول: بئس العَوْن المُعان، اللعنةُ المزيدة فيها أخرى مثلها، وأصل "الرفد"، العون، يقال منه: "رفَد فلانٌ فلانًا عند الأمير يَرفِده رِفْدًا " بكسر الراء وإذا فتحت، فهو السَّقي في القدح العظيم، و"الرَّفد": القدحُ الضخم، ومنه قول الأعشى[8]:

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْ مَ وَأسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

ويقال: "رَفد فلان حائطه"، وذلك إذا أسنده بخشبة، لئلا يسقط. و"الرَّفد"، بفتح الراء المصدر. يقال منه: "رَفَده يَرفِده رَفْدًا"، و"الرِّفْد"، اسم الشيء الذي يعطاه الإنسان، وهو "المَرْفَد"»[9].

عن ابن عباس قوله: "{بئس الرفد المرفود} ، قال: لعنة الدنيا والآخرة"[10].

عن قتادة: "{بئس الرفد المرفود}، قال: لعنهم الله في الدنيا، وزيد لهم فيها اللعنة في الآخرة"[11].

قال الضحاك:" أصابتهم لعنتان في الدنيا، رفدت إحداهما الأخرى"[12].

وفي قوله تعالى:{بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} [هود : ٩٩]، ثلاثة وجوه:

أحدها : بئس العون المعان ، قاله أبو عبيدة[13].

الثاني : أن الرَّفد بفتح الراء : القدح ، والرفد بكسرها ما في القدح من الشراب ، حكي ذلك عن الأصمعي فكأنه ذم بذلك ما يُسقونه في النار[14] .

الثالث : أن الرفد الزيادة ، ومعناه بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار ، قاله الكلبي[15].

---

(1) تفسير الطبري:١٥/٤٦٧-٤٦٨.

(2) أخرجه الطبري(١٨٥٣٧):ص١٥/٤٦٨.

(3) انظر: النكت والعيون:٢/٥٠٢.

(4) انظر: النكت والعيون:٢/٥٠٢.

(5) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٢٩٧.

(6) التفسير الميسر:٢٣٣.

(7) الكشاف:٢/٤٢٦.

(8) ديوانه: ١٣، من قصيدة طويلة من جياد شعره، يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي أخا النعمان بن المنذر، الملك. وكان الأسود غزا الحليفين أسدًا وذبيان، ثم أغار على الطف، فأصاب نعمًا وأسرى وسبيًا من سعد بن ضبيعة (رهط الأعشى) ، وكان الأعشى غائبًا، فلما قدم وجد الحي مباحًا، فأتاه فأنشده، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم، ففعل. يقول: رب رجل كانت له إبل يحلبها في قدح له ولعياله، فاستقت الإبل، وذهب ما كان يحلبه الرفد، فكذلك هرقت ما حلب. " والأقتال " جمع " قتل " (بكسر فسكون) . و " القتل "، القرن من الأعداء، وهو أيضًا: المثل والنظير، وقال الأصمعي في شرح البيت وقد نقلت ما سلف من شرح ديوانه: " أقتال "، أشباه غير أعداء.

(9) تفسير الطبري:١٥/٤٦٨-٤٦٩.

(10) أخرجه الطبري(١٨٥٤١):ص١٥/٤٦٩.

(11) أخرجه الطبري(١٨٥٤٢):ص١٥/٤٦٩.

(12) أخرجه الطبري(١٨٥٤٥):ص١٥/٤٧٠.

(13) انظر: مجاز القرآن:١/٢٩٨.

(14) انظر: النكت والعيون:٢/٥٠٢.

(15) انظر: النكت والعيون:٢/٥٠٢.

القرآن

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠)} [هود : ١٠٠]

التفسير:

ذلك الذي ذكرناه لك -أيها الرسول- من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك به، ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْق منه شيء.

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} [هود : ١٠٠]، أي:" ذلك الذي ذكرناه لك -أيها الرسول- من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك به"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لكَ في هذه السورة،، والنبأ الذي أنبأناكه فيها، من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله {نقصه عليك} فنخبرك به"[٢].

قال أبو مالك:" أنباء يعني أحاديث"[٣].

قوله تعالى:{مِنْهَا قَائِمٌ} [هود : ١٠٠]، أي:" ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْق منه شيء"[٤].

قال مقاتل:" يقول: من القرى ما ينظر إليها ظاهرة"[٥].

قال الطبري:" يقول: منها قائم بنيانه، بائدٌ أهله هالك"[٦].

عن ابن عباس قوله: منها قائم يعني: بالقائم قرى عامرة"[٧].

عن محمد بن كعب في قوله: قائم وحصيد قال: ما كان من بنيانهم قائم لم يخرب"[٨].

قوله تعالى:{وَحَصِيدٌ} [هود : ١٠٠]، أي:" ومن تلك القرى ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْق منه شيء"[٩].

قال مقاتل:" ومنها خامدة قد ذهبت ودرست"[١٠].

قال الطبري:"ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيدٌ بنيانه، خرابٌ متداعٍ، قد تعفى أثرُه دارسٌ"[١١].

قال ابن عباس:" يعني بـ«الحصيد»: قرى خامدة"[١٢].

عن الأعمش:" {وحصيد}، قال: خر بنيانه"[١٣].

قال قتادة:" قرى خاوية على عروشها لاصق بالأرض ولا ترى فيها أثرا"[١٤].

فوائد الآيات[٩٦-١٠٠]:

١- من كتب الله شقاءه لا يؤمن بالآيات بل يردها ويكذب بها حتى يهلك.
٢- قوة الحجج وكثرة البراهين لا تستلزم إذعان الناس وإيمانهم.
٣- التحذير من اتباع رؤساء الشر وأئمة الفساد والضلال.
٤- ذم موارد الباطل والشر والفساد.

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٣.
[٢] تفسير الطبري:٤٧٠/١٥.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٠):ص٢٠٨٢/٦.
[٤] التفسير الميسر:٢٣٣.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/٢.
[٦] تفسير الطبري:٤٧٠/١٥.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٢):ص٢٠٨٢/٦.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٢):ص٢٠٨٣/٦.
[٩] التفسير الميسر:٢٣٣.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/٢.
[١١] تفسير الطبري:٤٧٠/١٥.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٦):ص٢٠٨٣/٦.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٤):ص٢٠٨٣/٦.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٠٥):ص٢٠٨٣/٦.

٥- تقرير نبوة محمد ﷺ ونشر رسالته وتسليته بما يقص الله عليه من أنباء السابقين.

القرآن

{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)} [هود : ١٠١]

التفسير:

وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعُونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضر لمَّا جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم آلهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران.

قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [هود : ١٠١]، أي:" وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض"[١].

قوله تعالى:{فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} [هود : ١٠١]، أي:" ، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعُونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضر لمَّا جاء أمر ربك بعذابهم"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود : ١٠١]، أي:" وما زادتهم آلهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران"[٣].

قال الطبري:" يقول: وما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسيرٍ وتدميرٍ وإهلاك"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود : ١٠١]، ثلاة وجوه:

أحدها : أن التتبيب: الشر ، قاله ابن زيد[٥].

الثاني : أنه الهلكة، قاله قتادة[٦]. قال لبيد[٧]:

ولقد بَلِيْتُ وكلُّ صاحبِ جِدَّةٍ لِبِلىً يعودُ وذاكمُ التَّتْبيبُ

الثالث : أنه التخسير، وهو الخسران ، قاله ابن عمر[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، واختاره الزجاج[١١]، وابن قتيبة[١٢].

قال ابن قتيبة:" أي: غير تخسير. ومنه قوله عز وجل: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد : ١]، أي: خسرت"[١٣].

قال الطبري:" يقال منه: «تبَّبْتُه أتبِّبُه تَتْبيبًا»، ومنه قولهم للرجل: «تبًّا لك»، قال جرير[١]:

---

[١] التفسير الميسر:٢٢٣.
[٢] التفسير الميسر:٢٢٣.
[٣] التفسير الميسر:٢٢٣.
[٤] تفسير الطبري:٤٧٢/١٥.
[٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢١١):ص٢٠٨٣/٦.
[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢١٠):ص٢٠٨٣/٦.
[٧] انظر: النكت والعيون:٥٠٣/٢، وتفسير القرطبي:٩٥/٩، والبحر المحيط: ١٩٤/٦، وغيرها.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٥٣):ص٤٧٣/١٥.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٥٤):ص٤٧٣/١٥.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٥٦):ص٤٧٣/١٥.
[١١] انظر: معاني القرآن:٧٧/٣.
[١٢] انظر: غريب القرآن:٢٠٩.
[١٣] غريب القرآن:٢٠٩.

عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ   أَلا تَبًّا لِمَا فَعَلُوا تَبَابًا"[2]

قال ابن سلام البغدادي:" يعني: تخسير بلغة قريش"[3].

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)} [هود : ١٠٢]

التفسير:

وكما أخذتُ أهل القرى الظالمة بالعذاب لمخالفتهم أمري وتكذيبهم برسلي، آخذ غيرهم مِن أهل القرى إذا ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسله. إنَّ أَخْذه بالعقوبة لأليم موجع شديد.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ} [هود : ١٠٢]، أي:" وكما أخذتُ أهل القرى الظالمة بالعذاب لمخالفتهم أمري وتكذيبهم برسلي، آخذ غيرهم مِن أهل القرى إذا ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسله"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكما أخذت، أيها الناس، أهلَ هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتُهم به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرَى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله"[5].

قال مقاتل:" {وهي ظالمة}، أي: مشركة"[6].

قوله تعالى:{إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود : ١٠٢]، أي:" إنَّ أَخْذه بالعقوبة لأليم موجع شديد"[7].

قال مقاتل:" {إِنَّ أَخْذَهُ}، يعني: بطشة، {أليم}، يعني: وجيع {شديد}"[8].

قال الطبري:" يقول: إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه موجع {شديد} الإيجاع"[9].

قال ابن قتيبة:" الأخذ: التعذيب، قال الله تعالى: وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى [هود: ١٠٢] أي: تعذيبه. وقال: فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ [العنكبوت: ٤٠] أي عذبنا، وقال: وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ [غافر: ٥] أي ليعذبوه أو ليقتلوه"[10].

قال ابن زيد: "إن الله حذّر هذه الأمة سطوتَه بقوله: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}"[11].

---

[1]ديوانه: ٧٢، من قصيدته المشهورة في هجاء الراعي النميري، وكان سببها أن " عرادة النميري "، وهو رواية الراعي كان نديمًا للفرزدق، فقدم الراعي البصرة، فدعاه عرادة فأطعمه وسقاه وقال: فضل الفرزدق على جرير! فأبى. فلما أخذ فيه الشراب، لم يزل به حتى قال: يا صَاحِبَيَّ دَنا الرَّواحُ فَسِيرَا ... غَلَبَ الفَرَزْدَقُ في الهِجَاءِ جريرَا

فهاج الهجاء بينهما، فكان مما ذكر به عرادة قوله: أَتَانِي عَنْ عَرَادَةَ قَوْلُ سُوءٍ ... فَلاَ وَأَبِي عُرَادَةَ مَا أَصَابَا

وَكَمْ لَكَ يَا عُرَادَةُ مِنْ أُمّ سُوءٍ ... بَأَرْضِ الطَّلْحِ تَحْتَبِلُ الزَّبابَا

لَبِئْسَ الْكَسْبُ تَكْسِبُهُ نُمَيْرٌ ... إِذَا اسْتَأْنَوْكَ وانْتَظَرُوا الإِيابَا

[2] تفسير الطبري:٤٧٢/١٥.

[3] لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٧.

[4] التفسير الميسر:٢٢٣.

[5] تفسير الطبري:٤٧٤/١٥.

[6] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٢.

[7] التفسير الميسر:٢٢٣.

[8] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٢.

[9] تفسير الطبري:٤٧٤/١٥.

[10] تأويل مشكل القرآن:٢٧٢.

[11] أخرجه الطبري(١٨٥٦٠):ص٤٧٥/١٥.

عن أبي موسى قال، قال رسول الله ﷺ: "إن الله يُمْلي -ورُبَّما، قال: يمهل - الظالمَ، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه. ثم قرأ: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة}"[1].

فوائد الآيتين:[١-١-٢-١٠٢]:

١- تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.
٢- آلهة المشركين لم تغن عنهم عند حلول النقمة بهم شيئا.
٣- التنديد بالظلم وسوء عاقبة الظالمين.

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)} [هود : ١٠٣]

التفسير:

إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرةً وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة، ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعًا للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ} [هود : ١٠٣]، أي:" إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرةً وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرَها عليكم أيها الناس لآية، يقول: لعبرة وعظة، لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده، وحجةً عليه لربه، وزاجرًا يزجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه، وقيل: بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، بأن الله سيفي له بوَعْده"[3].

قال ابن زيد في قوله: "{إن في ذلك لآيه لمن خاف عذاب الآخرة} ، إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة، كما وفينا للأنبياء: أنا ننصرهم"[4].

قوله تعالى:{ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ} [هود : ١٠٣]، أي:" ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعًا للمحاسبة والجزاء"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذا اليوم -يعني يوم القيامة –{يوم مجموع له الناس} ، يقول: يحشر الله له الناس من قبورهم، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب"[6].

قوله تعالى:{وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود : ١٠٣]، أي:" ويشهده الخلائق كلهم"[7].

قال الطبري:" يقول: وهو يوم تَشهده الخلائق، لا يتخلَّف منهم أحدٌ، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذَّب رُسُلَه"[8].

عن مجاهد في قوله: "{ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود}، قال: يوم القيامة"[9].

عن الضحاك قوله: "{ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود}، قال: ذلك يوم القيامة، يجتمع فيه الخلق كلهم، ويشهدُه أهل السماء وأهل الأرض"[10].

---

[1] أخرجه الطبري(١٨٥٥٩):ص١٥/٤٧٥.
[2] التفسير الميسر:٢٢٣.
[3] تفسير الطبري:١٥/٤٧٦.
[4] أخرجه الطبري(١٨٥٦١):ص١٥/٤٧٧.
[5] التفسير الميسر:٢٢٣.
[6] تفسير الطبري:١٥/٤٧٧.
[7] التفسير الميسر:٢٢٣.
[8] تفسير الطبري:١٥/٤٧٧.
[9] اخرجه الطبري(١٨٥٦٢):ص١٥/٤٧٧.
[10] اخرجه الطبري(١٨٥٦٦):ص١٥/٤٧٨.

عن ابن عباس قال، «"الشاهد"، محمد، و"المشهود"، يوم القيامة. ثم قرأ: {ذلك يوم مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود}»[1].

القرآن

{وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤)} [هود : ١٠٤]

التفسير:

وما نؤخر يوم القيامة عنكم إلا لانتهاء مدة معدودة في علمنا، لا تزيد ولا تنقص عن تقديرنا لها بحكمتنا.

قوله تعالى:{وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ} [هود : ١٠٤]، أي:" ما نؤخر ذلك اليوم - يوم القيامة - إلا لزمنٍ معيَّن سبق به قضاء الله، لا يتقدم ولا يتأخر"[2].

قال مقاتل:" يعني: وما نؤخر يوم القيامة إلا لأجل موقوت"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما نؤخّر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلا لأن يُقْضَى، فقضى له أجلا فعدّه وأحصَاه، فلا يأتي إلا لأجله ذلك، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر"[4].

قال الزمخشري:" «الأجل»: يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، فيقولون: انتهى الأجل، وبلغ الأجل آخره، ويقولون: حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل، والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف"[5].

قال ابن عباس:" {لأجل}، يعني: الموت"[6].

قرأ يعقوب وحده {وَمَا يؤَخِّرُهُ} [١٠٤]، بالياء. وقرأ الباقون {وَمَا نُؤَخِّرُهُ} بالنون[7].

فوائد الآيتين:[١٠٣-١٠٤]:

١- حشر الخلائق جَميعاً إلى الموقف العظيم.

٢- أن وقدرة الله تحيط بالعباد، فالله لا يعجزه شيء، وحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم، إن هلكوا في أجواز الفضاء، أو غاروا في أعماق الأرض، وإن أكلتهم الطيور الجارحة أو الحيوانات المفترسة، أو أسماك البحار، أو غيبوا في قبورهم في الأرض، كل ذلك عند الله سواء: (أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٤٨] .

وكما أن قدرة الله محيطة بعباده تأتي بهم حيثما كانوا، فكذلك علمه محيط بهم، فلا ينسى منهم أحد، ولا يضلُّ منهم أحد، ولا يشذُّ منهم أحد، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى، وعَدَّهم عداً (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا - لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا - وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [مريم: ٩٣-٩٥] ، (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) [الكهف: ٤٧] .

٣- أن«يوم الجمع» من أسماء يوم القيامة، والحشر يكون لجميع المخلوقات، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الشورى: ٧] ، سميت بذلك، لأن الله يجمع فيه الناس جميعاً، كما قال تعالى: {ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ} [هود: ١٠٣] .

---

[1] اخرجه الطبري(١٨٥٦٤):ص١٥/٤٧٧.

[2] صفوة التفاسير:٢/٣٠.

[3] تفسير مقاتل بن سليما:٢/٢٩٨.

[4] تفسير الطبري:١٥/٤٧٨.

[5] الكشاف:٢/٤٢٩.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢١٨):ص٦/٢٠٨٤.

[7] انظر: الكشاف:٢/٤٢٩، والمبسوط في القراءات العشر:٢٤١.

القرآن

{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)} [هود : ١٠٥]

التفسير:

يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفس إلا بإذن ربها، فمنهم شقي متسحق للعذاب، وسعيد متفضَّل عليه بالنعيم.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [هود : ١٠٥]، أي:" يوم يأتي ذلك اليوم الرهيب لا يتكلم أحدٌ إلا بإذن الله تعالى"[١].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إلا بإذنه}، قال: من يتكلم عنده إلا بإذنه"[٢].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [هود : ١٠٥]، وجوه[٣]:

أحدها : لا تشفع إلا بإذنه .

الثاني : لا تتكلم إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام لأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح .

الثالث : أن لهم في القيامة وقت يمنعون فيه من الكلام إلا بإذنه.

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون؟

قلت: ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم، وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون، وفي بعضها: يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم"[٤].

قرئ يوم :«يأت»، بغير ياء[٥].

قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود : ١٠٥]، أي:" فمن أهل الموقف شقيٌّ متسحق للعذاب ، ومنهم سعيد متفضَّل عليه بالنعيم"[٦].

قال الزمخشري:" الشقي الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه"[٧].

وفي قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود : ١٠٥]، وجهان:

أحدهما : محروم ومرزوق ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٨].

الثاني : معذب ومكرم[٩]، قال لبيد .

فمنهم سعيد آخذٌ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانعُ

ثم في «الشقاء والسعادة »، قولان :

أحدهما : أن الله تعالى جعل ذلك جزاء على عملهما فأسعد المطيع وأشقى العاصي ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٠].

الثاني : أن الله ابتدأهما بالشقاوة والسعادة من غير جزاء[١١].

---

[١] صفوة التفاسير:٣٠/٢.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٢٠):ص٢٠٨٤/٦.

[٣] انظر: النكت والعيون:٥٠٣/٢.

[٤] الكشاف:٤٢٩/٢.

[٥] انظر: الكشاف:٤٢٩/٢.

[٦] انظر: صفوة التفاسير:٣٠/٢، والتفسير الميسر:٢٣٣.

[٧] الكشاف:٤٢٩/٢.

[٨] انظر: النكت والعيون:٥٠٤/٢.

[٩] انظر: النكت والعيون:٥٠٤/٢.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٥٠٤/٢.

[١١] انظر: النكت والعيون:٥٠٤/٢.

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال :"عمر يا رسول الله، أرأيت ما نعمل، فيه أمرٌ مُبتدأ، أو فيما قد فُرِغَ منه؟ فقال: "فيما قد فُرِغ يا ابن الخطاب، وكل مُيَسَّرٌ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فإنه يعمل للشقاوة"[١].

وعن ابن عباس قال: "هاتان من المخبيات. فمنهم شقي وسعيد فهم قوم من أهل الكبائر من أهل هذه القبلة يعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم ثم يأذن في الشفاعة لهم فيشفع لهم المؤمنون فيخرجون من النار فيدخلهم الجنة فسماهم أشقياء حين عذبهم في النار فقال: فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق"[٢].

وفي رواية قال: "لما نزلت {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] سألتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: فعلام نعمل؟ وساق نحو الأولى[٣].

القرآن

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)} [هود : ١٠٦]

التفسير:

فأما الذين شَقُوا في الدنيا لفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، لهم فيها من شدة ما هم فيه من العذاب إخراج النفس من الصدر زفير وشهيق، وهما أشنع الأصوات وأقبحها.

قوله تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ} [هود : ١٠٦]، أي:" فأما الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة فإنهم مستقرون في نار جهنم"[٤].

قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود : ١٠٦]، أي:" لهم من شدة كربهم {زَفِيرٌ} وهو إخراج النَّفَس بشدة {وَشَهِيقٌ} وهو ردُّ النَّفَس بشدة"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود : ١٠٦]، وجوه:

أحدها : أن الزفير الصوت الشديد ، والشهيق الصوت الضعيف ، قاله ابن عباس[٦].

الثاني : أن الزفير في الحلق من شدة الحزن ، مأخوذ من الزفير ، والشهيق في الصدر ، قاله الربيع بن أنس[٧]، وأبو العالية[٨].

الثالث : أن الزفير تردد النفس من شدة الحزن ، مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر الشدته ، والشهيق النفس الطويل الممتد ، مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل ، قاله ابن عيسى[٩].

الرابع : أن الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخر نهيقه. قاله قتادة[١٠]، قال الشاعر :

حشرج في الجوف سحيلاً أو شهق حتى يقال ناهق وما نهق

قال قتادة:" صوت الكافر في النار صوت الحمار، أوّله زفير وآخره شهيق"[١١].

---

[١]أخرجه الترمذي (٢١٣٥).

[٢]أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٢٣):ص٢٠٨٥/٦ .

[٣]أخرجه الترمذي (٣١١١)، والطبري (١٨٥٧١)، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٧٠) و (١٨١).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قلت: فيه سليمان بن سفيان وهو ضعيف.

وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٤/ ٤٧٥ وزاد نسبته إلى أبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

[٤] صفوة التفاسير:٣٠/٢.

[٥] صفوة التفاسير:٣٠/٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٦٧):ص٤٨٠/١٥.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٦٨):ص٤٨٠/١٥.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٦٩):ص٤٨٠/١٥.

[٩] انظر: النكت والعيون:٥٠٤/٢.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٧٠):ص٤٨٠/١٥.

[١١] أخرجه الطبري(١٨٥٧٠):ص٤٨٠/١٥.

القرآن

{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧)} [هود : ١٠٧]

التفسير:

ماكثين في النار أبدًا ما دامت السموات والأرض، فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكَّد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدَّة من مكثهم في النار. إن ربك -أيها الرسول- فعَّال لما يريد.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٧]، أي:" ماكثين في النار أبدًا ما دامت السموات والأرض، فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكَّد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدَّة من مكثهم في النار"[١].

عن قتادة قوله: {فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك}، الله أعلم بتثنيته[٢]على ما وقعت به"[٣].

عن سعيد بن جبير :"{خالدين فيها}، يعني: لا يموتون"[٤].

عن السدي :"{إلا ما شاء ربك}، فإن هذه الآية يوم نزلت كانوا يطمعون في الخروج فنسختها قوله: خالدين فيها أبدا"[٥].

عن ابن عباس: "{خالدين فيها ما دامت السموات والأرض}، لا يموتون، ولا هم منها يخرجون ما دامت السموات والأرض،{إلا ما شاء ربك}، قال: استثناءُ الله. قال: يأمر النار أن تأكلهم. قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنَّم زمان تخفِقُ أبوابُها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا"[٦].

عن الشعبي قال: "جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعهما خرابًا"[٧].

وقال ابن زيد في قوله: "{خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك}، فقرأ حتى بلغ: {عطاء غير مجذوذ}، قال: وأخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: {عطاء غير مجذوذ}، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار"[٨].

وفي قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : خالدين فيها ما دامت سماء الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها. حكاه ابن عيسى[٩]، وذكره الفراء[١٠].

الثاني : ما دامت سموات الآخرة وأرضها إلا ما شاء ربك من قدر وقوفهم في القيامة ، حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين[١١].

الثالث : ما دامت السموات والأرض ، أي: مدة لبثهم في عالم الدنيا، قاله ابن قتيبة[١٢].

الرابع : خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من أهل التوحيد أن يخرجهم

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٣.

[٢]الدر (بمشيئة) ٤/ ٤٧٧.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٧):ص٦/٢٠٨٧.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٢٨):ص٦/٢٠٨٥.

[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٨):ص٦/٢٠٨٧.

[٦] أخرجه الطبري(١٨٥٨٠):ص١٥/٤٨٤.

[٧] أخرجه الطبري(١٨٥٨١):ص١٥/٤٨٤.

[٨] أخرجه الطبري(١٨٥٨٢):ص١٥/٤٨٤.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢/٥٠٦.

[١٠] انظر: معاني القرآن:٢/٢٨.

[١١] انظر: النكت والعيون:٢/٥٠٦.

[١٢] انظر: تأويل مشكل القرآن:٥٣.

منها بعد إدخالهم إليها ، قاله قتادة، فيكونون أشقياء في النار سعداء في الجنة ، حكاه الضحاك عن ابن عباس[١].

وروى يزيد بن أبي حبيب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله -ﷺ- : " إن أناسا يدخلون جهنم حتى إذا كانوا حمما أدخلوا الجنة فيقول أهل الجنة من هؤلاء، فيقال: هؤلاء الجهنميون "[٢].

وفي رواية:" ليخرجن قوم من أمتى من النار بشفاعتى يسمون الجهنميون"[٣].

وفي رواية:" ليصيبن ناسا سفع من النار عقوبة بذنوب عملوها ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون"[٤].

وفي رواية:" يخرج قوم من النار منتنين قد محشتهم النار فيدخلون الجنة برحمة الله وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميون"[٥].

وفي رواية:" يدخل قوم النار حتى إذا صاروا فحما أخرجوا فأدخلوا الجنة فيقول أهل الجنة من هؤلاء فيقال الجهنميون"[٦].

وروي عن على قال: قال رسول الله - ﷺ - إن أصحاب الكبائر من موحدى الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم، ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين، ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهرا، ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، ومنهم أطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى: ومن فى النار من أهل الأديان والأوثان لمن فى النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله، فنحن وأنتم اليوم فى النار سواء، فيغضب لهم غضبا لم يغضبه لشىء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط، فينبتون فيها نبات الطراثيث فى حميل السيل، ثم يدخلون الجنة، مكتوب فى جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون فى الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله أن يمحو ذلك الإسم عنهم، فيبعث الله ملكا فيمحوه، ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار، فيطبقونها على من بقى فيها، يسمرونها بتلك المسامير، فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم، وذلك قوله: {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين}"[٧].

الخامس : إلا ما شاء من أهل التوحيد أن لا يدخلهم إليها، قاله أبو نضرة يرويه مأثوراً عن النبي -ﷺ-[٨].

عن أبي نضرة، عن جابر أو: أبي سعيد -يعني الخدري -أو: عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، في قوله: {إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد}، قال: "هذه الآية تأتي على

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٨٣):ص٤٨٧/١٥.

[٢]أخرجه أيضا: أحمد (١٢٥/٣، رقم ١٢٢٨٠) ، والحسين المروزى فى زوائده على الزهد لابن المبارك (٤٤٧/١، رقم ١٢٦٧) ، والطبرانى فى الأوسط (٣٦/٢، رقم ١١٥٥) .
وللحديث أطراف أخرى منها: "إنى لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتى".

[٣]أخرجه الترمذى (٧١٥/٤، رقم ٢٦٠٠) ، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٤٣/٢، رقم ٤٣١٥).

[٤]أخرجه أحمد (١٣٣/٣، رقم ١٢٣٨٤) ، والبخارى (٢٧١١/٦، رقم ٧٠١٢).

[٥]أخرجه الطيالسى (ص ٥٦، رقم ٤١٩) ، وأحمد (٤٠٢/٥ رقم ٢٣٤٧١) ، قال الهيثمى (٣٨٠/١٠) : رواه أحمد من طريقين ورجالهما رجال الصحيح.

[٦]ذكره الحكيم (٣٥/٢) . وأخرجه أيضا: أحمد (٢٥٥/٣، رقم ١٣٧٠٣).

[٧] أخرجه ابن أبى حاتم، وابن شاهين فى السنة، والديلمى، [كنز العمال ٨٨٨٧]، وأخرجه أيضا: ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٩٤٠/٢، رقم ١٥٦٨).

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٧٩):ص٤٨٣/١٥.

القرآن كلِّه يقول: حيث كان في القرآن {خالدين فيها}، تأتي عليه، قال: وسمعت أبا مجلز يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوَزَ عن عذابه"[١].

السادس : يعني: الذين كانوا في النار حين أذن في الشفاعة لهم فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قاله ابن عباس[٢].

عن الضحاك بن مزاحم قوله: "{إلا ما شاء ربك}، يقول: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة"[٣].

قال الحسن:" فأما الاستثناءان جميعا ففي أهل التوحيد الذين يعذبون في البراني وهو واد يعذب الموحدون فيه ثم يشفع فيهم النبي ﷺ ثم يردون إلى الجنة ويقول: الذين شقوا خالدين فيها إلا الموحدون الذين يخرجون من البراني"[٤].

وعن خالد بن مهران قوله: "{إلا ما شاء ربك}، قال: إنه في أهل التوحيد من أهل القبلة"[٥].

وروي، عن مقاتل بن حيان قال: "وقع الاستثناء على من في النار من أهل التوحيد حتى يخرجوا منها"[٦].

السابع : أن الاستثناء راجع إلى قولهم: {لهم فيها زفير وشهيق }إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي ليست بزفير ولا شهيق مما لم يسم ولم يوصف ومما قد سمّي ووصف ، ثم استأنف {ما دامت السموات والأرض}، حكاه ابن الأنباري[٧].

الثامن : أن الاستثناء واقع على معنى: لو شاء ربك أن لا يخلدهم لفعل، ولكن الذي يريده ويشاؤه ويحكم به تخليدُهم[٨].

وفي تقدير خلودهم بمدة السموات والأرض، وجهان[٩]:

أحدهما : أنها سموات الدنيا وأرضها ، ولئن كانت فانية فهي عند العرب كالباقية على الأبد فذكر ذلك على عادتهم وعرفهم كما قال زهير :

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

والوجه الثاني : أنها سموات الآخرة وأرضها لبقائها على الأبد.

قال ابن عباس:" لكل جنة سماء وأرض"[١٠].

قال السدي:" أما السماء والأرض فسماء الجنة وأرضها"[١١].

قال الحسن:" تبدل سماء غير هذه وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الأرض"[١٢].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القولُ الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار، خالدين فيها أبدًا إلا ما شاءَ من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة"[١٣].

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٥٧٩):ص٤٨٣/١٥.

[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٣٣):ص٢٠٨٦/٦.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٦):ص٢٠٨٧/٦.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٤):ص٢٠٨٦/٦.

[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٥):ص٢٠٨٧/٦.

[٦] تفسير ابن ابي حاتم: ٢٠٨٧/٦.

[٧] انظر: النكت والعيون:٥٠٦/٢.

[٨] انظر: النكت والعيون:٥٠٦/٢.

[٩] انظر: النكت والعيون:٥٠٦/٢.

[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٢٩):ص٢٠٨٥/٦.

[١١] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٣٢):ص٢٠٨٦/٦.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٠):ص٢٠٨٦/٦.

[١٣] تفسير الطبري:٤٨٤/١٥.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود : ١٠٧]، أي:" إن ربك -أيها الرسول- فعَّال لما يريد"[١].

قال الصابوني:أي:" يفعل ما يريد يرحمْ ويعذب كما يشاء ويختار، لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه"[٢].

عن الجريدي، سمعت أبا نضرة يقول:" ينتهي القرآن كله إلى هذه الآية: {إن ربك فعال لما يريد}"[٣].

قال الحسن:" إذا كان يوم القيامة أخذ الله السماوات السبع والأرضين السبع فطهرهن من كل قذر ودنس فصيرهن أرضا بيضاء فضة نورا تلألأ فصيرهن أرضا للجنة والسماوات والأرضون اليوم في الجنة كالجنة في الدنيا فصيرهن الله على عرض الجنة ويضع الجنة عليها وهي اليوم على أرض زعفرانية، عن يمين العرش فما دامت أرضا للجنة وأهل الشرك خالدين في جهنم ما دامت أرض الجنة"[٤].

القرآن

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)} [هود : ١٠٨]

التفسير:

وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيره، وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٨]، أي:" وأما الذين رزقهم الله السعادة فهم مستقرون في الجنة، لا يُخْرجون منها أبداً، دائمون فيها دوام السماوات والأرض، حسب مشيئته تعالى، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام"[٥].

عن أبي سنان في قوله: {وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ... إلا ما شاء ربك}، ومشيئته خلودهم فيها، ثم أتبعها عطاء غير مجذوذ"[٦].

عن ابن عباس قوله: "{وأما الذين سعدوا}، يعني: بعد الشقاء الذي كانوا فيه"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود : ١٠٨]، خمسة وجوه من التفسير:

أحدها : دامت سموات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها في الخلود فيها[٨].

الثاني : {إلا ما شاء ربك} من مدة يوم القيامة[٩].

الثالث : {إلا ما شاء ربك} من مدة مكثهم في النار إلى أن يخرجوا منها ، قاله الضحاك[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٣.

[٢] صفوة التفاسير:٣٠/٢.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣٩):ص٢٠٨٧/٦.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٣١):ص٢٠٨٦/٦.

[٥] صفوة التفاسير:٣١/٢.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٣):ص٢٠٨٨/٦.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٠):ص٢٠٨٧/٦.

[٨] انظر: النكت والعيون:٥٠٦/٢.

[٩] انظر: النكت والعيون:٥٠٦/٢.

[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١١٢٤٤):ص٢٠٨٨/٦.

الرابع : {خالدين فيها}، يعني: أهل التوحيد ، إلا ما شاء ربك يعني أهل الشرك ، وهو يشبه قول أبي نضرة[1].

الخامس : {خالدين فيها إلا ما شاء ربك}، أي: ما شاء من عطاء غير مجذوذ ، فتكون«إلا» -هنا- بمعنى «الواو»، كقول الشاعر[2]:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان .

أي: والفرقدان[3].

قوله تعالى:{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود : ١٠٨]، أي:" عطاءً غير مقطوع عنهم"[4].

قال ابن عباس:" يقول: عطاء غير مقطوع"[5].

قال الحسن:" لا ينقص منه شيء"[6].

فوائد البيات:[١٠٣-١٠٨]:

١- فضل وفضيلة الإيمان بالآخرة.
٢- حتمية البعث الآخر وأنه لا شك فيه.
٣- الشقاوة والسعادة مضى بهما القضاء والقدر قبل وجود الأشقياء والسعداء.
٤- عجز كل نفس عن الكلام يوم القيامة حتى يؤذن لها به.
٥- إرادة الله مطلقة، لو شاء أن يخرج أهل النار لأخرجهم منها ولو شاء أن يخرج أهل الجنة لأخرجهم إلا أنه حكم بما أخبر به وهو العزيز الحكيم.

القرآن

{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١٠٩)} [هود : ١٠٩]

التفسير:

فلا تكن -أيها الرسول- في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل، وإنا لموفوهم ما وعدناهم تاما غير منقوص. وهذا توجيه لجميع الأمة، وإن كان لفظه موجهًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلَّم.

قوله تعالى:{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ} [هود : ١٠٩]، أي:" فلا تكن -أيها الرسول- في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تَك في شك، يا محمد، مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام، أنه ضلالٌ وباطلٌ، وأنه بالله شركٌ"[8].

قوله تعالى:{مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ} [هود : ١٠٩]، أي:" ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل"[9].

قال الطبري:" يقول: إلا كعبادة آبائهم، من قبل عبادتهم لها. يُخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدُوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعًا منهم منهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهموها، لا عن أمر الله إياهم بذلك، ولا بحجة تبيَّنوها توجب عليهم عبادتها"[1].

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٨٥٧٩):ص٤٨٣/١٥.

[2]عمرو بن معدى كرب: شاعر جاهلي. انظر الأغانى ١٤/ ٢٤ والإصابة رقم ٥٩٧٠، والاستيعاب ٢/ ٥٢٠. - والبيت مختلف فى عزوه ومعناه، أنظر الخزانة ٢/ ٥٢، وهو فى الكتاب ١/ ٣٢٣ والشنتمرى ١/ ٣٧١ والبيان ١/ ٣٣، والكامل ٧٦٠ والمؤتلف ٨٥ والإنصاف ١٢٣ وشواهد المغني ٧٨.

[3] انظر: النكت والعيون:٥٠٧/٢.

[4] صفوة التفاسير:٣١/٢.

[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٥):ص٢٠٨٨/٦.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٦):ص٢٠٨٨/٦.

[7] التفسير الميسر:٢٣٤.

[8] تفسير الطبري:٤٩١/١٥.

[9] التفسير الميسر:٢٣٤.

عن قتادة قال: ما يعبد هؤلاء الآلهة إلا ليشفعوا عند الله"[٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ} [هود : ١٠٩]، أي:" وإنا لموفوهم ما وعدناهم تاما غير منقوص"[٣].

قال الزجاج:" أي: نوفيهم ما يصيبهم من خير أو شر"[٤].

قال الطبري:" يعني: حظهم مما وعدتهم أن أوفّيهموه من خير أو شر {غير منقوص}، يقول: لا أنقصهم مما وعدتهم، بل أتمّم ذلك لهم على التمام والكمال"[٥].

عن ابن عباس: "{وإنا لموفُّوهم نصيبهم غير منقوص}، قال: ما وُعِدوا فيه من خير أو شر"[٦].

قال ابن زيد في قوله: "{وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص}، قال: نصيبهم من العذاب"[٧].

عن أبي العالية في قوله: "{وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص}، قال: من الرزق"[٨].

الفوائد:

١- بيان مكانة الرفيعة للعقل في الإسلام، فهو مناط التكليف، ومن أعظم النعم والتشريف، وقد امتن الله به على الإنسان، لأنه يميز به بين النافع والضار، ويدرك به التكاليف الشرعية، ويتدبر به الآيات القرآنية، ويفهم به الأحاديث النبوية، ويجتهد به في أموره الدنيوية، فهو واسطة لا غنى للإنسان عنها في إدراك أمور دينه ودنياه، ولهذا، اعتنى الإسلام به عناية كبرى، نظراً لأهميته.

٢- أن من مظاهر تكريم الإسلام للعقل نعيه على المقلدين الذين لا يُعملون أذهانهم وحذر من التقليد الأعمى والتعصب الأصم لنظريات واهية وآراء زائفة ناشئة عن الخرافات والأهواء.

٣- تجنب التقليد الأعمى، والتعصب للمذاهب أو الأشخاص ، والحذر من تقديم آرائهم على ما ثبت فيالكتاب والسنة وما تفرع عنهما من الأدلة الشرعية.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)} [هود : ١١٠]

التفسير:

ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فآمن به جماعة وكفر به آخرون كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب، لحلَّ بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذِّبين ونجاة المؤمنين. وإن الكفار من اليهود والمشركين -أيها الرسول- لفي شك -من هذا القرآن- مريب.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ} [هود : ١١٠]، أي:" ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فآمن به جماعة وكفر به آخرون كما فعل قومك بالقرآن"[٩].

---

(١) تفسير الطبري:٤٩١/١٥.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٧):ص٢٠٨٨/٦.
(٣) التفسير الميسر:٢٣٤.
(٤) معاني القرآن:٨٠/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٩١/١٥-٤٩٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٨٥٩٥):ص٤٩٢/١٥.
(٧) أخرجه الطبري(١٨٥٩٩):ص٤٩٢/١٥.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٤٩):ص٢٠٨٩/٦.
(٩) التفسير الميسر:٢٣٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، مسليًا نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه فيما أتاهم به من عند الله، بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله. يقول له تعالى ذكره: ولا يحزنك، يا محمد، تكذيب هؤلاء المشركين لك، وامض لما أمرك به ربُّك من تبليغ رسالته، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من ردِّ ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضُربائهم من الأمم قبلهم وسنَّةٌ من سُنتهم، ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال: {ولقد آتينا موسى الكتاب}، يعني: التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قومُ موسى، فكذّب به بعضُهم وصدّق به بعضهم، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به، وتكذيب بعض"[1].

عن قتادة :"{آتينا موسى الكتاب}، قال: التوراة"[2].

عن أبي بن كعب، قوله: "{فاختلف فيه}، يعني: إسرائيل"[3].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [هود : ١١٠]، أي:" ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب، لحلَّ بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذِّبين ونجاة المؤمنين"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولولا كلمة سبقت، يا محمد، من ربك بأنه لا يعجل على خلقه العذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله، لقضي بين المكذب منهم به والمصدِّق، بإهلاك الله المكذب به منهم، وإنجائه المصدق به"[5].

قال ابن كثير:" يحتمل أن يكون المراد بالكلمة ، أنه لا يعذب أحدا إلا بعدم قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه ، كما قال : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا } [الإسراء : ١٥] ؛ فإنه قد قال في الآية الأخرى : { وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } [طه : ١٢٩ ، ١٣٠]"[6].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [هود : ١١٠]، أي:" وإن الكفار من اليهود والمشركين -أيها الرسول- لفي شك -من هذا القرآن- مريب"[7].

قال الطبري:" يقول: وإن المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته أنه من عند الله {مريب}، يقول: يريبهم، فلا يدرون أحقٌّ هو أم باطلٌ؟ ولكنهم فيه ممترون"[8].

قال ابن كثير:" أخبر أن الكافرين في شك - مما جاءهم به الرسول – قوي"[9].

الفوائد:

١- تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه مما يجده من جحود الكافرين.
٢- بيان سبب تأخر العذاب في الدنيا، وهو أن الجزاء في الآخرة لا في الدنيا.
٣- الجزاء الأخروي حتمي لا يتخلف أبدا إذ به حكم الحق عز وجل.

القرآن

{وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)} [هود : ١١١]

التفسير:

---

[1] تفسير الطبري:٤٩٣/١٥.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٥١):ص٢٠٨٩/٦.
[3] أخرجه ابن ابي حاتم(٢١):ص٢٠٨٩/٦.
[4] التفسير الميسر:٢٣٤.
[5] تفسير الطبري:٤٩٣/١٥.
[6] تفسير ابن كثير:٣٥٣/٤.
[7] التفسير الميسر:٢٣٤.
[8] تفسير الطبري:٤٩٣/١٥.
[9] تفسير ابن كثير:٣٥٤/٤.

وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك -أيها الرسول- أخبارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من عملهم.

قوله تعالى:{وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} [هود : ١١١]، أي:" وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك -أيها الرسول- أخبارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[١].

قال مقاتل:" و{لما} –هاهنا- صلة، يقول: يوفر لهم ربك جزاء أعمالهم"[٢].

قال الزمخشري:" المعنى: وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود"[٣].

قال القرطبي:" أي: إن كلا من الأمم التي عددناهم يرون جزاء أعمالهم، فكذلك قومك يا محمد"[٤].

قرأ ابن كثير ونافع {وإن} مخففة {كلا لما} مخففة، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر {وإن كلا} خفيفة {لما} مشددة، وقرأ حمزة والكسائى {وإن} مشددة النون واختلفا فى الميم من {لما} فشددها حمزة وخففها الكسائى، وقرأ أبو عمرو مثل قراءة الكسائى وقرأ ابن عامر مثل قراءة حمزة، وقرأ حفص {وإن} مشددة النون {لما} مشددة أيضا مثل حمزة وابن عامر[٥].

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [هود : ١١١]، أي:" إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من عملهم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : عليم بأعمالهم جميعها ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك، يا محمد، {خبير}، لا يخفى عليه شيء من عملهم، بل يخبرُ ذلك كله ويعلمه ويحيط به، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم"[٨].

الفوائد:

١- الجزاء الأخروي حتمي لا يتخلف أبدا إذ به حكم الحق عز وجل.

٢- ومن اسمائه تعالى: «الخبير»: أي:"العالم العارف بما كان وما يكون"[٩].

قال الخطابي:"هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، كقوله تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيْرَاً } [الفرقان:٥٩]. يقال فلان بهذا الأمر خبير؛ وله به خبر، وهو أخبر به من فلان؛ أي: أعلم. إلا أن الخبر في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع العلم الذي يدخلة الاختبار، ويتوصل إليه بالامتحان، والاجتهاد، دون النوع المعلوم ببدائه العقول.

وعلم الله -سبحانه- سواء فيما غمض من الأشياء و فيما لطف، وفيما تجلى به منه وظهر. وإنما تختلف مدارك علوم الآدميين الذين يتوصلون إليها بمقدمات من حس، وبمعاناة من نظر، وفكر؛ ولذلك قيل لهم: ليس الخبر كالمعاينة، وتعالى الله عن هذه الصفات علوا كبيرا"[١٠].

---

[١] التفسير الميسر: ٢٣٤/١.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٠/٢.
[٣] الكشاف:٤٣٢/٢.
[٤] تفسير القرطبي:١٠٤/٩.
[٥] انظر: السبعة في القراءات:٣٣٩-٣٤٠.
[٦] التفسير الميسر: ٢٣٤/١.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٥٤/٤.
[٨] تفسير الطبري:٤٩٩/١٥.
[٩] جامع الأصول:١٧٣/٤.
[١٠] شأن الدعاء:٦٣.

والفرق بين « العلم»، و«الخبر»: "أن الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها؛ ففيه معنى زائد على العلم"[١].

القرآن

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)} [هود : ١١٢]

التفسير:

فاستقم -أيها النبي- كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حدَّه الله لكم، إن ربَّكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

قوله تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} [هود : ١١٢]، أي: فاستقم -أيها النبي- كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك"[٢].

قال ابن كثير:" يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة ، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد"[٣].

قال مقاتل:" يعني: فامض يا محمد بالتوحيد {كما أمرت ومن تاب معك} من الشرك فليستقيموا معك فامضوا على التوحيد"[٤].

قال الزمخشري:" فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق، غير عادل عنها، {ومن تاب معك} معطوف على المستتر في «استقم»، وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه. والمعنى: فاستقم أنت وليستقم من تاب على الكفر وآمن معك"[٥].

قال القرطبي:" الخطاب للنبي ﷺ ولغيره. وقيل: له والمراد أمته، قاله السدي. وقيل:{استقم} اطلب الإقامة على الدين من الله واسأله ذلك». فتكون «السين» «سين» السؤال، كما تقول: أستغفر الله أطلب الغفران منه...{ومن تاب معك}، أي: استقم أنت وهم، يريد أصحابه الذين تابوا من الشرك ومن بعده ممن اتبعه من أمته. قال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشيب! فقال:" شيبتني هود وأخواتها". وقد تقدم في أول السورة. وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا علي السري «٢» يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! روي عنك أنك قلت:«شيبتني هود»[٦]. فقال:«نعم»، فقلت له: ما الذي شيبك منها؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم! فقال:" لا، ولكن قوله: {فاستقم كما أمرت}»"[٧].

و«الاستقامة»: "الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال، فاستقم على امتثال أمر الله[٨].

وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك! قال:«قل آمنت بالله ثم استقم»[٩].

وروى الدارمي أبو محمد في مسنده عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: «دخلت على ابن عباس فقلت أوصني! فقال: نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[١٠].

---

[١] الفروق/ ابو هلال العسكري:٧٤.
[٢] التفسيرالميسر:٢٣٤/١.
[٣] تفسير ابن كثير:٣٥٤/٤.
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٠/٢.
[٥] الكشاف:٤٣٢/٢.
[٦] أصل الحديث رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة، ٥/ ٤٠٢، برقم ٣٢٩٧، وحسنه، وصححه الألباني مختصر شمائل الترمذي، ص٤٠، برقم ٣٤.
[٧] تفسير القرطبي:١٠٧/٩.
[٨] تفسير القرطبي:١٠٧/٩.
[٩]رواه مسلم "١/ ٦٥/ ح٣٨" في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي.
[١٠]الدارمي (١/ ٥٣) وذم الكلام (٢/ ٦٥ - ٦٦/ ٢٦٣) والإبانة (١/ ٣١٨/٢ - ٣١٩/ ١٥٧) وابن وضاح

قوله تعالى:{وَلَا تَطْغَوْا} [هود : ١١٢]، أي: ولا تتجاوزوا ما حدَّه الله لكم"[١].
قال مقاتل:" يقول ولا تعصوا الله فى التوحيد فتخلطوه بشك"[٢].
قال الزمخشري:" ولا تخرجوا عن حدود الله"[٣].
قال القرطبي:" نهى عن الطغيان والطغيان مجاوزة الحد، ومنه: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء} [الحاقة : ١١]، وقيل: أي: لا تتجبروا على أحد"[٤].
قال ابن كثير:" نهى عن الطغيان ، وهو البغي ، فإنه مَصرَعة حتى ولو كان على مشرك"[٥].
قوله تعالى:{إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود : ١١٢]، أي: إن ربَّكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها"[٦].
قال الزمخشري:" عالم فهو مجازيكم به، فاتقوه"[٧].
قال ابن كثير:" أعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد ، لا يغفل عن شيء ، ولا يخفى عليه شيء"[٨].
الفوائد:
١- وجوب الاستقامة على دين الله تعالى عقيدة وعبادة وحكما وأدبا.
٢- لزوم الاعتدال في الدين وحرمة الغلو وتجاوز ما حد الله تعالى في شرعه.
٣- أن في هذه الآية الكريمة رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات، وذلك بالاستقامة في فعلها على الطريق المعتدل؛ الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط؛ حسب الشرع (كما أمرت) ثم أكد ذلك بقوله: {ولا تطغوا}، والطغيان: مجاوزة الحد بالتشدد والتنطع، وهو الغلو. ولما علم - ﷺ - بأن ثلاثة من أصحابه تقالوا في أعمالهم، حيث قال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أصلي ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. قال - ﷺ -: «أما أنا فأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني»[٩].
٤- ومن أسمائه تعالى: {الْبَصِيرُ}، " يعني: المدرك لجميع المبصرات" [١٠].
قال السعدي:" «البصير»: الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط[١١] عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحدث العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الشعراء:٢١٨-٢٢٠] {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ

(ص.٦٥) والفقيه والمتفقه (١/ ٤٣٦) بنحوه وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤).
[١] التفسير الميسر:٢٣٤/١.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٠/٢.
[٣] الكشاف:٤٣٢/٢.
[٤] تفسير القرطبي:١٠٧/٩.
[٥] تفسير ابن كثير:٣٥٤/٤.
[٦] التفسير الميسر:٢٣٤/١.
[٧] الكشاف:٤٣٢/٢.
[٨] تفسير ابن كثير:٣٥٤/٤.
[٩] أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
[١٠] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٨/١.
[١١] النياط: أي العرق المستبطن. انظر: القاموس المحيط (ص٨٩٢.

وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر:١٩] {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[البروج:٩] أي مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات"[١].

القرآن

{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣)} [هود : ١١٣]

التفسير:

ولا تميلوا إلى هؤلاء الكفار الظلمة، فتصيبكم النار، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم، ويتولى أموركم.

قوله تعالى:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [هود : ١١٣]، أي:" لا تميلوا إلى الظلمة من الولاة وغيرهم من الفسقة الفجرة فتمسكم نار جهنم"[٢].

قال مقاتل:"ولا تميلوا إلى أهل الشرك، يقول: ولا تلحقوا بهم، {فتمسكم النار}، يعني: فتصيبكم النار"[٣].

قال التستري:" أي: لا تعتمدوا في دينكم إلا على سنتي"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم {فتمسكم النار} بفعلكم ذلك"[٥].

قال أبو البركات النسفي:" هذا خطاب لأتباع الكفرة أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم إليه {فتمسكم النار} وقيل الركون إليهم الرضا بكفرهم"[٦].

قال البيضاوي:أي:" ولا تميلوا إليهم أدنى ميل، فإن «الركون» هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته. فتمسكم النار بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين أي الموسومين بالظلم، ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه، ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل، فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط فإنه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه"[٧].

عن ابن عباس قوله: "{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار}، يعني: الركون إلى الشرك"[٨].

قال قتادة:" يقول: لا تلحقوا بالشرك، وهو الذي خرجتم منه"[٩].

عن الربيع، عن أبي العالية: "{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا}، يقول: لا ترضوا أعمالهم. يقول: «الركون»، الرضى"[١٠].

وقال ابن زيد:" «الركون»: الإدهان. وقرأ: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}[سورة القلم: ٩] ، قال: تركنُ إليهم، ولا تنكر عليهم الذي قالوا، وقد قالوا العظيمَ من كفرهم بالله وكتابه ورسله. قال: وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام. أما أهل الذنوب من أهل الإسلام،

---

[١] الحق الواضح المبين :٣٥ ، ٣٦.
[٢] صفوة التفاسير:٢١/٢.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٠/٢.
[٤] تفسير التستري:٨٠.
[٥] تفسير الطبري:٥٠٠/١٥.
[٦] تفسير النسفي:٨٨/٢.
[٧] تفسير البيضاوي:١٥١/٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٦٠٢):ص٥٠٠/١٥.
[٩] أخرجه الطبري(١٨٦٠٧):ص٥٠١/١٥.
[١٠] أخرجه الطبري(١٨٦٠٤):ص٥٠٠/١٥.

فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم. ما ينبغي لأحد أن يُصَالح على شيء من معاصي الله، ولا يركن إليه فيها"[١].

وروي عن ابن جريج: "{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا}، قال: قال ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا"[٢].

قال ابن كثير:" وهذا القول حسن، أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم "[٣].

قال ابن الوزير:" قال أبو حيان في «غريب القرآن» له، «أي: لا تطمئنوا». وهو حسنٌ. فإنه العرفُ في الرُّكُونِ"[٤].

قال الزمخشري:" وتأمل قوله :{ولا تركنوا}، فإن «الركون»: هو الميل اليسير، وقوله: {إلى الذين ظلموا}، أى: إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل : «إلى الظالمين».

وحكى أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشى عليه، فلما أفاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم، فكيف بالظالم"[٥].

وعن الحسن رحمه الله: «جعل الله الدين بين لاءين: ولا تطغوا، ولا تركنوا»[٦].

ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين: «عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك: أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت: أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا، حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلو، الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، والسلام»[٧].

وقال سفيان: «في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك»[٨].

وعن الأوزاعى: «ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا»[٩].

وعن محمد ابن مسلمة: «الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء»[١٠].

وقال رسول الله ﷺ «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه»[١١].

ولقد سئل سفيان :«عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا، فقيل له: يموت؟ فقال: دعه يموت»[١٢].

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٦٠٨):ص٥٠١/١٥.
[٢] أخرجه الطبري(١٨٦٠٦):ص٥٠١/١٥.
[٣] تفسير ابن كثير:٣٥٤/٤.
[٤]العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ٣٨٣/٩ .
[٥] الكشاف:٤٣٣/٢ .
[٦] الكشاف:٤٣٣/٢ .
[٧] الكشاف:٤٣٣/٢-٤٣٤ .
[٨] الكشاف: ٤٣٤/٢ .
[٩] الكشاف: ٤٣٤/٢ .
[١٠] الكشاف: ٤٣٤/٢ .
[١١]قد رواه البيهقي في السادس والستين من الشعب من رواية يونس بن عبد عن الحسن من قوله. وذكره أبو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري.
[١٢] الكشاف: ٤٣٣/٢ .

قال الشيخ محمد رشيد الرضا:" ولو كان معنى الركون في اللغة الميل اليسير مهما يكن نوعه كما زعم الزمخشري ومقلدوه، لكان هذا الوعيد الشديد على قليل منه على قلته في نفسه مما لا يمكن أن تراد به حقيقته ؛ لأنه أشد الوعيد على ما لا يستطيع بشر اتقاءه إلا بعصمة خاصة من الله - تعالى - كما سترى في تفسيرهم له، أما والحق ما قلناه، وهو أن الركون إلى الشخص أو الشيء هو الاعتماد عليه والاستناد إليه وجعله ركنا شديدا للراكن، فأجدر بقليله أن يتعذر اجتنابه على أكمل البشر إلا بالعصمة والتثبيت الخاص من الله عز وجل، فكيف ينهى جميع المؤمنين عن الميل اليسير إلى من وقع منه أي: نوع من الظلم؟

لم يكن ميل النفس الطبعي من المؤمنين إلى أولادهم وأرحامهم المشركين الظالمين ولا البر بهم والإحسان إليهم محظورا عليهم ؛ لأنه ليس من الركون إليهم الخاص بالولاية لهم والاعتماد عليهم وهو المنهي عنه، ولا من الميل إليهم لأجل الظلم. ولما فعل حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - فعلته التي هي أقرب إلى الولاية الحربية منها إلى صلة الرحم كما تأولها، أنزل الله - تعالى - سورة الممتحنة التي نهى فيها عن ولاية المشركين الظالمين المقاتلين في الدين والمودة فيها وقال: - {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون} [الممتحنة : ٩]، وأذن بالبر والقسط لغيرهم منهم، ولا تنس ما ورد في الصحيح من نزول قوله - تعالى -:{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْت} [القصص : ٥٦]، في حرص النبي - ﷺ - على إسلام عمه أبي طالب الذي كفله في صغره، وكان يحميه ويناضل عنه في نبوته، واذكر قول السيدة خديجة - رضي الله عنها - له في حديث بدء الوحي: " كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل " إلخ. بل لم تكن الثقة ببعض المشركين والاعتماد عليهم في أهم الأعمال من الركون المنهي عنه، فقد وثق النبي - ﷺ - والصديق الأكبر - رضي الله عنه - بمشرك من بني الديل وائتمناه على الراحلتين اللتين هاجرا عليهما ليوافيهما بهما في الغار بعد ثلاث، وكان المشركون الظالمون يبحثون عنهما، وقد جعلوا لمن يدلهم عليهما قدر ديتهما"[١].

وقرئ: «تركنوا» «فتمسكم» بكسر التاء على لغة تميم، و«تركنوا» على البناء للمفعول من أركنه[٢].

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود : ١١٣]، أي:" ليس لكم من دون الله من يمنعكم من عذابه ثم لا تجدون من ينصركم من ذلك البلاء"[٣].

قال مقاتل:" يعني: من أقرباء يمنعونكم، يقول: لا يمنعونكم من النار {ثم لا تنصرون}"[٤].

قال الطبري:" يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخلِّيكم من نصرته ويسلط عليكم عدوّكم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم ، ولا ناصر يخلصكم من عذابه"[٦].

قال الزمخشري:" معناه: وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه، لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو، لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم. فإن قلت: فما معنى «ثم»؟ قلت: معناها الاستبعاد، لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له"[٧].

الفوائد:

---

[١] تفسير المنار:١٢/١٤١-١٤٢.
[٢] انظر: تفسير البيضاوي:٣/١٥١.
[٣] صفوة التفاسير:٢/٢١.[بتصرف]
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٣٠٠.
[٥] تفسير الطبري:١٥/٥٠٠.
[٦] تفسير ابن كثير:٤/٣٥٤.
[٧] الكشاف:٢/٤٣٤.

١- حرمة مداهنة المشركين أو الرضا بهم أو بعملهم.
٢- أن الركون إلى الظلمة لا يجوز على ما فسره علماء التفسير، كابن عباس، وأبي العالمية، فلا يجوز الميل إليهم، ولا الرضى بأعمالهم التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله، وكذلك لا تجوز مداهنتهم، بل ينكر عليهم ما فعلوه من المنكر بلسانه إذا قدر على ذلك، فإن لم يقدر أنكره بقلبه، كما في الحديث المرفوع أنه لما ذكر الظلمة قال: " من أنكره فقد سلم، ومن كره فقد برئ، ولكن من رضي وتابع"[١].
٣- حرمة الإقامة بين أظهر المشركين، لا سيما عند العجز عن إقامة الدين، قال تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ} [هود: ١١٣]، وقال: {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} [المائدة: ٨٠]، إلى قوله: {وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨١]. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النساء: ٩٧]، إلى قوله: {وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ٩٦]، قال ابن كثير في الكلام على هذه الآية، وهذه الآية: عامة في كل من أقام بين أظهر المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو مرتكب حرامًا بالإجماع، وبنص هذه الآية"[٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة يعرفها من قرأ القرآن وتدبره.
٤- إن أكثر ما يقع فيه الانحراف: الطغيان والركون. فإذا وجد الطاغية ووجد الركون إليه فقد عم البلاء وطم ، كما روي عن الحسن البصري، قال: «جعل الله الدين بين لاءين «ولا تطغوا، ولا تركنوا»[٣]، فانظر هذا الفقه العظيم لدين الله، وانظر كيف يفهم العلماء الربانيون دين الله.

القرآن
{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)} [هود : ١١٤]

التفسير:
وأدِّ الصلاة -أيها النبي- على أتمِّ وجه طَرَفَي النهار في الصباح والمساء، وفي ساعات من الليل. إنَّ فِعْلَ الخيرات يكفِّر الذنوب السالفة ويمحو آثارها، والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن اتعظ بها وتذكر.

سبب النزول:
عن أبي عثمان النهدي، عن عبد الله بن مسعود:" أن رجلا نال من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن كفارتها قال: فنزلت: {وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل} [هود: ١١٤]، قال: يا رسول الله هذه لي قال: «لمن عمل من أمتي»"[٤].

وفي رواية عن سفيان، عن ابن مسعود قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني أصبت منها كل شيء إلا الجماع يعني من امرأة فأنزل الله: {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات}"[٥].

قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود : ١١٤]، أي:" أقم الصلاة المكتوبة على تمامها وكمالها أول النهار وآخره"[٦].

---

[١] رواه أحمد ٦/ ٢٩٥ و٣٠٢ و٣٠٥ و٣٢١، ومسلم (١٨٥٤)، وأبو داود (٢٢٦٦) و (٤٧٦٠) من حديث أم سلمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع "، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: " لا، ما صلُّوا ".
[٢] تفسير ابن كثير:٣٤٤/٢.
[٣] الكشاف: ٤٣٣/٢.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٦٩):ص٢٠٩١/٦.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٠):ص٢٠٩٢/٦.
[٦] صفوة التفاسير:٣١/٢.

قال الماوردي :"وأما «الطرف الأول» فصلاة الصبح باتفاق"[١].

وأما الطرف الثاني ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها:أنه عنى صلاة الظهر والعصر ، قاله مجاهد[٢]، ومحمد بن كعب القرظي[٣]، والضحاك[٤].

الثاني:صلاة العصر وحدها ، قاله الحسن[٥]، وقتادة[٦]، وهو مروي عن محمد بن كعب القرظي[٧]، والضحاك[٨] أيضا.

الثالث : صلاة المغرب ، قاله ابن عباس[٩]، وابن زيد[١٠]، وهو مروي عن الحسن في رواية أخرى[١١].

قال بعضهم: "بل عنى بطرفي النهار: الظهر، والعصر، وبقوله: {زلفًا من الليل}، المغرب، والعشاء، والصبح"[١٢].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: "هي صلاة المغرب"، كما ذكرنا عن ابن عباس، وإنما قلنا هو أولى بالصواب لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر، وهي تصلى قبل طلُوع الشمس. فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعًا، أن تكون صلاةُ الطرف الآخر المغرب، لأنها تصلى بعد غُروب الشمس. ولو كان واجبًا أن يكون مرادًا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس، وجب أن يكون مرادًا بصلاة الطرف الآخر بعدَ طلوعها، وذلك ما لا نعلم قائلا قاله، إلا من قال: "عنى بذلك صلاة الظهر والعصر". وذلك قول لا يُخِيلُ فساده، لأنهما إلى أن يكونا جميعًا من صلاة أحد الطرفين، أقربُ منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار. وذلك أن "الظهر" لا شك أنها تصلَّى بعد مضي نصف النهار في النصف الثاني منه، فمحالٌ أن تكون من طرف النهار الأول، وهي في طرفه الآخر.

فإذا كان لا قائلَ من أهل العلم يقول: "عنى بصلاة طرف النهار الأول صلاةً بعد طلوع الشمس"، وجب أن يكون غير جائز أن يقال: "عنى بصلاة طرف النهار الآخر صلاةً قبل غروبها"، وإذا كان ذلك كذلك، صح ما قلنا في ذلك من القول، وفسدَ ما خالفه"[١٣].

قوله تعالى:{وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود : ١١٤]، أي:" وفي ساعات من الليل"[١٤].

قال الطبري:" يعني: ساعاتٍ من الليل، وهي جمع "زُلْفة"، و"الزلفة"، الساعة، والمنزلة، والقربة، وقيل: إنما سميت "المزدلفة " و"جمع " من ذلك، لأنها منزلٌ بعد عرفة وقيل سميت بذلك، لازدلاف آدم من عَرَفة إلى حواء وهي بها، ومنه قول العجاج في صفة بعير[١٥]:

ناجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا وجَفا   طَيَّ اللَّيالِي زُلَفًا فَزُلَفَا"[١٦]

---

[١] انظر: النكت والعيون:٥٠٨/٢.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٠٩):ص٥٠٢/١٥.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٢):ص٥٠٢/١٥.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٤):ص٥٠٣/١٥.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٠)- (١٨٦٢١):ص٥٠٣/١٥-٥٠٤.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٢):ص٥٠٤/١٥.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٩):ص٥٠٣/١٥.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٨):ص٥٠٣/١٥.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٥):ص٥٠٣/١٥.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٧):ص٥٠٣/١٥.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٦١٦):ص٥٠٣/١٥.

[١٢] تفسير الطبري:٥٠٤/١٥.

[١٣] تفسير الطبري:٥٠٤/١٥-٥٠٥.

[١٤] التفسير الميسر:٢٣٤.

[١٥] ديوانه: ٨٤، مجاز القرآن ١: ٣٠٠، وسيبويه ١: ١٨٠، واللسان (زلف) ، (حقف) ، (سما) ، (وجف) وغيرها كثير.

[١٦] تفسير الطبري:٥٠٥/١٥.

وفي قوله تعالى:{وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود : ١١٤]، قولان:
أحدهما : صلاة العشاء الآخرة ، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وابن زيد[٣].
عن ابن عباس: "{زلفًا من الليل} يقول: صلاة العتمة"[٤].
عن مجاهد، في قول الله: "{وزلفًا من الليل}، قال: الساعات من الليل صلاة العتمة"[٥].
عن ابن زيد في قوله: "{وزلفًا من الليل}، قال: العتمة، وما سمعت أحدًا من فقهائنا ومشايخنا، يقول «العشاء»، ما يقولون إلا «العتمة»"[٦].
وعن الحسن: "{وزلفًا من الليل}، قال: العشاء"[٧].
الثانية : صلاة المغرب والعشاء ، قاله الحسن[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، والضحاك[١١]، ومحمد بن كعب القرظي[١٢].
وروي عن الحسن –مرفوعا-،:" قال الله لنبيه ﷺ: "{أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل}، قال: {زلفًا من الليل}: المغرب، والعشاء، قال رسول الله ﷺ «هما زُلْفَتا الليل، المغرب والعشاء»"[١٣].
وفي رواية أخرى عن الحسن-مرفوعا-:" قد بيّن اللهُ مواقيتَ الصلاة في القرآن، قال: {أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} [سورة الإسراء: ٧٨] ، قال: «دلوكها»: إذا زالت عن بطن السماء، وكان لها في الأرض فيءٌ. وقال: {أقم الصلاة طرفي النهار}، الغداة، والعصر {وزلفًا من الليل}، المغرب، والعشاء. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُما زلفتا الليل، المغرب والعشاء»"[١٤].
وقرئ:«وزلفا»، بضم الزاي واللام ، كأنه وجَّهه إلى أنه واحدٌ، وأنه بمنزلة "الحُلُم"، وقرأ بعض المكيين: «وَزُلْفًا»، ضم الزاي وتسكين اللام [١٥].
قوله تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود : ١١٤]، أي:" إنَّ فِعْلَ الخيرات يكفِّر الذنوب السالفة ويمحو آثارها"[١٦].
قال الحسن:" استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات. وإنكم لن تجدوا شيئا أذهب بسيئة قديمة من حسنة حديثة قال الحسن: وأنا أجد تصديق ذلك في كتاب الله: {إن الحسنات يذهبن السيئات}"[١٧].
وفي قوله تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود : ١١٤]، وجوه:
أحدها : الصلوات الخمس، قاله عثمان بن عفان[١٨]، وابن مسعود[١]، وابن عباس[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، الضحاك[٥]، ومحمد بن كعب القرظي[٦]، وسلمان[٧]، ومسروق[٨].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٩):ص١٥/٥٠٧.
[٢]انظر: تفسير الطبري(١٨٦٢٦):ص١٥/٥٠٧.
[٣]انظر: تفسير الطبري(١٨٦٣٣):ص١٥/٥٠٧.
[٤] اخرجه الطبري(١٨٦٢٩):ص١٥/٥٠٧.
[٥] اخرجه الطبري(١٨٦٢٦):ص١٥/٥٠٧.
[٦] اخرجه الطبري(١٨٦٣٣):ص١٥/٥٠٧.
[٧] اخرجه الطبري(١٨٦٣٠):ص١٥/٥٠٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٣٤):ص١٥/٥٠٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٣٧):ص١٥/٥٠٨.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤١):ص١٥/٥٠٨.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤٦):ص١٥/٥٠٩.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤٢):ص١٥/٥٠٨.
[١٣] أخرجه الطبري(١٨٦٣٦):ص١٥/٥٠٧-٥٠٨.
[١٤] أخرجه الطبري(١٨٦٤٠):ص١٥/٥٠٨.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:١٥/٥٠٦.
[١٦] التفسير الميسر:٢٣٤.
[١٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٤):ص٦/٢٠٩٢.
[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٦٢)-(١٨٦٦٤):ص١٥/٥١١-٥١٣.

وروي عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "جعلت الصلوات كفارات لما بينهن، فإن الله قال: {إن الحسنات يذهبن السيئات}"[٩].

وعن أبي عثمان النهدي قال: "كنت مع سلمان تحت شجرة، فأخذ غصنا من أغصانها يابسًا فهزَّه حتى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ، كنت معه تحت شجرة، فأخذ غصنًا من أغصانها يابسًا فهزه حتى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: ألا تسألني لم أفعل هذا يا سلمان؟ فقلت: ولم تفعله؟ فقال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلَّى الصلوات الخمس، تحاتّت خطاياه كما تحاتَّ هذا الورق. ثم تلا هذه الآية: (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل) ، إلى آخر الآية"[١٠].

الثاني : هي قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». قاله مجاهد[١١].

وروي عطاء بن دينار، في قوله: "{إن الحسنات يذهبن السيئات}، قال: وإن من الحسنات قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»، وهن الباقيات الصالحات"[١٢].

الثالث : أن الحسنات المقبولة يذهبن السيئات المغفورة[١٣].

الرابع : أن الثواب الطاعات يذهبن عقاب المعاصي[١٤].

قال الطبري: "الصواب في ذلك، قولُ من قال في ذلك: "هن الصلوات الخمس"، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال: «مَثَلُ الصلوات الخمس مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَى بابِ أَحَدِكم، ينغمس فيه كل يومٍ خمس مرات، فماذا يُبقِينَ من دَرَنه؟»[١٥]، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعدُ على إقامتها الجزيلَ من الثواب عَقيبها، أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال، إذا خُصّ بالقصد بذلك بعضٌ دون بعض"[١٦].

قال الحسن:" استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات. وإنكم لن تجدوا شيئا أذهب بسيئة قديمة من حسنة حديثة قال الحسن: وأنا أجد تصديق ذلك في كتاب الله: {إن الحسنات يذهبن السيئات}"[١٧].

قوله تعالى:{ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود : ١١٤]، أي:" والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن اتعظ بها وتذكر"[١٨].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٨):٥١١/١٥.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٢):٥١٠/١٥.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٤):٥١٠/١٥.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٦):٥١١/١٥.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٤):٥١٠/١٥.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥١):٥١٠/١٥.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥٩):٥١١/١٥.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٦١):٥١١/١٥.
[٩] أخرجه الطبري(١٨٦٦٥):ص٥١٣/١٥.
[١٠] اخرجه الطبري(١٨٦٦٦):ص٥١٤/١٥.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٦٦٧):ص٥١٤/١٥-٥١٥.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٣):ص٢٠٩٢/٦.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٥٠٩/٢.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٥٠٩/٢.
[١٥]في روايةٍ: " مثل الصلوات الخمس مثل نهرٍ عظيمٍ ببابِ أحدِكم يغتسل فيه كل يومٍ خمس مراتٍ، فإنه لا يُبقي ذلك من دَرَنِه شيئاً ".
أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧)، والترمذي (٢٨٦٨)، والنسائي ١/ ٢٣٠ - ٢٣١.
وانظر تمام تخريجه في " صحيح ابن حبان " (١٧٢٦). والدرن: الوسخ.
[١٦] تفسير الطبري:٥١٥/١٥.
[١٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٤):ص٢٠٩٢/٦.
[١٨] التفسير الميسر:٢٣٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذا الذي أوعدت عليه من الركون إلى الظلم، وتهددت فيه، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يُذهبن السيئات، تذكرة ذكّرت بها قومًا يذكُرون وعد الله، فيرجُون ثوابه ووعيده، فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه، فلا يجيب داعيًا، ولا يسمع زاجرًا"[1].

عن الحسن :"{ذلك ذكرى للذاكرين}، قال: هم الذين يذكرون الله في السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء"[2].

عن مجاهد قال: "لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا"[3].

الفوائد:

١- بيان سنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة وفي الحديث " الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها ما لم تغش الكبائر "[4].

٢- أن الأعمال الصالحة: إذا كان العمل صالحاً؛ خالصاً لله تعالى وحده، موافقاً لشرعه، وسنة رسوله ﷺ ويأتي في مكانه وزمانه الذي حدده الشرع؛ فإنه باتفاق أهل السنة والجماعة يكفر الذنوب والمعاصي.

٣- أن العبادة هي كل ما أمر الله عز وجل به أو عظمه أو بين فضله، سواءٌ أكان على وجه الإيجاب مثل الصلاة {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِيِ النَّهَارِ} [هود:١١٤] إلى آخر الآية، ومثل إيتاء الزكاة {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة:٤٣]، أم على وجه الاستحباب، مثل المستحبات كلها الممدوحة عند الله عز وجل، فهذه كلها داخلة في العبادة.

القرآن

{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)} [هود : ١١٥]

التفسير:

واصبر -أيها النبي- على الصلاة، وعلى ما تَلْقى من الأذى من مشركي قومك؛ فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم.

قوله تعالى:{وَاصْبِرْ} [هود : ١١٥]، أي:" واصبر -أيها النبي- على الصلاة، وعلى ما تَلْقى من الأذى من مشركي قومك"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: واصبر، يا محمد، على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه، رجاءَ جزيل ثواب الله على ذلك"[6].

قال البغوي: {وَاصْبِرْ}" يا محمد على ما تلقى من الأذى. وقيل: على الصلاة، ونظيره {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها} [طه -١٣٢]"[7].

قال الزمخشري:" ثم كر إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير، وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله، كأنه قال: وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية، وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه، فلا يتم شيء منه إلا به"[8].

---

(١) تفسير الطبري:٥١٥/١٥.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٦):ص٢٠٩٣/٦.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٧٥):ص٢٠٩٢/٦.

(٤) .

(٥) التفسير الميسر:٢٣٤.

(٦) تفسير الطبري:٥٢٦/١٥.

(٧) تفسير البغوي:٢٠٥/٤.

(٨) الكشاف:٤٣٦/٢.

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود : ١١٥]، أي:" فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم"[١].

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود : ١١٥]، أي:" فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم"[٢].

قال البغوي: أي:" في أعمالهم "[٣].

قال الطبري:" فإن الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره، فيذهب به، بل يوَفّره أحوجَ ما يكون إليه"[٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يعني: المصلين"[٥].

قال الزمخشري:" {فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}: جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات"[٦].

قال السمعاني:" ظاهر المعنى، حث على الصبر على هذه الصلوات، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"[٧].

عن الربيع بن أنس قال: "مكتوب في الكتاب الأول أن الحاسد لا يضر بحسده إلا نفسه ليس ضارا من حسد وإن الحاسد ينقضه حسده وإن المحسود إذا صبر أنجاه تصبره، لأن الله يقول: {واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}"[٨].

الفوائد:

١- وجوب الصبر والإحسان وأنهما من أفضل الأعمال.

٢- الإجتهاد في التحقق من مقام الإحسان: في عبادة الله والإحسان إلى خلقه، فيجتهد، أن يعبد الله كأنه يشاهده ويراه، فيجتهد في إكمال العمل واتقانه ولا يزال العبد يجاهد نفسه: ليتحقق بهذا المقام العالي، حتى يقوم إيمانه ويقينه ويصل في ذلك إلى حق اليقين ـ الذي هو أعلى مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات، ويجد ثمرة المعاملات، وهذا هو الإيمان الكامل وكذلك الإحسان إلى الخلق ـ بالقول، والفعل والمال والجاه وأنواع المنافع، هو من الإيمان ومن دواعي الإيمان، والجزاء من جنس العمل، فكما أحسن إلى عباد الله وأوصل إليه من بره، أحسن الله إليه أنواعاً من الإحسان ومن أفضها: أن يقوي إيمانه ورغبته في فعل الخير، والتقرب إلى ربه وإخلاص العمل له وبذلك يتحقق العبد بالنصح لله، ولعباده، فإن الدين النصيحة، ومن وفق للإحسان في عبادة ربه، والإحسان في معاملة الخلق، فقد تحقق نصحه.

- قال تعالى: { إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى }[النحل، آية: ٩٠].
- وقال تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[آل عمران، آية ١٣٤].
- وقال تعالى: { إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }[الأعراف، آية: ٥٦].
- وقال تعالى: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }[هود، آية: ١١٥].
- وقال تعالى: " هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }[الرحمن، آية: ٦٠].
- وقال تعالى: { إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}[النحل، آية: ١٢٨].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٤.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٤.
[٣] تفسير البغوي:٢٠٥/٤.
[٤] تفسير الطبري:٥٢٦/١٥.
[٥] تفسير البغوي:٢٠٥/٤.
[٦] الكشاف:٤٣٦/٢.
[٧] تفسير السمعاني:٤٦٧/٢.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٧٧):ص٢٠٩٣/٦.

فالمحسنون يشعرون بمعية الله يا له من شعور عظيم يستحقه المحسنون[١].

القرآن

{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)} [هود : ١١٦]

التفسير:

فهلاَّ وُجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم، وعن الفساد في الأرض، لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجَّاهم الله بسبب ذلك مِن عذابه حين أخذ الظالمين. واتَّبع الذين ظلموا أنفسهم ما مُتِّعوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها، وكانوا مجرمين ظالمين باتباعهم ما تنعموا فيه، فحقَّ عليهم العذاب.

قوله تعالى:{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} [هود : ١١٦]، أي:" فهلاَّ وُجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم، وعن الفساد في الأرض"[٢].

وفي قوله تعالى:{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ} [هود : ١١٦]، ثلاثة وجوه[٣]:

أحدها : أولو طاعة

الثاني : أولو تمييز .

الثالث : أولو حذر من الله تعالى .

قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود : ١١٦]، أي:" لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجَّاهم الله بسبب ذلك مِن عذابه حين أخذ الظالمين"[٤].

قوله تعالى:{وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ} [هود : ١١٦]، أي:" واتَّبع الذين ظلموا أنفسهم ما مُتِّعوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات ، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك ، حتى فَجَأهم العذابُ"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ}، وجهان:

أحدهما : أنهم اتبعوا على ظلمهم ما أترفوا فيه من استدامة نعمهم استدراجاً لهم[٧].

الثاني : أنهم أخذوا بظلمهم فيما أترفوا فيه من نعمهم . والمترف : المنعّم . وقال ابن عباس : أترفوا فيه : معناه انظروا فيه .

قوله تعالى:{وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود : ١١٦]، أي:" وكانوا مجرمين ظالمين باتباعهم ما تنعموا فيه، فحقَّ عليهم العذاب"[٨].

الفوائد:

١- في الآية عبرة وموعظة للعصاة من المسلمين، لأنهم لا يخلون من ظلم أنفسهم.

٢- غربة الإسلام وفضل الغرباء، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبي للغرباء"[٩].

---

[١] انظر: شجرة الإيمان/٥٣، وأخلاق عمرو خالد:٣٨..

[٢] التفسير الميسر:٢٣٤.

[٣] انظر: النكت والعيون:٥١٠/٢.

[٤] التفسير الميسر:٢٣٤.

[٥] التفسير الميسر:٢٣٤.

[٦] تفسير ابن كثير:٣٦١/٤.

[٧] انظر: النكت والعيون:٥١٠/٢.

[٨] التفسير الميسر:٢٣٤.

[٩] رواه مسلم: الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٣٨٩/٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الكلام على قوله تعالى: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا} . الآية: "الغرباء في هذا العالم هم أهل الصفة المذكورة في هذه الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء»[١]، قيل: ومَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»"[٢]"[٣].

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: " «طوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[٤].

٣- ما يزال الناس بخير ما وجد بينهم أولو الفضل والخير يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن الفساد والشر.

٤- الترف كثيرا ما يقود إلى الإجرام على النفس بإتباع الشهوات وترك الصالحات.

القرآن

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)} [هود : ١١٧]

التفسير:

وما كان ربك -أيها الرسول- ليهلك قرية من القرى وأهلها مصلحون في الأرض، مجتنبون للفساد والظلم، وإنما يهلكهم بسبب ظلمهم وفسادهم.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود : ١١٧]، أي:" أي ما جرت عادة الله تعالى أن يهلك القرى ظلماً وأهلُها مصلحون في أعمالهم"[٥].

وفي تفسير هذه الآية قولان[٦]:

أحدهما: أنه لا يهلكهم بمجرد الشرك إذا تعاطوا الإنصاف فيما بينهم، ولم يظلم بعضهم بعضا.

والثاني: أن الله لا يظلم أهل قرية فيهلكهم بلا جناية.

قال السمعاني: "والأول أشهر"[٧].

قال الزجاج:" يجوز أن يكون: وما كان ربك ليهلك أحدا وهو يظلمه، كما قال: {إن الله لا يظلم الناس شيئا}، وجائز أن يكون معناه: وما كان ربك ليهلك القرى - ومعناه :أهل القرى – بظلم وأهلها يتعاطون فيما بينهم بالنصفة"[٨].

قال البغوي:" أي: لا يهلكهم بشركهم، {وأهلها مصلحون} فيما بينهم يتعاطون الإنصاف ولا يظلم بعضهم بعضا، وإنما يهلكهم إذا تظالموا، وقيل: لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات"[٩].

قال الواحدي:" أَيْ: ليس من سبيل الكفَّار إذا قصدوا الحقَّ في المعاملة أن يُنزِّل اللَّهُ بهم عذاب الاستئصال كقوم لوطٍ عُذِّبوا باللِّواط وقوم شعيب عُذِّبوا ببخس المكيال"[١٠].

---

[١] سبق تخريجه في الفائدة(٢).

[٢]أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة، و (١٤٦) من حديث ابن عمر، والترمذي (٢٦٢٩، ٢٦٣٠) من من حديث ابن مسعود وعمرو بن عوف، وابن ماجه (٣٩٨٦) من حديث أبي هريرة، و (٣٩٨٧) من حديث أنس بن مالك.

[٣] مدارك السالكين:١٨٤/٣.

[٤]أخرجه أحمد في المسند (٢ / ١٧٧) ، (٢ / ٢٢٢).

[٥] صفوة التفاسير:٣٢/٢.

[٦] انظر: تفسير السمعاني:٤٦٧/٢.

[٧]تفسير السمعاني:٤٦٧/٢.

[٨] معاني القرآن:٨٣/٣.

[٩] تفسير البغوي:٢٠٦/٤.

[١٠] الوجيز:٥٣٥.

قال الثعلبي:" {بظلم}: بظلم منه لهم، {وأهلها مصلحون} في أعمالهم غير مسيئين، لكنه يهلكها بكفرهم وإتيانهم السيئات، وقيل: معناه لم يكن ليهلكهم بشركهم وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون، ويتعاطون الحق بينهم وإن كانوا مشركين، وإنما يهلكهم إذا ظلموا

قال أبو الليث السمرقندي:" يقول: لم يكن ربك ليعذب أهل قرية، {بظلم}، يعني: بغير جرم، {وأهلها مصلحون}، يعني: موحدين مطيعين، وروي عن ابن عباس أنه قال: «ما أهلك الله قوما إلا بعملهم، ولم يهلكهم بالشرك» ، يعني: لم يهلكهم بشركهم وهم مصلحون، لا يظلم بعضهم بعضا، لأن مكافأة الشرك النار، لا دونها. وإنما أهلكهم الله بمعاصيهم زيادة على شركهم، مثل قوم صالح بعقر الناقة، وقوم لوط بالأفعال الخبيثة، وقوم شعيب بنقصان الكيل والوزن، وقوم فرعون بإيذائهم موسى وبني إسرائيل. ويقال: وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون يعني: وفيهم من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. وقال: لم يكن ليهلكهم وهم يتعاطون الحق فيما بينهم، وإن كانوا مجرمين "[1].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما كان ربك، يا محمد، ليهلك القرى، التي أهلكها، التي قَصَّ عليك نبأها، ظُلْمًا وأهلها مصلحون في أعمالهم، غير مسيئين، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربّهم، ظلمًا، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيِّهم، وتكذيبهم رُسُلهم، وركوبهم السيئات، وقد قيل: معنى ذلك: لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله. وذلك قوله "بظلم" يعني: بشرك {وأهلها مصلحون}، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطَون الحقّ بينهم، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا "[2].

قال مكي :" المعنى: وما كان ربك يا محمد أن يهلك القرى التي قص عليم نبأها (بظلم)، وأهلها مصلحون، ولكن أهلكها بكفرها.

وقيل: المعنى: ما كان الله ليهلكهم بظلمهم، أي: بشركهم، وهم مصلحون، لا يتظالمون بينهم، إنما يهلكهم إذا جمعوا مع الشرك غيره من الفساد. ألا ترى إلى قوله في قوم لوط؟: {وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السيئات} [هود: ٧٨]، يريد الشرك، فعذبهم باللواط الذي أَافوه إلى شركهم. وأخبر الله عن قوم شعيب أنه عذبهم لنقصهم الكيل، وأمسك عن ذكر شركهم، وهذا قول غريب"[3].

الفوائد:

١- متى كان أهل القرى صالحين فهم آمنون من كل المخاوف.
٢- إن بركة الذوات لا تكون إلا لمن نص الله تعالى على إعطائه البركة كالأنبياء والمرسلين، وأما غيرهم من عباد الله الصالحين فبركتهم بركة عمل، أي: ناشئة عن علمهم وعملهم وإتباعهم لا عن ذواتهم، ومن هذه البركات:
أ- دعاؤهم الناس إلى الخير، ودعاؤهم لهم، ونفعهم الخلق بالإحسان إليهم بنية صالحة ونحو هذا.
ب- ومن آثار بركات أعمالهم ما يجلب الله من الخير على الأمة بسببهم، ويدفع من النقمة والعذاب العام ببركة إصلاحهم ، كما قال تعالى: {وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} [هود: ١١٧].
١- أن ما أصاب بلاد المسلمين من الغزو والدمار هو عقوبة من الله سبحانه لنا بسبب تفشي المنكرات فينا مع عدم الإصلاح، فتحققت فينا سنة من سنن الله الخالدة وهي قوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)} [هود:١١٧] وقوله سبحانه: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}[القصص:٥٩]، وهو المعنى المذكور في قول عمر بن

---

[1] بحر العلوم:١٧٥/٢.
[2] تفسير الطبري:٥٣٠/١٥.
[3] الهداية إلى بلوغ النهاية:٣٤٨٧/٥.

الخطاب رضي الله عنه في وصيته لجيش سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند سيره لفتح فارس: "واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا. فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله الكفار والمجوس، {فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)} [الإسراء:٥]، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم"[١].

وقول عمر رضي الله عنه «فرب قوم قد سلط عليهم شر منهط: قد تكرر وقوعه في الأمة الإسلامية، حيث تسلط الصليبيون على ممالك الأندلس الإسلامية فمحوها من الوجود وصارت اليوم بلادا صليبية كافرة، وتسلط التتار (المغول) الكفار على دولة الخلافة العباسية فدمروا مدينة بغداد وذبحوا الخليفة العباسي، وتسلط الصليبيون مرة أخرى على دولة الخلافة العثمانية حتى محوها وأزالوا الخلافة.

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨)} [هود : ١١٨]

التفسير:

ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم؛ وذلك مقتضى حكمته.[٢].

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} [هود : ١١٨]، أي:" ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} [هود : ١١٨]، وجهان:

أحدهما : على ملة الإسلام وحدها ، قاله سعيد بن جبير[٤].

الثاني : أهل دين واحد ، أهل ضلالة وأهل هدى ، قاله الضحاك[٥].

قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود : ١١٨]، أي:" ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم، وذلك مقتضى حكمته"[٦].

قال ابن كثير:" أي: ولا يزال الخُلْفُ بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩)إِلَّا مَنْ رَحِمَ } [هود : ١١٨-١١٩]، أقوال:

أحدها : مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق، قاله الحسن[٨]، ومجاهد[٩]، وعطاء[١٠]، وعكرمة[١١]، والأعمش[١٢].

قال عطاء:" اختلاف الملل"[١٣]. "والحنيفيَّة همُ الذين رحم ربُّك"[١].

---

[١] هذا الأثر لا يصح عن عمر رضي الله عنه ، ولا نعلم له إسنادا ، وإنما ذكره ابن عبد ربه رحمه الله في " العقد الفريد " (١/ ١١٧) بلا إسناد .

[٢] التفسير الميسر:٢٣٥.

[٣] التفسير الميسر:٢٣٥.

[٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٧٩):ص٢٠٩٣/٦.

[٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٧٨):ص٢٠٩٣/٦.

[٦] التفسير الميسر:٢٣٥.

[٧] تفسير ابن كثير:٣٦١/٤.

[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٨٢):ص٢٠٩٣/٦.

[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٩٣/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٠٠)، و(١٨٧٧٠١):ص٥٣١/١٥-٥٣٢.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٧١١):ص٥٣٣/١٥.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٧١٥):ص٥٣٣/١٥.

[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٨٣):ص٢٠٩٤/٦.

الثاني : مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة ، قاله ابن عباس[٢].
قال ابن عباس:" لا يزالون مختلفين في الهوى"[٣].
الثالث : مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة . قاله الحسن[٤].
الرابع : مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق[٥].
الخامس: مختلفين في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة. حكاه الطبري عن بعضهم[٦].
السادس : أنه معنى «مختلفين»، أي: يخلف بعضهم بعضاً ، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سوءاً في كل منهم خلف بعضهم بعضاً ، فاقتتلوا ومنه قولهم : ما اختلف الجديدان ، أي جاء هذا بعد ذاك ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٧].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قولُ من قال: معنى ذلك: "ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله"، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : ١١٩]، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرزق، لم يعقّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعَذابهم"[٨].
الفوائد:

١- من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن. فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} [يس: ٨٢] وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه {ولو شاء الله لجمعهم على الهدى} ، {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة} ، {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا} ، {أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا} ، {ولو شاء الله ما اقتتلوا} ، {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك {وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا} [فاطر: ٤٤]
٢- يجب اعتقاد أن الله تعالى مريد لجميع أعمال العباد، خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر إلا بمشيئته، قال الله تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة} [هود: ١١٨]، {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا} [يونس: ٩٩]، ولو شاء سبحانه أن لا يعصى ما خلق إبليس، وكفر الكافرين، وإيمان المؤمنين، وإلحاد الملحدين، وتوحيد الموحدين، وطاعة المطيعين، ومعصية العاصين، كلها بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته، أرادها، وشاءها، وقدرها، وقضاها. ويرضى سبحانه الإيمان

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٧٠٠):ص٥٣١/١٥.
[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٨٠):ص٢٠٩٣/٦.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٨١):ص٢٠٩٣/٦.
[٤] انظر:تفسير الطبري(١٨٧١٩):ص٥٣٤/١٥.
[٥] انظر: النكت والعيون:٥١١/٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٥، والنكت والعيون:٥١١/٢.
[٧] انظر: النكت والعيون:٥١١/٢.
[٨] تفسير الطبري:٥٣٤/١٥-٥٣٥.

والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية ولا يرضاها، قال الله تعالى: {إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم} [الزمر: ٧][١].

القرآن

{إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)} [هود : ١١٩]

التفسير:

إلا مَن رحم ربك فآمنوا به واتبعوا رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خَلَقهم مختلفين: فريق شقيٌّ وفريق سعيد، وكل ميسر لما خُلِق له. وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان.

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود : ١١٩]، أي:" إلا مَن رحم ربك فآمنوا به واتبعوا رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إلا المرحومين من أتباع الرسل ، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين ، أخبرتهم به رسل الله إليهم ، ولم يزل ذلك دأبهم ، حتى كان النبي ﷺ الأمي خاتم الرسل والأنبياء ، فاتبعوه وصدقوه ، ونصروه ووازروه ، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة ؛ لأنهم الفرقة الناجية ، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن، من طرق يشد بعضها بعضا : "إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة واحدة". قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : «ما أنا عليه وأصحابي»[٣]" [٤].

قوله تعالى:{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود : ١١٩]، أي:" خلقهم لتكون العاقبة اختلافهم ما بين شقي وسعيد"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود : ١١٩]، أربعة وجوه:

أحدها : للاختلاف خلقهم ، قاله الحسن[٦]، وعطاء[٧].

الثاني : للرحمة خلقهم ، قاله ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، والضحاك[١٠]، وقتادة[١١].

قال ابن عباس:" للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب"[١٢].

وقال عكرمة:" أهل الحقّ ومن اتبعه لرحمته"[١٣].

---

[١] انظر: الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ابن العطاؤ:٢٥١.

[٢] التفسير الميسر: ٢٣٥.

[٣]رواه الترمذي بسند ضعيف في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ح ((٢٦٤١)) ٢٦/٥. ولكنه ورد بروايات أخرى صحيحه كما في أبي داود، كتاب السنة باب شرح السنة ح ((٤٥٩٦-٤٥٩٧)) ٤/٥-٥. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ح ((٣٩٩١)) ١٣٢١/٥. وأحمد في المسند ١٠٢/٤، والحاكم في المستدرك ١٢٨/١. وتتبع الألباني طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ((٢٠٣، ٢٠٤).

[٤] تفسير ابن كثير:٣٦١/٤-٣٦٢.

[٥] صفوة التفاسير:٣٢/٢.

[٦] انظر: تفسير البطبري(١٨٧٢٠)-(١٨٧٢٥):ص٥٣٥/١٥-٥٣٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٨):ص٢٠٩٦/٦.

[٧] انظر: النكت والعيون:٥١١/٢.

[٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٢٩١):ص٢٠٩٥/٦، .

[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٤):ص٢٠٩٥/٦.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٣٦):ص٥٣٧/١٥.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٣٥):ص٥٣٧/١٥.

[١٢]أخرجه الطبري(١٨٧٣٨):ص٥٣٧/١٥ .

[١٣]أخرجه الطبري(١٨٧٣٧):ص٥٣٧/١٥ .

روي عن ابن أبي نجيح، عن طاوس :"أن رجلين اختصما إليه فأكثرا فقال طاوس اختلفتما وأكثرتما قال أحد الرجلين لذلك خلقنا فقال طاوس كذبت قال: أليس الله يقول: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}، قال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة"[١].

وقال عمر بن عبدالعزيز:" خلق أهل رحمته ألا يختلفوا"[٢].

الثالث : للشقاء والسعادة خلقهم ، قاله ابن عباس[٣]، واختاره الطبري[٤].

قال ابن عباس:" خلقهم فرقتين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف وذلك قوله: { فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيد}[٥]"[٦].

الرابع : للجنة والنار خلقهم ، قاله الحسن[٧].

عن منصور بن عبد الرحمن قال: "قلت للحسن: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}، قال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء للنار، وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء للعذاب"[٨].
للعذاب"[٨].

وعن الحسن أيضا:" خلق أهل رحمته للجنة لئلا يختلفوا وخلق أهل الاختلاف لناره"[٩].
لناره"[٩].

قال الأشهب: "سألت مالكا عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة، وفريق في السعير"[١٠].

قال الطبري:الصواب" قولُ من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقَّب ذلك بقوله: {ولذلك خلقهم}، فعمّ بقوله: {ولذلك خلقهم} ، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميَسَّر لما خلق له"[١١].

قوله تعالى:{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : ١١٩]، أي:" تمَّ أمر الله ونفذ قضاؤه بأن يملأ جهنم من الجنّ والإنس من الكفرة الفجرة جميعا"[١٢].

الفوائد:

٣- الاتفاق رحمة والخلاف عذاب.

٤- كفرة الجن يدخلون النار كما يدخلها كفرة الإنس، قال تعالى:{ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}، فالجن مكلفون كالإنس، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: ٥٦] .

٥- أن لوقوع المعاصي والكفر حكم كثيرة منها[١٣]:

أ- إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النار أن يملأها قال الله تعالى:{ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٣):ص٢٠٩٥/٦.

[٢] اخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٦):ص٢٠٩٥/٦.

[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٢):ص٢٠٩٥/٦.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٥٣٧/١٥.

[٥][هود : ١٠٥].

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٢):ص٢٠٩٥/٦.

[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٢٩٥):ص٢٠٩٥/٦.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٥):ص٢٠٩٥/٦.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٢٩٧):ص٢٠٩٥/٦.

[١٠] الكشف والبيان:١٩٤/٥.

[١١] تفسير الطبري:٥٣٧/١٥.

[١٢] صفوة التفاسير:٣٢/٢.

[١٣] انظر: المجموع الثمين، لابن عثيمين١/ ١٥٩-١٧٠.

ب- ظهور حكمة الله تعالى وقدرته حيث قسم العباد إلى قسمين طائع وعاصي، فإن هذا التقسيم يتبين به حكمة الله عز وجل فإن الطاعة لها أهل هم أهلها، والمعصية لها أهل هم أهلها قال تعالى: {الله أعلم حيث يجعل رسالته} [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم}[محمد: ١٧]، فهؤلاء أهل الطاعة، وقال تعالى:{وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون}[التوبة: ١٢٥]، وقال: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}[الصف: ٥]، وهؤلاء أهل المعصية، ويتبين بذلك قدرته بهذا التقسيم الذي لا يقدر عليه إلا الله كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء}[البقرة: ٢٧٢٩]، وقال تعالى {إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}[القصص: ٢٦].

ت- لجوء العبد إلى ربه بالدعاء أن يباعد بينه وبين المعصية والدعاء عبادة لله تعالى.

ث- ومنها أن العبد إذا وقع في المعصية ومن الله عليه بالتوبة إزداد إنابة إلى الله وانكسر قلبه وربما يكون بعد التوبة أكمل حالا منه قبل المعصية حيث يزول عنه الغرور والعجب ويعرف شدة افتقاره إلى ربه.

ج- ومنها أن يتبين للمطيع قدر نعمة الله عليه بالطاعة إذا رأى حال أهل المعصية قال تعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [آل عمران: ١٦٤].

ح- ومنها إقامة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لولا المعاصي والكفر لم يكن جهاد ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلى غير ذلك من الحكم والمصالح الكثيرة ولله في خلقه شؤون.

القرآن

{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)} [هود : ١٢٠]

التفسير:

ونقصُّ عليك -أيها النبي- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوِّي قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله.

قوله تعالى:{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود : ١٢٠]، أي:" ونقصُّ عليك -أيها النبي- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوِّي قلبك للقيام بأعباء الرسالة"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وكلا نقصّ عليك}، يا محمد {من أنباء الرسل}، الذين كانوا قبلك {ما نثبت به فؤادك} ، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، وردَّ عليك ما جئتهم به، ولا يضق صدرك، فتترك بعض ما أنزلتُ إليك من أجل أن قالوا: {لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك} ؟ إذا علمت ما لقي من قبلك من رسلي من أممها"[٢].

عن ابن جريج قوله: "{وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك}، قال: لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم"[٣].

---

[١] التفسير الميسر: ٢٣٥.

[٢] تفسير الطبري:٥٣٩/١٥.

[٣] أخرجه الطبري(١٨٧٤١):ص٥٣٩/١٥.

قوله تعالى:{وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ} [هود : ١٢٠]، أي:" وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه"[١].

وفي قوله تعالى:{وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ} [هود : ١٢٠]، ثلاثة وجوه:

أحدها : في هذه السورة ، قاله ابن عباس[٢]، وأبو موسى[٣]، والحسن[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، وأبو العالية[٦]، ومجاهد[٧]،وقتادة[٨]، والربيع بن أنس[٩].

الثاني : في هذه الدنيا ، قاله الحسن[١٠]، وقتادة[١١].

الثالث : في هذه الأنباء ، حكاه ابن عيسى[١٢].

قال الطبري: والصواب" في تأويل ذلك، قول من قال: وجاءك في هذه السورة الحق، لإجماع الحجة من أهل التأويل، على أن ذلك تأويله"[١٣].

وفي هذا«الحق»، وجهان [١٤]:

أحدهما : صدق القصص وصحة الأنباء وهذا تأويل من جعل المراد السورة .

الثاني : النبوة ، وهذا تأويل من جعل المراد الدنيا .

قوله تعالى:{وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود : ١٢٠]، أي:" وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله"[١٥].

قال الطبري: "يقول: وجاءك موعظةٌ تعظ الجاهلين بالله، وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله {وذكرى للمؤمنين}، يقول: وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله، كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم"[١٦].

قال الشعبي:" موعظة من الجهل"[١٧].

وقوله تعالى{ وَمَوْعِظَةٌ}[هود : ١٢٠]، يحتمل وجهين[١٨]:

أحدهما : القرآن الذي هو وعظ الله تعالى لخلقه.

الثاني : الاعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي -ﷺ- «والسعيد من وعظ بغيره»[١٩].

عن قتادة قال :"المؤمنون هم العجاجون بالليل والنهار ﷺ والله ما زالوا يقولون: «ربنا»، حتى استجيب لهم"[٢٠].

الفوائد:

---

[١] التفسير الميسر: ٢٣٥.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٤٤)-(١٨٤٨):ص١٥/٥٤٠-٥٤١.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٤٢):ص١٥/٥٤٠.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٦)-(١٨٧٥٨):ص١٥/٥٤٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٣):ص١٥/٥٤١.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٤):ص١٥/٥٤١-٥٤٢
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٠)-(١٨٧٥٢):ص١٥/٥٤١.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٦٠):ص١٥/٥٤٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٥٥):ص١٥/٥٤٢.
[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٠٤):ص٦/٢٠٩٦.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٦٣):ص١٥/٥٤٢-٥٤٣.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢/٥١٢.
[١٣] تفسير الطبري:١٥/٥٤٣.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢/٥١٢.
[١٥] التفسير الميسر: ٢٣٥.
[١٦] تفسير الطبري:١٥/٥٤٣.
[١٧] اخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٠٥):ص٦/٢٠٩٧.
[١٨] انظر: النكت والعيون:٢/٥١٢.
[١٩]أخرجه ابن عساكر (٣٣/١٧٩).
[٢٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٦):ص٦/٢٠٩٧.

١- أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود: ١٢٠]، وقال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} [هود: ١٠٠]، وقال تعالى: {كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا} [طه: ٩٩].

٢- بيان فائدة القصص القرآني وهي أمور منها:

أ- تثبيت قلب النبي ﷺ: فإنه ﷺ كان يضيق صدره بإيذاء القوم وشرهم كما أخبر الله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} [الحجر : ٩٧]، فيقص الله قصة من قصص الأنبياء مناسبة لحاله في ذلك الوقت لتثبيت قلبه، كما أخبر الله تعالى: {وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين} .

ب- إيجاد مواعظ وعبر للمؤمنين.

ت- تقرير نبوة الرسول ﷺ.

٣- كما أرشدنا القرآن إلى التأمل في الكون الطبيعي وآيات الله فيه، نبهنا كذلك إلى تأمل آيات الله في الكون الاجتماعي وسنن الله في استقرار الملك فيه، فكان يذكر القصة وما يحيط بها من ملابسات وعوامل الاستقرار أو الانهيار، ثم يختمها بقوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ... } . ولقد تكرر ذلك في القرآن كثيرا؛ ليفيد منه المسلمون ويعوا الدرس ويأخذوا العبرة كما قال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} [يوسف: ١١١] وقال سبحانه: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١٢٠].

فبالإضافة إلى تثبيت فؤاده -ﷺ- كان على المسلمين أن يفقهوا الموعظة ويتذكروا سنة الله في الأمم الخالية، ويجب على المسلم أن يراجع ما قصه القرآن الكريم من أحوال الأمم الماضية؛ ليعلم يقينا أن السنن ماضية في الكون الاجتماعي بنفس الدرجة التي تعمل بها في الكون الطبيعي، وكما أن النار سبب في الإحراق فكذلك الظلم والفساد سبب في انهيار الملك، ولا فرق بين تحقق القانون هنا أو هناك إذا وجد المقتضى التام وارتفعت الموانع، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

القرآن

{وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١)} [هود : ١٢١]

التفسير:

وقل -أيها الرسول- للكافرين الذين لا يقرُّون بوحدانية الله: اعملوا ما أنتم عاملون على حالتكم وطريقتكم في مقاومة الدعوة وإيذاء الرسول والمستجيبين له، فإنَّا عاملون على مكانتنا وطريقتنا من الثبات على ديننا وتنفيذ أمر الله.

قوله تعالى:{وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} [هود : ١٢١]، أي:" وقل -أيها الرسول- للكافرين الذين لا يقرُّون بوحدانية الله: اعملوا على طريقتكم ومنهجكم إنا عاملون على طريقتنا ومنهجنا"[١].

قال البيضاوي:" {اعملوا على مكانتكم}، على حالكم. {إنا عاملون} على حالنا"[٢].

قال القرطبي:" تهديد ووعيد"[٣].

قال ابن الجوزي:" هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة أمركم"[٤].

---

[١] انظر: التفسير الميسر:٢٣٥، وصفوة التفاسير:٣٣/٢.

[٢] تفسير البيضاوي:١٥٢/٣.

[٣] تفسير القرطبي:١١٧/٩.

[٤] زاد المسير:٤١٠/٢.

قال أبو حيان:" {اعملوا}: صيغة أمر ومعناه: التهديد والوعيد، والخطاب لأهل مكة وغيرها. على مكانتكم أي: جهتكم وحالكم التي أنتم عليها. وقيل: اعملوا في هلاكي على إمكانكم"[1].

قال ابن كثير:" أي : على طريقتكم ومنهجكم ، { إِنَّا عَامِلُونَ }، أي : على طريقتنا ومنهجنا "[2].

عن الضحاك :"{اعملوا على مكانتكم}، على ناحيتكم"[3].

عن قتادة قوله: "{اعملوا على مكانتكم}، أي: منازلكم"[4].

قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: وهذه الآية اقتضت تركهم على أعمالهم، والاقتناع بإنذارهم، وهي منسوخة بآية السيف. واعلم أنه إذا قلنا: إن المراد بالآية التهديد، لم يتوجه نسخ"[5].

قال أبو حيان:" ويشبه أن يكون إيتاء موادعة، فلذلك قيل: إنهما[6] منسوخنان، وقيل: محكمتان، وهما للتهديد والوعيد والحرب قائمة"[7].

القرآن

{وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)} [هود : ١٢٢]

التفسير:

وانتظروا عاقبة أمرنا، فإنَّا منتظرون عاقبة أمركم.

قوله تعالى:{وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [هود : ١٢٢]، أي:" وانتظروا ما يحلُّ بنا إنا منتظرون ما يحل بكم من عذاب الله"[8].

قال القرطبي:" تهديد آخر"[9].

قال الطبري:"يقول: انتظروا مواعيد الشيطان إياكم على ما يزيّن لكم، {إنا منتظرون}"[10].

قال أبو الليث السمرقندي:" يقال: وانتظروا بهلاكي، إنا منتظرون بكم العذاب والهلاك، فهذا تهديد لهم"[11].

قال الثعلبي:" وانتظروا ما يحل بنا من رحمة الله إنا منتظرون ما يحل بكم من النقمة"[12].

قال الزمخشري:" وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم"[13].

قال الشوكاني:" فيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى. والمعنى: انتظروا عاقبة أمرنا فإنا منتظرون عاقبة أمركم وما يحل بكم من عذاب الله وعقوبته"[14].

---

[1] البحر المحيط:٢٢٩/٦.
[2] تفسير ابن كثير:٣٦٤/٤.
[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٧):ص٢٠٩٧/٦.
[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٨):ص٢٠٩٧/٦.
[5] زاد المسير:٤١٠/٢.
[6] أي :الآيتان:١٢١، و١٢٢.
[7] البحر المحيط:٢٢٩/٦.
[8] صفوة التفاسير:٣٣/٢.
[9] تفسير القرطبي:١١٧/٩.
[10] تفسير الطبري:٥٤٤/١٥.
[11] بحر العلوم:٢٧٦/٢.
[12] الكشف والبيان:١٩٥/٥.
[13] الكشاف:٤٣٩/٢.
[14] فتح القدير:٦٠٦/٢.

قال ابن كثير:" أي : فستعلمون من تكون له عاقبة الدار ، إنه لا يفلح الظالمون. وقد أنجز الله لرسوله وعده ، ونصره وأيده ، وجعل كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله عزيز حكيم"[1].

عن ابن جريج في قوله: "{وانتظروا إنا منتظرون} ، قال: يقول: انتظروا مواعيد الشيطان إياكم على ما يزيّن لكم {إنا منتظرون}"[2].

عن الربيع في قوله: "{وانتظروا}، قال: خوفهم عذابه وعقوبته ونقمته"[3].

فوائد الآيتين:[١٢١-١٢٢]:

١- وجوب تحسس أسباب الخير والبحث عنها.

٢- الحث على العمل والإصلاح.

القرآن

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)} [هود : ١٢٣]

التفسير:

ولله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض، وإليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده -أيها النبي- وفوِّض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاًّ بعمله.

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [هود : ١٢٣]، أي:" ولله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض"[4].

قال ابن ابي زمنين:" أي: لا يعلمه إلا هو"[5].

قال السمعاني:" أي: ولله علم ما غاب في السموات والأرض"[6].

قال البغوي:" أي: علم ما غاب عن العباد فيهما"[7].

قال البيضاوي:أي:" خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما"[8].

قال مكي:" المعنى: [لله] ما غاب عن أبصاركم في السماوات والأرض دون ما سواه"[9].

قال السعدي:" أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية"[10].

قال الزمخشري:" لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيهما، فلا تخفى عليه أعمالكم"[11].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولله، يا محمد، ملك كل ما غاب عنك في السموات والأرض فلم تطلع ولم تعلمه، ولم تعلمه، كل ذلك بيده وبعلمه، لا يخفى عليه منه شيء، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك، وما إليه مصير أمرهم، من إقامة على الشرك، أو إقلاعٍ عنه وتوبة"[12].

حكي الثعلبي عن ابن عباس في {لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، قال :"خزائن الله"[13].

---

[1] تفسير ابن كثير:٣٦٤/٤.

[2] أخرجه الطبري(١٨٧٦٥):ص٥٤٤/١٥.

[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٠٩):ص٢٠٩٧/٦.

[4] التفسير الميسر:٢٣٥.

[5] تفسير ابن أبي زمنين:٣١٤/٢.

[6] تفسير السمعاني:٤٦٩/٢.

[7] تفسير البغوي:٢٠٧/٤.

[8] تفسير البيضاوي:١٥٣/٣.

[9] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٠٥٤/٦.

[10] تفسير السعدي:٣٩٢.

[11] الكشاف:٤٣٩/٢.

[12] تفسير الطبري:٥٤٥/١٥.

[13] الكشف والبيان:١٩٥/٥.

وحكي الثعلبي عن الضحاك: "جميع ما غاب عن العباد"[١].

وقال مقاتل:" يقول: ولله غيب نزول العذاب وغيب ما فى الأرض"[٢].

قال الشوكاني:" أي: علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما وخص الغيب من كونه يعلم بما هو مشهود، كما يعلم بما هو مغيب، لكونه من العلم الذي لا يشاركه فيه غيره، وقيل: إن غيب السموات والأرض: نزول العذاب من السماء، وطلوعه من الأرض، والأول أولى، وبه قال أبو علي الفارسي وغيره، وأضاف الغيب إلى المفعول توسعا"[٣].

قال بعض أهل العلم بأن غيب السماوات والأرض، نوعان[٤]:

أحدهما: غيب نسبي: وهو ما غاب عن بعض الخلق دون بعض.

والثاني: غيب عام: وهو ما غاب عن الخلق عموماً.

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} [هود : ١٢٣]، أي:" وإليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة"[٥].

قال مقاتل:" يعني: أمر العباد يرجع إلى الله يوم القيامة وذلك قوله «وإلى الله ترجع الأمور» يعني أمور العباد"[٦].

قال ابن ابي زمنين: أي: "يوم القيامة"[٧].

قال البغوي: أي: "المعاد"[٨].

قال القرطبي:" أي: يوم القيامة، إذ ليس لمخلوق أمر إلا بإذنه"[٩].

قال السمعاني:" معناه: إليه يرجع أمر العباد فيجازيهم على الخير والشر"[١٠].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: عواقب الأمور كلها ترجع إليه يوم القيامة"[١١].

قال الطبري:" يقول: وإلى الله مَعَادُ كل عامل وعمله، وهو مجازٍ جميعَهم بأعمالهم"[١٢].

قال الزمخشري:" فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك، فينتقم لك منهم"[١٣].

قال السعدي: أي: "من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب"[١٤].

قال الصابوني:" أي: علمُ ما غاب وخفي فيهما، كلٌّ ذلك بيده وبعلمه"[١٥].

عن ابن جريج: "{وإليه يرجع الأمر كله}، قال: فيقضي بينهم بحكمه بالعدل"[١٦].

وقال أبو العالية: "يرجعون إليه بعد الحياة"[١٧].

قرأ نافع وحفص: «يرجع» بضم الياء وفتح الجيم: أي: يرد. وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم، أي: يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر[١٨].

---

(١) الكشف والبيان:١٩٥/٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٢/٢.
(٣)فتح القدير:٦٠٦/٢ .
(٤) أنظر: تفسير ابن عثيمين:١٢٣/١.
(٥) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٢/٢.
(٧) تفسير ابن أبي زمنين:٣١٤/٢.
(٨) تفسير البغوي:٢٠٧/٤.
(٩) تفسير القرطبي:١١٧/٩.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٦٩/٢.
(١١) بحر العلوم:١٧٧/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٥٤٥/١٥.
(١٣) الكشاف:٤٣٩/٢.
(١٤) تفسير السعدي:٣٩٢.
(١٥) صفوة التفاسير:٣٣/٢.
(١٦) أخرجه الطبري(١٨٧٦٦):ص٥٤٥/١٥.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٠):ص٢٠٩٧/٦.
(١٨) انظر: تفسير البغوي:٢٠٧/٤.

قوله تعالى:{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود : ١٢٣]، أي:" فاعبده -أيها النبي- وفوِّض أمرك إليه"[١].

قال مقاتل:" {فاعبده}، يعني: وحده، {وتوكل عليه}، يقول: وثق بالله"[٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" يقول: أطعه واستقم على التوحيد، [و] فوض إليه جميع أمورك"[٣].

قال الطبري:" يقول: فاعبد ربك يا محمد، وفوِّض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه"[٤].

قال الزمخشري:" فإنه كافيك وكافلك"[٥].

قال القرطبي:" أي: الجأ إليه وثق به"[٦].

قال السعدي:" أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك"[٧].

قال الصابوني:"أي: اعبد ربَّك وحده، وفوّضْ إليه أمرك، ولا تعتمدْ على أحدٍ سواه، فإنه كافي من توكُّل عليه"[٨].

قال الفخر الرازي:" أن أول درجات السير إلى الله تعالى هو عبودية الله، وآخرها التوكل على الله، فلهذا السبب قال: {فاعبده وتوكل عليه}"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود : ١٢٣]، أي:" وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاًّ بعمله"[١٠].

قال مقاتل:" هذا وعيد"[١١].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: بما يفعل الكفار"[١٢].

قال القرطبي:" أي: يجازي كلا بعمله"[١٣].

قال السمعاني:" يعني: أنه لا يغيب عنه شيء من أعمال العباد وإن صغر"[١٤].

قال السعدي: أي:" من الخير والشر، بل قد أحاط علمه بذلك، وجرى به قلمه، وسيجري عليه حكمه، وجزاؤه"[١٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما ربك، يا محمد، بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، بل هو محيط به، لا يعزب عنه شيء منه، وهو لهم بالمرصاد، فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحقّ، وامض لأمر ربّك، فإنك بأعيننا"[١٦].

عن سعيد بن جبير:" {عما تعملون}، يعني: بما يكون"[١٧].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٥.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٢/٢.
[٣] بحر العلوم:١٧٧/٢.
[٤] تفسير الطبري:٥٤٥/١٥.
[٥] الكشاف:٤٣٩/٢.
[٦] تفسير القرطبي:١١٧/٩.
[٧] تفسير السعدي:٣٩٢.
[٨] صفوة التفاسير:٣٣/٢.
[٩] مفاتيح الغيب:٤١٤/١٨.
[١٠] التفسير الميسر:٢٣٥.
[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٢/٢.
[١٢] بحر العلوم:١٧٧/٢.
[١٣] تفسير القرطبي:١١٧/٩.
[١٤] تفسير السمعاني:٤٦٩/٢.
[١٥] تفسير السعدي:٣٩٢.
[١٦] تفسير الطبري:٥٤٥/١٥.
[١٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١١):ص٢٠٩٧/٦.

عن كعب، قال: "خاتمة «التوراة»، خاتمة «هود»"[١].
قال ابن عطية:" هذه آية تعظم وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه، وهو علم الغيب، وتبيين أن الخير والشر، وجليل الأشياء وحقيرها- مصروف إلى أحكام مالكه، ثم أمر البشر بالعبادة والتوكل على الله تعالى، وفيها زوال همه وصلاحه ووصوله إلى رضوان الله"[٢].
قرأ نافع وعاصم في رواية حفص: «وإليه يرجع الأمر كله» بضم الياء ونصب الجيم، على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: بنصب الياء وكسر الجيم، فيكون الفعل للأمر، وقرأ نافع وعاصم، في رواية حفص: «عما تعملون» بالتاء على وجه المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء على وجه المغايبة[٣].
الفوائد:
١- علم الغيب لله وحده لا يعلمه غيره.
٢- بيان عموم علم الله عزّ وجلّ، وأنه يتعلق بالمشاهد، والغائب؛ لقوله تعالى: {ولله غيب السموات والأرض}.
٣- مرد الأمور كلها لله بدءا وعودا ونهاية.
فإن الذي أجمعت عليه فِرَق أهل السنة أن العبد غير مستقل بنفسه، وذلك لما يجده العاقل من الضرورة والفطرة العقلية من شدة الحاجة إلى إعانة ربه عز وجل ومالكه له في كل أمر مع علمه الضروري بالتمكين وطلب الاستعانة من ربه فيه، وعدم الهم والعزم فيما لم يُقدره الله عليه ، وعدم الطلب للاستعانة (٣) عليه.
ومن هنا قال الله تعالى في فاتحة الكتاب التي يقرأ بها كل مصلٍّ في فرائضه سبع عشرة مرة في كل يوم: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٥ - ٦] فطلب الإعانة والهداية أوضح دليلٍ على عدم الاستقلال والكفاية، وعلى أن للعبد فعلاً يستعين بالله عليه، ويحتاج في تمامه إليه، ولا يمنع من ذلك ورود الأمر به في قوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، فقد قال تعالى: {واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاَّ بالله} [النحل: ١٢٧] فأمر سبحانه بالصبر، ومنع استقلال أكمل عباده به.
وعلى ذلك نبَّه القرآن الكريم في قراءة " المخلَصين " بفتح اللام وكسرها في السبع المتواترة في غير آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ وأمثال ذلك كما مضى في مرتبة الأقدار.
٤- ومن الفوائد: أن السموات ذات عدد؛ لقوله تعالى: { السموات }؛ و«الأرض» جاءت مفردة، والمراد بها الجنس؛ لأن الله تعالى قال: {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن} [الطلاق: ١٢] أي: في العدد.
٥- وجوب عبادة الله تعالى والتوكل عليه، "وهو اعتماد القلب على الله تعالى وثقته به وأنه كافية"[٤].
٦- أن التوكل على الله مع اعتقاد نفوذ الأقدار وجُفوف الأقلام إنما يكون أقوى، ولذلك نهى رسول الله - ﷺ - عن قول: " لو" وقال: " إنها تفتح عمل الشيطان " وأمر أن يقال: " قدر الله وما شاء الله فعل "[٥].

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٧٦٧):ص٥٤٥/١٥.
[٢] المحرر الوجيز:٢١٧/٣.
[٣] انظر: السبعة في القراءات:٣٤٠، وتفسير البحر العلوم:١٧٧/٢.
[٤]مختصر معارج القبول:١١٤.
[٥]أخرجه أحمد ٢/ ٣٦٦ و٣٧٠، ومسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٧٩) و (٤١٦٨)، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (٦٢٣) و (٦٢٤)، وابن أبي عاصم في " السنة " (٣٥٦)، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٥٩) و (٢٦٠) و (٢٦١) و (٢٦٢)، وابن حبان (٥٧٢١) و (٥٧٢٢)، وأبو نعيم في " الحلية " ١٠/ ٢٩٦، والخطيب في " تاريخه " ١٢/ ٢٢٣، والبيهقي في " السنن " ١٠/ ٨٩، وفي " الأسماء والصفات " ١/ ٢٦٣، والمزي في

ولذلك جعل النبي - ﷺ - تقدير ثبوته وصحته واعتقاده مُصاحباً للوصية بالتوكُّل كقوله - ﷺ - في حديث ابن عباس: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيء لم يضُرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجَفَّتِ الصحف "[1].

١- ومن فوائد الآية الكريمة: توحيد الربوبية شرعا: وهو الاعتقاد والاعتراف والإقرار الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومالكه، وخالق كل شيء ورازقه، وأنه المحيي والمميت، والنافع والضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ليس له في ذلك شريك[2].

«آخر تفسير سورة (هود)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «يوسف»

سورة «يوسف»: هي السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «هود»[3]، وعدد آياتها (١١١) مائة وإحدى عشرة، بلا خلاف، عدد كلماتها (١٧٧٦) ألف وسبعمائة وست وسبعون، وحروفها (٧١٦٦) سبعة آلاف ومائة وست وستون، وما فيها آية مختلف فيها[4].

" تهذيب الكمال " ٩/ ١٣٥.

[1]صحيح: أخرجه الترمذي (٧/ ٢١٩ - ٢٢٠/ ٢٦٣٥)، وأحمد (٤/ ٢٣٣/ ٢٦٦٩)، وابن السني (٤٢٧) من طرق عن الليث بن سعد، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس به. وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح ".

وقال الحافظ ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " [ص:١٧٤]: " وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي، ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبيد الله بن عبد الله، وعمر مولى غفرة، وابن أبي مليكة وغيرهم، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي، كذا قال ابن منده وغيره. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف، وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال، فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة ".

والحديث أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثبوته، فقال في " مجموع الفتاوى " (١/ ١٨٢): " وهذا الحديث معروف مشهور " بعد أن جزم بنسبته إليه - صلى الله عليه وسلم -، وصححه العلامة أحمد شاكر في " تعليقه على المسند "، ومحدث العصر في " ظلال الجنة " (١/ ١٣٧ - ١٣٩/ ٣١٥ - ٣١٨)، و " صحيح [سنن الترمذي " (٢٠٤٣)، و " الجامع الصغير " (٧٨٣٤)].

[2] .

[3] انظر: الكشاف: ٤٤٠/٢.

[4]انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.

مجموع فواصل آياته يجمعها قولك «لم نر»، منها آية واحدة على اللام: {قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف : ٦٦][(١)].

أسماء السورة:

اسمها التوقيفي: سورة «يوسف»:

سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة: «سورة يوسف»، ولا يعرف لها اسم غير ذلك.

وهو اسم توفيقي من رسول الله-ﷺ-، كما دوّنت به في المصاحف وكتب التفسير والسنة:

- عن ابن إسحاق:" أن رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني: بعد أن بايع النبي-ﷺ- يوم العقبة"[(٢)].
- أخرج الحاكم-وصححه- عن رفاعة بن رافع الزرقي:" وكان قد شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أنه خرج وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة فلما هبطا من الثنية رأيا رجلا تحت شجرة - قال: وهذا قبل خروج الستة الأنصاريين - قال: فلما رأيناه كلمناه فقلنا: نأتي هذا الرجل نستودعه حتى نطوف بالبيت فسلمنا عليه تسليم الجاهلية فرد علينا بسلام أهل الإسلام، وقد سمعنا بالنبي ﷺ فأنكرنا فقلنا: من أنت؟ قال: «انزلوا» فنزلنا فقلنا: أين الرجل الذي يدعي ويقول ما يقول؟ فقال: «أنا» فقلت: فاعرض علي فعرض علينا الإسلام وقال: «من خلق السماوات والأرض والجبال؟» قلنا: خلقهن الله. قال: «فمن خلقكم؟» قلنا: الله. قال: «فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدونها؟» قلنا: نحن. قال: «فالخالق أحق بالعبادة أم المخلوق فأنتم أحق أن تعبدكم وأنتم عملتموها والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان بغصب الناس» قلنا: لا والله لو كان الذي تدعو إليه باطلا لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق فأمسك راحلتنا حتى نأتي بالبيت فجلس عنده معاذ بن عفراء قال: فجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة أقداح فجعلت له منها قدحا فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات فضربت بها فخرج سبع مرات فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فاجتمع الناس علي وقالوا: مجنون رجل صبأ. قلت: بل رجل مؤمن، ثم جئت إلى أعلى مكة فلما رآني معاذ قال: لقد جاء رفاعة بوجه ما ذهب بمثله فجئت وآمنت وعلمنا رسول الله ﷺ سورة «يوسف»، و{اقرأ بسم ربك الذي خلق}، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعقيق قال معاذ: إني لم أطرق أهلي ليلا قط فبت بنا حتى نصبح فقلت: أبيت ومعي ما معي من الخبر ما كنت لأفعل، وكان رفاعة إذا خرج سفرا ثم قدم عرض قومه"[(٣)].
- وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة، قال:" سمعت عمر-رضي الله عنه- يقرأ في الفجر بسورة «يوسف»"[(٤)].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:" نزلت سورة «يوسف» بمكة"[(٥)].

ووجه تسميتها بسورة«يوسف»، لاشتمالها على قصّة يوسف - عليه السّلام - كلها[(٦)]، ولم ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة«الأنعام»، وذلك في قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]، وكذلك في سورة

---

(١)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.

(٢) انظر: الإصابة في معرفة الصحابة:٢٤٣/٣.

(٣) كتاب البر والصلة، جديث رقم(٧٢٤١):ص١٦٥/٤-١٦٦، وانظر: الدر المنثور:٤٩٤/٤.

(٤) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"ما يقرأ في صلاة الفجر":ص٣٥٣/١.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٩٤/٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردوية.

(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٥٥.

«غافر»، في قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر : ٣٤].

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مكِّيّة كلها. قاله ابن عباس[١]، وابن زبير[٢]، ومقاتل[٣]، وبه قال ابن قتيبة[٤]، وقال السيوطي[٥]، القرطبي[٦]، وابن كثير[٧].

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مكِّيّة بالإجماع"[٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بالإجماع"[٩].

أخرج ابن سعد عن عكرمة :"أن مصعب بن عمير لما قدم المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو بن الجموح: ما هذا الذي جئتمونا به فقالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن قال: نعم، فواعدهم يوما فجاء فقرأ عليه القرآن {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}"[١٠].

والثاني: أنها مكية ماعدا الآيات: [١، ٢، ٣، ٧)[١١]، فمدنية، قاله الزمخشري[١٢].

نقل القرطبي:عن ابن عباس وقتادة أنها مكية: "إلا أربع آيات منها"[١٣].

وروي عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"[١٤].

مناسبة سورة«يوسف» مع سورة «هود»:

تكمن المناسبة بينها وبين سورة «هود»، أنها متممة لما فيها من قصص الرسل والاستدلال بذلك على كون القرآن وحيا من عند الله دالا على رسالة محمد ﷺ خاتم النبيين، والفرق بين القصص فيها وفيما قبلها، أن السابق كان قصص الرسل مع أقوامهم في تبليغ الدعوة والمحاجة فيها وعاقبة من آمن منهم ومن كذبوهم لإنذار مشركي مكة ومن تبعهم من العرب.

وأما هذه السورة فهي قصة نبي ربى في غير قومه قبل النبوة وهو صغير السن حتى بلغ أشده واكتهل فنبىء وأرسل ودعا إلى دينه ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم فأحسن الإدارة والسياسة فيه وكان خير قدوة للناس في رسالته وفى جميع ما دخل فيه من أطوار الحياة وتصريف أمورها على أحسن ما يصل إليه العقل البشرى، ومن أعظم ذلك شأنه مع أبيه وإخوته

---

[١] أورده السيوطي في الدر المنثور:٤/٤٩٤، وعزاه إلى النحاس وأبي الشيخ وابن مردوية.

[٢] أورده السيوطي في الدر المنثور:٤/٤٩٤، وعزاه إلى ابن مردوية.

[٣] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٣١٧.

[٤] انظر: غريب القرآن:٢١٢.

[٥] انظر: الدر المنثور:٤/٤٩٤.

[٦] انظر: تفسير القرطبي:٩/١١١.

[٧] انظر: تفسير ابن كثير:٤/٣٦٥.

[٨] البصائر:١/٢٥٥.

[٩]زاد المسير:٢/٤١١.

[١٠] الدر المنثور:٤/٤٩٥.

[١١] وهي الآيات:

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)} [يوسف : ١ - ٣]، {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧)} [يوسف : ٧].

[١٢] انظر: الكشاف:٢/٤٤٠.

[١٣] تفسير القرطبي:٩/١١٨.

[١٤]عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير:٢/٤١١) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيرا مصنوعا ليس له أصل، وهذا الحديث منه.

آل بيت النبوة، وكان من حكمة الله أن يجمعها في سورة واحدة، ومن ثم كانت أطول قصة في القرآن الكريم[1].

أغراض السورة ومقاصدها:

تقصد سور القرآن الكريم في الأساس إلى تقرير الحقائق الدينية الكبرى، وتنفرد كل سورة من سوره ببعض المقاصد التي ترمي إليها، وتقصد لإبرازها، وقد تضمنت سورة يوسف جملة من المقاصد نذكر منها[2]:

١- وصف القرآن الكريم بـ (الإبانة) لكل ما يوجب الهدى؛ لما ثبت من تمام علم مُنزله غيباً وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً .

٢- إثبات رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ، وإعجاز كتابه المبين، والاعتبار بقصص الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٣- بيان أن الرؤيا الحسنة التي يراها المسلم حق، بما تحمله عن نبوءات عن المستقبل القريب، أو البعيد .

إذ تبدأ السورة الكريمة بقص يوسف عليه السلام للرؤيا التي رآها على أبيه يعقوب عليه السلام، ولأن يوسف كان صغيرًا آنذاك لم يُفسر له النبي يعقوب عليه السلام معنى الرؤيا ودلالاتها ومنعه من إخبارها لأخوته، فالغيرة عاطفة فطرية خاصة حين يرى الأبناء أن الآباء والأمهات يستأثرون بأحد الأبناء على غيرهم، وفي هذا دعوة لكل مسلم أن يغلق الباب الذي قد يستغله الشيطان للإفساد العلاقات مع قدرته على ذلك، وذلك حفظًا وصونًا لها.

٤- سنن الطبيعة البشرية: إذ تتضمن السورة العديد من الأحداث المثيرة كإلقاء أخوة يوسف له في البئر وإيداعه السجن لاحقًا وتنصيبه كعزيز لمصر، وفي جميع المحطات تبرز سنن الطبيعة البشرية لتؤكد الصراع الأزلي القائم بين الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل بما يجعل المسلم واعيًا للقدر الكبير الذي تحمله الأنبياء في سبيل إيصال الدعوة للنور.

٥- بيان أن قدرة الله غالبة، لا يقف في طريقها شيء، وأن الأمور في خواتيمها لا تخرج عن إرادته سبحانه وتعالى.

٦- بيان أن الحاكمية الحقيقية في هذا الكون لله سبحانه، وأن أي حاكمية أخرى لا وزان لها في ميزان الشرع .

٧- بيان أن الكرامة والاعتزاز والإباء ، تدر من الربح حتى المادي أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانحناء .

٨- تثبيت الوحي الذي سيقت السورة لتثبيته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة، وهذا الدين في قلوب المؤمنين .

٩- بيان أن كثيراً من الناس لا يقفون على الآيات التي بثها سبحانه في هذا الكون بقصد الاعتبار والاتعاظ، حين إن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات، وهم عنها غافلون، أو معرضون، غير مبالين بما تحمله من دلالات وعبر.

١٠- بيان أن الإيمان الخالص يحتاج إلى حسم كامل في قضية السلطان على القلب وعلى التصرف والسلوك، فلا تبقى في القلب دينونة إلا لله سبحانه، ولا تبقى في الحياة عبودية إلا للمولى الواحد الذي لا راد لما يريد .

١١- بيان أن من سنة الله في خلقه معاقبة المكذبين بآياته، والمعرضين عن الاعتبار في آياته الكونية .

---

[1] انظر: تفسير المراغي:١١١/١٢.

[2] انظر: اسلام ويب.[موقع الكتروني].

١٢- بيان أن سنة الله في الدعوات أن تكون مصحوبة بالشدائد، ومحفوفة بالكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولا بقية من طاقة. ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس. يجيء النصر من عند الله، فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون. ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمراً ماحقاً لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير .

١٣- الصبر عند المصيبة: في الآيات الكريمة يُقدِم إخوة يوسف على إلقائه في البئر وذلك لشعورهم الدائم بالغيرة منه كونه محظيًا عند والده، وعندما يعودون من رعي الأغنام يفسرون سبب غيابه لأبيه يعقوب بأن الذئب قد أكله، ويظهر الأثر الروحاني في إجابة يعقوب عليه السلام فعلى الرغم من أنه يعرف أبناءه تمام المعرفة وتأكده من أنهم تخلصوا من يوسف وكذبوا عليه، إلا لم يُرد أن يفرق الأسرة أكثر فما كان منه إلا أن اكتفى باللجوء إلى الله وتحذيرهم بأن هو وحده من يعلم ما لا يعلمون، وفي ذلك توجيه للجوء إلى الله في الأزمات مهما كان وقعها قويًا وحلها مستحيلًا.

١٤- قوة الإرادة: يشاء الله لعزيز مصر أن يمر بقافلته بجوار البئر، وحين يُخرج غلمانه يوسف ويراه يأخذه ليربيه في قصره إلى أن كبر وبات شابًا جميلًا بالغ الحُسن والفتنة، وعندها تعلق قلب زوجة العزيز به فأرادته لنفسها وحاولت كثيرًا معه لكنها كانت تجد الرفض دائمًا من طرفه، والحق يقال إنه ليس من السهل على الرجل أن يرفض امرأة جميلة وثرية ذات منصب وحسب تعرض نفسها عليه، وفي هذا توجيه روحاني واضح لكل إنسان بأن يكون أقوى من رغباته وينتصر عليها كي يعوضه الله عنها خير التعويض.

١٥- اليقين بالله: كان مصير يوسف عليه السلام السجن لقاء إعراضه عن زوجة العزيز التي اتهمته بأنه أراد بها الخلوة، وبقي يوسف في السجن لسنوات عديدة وهو صابر محتسب رغم الوحشة والوحدة والمعاناة الشديدة التي لقيها بغياب عائلته، والحنين لهم، ونفسه التي تتوق إلى الحرية من جديد، لتأتي حكمة الله واضحة في الأمر وتصب في مصلحة يوسف حين وهبه الله ملَكَة تفسير الأحلام، ليفسر حلم وزير مصر ويخرج من السجن، لأنه ظنّ بالله خيرًا وما قنط ولا استسلم وهذا شأن المسلم في كل حال.

١٦- الذكاء والفطنة: تولى يوسف عليه السلام خزائن مصر فتعهدها بالتدبير والتنظيم والرعاية، وبذلك جَنب المدينة المجاعة والموت بفضل الحكمة والفطنة والذكاء، بالإضافة إلى الأخلاق اللازمة في كل ذي منصب كالإخلاص والوفاء والأمانة والعمل النبيل، وهذا ما زاد من ثقة الناس به وجعلهم يقدرونه حق التقدير والاحترام، وما من فضل على المسلم فمن الله وحده، وهذا يستوجب الحمد والثناء الدائم على الله، والتواضع للآخرين دون استعلاء وكِبر، وتسخير الطاقة والقدرات لخدمتهم.

١٧- تتجلى حبكة قصة سيدنا يوسف بقدوم إخوته إليه من بلادهم البعيدة طلبًا للطعام بعد المجاعة التي وصلت إلى المدن كلها، وعلى الرغم من تكرارهم الإساءة له في حديثهم إلا أنه اختار أن يصفح عن الإساءة، على الرغم من أنه كان سيدًا في مصر وبمقدرته الانتقام لنفسه منهم، لأن الصفح مع المقدرة صفة الأقوياء التي يعلمنا إياها نبي الله يوسف عليه السلام.

١٨- بيان أن في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة الله لهم وعنايته بهم، وفي ذلك رحمة للمؤمنين؛ لأنهم باعتبارهم بها يأتون ويذرون، فتصلح أحوالهم، ويكونون في اطمئنان بال، وذلك رحمة من الله بهم في حياتهم، وسبب لرحمته إياهم في الآخرة .

١٩- بينت هذه السورة -وقد ذُكر فيها كثير من الشدائد- أن العاقبة خير للذين اتقوا، وهو وعد الله الصادق الذي لا يخلف وعده .

قال ابن عاشور:" فقصة يوسف- عليه السلام- لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالا ولا تفصيلا، بخلاف قصص الأنبياء: هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب- عليهم السلام أجمعين-، إذ كانت معروفة لديهم إجمالا، فلذلك كان القرآن مبينا إياها ومفصلا، ونزولها قبل اختلاط النبيء ﷺ باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين، وبذلك ساوى الصحابة علماء بني إسرائيل في علم تاريخ الأديان والأنبياء وذلك من أهم ما يعلمه المشرعون"[١].

فضائل السورة:

إن فضل هذه السورة العظيمة يتعلق بما اشتملت عليه من العبر والدروس الكثيرة، ولم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام في فضائلها حديث صحيح، وإن استحب عددٌ من علماء الأمة قراءتها للمهموم والمحزون؛ لأنها نزلت على قلب النبي عليه الصلاة والسلام في عام الحزن فكانت تسليةٍ لقلبه وتثبيتاً من الله تعالى له.

ومما وردت به الروايات من فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -ﷺ- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي ﷺ: «أفلح الرويجل» مرتين"[٢].
- أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه:" سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطاني الرائيات[٣] إلى الطواسين مكان الإنجيل»"[٤]. وهذه السورة مفتتحة بـ«الر».
- عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: "صلينا وراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ فيهما بسورة يوسف وسورة الحج قراءة بطيئة قال هشام: فقلت: والله لقد كان يقوم حين يطلع الفجر قال: نعم"[٥].
- عن الفرافصة بن عمير الحنفي قال: "ما أخذت سورة «يوسف» إلا من قراءة عثمان بن عفان رضي الله عنه إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها"[٦].

---

[١] التحرير والتنوير:٢٠١/١٢.

[٢] أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).

[تعليق شعيب الأرنؤوط]

إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٥٨٠/٢)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

[٣] الرائيات: هي السور المبدوءة ب «الر».

[٤] الدر المنثور:٣٣٩/٤.

الرائيات: هي السور المبدوءة بـ«الر» والطواسين: هي السور المبدوءة بـ «طسم» أو «طس».

[٥] أخرجه المستغفري في فضائل القرآن(٨١١):ص٥٥٨/٢.

[٦] أخرجه المستغفري في فضائل القرآن(٨١٢):ص٥٥٨/٢.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١)} [يوسف : ١]

التفسير:

(الر) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب البيّن الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها نزلت على رسول الله ﷺ لمسألة أصحابه إياه أن يقصَّ عليهم. قاله ابن عباس[١]، وعون بن عبدالله[٢].

روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "أنزل على النبي ﷺ القرآن، قال: فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا! فأنزل الله: {الر تلك آيات الكتاب المبين} ، إلى قوله: {لعلكم تعقلون}، الآية. قال: ثم تلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا! فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [سورة الزمر:٢٣] ، قال خلاد: وزاد فيه رجل آخر، قالوا: يا رسول الله- أو قال أبو يحيى: ذهبت من كتابي كلمة- فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [سورة الحديد:١٦]"[٣].[صحيح]

وقال عون بن عبد الله: " ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّةً، فقالوا: يا رسول الله حدثنا! فأنزل الله عز وجل: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [سورة الزمر:٢٣] . ثم ملوا ملَّةً أخرى فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن! يعنون القصَص، فأنزل الله: {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين} ، فأرادوا الحديث فدَّلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصصَ فدلهم على أحسن القصص"[٤].[مرسل]

والثاني: عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"[٥].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٧٣):ص٥٥٢/١٥.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٧٥):ص٥٥٢/١٥.

[٣] أخرجه البزار ٣٢١٨ وأبو يعلى ٧٤٠ وابن حبان ٦٢٠٩ والحاكم ٢/ ٣٤٥ و(١٨٧٧٦):ص٥٥٣/١٥- واللفظ له-، والواحدي في «أسباب النزول» ٥٤٤ من طرق عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه به. وإسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وانظر ما بعده.

[٤] أخرجه الطبري(١٨٧٧٥):ص٥٥٢/١٥. عن عون بن عبد الله بن مسعود مرسلا، والمرسل من قسم الضعيف، لكن للحديث شاهد من حديث سعد، وهو المتقدم. وشاهد آخر من حديث ابن عباس: أخرجه الطبري (١٨٧٧٣):ص٥٥٢/١٥، عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس، وإسناده منقطع، عمرو لم يسمع من ابن عباس. وكرره الطبري (١٨٧٧٤):ص٥٥٢/١٥، من مرسل عمرو بن قيس، وهو شاهد لما قبله، وإن كان ضعيفا، والله أعلم.

[٥]عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير:٤١١/٢) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيرا مصنوعا ليس له أصل، وهذا الحديث منه.

والراجح-والله أعلم- أن السورة مكية بإجماع كما ذكر في مقدمة تفسير السورة، وسؤالات اليهود إنما كانت في المدينة، فتنبه، والله الموفق إلى الصواب.

قوله تعالى:{الر} [يوسف : ١]، الله أعلم بمراده.

وروي عن مسلم بن صبيح عن ابن عباس :"{الر}، قال: أنا الله أرى"[١]. وروي، عن الضحاك مثله[٢].

وروي عن عكرمة، عن ابن عباس: {الر}: حروف الرحمن مفرقه، فحدثت به الأعمش فقال: عندك مثل هذا ولا تخبرناه؟"[٣].

وعن سعيد بن جبير قال: "{الر} و{حم}، و{ن}، هو «الرحمن» مقطع"[٤]. وروي عن سالم بن عبد الله مثله[٥].

عن قتادة قال: "{الر}: اسم من أسماء القرآن"[٦].

عن مجاهد: "{الر}، قال: هذا فواتح يفتتح الله بها القرآن، قال: قلت: ألم تكن تقول هي أسماء؟ قال: لا"[٧].

قوله تعالى:{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [يوسف : ١]، أي:" هذه آيات الكتاب البيِّن الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه"[٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [يوسف : ١]، ثلاثة وجوه[٩]:

أحدها : أنها الآيات المتقدم ذكرها في السورة التي قبلها .

الثاني : الآيات التي في هذه السورة ، ويكون معنى قوله تعالى) تلك آيات الكتاب المبين (أي هذه آيات الكتاب المبين .

الثالث : أن تلك الآيات إشارة إلى ما افتتحت به السورة من الحروف وأنها علامات الكتاب العربي ، قاله ابن بحر[١٠].

قال الزمخشري:"{ تلك}، إشارة إلى آيات السورة. و«الكتاب المبين»: السورة، أى: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم. أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر. أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم. أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف. فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف"[١١].

عن خالد بن عرفطة قال: "كنت عند عمر ابن الخطاب إذ أتى برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان ابن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس، فضربه بقناة معه فقال العبدي: مالي؟ فقرأ عليه: {الر تلك آيات الكتاب المبين} إلى قوله: {وإن كنت من قبله لمن الغافلين}، فقرأها عليه ثلاث مرات فضربه ثلاث مرات، ثم قال له عمر: أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟ قال: نعم. قال: اذهب فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ولا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس"[١٢].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٢):ص٢٠٩٨/٧.

[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٩٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٣):ص٢٠٩٨/٧.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٤):ص٢٠٩٨/٧.

[٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٩٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٥):ص٢٠٩٨/٧.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣١٦):ص٢٠٩٨/٧.

[٨] التفسير الميسر:٢٣٥.

[٩] انظر: النكت والعيون:٥/٣.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٥/٣.

[١١] الكشاف:٤٤٠/٢.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢٤):ص٢١٠٠/٧.

القرآن
{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)} [يوسف : ٢]
التفسير:
إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب، لعلكم -أيها العرب- تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهديه.
قوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [يوسف : ٢]، أي:" إنا أنزلنا هذا الكتاب على محمد قرآنا عربيا"[(١)].
قال الزمخشري:أي:"أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا، لأن «القرآن» اسم جنس يقع على كله وبعضه"[(٢)].
وفي قوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [يوسف : ٢]، وجهان:
أحدهما : إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً بلسان العرب ، حكاه الماوردي عن الجمهور[(٣)].
الثاني : إنا أنزلنا خبر يوسف قرآناً، أي: مجموعاً عربياً، أي: يعرب عن المعاني بفصيح من القصص وهو شاذ .
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : ٢]، أي:" لعلكم -أيها العرب- تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهديه"[(٤)].
قال الزمخشري:أي:" إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٤٤]"[(٥)].
فوائد الآيتين:[١-٢]:
١- بيان الحكمة في نزول القرآن باللغة العربية وهي أن يعقله العرب ليبلغوه إلى غيرهم.
٢- تقرير إعجاز القرآن إذ هو مؤلف من مثل ألر، وطس، وق، ومع هذا لم يستطع العرب أن يأتوا بسورة مثله.
٣- أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، لإمن اعتقاد السلف في كلام الله تعالى أن كلامه جل وعز مؤلف من الحروف، إن شاء جعلها عربية، وإن شاء جعلها عبرانية، وإن شاء جعلها غير ذلك، فهو المتكلم بحروف القرآن، والتوراة، والإنجيل، وغيرها من كلامه.
قالَ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: ٤]، وقال تعالى: {الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [آل عمران:١ - ٤]، فأخبر تعالى أنه أنزل الكتب: القرآن، والتوراة والإنجيل، وإنما ذلك بلغات الرسل الذين أنزل عليهم، وبلغات أقوامهم، لأجل أن تقوم الحجة عليهم به، إذ لوكان بغير لغتهم ما فقهوه.، قال تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ١ - ٢]، وقالَ تعالى: {حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف: ١ - ٤]، وقالَ تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: ١٠٣]، وقالَ جَلَّ وَعَزَّ {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٩]، وقالَ تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا

---

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث:٤/٢٧٦.
(٢) الكشاف:٢/٤٤٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣/٦.
(٤) التفسير الميسر:٢٣٥.
(٥) الكشاف:٢/٤٤٠.

غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: ٢٧ - ٢٨]، وقالَ سُبحانه: {حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [فصلت: ١ - ٤]، وقالَ تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...} [فصلت: ٤٤].

فأخبرَ تعالى أنَّ القرآنَ الذي نزلَ به جِبريلُ عليه السَّلامُ منهُ تبارك وتعالى وحيُهُ وتنزيلُهُ، وهو هذا القرآنُ العربيُّ الذي أُنْزلَ على محمَّد -ﷺ- بلغةِ قومِهِ، ليفقَهوهُ ويَعْقِلُوهُ ويعْلَمُوهُ.

وقولُه: {لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} أي: بلغةِ العرب.

فالله تعالى تكلم به كذلك، بحروفه العربية، كالألف والباء والتاء، ليس شيء من ذلك قول أحد سواه، وإنما بلغه جبريل عليه السلام عنه، وبلغه محمد -ﷺ- عن جبريل، وهو الذي أعجز الكفار أن يأتوا بمثله، بل تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، كما قال تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} [الإسراء: ٨٨]، فكونه مؤلفا من الحروف ظاهر لا يحتاج إلى استدلال، إذ أن كل أحد يعلم أن {قل هو الله أحد} آية، وهي أربع كلمات، كل كلمة مؤلفة من حرفين أو أكثر، وهي كلمات عربية، وحروف عربية[١].

٤- وفي الآية الرد على من قال أن القرآن العربي مخلوق، فالقرآن حروف، قال تعالى: {المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ}[الأعراف:١-٢] {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}، {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هود:١]، فذكر الحروف المتصلة المقطعة في أول السور، وأخبر أنه الكتاب والقرآن وأنها منزلة.

وروي أن النبي ﷺ قال: " من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، أما إني لا أقول الم حرف، ولكن الألف حرف واللام حرف واليم حرف" [٢]. وهذا نص في موضع الخلاف.

وبذلك فإن القرآن غير مخلوق، وأن القرآن عند أصحاب الحديث هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، وهو القرآن العربي السور والآيات المتلو باللسان والمسموع بالآذان المعقول بالأذهان المحفوظ في الصدور المكتوب بالمصاحف بالسطور له أول وآخر وبعض[٣].

القرآن

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)} [يوسف : ٣]

التفسير:

نحن نقصُّ عليك -أيها الرسول- أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئًا.

قوله تعالى:{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} [يوسف : ٣]، أي:" نحن نحدثك يا محمد ونروي لك أخبار الأمم السابقة، بأصدق كلام، وأحسن بيان، بإيحاءتنا إليك هذا القرآن المعجز"[٤].

---

[١] انظر: **العقيدة السلفية فى كلام رب البرية: الجديع:١٥٧-١٥٩.**

[٢]أخرجه ت. كتاب فضائل القرآن (ب. ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآ،) ١٧٥/٥ من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وقال: "حسن صحيح غريب من هذا الوجه". ويروى هذ الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود، ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود رفعه بعضهم ووقفع بعضهم على ابن مسعود..

[٣]**الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار:٥٥٤/٢.**

[٤] صفوة التفاسير:٣٧/٢.

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ:"نحن نقص عليك" يا محمد،"أحسن القصص" بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية"[1].

قال الزجاج: "أي: نبين لك أحسن البيان و«القاص»: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها، بما أوحينا إليك هذا القرآن}، أي: بوحينا إليك هذا القرآن "[2].

قال الماوردي:" أي: نبين لك أحسن البيان، و«القاصّ» الذي يأتي بالقصة على حقيقتها"[3].

عن قتادة: "{نحن نقص عليك أحسن القصص}، من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم،{وإن كنت من قبله لمن الغافلين}"[4].

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣]، أي:" وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئًا"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئا منه"[6].

قال الزجاج: " أي: من الغافلين عن قصة يوسف وإخوته، لأنه عليه السلام إنما علم ذلك بالوحي"[7].

عن قتادة: "{وإن كنت من قبله لمن الغافلين}، أي: من قبل هذا القرآن"[8].

الفوائد:

١- القرآن الكريم أشتمل على أحسن القصص فلا معنى لسماع قصص غيره.

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال: فغضب وقال :"أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه وباطل فتصدقونه والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى"[9].

٢- تقرير نبوة الرسول ﷺ وإثباتها بأقوى برهان عقلي وأعظم دليل نقلي.

٣- أن قصة يوسف –عليه السلام-من معجزات النبي ﷺ، فإن هذه القصة فيها كثير من العجائب والعبر والعظات والأحكام والأخلاق وألوان الابتلاء والامتحان والفضل والإحسان

القرآن

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)} [يوسف : ٤]

التفسير:

---

[1] تفسير الطبري:٥٥١/١٥.

[2] معاني القرآن:٨٨/٣.

[3] النكت والعيون:٦/٣.

[4] أخرجه الطبري(١٨٧٧٢):ص٥٥١/١٥-٥٥٢.

[5] التفسير الميسر:٢٣٥.

[6] تفسير الطبري:٥٥١/١٥.

[7] معاني القرآن:٨٨/٣.

[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢٧):ص٢١٠٠/٧.

[9]أخرجه أحمد (٣٨٧/٣، رقم ١٥١٩٥) قال الهيثمى (١٧٤/١) : رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما..

اذكر -أيها الرسول- لقومك قول يوسف لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبًا، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. فكانت هذه الرؤيا بشرى لِمَا وصل إليه يوسف عليه السلام من علوٍّ المنزلة في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف : ٤]، أي:" اذكر -أيها الرسول- لقومك قول يوسف لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبًا"[١].

قال مقاتل:" هبطوا إلى الأرض من السماء"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كنت يا محمد، لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق: {يا أبت إني رأيت أحدَ عشر كوكبًا}؛ يقول: إني رأيت في منامي أحد عشر كوكبًا"[٣].

قال ابن عباس:" كانت رؤيا الأنبياء وحيًا"[٤].

قال البغوي:" أي: واذكر إذ قال يوسف لأبيه، و«يوسف» اسم عبري عُرِّب، ولذلك لا يجري [عليه الإعراب]، وقيل: هو عربي"[٥].

سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف؟ فقال: الأسف: الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا في «»يوسف، فلذلك سمي يوسف، لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-"[٦].

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[٧].

وفي قوله تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف : ٤]، وجهان:

أحدهما: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكنى عن ذكرهم، وهذا مروي عن ابن عباس[٨]، وقتادة[٩].

الثاني : أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه، والقمر أمه، قاله قتادة[١٠]، والضحاك[١١]، وسفيان[١٢]، وابن جريج[١٣]، وابن زيد[١٤]، وهو قول الأكثرين[١٥].

قال ابن زيد، في قوله:"{يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا} الآية، قال: أبواه وإخوته. قال: فنعاه إخوته، وكانوا أنبياء[١٦]، فقالوا: ما رضي أن يسجد له إخوته حتى سجد له أبواه! حين بلغهم"[١٧].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٥.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.
[٣] تفسير الطبري:٥٥٤/١٥.
[٤] أخرجه الطبري(١٨٧٧٨):ص٥٥٤/١٥.
[٥] تفسير البغوي:٢١٢/٤.
[٦] أخرجه الثعلبي في تفسيره:١٩٧/٥، وانظر: تفسير البغوي:٢١٢/٤.
[٧]أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى: "لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين": ٦ / ٤١٩، وفي تفسير سورة يوسف، باب "ويتم نعمته عليك": ٨ / ٣٦١، وفي المناقب أيضا: ورواه مسلم مختصرا، وأخرجه البغوي في شرح السنة: ١٣ / ١٢٦. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٤ / ١٥٢.
[٨] انظر: النكتو العيون:٦/٣، وزاد المسير:٤١٣/٢.
[٩] انظر: النكتو العيون:٦/٣، وزاد المسير:٤١٣/٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨١)، (١٨٧٨٣):ص٥٥٦/١٥-٥٥٧.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨٦):ص٥٥٧/١٥.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨٤):ص٥٥٧/١٥.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨٥):ص٥٥٧/١٥.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨٧):ص٥٥٧/١٥.
[١٥] انظر: النكتو العيون:٦/٣، وزاد المسير:٤١٣/٢.
[١٦]
[١٧] أخرجه تفسير الطبري(١٨٧٨٧):ص٥٥٧/١٥.

قال مقاتل:" فالكواكب الأحد عشر إخوته والشمس أم يوسف وهي راحيل بنت لاتان، ولاتان هو خال يعقوب، والقمر أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[١].

قال قتادة:" الكواكب: إخوته، والشمس والقمر: أبواه"[٢].

وحكي الثعلبي عن قتادة: "الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أن أمه راحيل كانت قد ماتت"[٣].

وقال السدي: "الشمس أبوه، والقمر خالته، لأن أمه كانت قد ماتت"[٤].

قال الواحيد :"قال وهب والمفسرون: رأى يوسف وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر سجدن له"[٥].

قال ابن كثير:" وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام : أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلا سواه والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه رُوي هذا عن ابن عباس ، والضحاك وقتادة وسفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة ، وقيل : ثمانين سنة ، وذلك حين رفع أبويه على العرش ، وهو سريره ، وإخوته بين يديه : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا } [يوسف : ١٠٠]"[٦].

قرأ أبو جعفر وابن عامر {يا أبت} بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه.

وقرأ الآخرون: {يا أبت} بكسر التاء لأن أصله: يا أبت، والجزم يحرك إلى الكسر[٧].

قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف : ٤]، أي:" ورأيت في المنام الشمس والقمر ساجدةً لي مع الكواكب"[٨].

قال الطبري:" يقول: والشمس والقمر رأيتهم في منامي سجودا"[٩].

قال جابر:" أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من يهود يقال له"بستانة اليهودي"، فقال له: يا محمد، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدةً له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجبه بشيء، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها. قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، فقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم! فقال: جربان والطارق، والذيال، وذو الكنفات، وقابس، ووثاب وعمودان، والفليق، والمصبح، والضَّروح، وذو الفرغ، والضياء، والنور. فقال اليهودي: والله إنها لأسماؤها!"[١٠].

وفي إعادة قوله:{رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف : ٤]، وجهان:

أحدهما : تأكيداً للأول لبعد ما بينهما قاله ابن الأنباري[١١]، اولزجاج[١٢]، والطبري[١٣].

قال ابن الأنباري: لما تطاول الكلام بين الرؤية والسجود أعيدت الرؤية مع السجود؛ ليكون ذلك أكشف للمعنى وأدل على التوكيد والبيان"[١٤].

الثاني : أن الأول رؤيته لهم والثاني رؤيته لسجودهم[١].

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.
[٢] أخرجه الطبري(١٨٧٨٣):ص٥٥٧/١٥.
[٣] الكشف والبيان:١٩٨/٥.
[٤] زاد المسير:٤١٣/٢.
[٥] التفسير البسيط :١٨/١٢، وانظر: زاد المسير:١٨٠/٤.
[٦] تفسير ابن كثير:٣٦٩/٤-٣٧٠.
[٧] انظر: تفسير البغوي:٢١٣/٤.
[٨] صفوة التفاسير:٣٧/٢.
[٩] تفسير الطبري:٥٥٦/١٥.
[١٠] أخرجه الطبري(١٨٧٨٠):ص٥٥٥/١٥.
[١١] نقلا عن التفسير البسيط للواحدي:١٨/١٢.
[١٢] انظر: معاني القرآن:٩١/٣.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٥٥٦/١٥.
[١٤] التفسير البسيط للواحدي:١٨/١٢.

وفي قوله «ساجدين»، وجهان[٢]:
أحدهما : أنه السجود المعهود في الصلاة إعظاماً لا عبادة .
الثاني : أنه رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجوداً، كقول الشاعر[٣]:
بجَمْع تضل البُلْقُ في حَجَراته   ترى الأكْم منه سجدا للحوافر
قال وهب: "وكان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين، أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة ثبتت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه، فقال له: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له فقصها على أبيه فقال له: لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فيبغوا لك الغوائل ويحتالوا في إهلاكك، لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[٤].
الفوائد:
١- ثبوت الرؤيا شرعا ومشروعية تعبيرها.
٢- -قد تتأخر الرؤيا فلا يظهر مصداقها إلا بعد السنين العديدة.
القرآن
{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)} [يوسف : ٥]
التفسير:
قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني لا تذكر لإخوتك هذه الرؤيا فيحسدوك، ويعادوك، ويحتالوا في إهلاكك، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة.
قوله تعالى:{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} [يوسف : ٥]، أي:" قال له يعقوب: لا تخبرْ بهذه الرؤيا إخوتك، فيحتالوا لإهلاكك حيلةً عظيمة لا تقدر على ردّها"[٥].
قال مقاتل:" فيحسدوك إضمار، {فيكيدوا لك كيدا}، فيعلموا بك شرا"[٦].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قَصّ عليه ما رأى من هذه الرؤيا ، التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيما زائدًا ، بحيث يخرون له ساجدين إجلالا وإكراما واحتراما فخشي يعقوب ، عليه السلام ، أن يحدث بهذا المنام أحدا من إخوته فيحسدوه على ذلك ، فيبغوا له الغوائل ، حسدا منهم له ؛ ولهذا قال له : { لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا } أي : يحتالوا لك حيلةً يُرْدُونَك فيها. ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به ، وإذا رأى ما يكره فليتحوَّل إلى جنبه الآخر وليتفل عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من شرها ، ولا يحدث بها أحدًا ، فإنها لن

---

[١] انظر: النكت والعيون:٦/٣.
[٢] انظر: النكت والعيون:٦/٣.
[٣] البيت لزيد الخيل بن مهلهل الطائي، الفارس المشهور ، انظر: الكامل ١: ٢٥٨، والمعاني الكبير: ٨٩٠، والأضداد لابن الأنباري: ٢٥٦، وحماسة ابن الشجري: ١٩، ومجموعة المعاني: ١٩٢، وغيرها. والباء في قوله "بجمع" متعلقة ببيت سالف هو: بَنِي عَامِرٍ، هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا ... أَبُو مِكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ؟
والبلق جمع أبلق وبلقاء: الفرس يرتفع تحجيلها إلى الفخذين. والحجرات جمع حجرة (بفتح فسكون) : الناحية. والأكم (بضم فسكون، وأصلها بضمتين) جمع إكام، جمع أكمة: وهي تل يكون أشد ارتفاعا مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. قال ابن قتيبة في المعاني الكبير: "يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، فغيرها أحرى أن يضل. يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر". وفي المطبوعة هنا "فيه" والجيد ما أثبته، والضمير في "منه" للجيش أو الجمع.
[٤] الكشف والبيان:١٩٨/٥.
[٥] صفوة التفاسير:٣٧/٢.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.

تضره»[1]. وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد ، وبعض أهل السنن ، من رواية معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعَبر، فإذا عُبرت وقعت»[2]، ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر ، كما ورد في حديث : "استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود""[3].

قال محمد بن إسحاق:" يقول الله عز وجل في كتابه، لمحمد ﷺ، وهو يذكر له خبر يوسف وإخوته: إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا الآية، فعرف يعقوب تأويلها، وخشي عليه بغي إخوته فيما عرف من التأويل أن الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا أبوه وأمه وإخوته، فقال: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[4].

قال السدي:" فكان الغلامان يوسف وبنيامين في حجر يعقوب، أحبهما وعطف عليهما ليتمهما من أمهما، وكان أحب الخلق إليه يوسف، فلما قدموا نحو الشام قال يعقوب لرعاته وغلمانه: إن أتاكم أحد يسألكم: من أنتم فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيصا فلقيهم عيصا فقال: من أنتم؟ فقالوا نحن ليعقوب عبد عيصا، قال: فكف، عن يعقوب، فذلك حين قال: وإذ غلبتني على الدعوة فلا تغلبني على القبر، فنزل يعقوب الشام فكان ليس له هم إلا يوسف وأخوه فحسده إخوته مما رأوا، من حب أبيه له ورأى يوسف في النوم رؤيا أن: أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فحدث أباه بها فقال له يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فبلغ إخوة يوسف الرؤيا فحسدوه"[5].

وكَانَ الكسائى يمِيل «رءياك» و «رءيى» و«للرءيا»، فى كل الْقُرْآن[6].

قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف : ٥]، أي:" إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة"[7].

قال مقاتل:" يعني: بيّن"[8].

عن قتادة قوله: "{إن الشيطان للإنسان عدو مبين}، قال: عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته، أن تعاديه بطاعة الله"[9].

الفوائد:

١- مشروعية الحذر والأخذ بالحيطة في الأمور الهامة.

٢- أن من آداب الرؤيا: أن يتحدث بها ويخبر بها من يحب دون من يكره.

قال القرطبي:" "وهذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها"[10].

القرآن

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)} [يوسف : ٦]

---

[1] جاء من حديث جابر ، وأم سلمة ، وأبي قتادة : أما حديث جابر ، فرواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٦٢) ، وأما حديث أم سلمة ، فرواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٧٤١) ، وأما حديث أبي قتادة ، فرواه أحمد في المسند (٢٩٦/٥) وهذا لفظه.

[2] من حديث لقيط بن عامر رضي الله عنه ، رواه أحمد في المسند (١٠/٤) وأبو داود في السنن برقم (٥٠٢٠) والترمذي في السنن برقم (٢٢٧٨) وابن ماجه في السنن برقم (٣٩١٤).

[3] تفسير ابن كثير:٣٧١/٤.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٣٤):ص٢١٠٢/٧.

[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٣٣):ص٢١٠٢/٧.

[6] انظر: السبعة في القراءات:٣٤٤.

[7] التفسير الميسر:٢٣٥.

[8] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٣٥):ص٢١٠٢/٧-٢١٠٣.

[10] تفسير القرطبي:١٢٦/٩.

التفسير:
وكما أراك ربك هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ويعلمك تفسير ما يراه الناس في منامهم من الرؤى مما تؤول إليه واقعًا، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بالنبوة والرسالة، كما أتمها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق بالنبوة والرسالة. إن ربك عليم بمن يصطفيه من عباده، حكيم في تدبير أمور خلقه.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} [يوسف : ٦]، أي:" وكما أراك مثل هذه الرؤيا العظيم كذلك يختارك ربك للنبوة"[١].

قا أبو عبيدة:" أي: يختارك"[٢].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لولده يوسف : إنه كما اختارك ربك ، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك،{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ}، أي : يختارك ويصطفيك لنبوته "[٣].

قال الطبري:" يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمسَ والقمرَ لك سجودًا، فكذلك يصطفيك ربك"[٤].

قال الفراء:" قوله: {وكذلك يجتبيك ربك} جواب لقوله: {إني رأيت أحد عشر كوكبا}، فقيل له: وهكذا يجتبيك ربك"[٥].

قال مقاتل:" وهكذا يستخلصك ربك بالسجود"[٦].

عن عكرمة: "{وكذلك يجتبيك ربك}، قال: يصطفيك"[٧].

قال قتادة:" فاجتباه واصطفاه وعلّمه من عَبْر الأحاديث، وهو «تأويل الأحاديث»"[٨].

قال الزجاج:" التأويل: أنه لما قال له :{إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين}، فتأول الأحد عشر كوكبا أحد عشر نفسا لهم فضل وأنهم يستضاء بهم، لأن الكواكب لا شيء أضوأ منها وبها يهتدى، قال الله جل وعز: {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل : ١٦] ، فتأول الشمس والقمر أبويه. فالقمر الأب والشمس الأم والأخذ عشر كوكبا إخوته، فتأول له أنه يكون نبيا، وأن إخوته يكونون أنبياء لأنه أعلمه أن الله يتم نعمته عليه وعلى إخوته كما أتمها على أبويه إبراهيم وإسحاق، فإتمام النعمة عليهم أن يكونوا أنبياء إذ قال:{كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق}"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} [يوسف : ٦]، ثلاثة وجوه[١٠]:
أحدها : بحسن الخَلق والخُلق .
الثاني : بترك الإنتقام .
الثالث : بالنبوة ، قاله الحسن[١١].

قوله تعالى:{وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف : ٦]، أي:"ويعلمك تفسير الرؤيا المناميَّة"[١٢].

---

[١] صفوة التفاسير:٣٧/٢.
[٢] مجاز القرآن:٣٠٢/١.
[٣] تفسير ابن كثير:٣٧١/٤.
[٤] تفسير الطبري:٥٥٩/١٥.
[٥] معاني القرآن:٣٦/٢.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٨٧٨٩):ص٥٦٠/١٥.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٧٩٠):ص٥٦٠/١٥.
[٩] معاني القرآن:٩٢/٣.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٨/٣.
[١١] انظر: النكت والعيون:٨/٣.
[١٢] صفوة التفاسير:٣٧/٢.

قال الطبري:" يقول: ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديثُ الناس، عما يرونه في منامهم. وذلك تعبير الرؤيا"[1].

قال ابن كثير:" أي : بإرسالك والإيحاء إليك ؛ ولهذا قال:{ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ } وهو الخليل ، { وَإِسْحَاقَ } ولده ، وهو الذبيح في قول ، وليس بالرجيح "[2].

وفي قوله تعالى:{وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف : ٦]، ثلاثة أقوال:

أحدها : عبارة الرؤيا ، قاله مجاهد[3]، ومقاتل [4].

لثاني : العلم والكلام والحكمة، قاله ابن زيد[5].

قال ابن زيد:" تأويل الكلام: العلم والحكم، وكان يوسف أعبر الناس، وقرأ: ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما"[6].

الثالث : عواقب الأمور[7]، ومنه قول الشاعر[8]:

وللأحبة أيام تذكّرُها ... وللنوى قبل يوم البيْن تأويل

قوله تعالى:{وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ} [يوسف : ٦]، أي:" يتمم فضله وإنعامه عليك وعلى ذرية أبيك يعقوب، كما أكمل النعمة من قبل ذلك على جدك إبراهيم وجدك إسحاق بالرسالة والاصطفاء"[9].

قال الطبري:" باجتبائه إياك، واختياره، وتعليمه إياك تأويل الأحاديث {وعلى آل يعقوب}، يقول: وعلى أهل دين يعقوب، وملته من ذريته وغيرهم ، {كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق}، باتخاذه هذا خليلا وتنجيته من النار، وفدية هذا بذبح عظيم"[10].

قال عكرمة:" فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار، وعلى إسحاق أنْ نجَّاه من الذَّبح"[11].

قال سعيد بن جبير:" من تمام النعمة، دخول الجنة أن الله لم يتم على أحد نعمه فيدخله النار"[12].

وفي قوله تعالى:{وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} [يوسف : ٦]، ثلاثة وجوه:

أحدهما : باختيارك للنبوة[13].

الثاني : بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك ، قاله مقاتل[14].

قال التستري:" يعني: بتصديق الرؤيا التي رأيتها لنفسك"[15].

الثالث: أن أخرج إخوته إليه حتى أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه. أفاده الماوردي[16].

---

(١) تفسير الطبري:٥٥٩/١٥.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٧١/٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٩١):ص٥٦٠/١٥.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٩٢):ص٥٦٠/١٥،وفيه"العلم والكلام، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٣٤١):ص٢١٠٣/٧. وفيه:"العلم والحكم".
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤١):ص٢١٠٣/٧.
(٧) انظر: النكت والعيون:٨/٣.
(٨)البيت لعبدة بن الطبيب، من قصيدته المفضلية وهو في المفضليات: ١٣٦.
(٩) صفوة التفاسير:٣٧/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٥٦٠/١٥.
(١١) أخرجه الطبري(١٨٧٩٣):ص٥٦١/١٥.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٢):ص٢١٠٤/٧.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٨/٣.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٢.
(١٥) تفسير التستري:٨١.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٨/٣.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف : ٦]، أي:" إن ربك عليمٌ بمن هو أهلٌ للفضل، حكيم في تدبيره لخلقه"[١].

قال ابن كثير:" أي : هو أعلم حيث يجعل رسالاته ، كما قال في الآية الأخرى "[٢].

قال الطبري:" باجتبائه إياك، واختياره، وتعليمه إياك تأويل الأحاديث {وعلى آل يعقوب}، يقول: وعلى أهل دين يعقوب، وملته من ذريته وغيرهم ، {كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق}، باتخاذه هذا خليلا وتنجيته من النار، وفدية هذا بذبح عظيم"[٣].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٤]، "قوله: حكيم، في عذره وحجته إلى عباده"[٥].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٦].

الفوائد:

١- بيان إفضال الله على آل إبراهيم بما أنعم عليهم فجعلهم أنبياء آباء وأبناء وأحفادا.

٢- وفي الآية الرد على المعتزلة، إذ ذهبتوا إلى أن إرسال الرسل وإنزال الكتب واجب على الله تعالى، والحقُّ أن ذالك تفضل من الله تعالى على عباده، ورحمة بهم، والقول بالوجوب يتجه إذا قلنا: أوجبه هو تعالى على نفسه[٧].

فإن النبّوة منحة إلهيّة ، لا تنال بمجرد التشهي والرغبة، ولا تنال بالمجاهدة والمعاناة، وقد كذّب الفلاسفة الذين زعموا أن النبوة تنال بمجرد الكسب بالجدّ والاجتهاد، وتكلّف أنواع العبادات، واقتحام أشقّ الطاعات، والدأب في تهذيب النفوس، وتنقية الخواطر، وتطهير الأخلاق، ورياضة النفس والبدن[٨] .

وقد بيّن الله في أكثر من آية أنّ النبوة نعمة ربانية إلهية، قال تعالى: (أولئك الَّذين أنعم الله عليهم من النَّبيين من ذريَّة آدم وممَّن حملنا مع نوحٍ ومن ذريَّة إبراهيم وإسرائيل وممَّن هدينا واجتبينا) [مريم: ٥٨] ، وحكى الله قول يعقوب لابنه يوسف: (وكذلك يجتبيك ربُّك) [يوسف: ٦] ، وقال الله لموسى: (إني اصطفيتك على النَّاس برسالاتي وبكلامي) [الأعراف: ١٤٤] .

وقد طمع أمية بن أبي الصَّلت في أن يكون نبي هذه الأمة، وقال الكثير من الشعر متوجهاً به إلى الله، وداعياً إليه، ولكنه لم يحصل على مراده، وصدق الله إذ يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام: ١٢٤] .

وعندما اقترح المشركون أن يختار الله لأمر النبوة والرسالة أحد الرجلين العظيمين في مكة والطائف عروة بن مسعود الثقفي أو الوليد بن المغيرة، أنكر الله ذلك القول، وبين أنّ هذا مستنكر، فهو الإله العظيم الذي قسم بينهم أرزاقهم في الدنيا، أفيجوز لهم أن يتدخلوا في تحديد المستحقِّ لرحمة النبوة والرسالة؟ (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيمٍ - أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم مَّعيشتهم في الحياة الدُّنيا..) [الزخرف: ٣١-٣٢] وسنبين في هذا الفصل الطريق الذي يصبح به الذين اختارهم الله أنبياء[٩].

٣- إثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«العليم»، و«الحكيم»:

---

[١] صفوة التفاسير:٣٧/٢.

[٢] تفسير ابن كثير:٣٧١/٤.

[٣] تفسير الطبري:٥٦١/١٥.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

[٧]انظر :لوامع الأنوار البهية: ٢٥٦/٢، ٢٥٨.

[٨]لوامع الأنوار البهية: (٢٦٧/٢.

[٩] انظر: **لرسل والرسالات، الأشقر:٥٩-٦٠**.

- فـ«العليم»: أي: المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[1].
قال الخطابي:"«العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"[2].

- ومن اسمائه تعالى:«الحكيم»: "هو المحكم لخلق الأشياء.قال تعالى:{آلر، تلك آيات الكتاب الحكيم} [يونس:١] وقال في موضع آخر: {كتاب أحكمت آياته} [هود: ١].
فدل على أن المراد بـ«الحكيم» هنا، الذي أحكمت آياته، صرف عن مفعل إلى فعيل، ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها [3].

القرآن

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧)} [يوسف : ٧]

التفسير:
لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم، ويرغب في معرفتها.
قوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} [يوسف : ٧] أي:" لقد كان في خبر يوسف وإخوته الأحد عشر عبرٌ وعظاتٌ للسائلين عن أخبارهم"[4].
قال ابن أبي زمنين:" أي: عبرة لمن كان سائلا عن حديثهم"[5].
قال أبو الليث السمرقندي:" معنى الآية: أن في خبر يوسف وإخوته عبرة وموعظة لمن سأل عن أمرهم"[6].
قال الزمخشري:" {في يوسف وإخوته}، أى: في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها. وقيل آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب... وقيل: إنما قص الله تعالى على النبي عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغى إخوته عليه، لما رأى من بغى قومه عليه ليتأسى به، وقيل أساميهم: يهوذا: وروبيل، وشمعون، ولاوى، وربالون، ويشجر، ودينة، ودان، ونفتالى، وجاد، وآشر: السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب، والأربعة الآخرون من سريتين: زلفة، وبلهة: فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف"[7].
عن قتادة قوله: "{لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، يقول: من سأل، عن ذلك فهو هكذا ما قص الله عليكم وأنبأكم به"[8].

---

[1] انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.
[2] شأن الدعاء:٥٧.
[3] انظر: شأن الدعاء، للخطابي:٧٣-٧٤.
[4] صفوة التفاسير:٣٧/٢.
[5] تفسير ابن ابي زمنين:٣١٧/٢.
[6] بحر العلوم:١٨٠/٢.
[7] الكشاف:٤٤٥/٢.
[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٧):ص٢١٠٤/٧.

عن الحسن: "{لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، قال: عبر"[1].

قال مقاتل:" وذلك أن اليهود سألوا النبي- ﷺ- عن أمر يوسف فكان ما سمعوا علامة لهم وهم السائلون عن أمر يوسف- عليه السلام- وكان يوسف قد فضل في زمانه بحسنه على الناس كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"[2].

عن ابن إسحاق، قال: "إنما قصّ الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف، وبَغْي إخوته عليه وحسدهم إياه، حين ذكر رؤياه، لما رأى رسول الله ﷺ من بغي قومه وحسده حين أكرمه الله عز وجل بنبوته، ليأتسي به"[3].

قال السمعاني:" «الآيات»: جمع «الآية»؛ و«الآية»: هي الدلالة على أمر عظيم. وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن اليهود سألوا رسول الله عن قصة يوسف - عليه [الصلاة] السلام - وفي بعض الروايات (أنهم سألوه) عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر، فذكر لهم قصة يوسف فوجدوها موافقة لما في التوراة؛ فهذا معنى قوله: {آيات للسائلين} أي: دلالة على نبوة الرسول.

والقول الثاني: أن (نعنى) قوله: {آيات للسائلين} يعني: أنها غبر للمعتبرين فإنها تشتمل على ذكر حسد إخوة يوسف له وما آل إليه أمرهم في الحسد، وتشتمل على ذكر رؤياه وما حقق الله منها، وتشتمل على ما صبر يوسف عن قضاء الشهوة، وعلى العبودية في السجن، وما آل إليه أمره من الملك، وتشتمل أيضا على ذكر حزن يعقوب وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد، وذهاب الحزن عنه، وغير هذا مما يذكر في السورة؛ فهذه عبر للمعتبرين"[4].

قال البغوي:" وأسماؤهم: روبيل، وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبالون، وقيل: زبلون، وآشر، وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام، وولد له من سريتين له، اسم إحداهما زلفة والأخرى يلهمة أربعة أولاد: دان، ونفتالي، وقيل: نفتولي، وجاد، وأشير. ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين. وقيل: وابن يامين ، فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلا"[5].

وروي عن مجاهد وابن كثير أنهما قرآ:« ءاية للسآئلين»، على التوحيد[6].

وفي بعض المصاحف: «عبرة للسائلين»[7].

القرآن

{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨)} [يوسف : ٨]

التفسير:

إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضِّلهما علينا، ونحن جماعة ذوو عدد، إن أبانا لفي خطأ بيِّن حيث فضَّلهما علينا من غير موجب نراه.

قوله تعالى:{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا} [يوسف : ٨]، أي:" إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضِّلهما علينا"[8].

عن قتادة: "{إذ قالوا ليوسف وأخوه}، يعني: بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه"[9].

عن السدي، قوله: "{إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا}، وأخوه: بنيامين"[1].

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٦):ص٢١٠٤/٧.

[2] تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٩/٢.

[3] أخرجه الطبري(١٨٧٩٤):ص٥٦٢/١٥.

[4] تفسير السمعاني:٩/٣.

[5] تفسير البغوي:٢١٧/٤.

[6] انظر: السبعة في القراءات:٣٤٤، وتفسير الطبري:٥٦٢/١٥.

[7] انظر: تفسير السمعاني:٩/٣.

[8] التفسير الميسر:٢٣٥.

[9] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٩):ص٢١٠٤/٧-٢١٠٥.

قوله تعالى:{وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف : ٨]، أي:" ونحن جماعة ذوو عدد"[٢].
وفي معنى«العصبة»، أقوال:
أحدها : أنها ستة أو سبعة ، قاله سعيد بن جبير[٣].
الثاني : أنها من عشرة إلى خمسة عشر ، قاله مجاهد[٤].
الثالث : من عشرة إلى أربعين ، قاله قتادة[٥]، وأبو المليح[٦].
قال السدي:" كانوا عشرة" [٧].
قال مقاتل:" {ونحن عصبة}، يعني: عشرة"[٨].
الرابع : أنها أربعون رجلا. قاله الحكم[٩].
الخامس: عشرة فما زاد. قاله الفراء[١٠].
السادس: الجماعة ، قاله عبد الرحمن بن زيد[١١].
قوله تعالى:{إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف : ٨]، أي:" إن أبانا لفي خطأ بيِّن حيث فضَّلهما علينا من غير موجب نراه"[١٢].
قال السدي:" في ضلال من أمرنا"[١٣].
قال مقاتل:" يعني خسران مبين يعني في شقاء بين نظيرها فى سورة القمر {إن المجرمين في ضلال}[١٤]، يعني: في شقاء، من حب يعقوب لابنه يوسف وذكره"[١٥].
قال الطبري:" يعنون: إنّ أبانا يعقوب لفي خطأ من فعله، في إيثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة ، ويعني بـ«المبين»: أنه خطأ يبينُ عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر إليه"[١٦].
وفي قوله تعالى:{إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف : ٨]، وجوه:
أحدها : لفي خطأ من رأيه، قال ابن زيد[١٧].
الثاني : لفي جور من فعله، قال ابن كامل[١٨].
الثالث : لفي محبة ظاهرة ، وهذا معنى قول الطبري[١٩].
وإنما جعلوه في ضلال مبين لثلاثة وجوه[٢٠]:
أحدها : لأنه فضّل الصغير على الكبير .
الثاني : القليل على الكثير .

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٨):ص٢١٠٤/٧.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٥.
[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٣):ص٢١٠٥/٧.
[٤] انظر: النكت والعيون:١٠/٣.
[٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٠):ص٢١٠٥/٧.
[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١٠٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٥١):ص٢١٠٥/٧.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٠/٢.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٢):ص٢١٠٥/٧.
[١٠] انظر: معاني القرآن:٣٦/٢.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٤):ص٢١٠٥/٧.
[١٢] التفسير الميسر:٢٣٥.
[١٣]أخرجه الطبري(١٨٧٩٦):ص٥٦٣/١٥ .
[١٤] [القمر:٥].
[١٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٠/٢.
[١٦] تفسير الطبري:٥٦٣/١٥.
[١٧] انظر: النكت والعيون:١٠/٣.
[١٨] انظر: النكت والعيون:١٠/٣.
[١٩] انظر: تفسير الطبري:٥٦٣/١٥.
[٢٠] انظر: النكت والعيون:١٠/٣.

الثالث : من لا يراعي ما له على من يراعيه.
قال الماوردي:" واختلف فيهم هل كانوا حينئذ بالغين ؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا بالغين مؤمنين ولم يكونوا أنبياء بعد لأنهم قالوا{يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين}، وهذه حالة لا تكون إلا من بالغ ، وقال آخرون : بل كانوا غير بالغين لأنهم قالوا:{أرسله معنا غداً نرتع ونلعب}، وإنما استغفروه بعد البلوغ "[1].
القرآن
{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)} [يوسف : ٩]
التفسير:
اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العُمران يخلُص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم.
قوله تعالى:{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا} [يوسف : ٩]، أي:" اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العُمران"[2].
قوله تعالى:{يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} [يوسف : ٩]، أي:" يخلُص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم"[3].
قال الطبري:" يعنون: يخلُ لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف، فإنه قد شغله عنّا، وصرف وَجهه عنَّا إليه"[4].
وفي قوله تعالى:{يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} [يوسف : ٩]، وجهان:
أحدهما : أنهم أرادوا صلاح الدنيا لا صلاح الدين ، قاله الحسن[5].
الثاني : أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة، وهذا معنى قول السدي[6].
قال السدي:" تتوبون مما صنعتم، أو: من صنيعكم"[7].
الثالث: أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل، وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة، لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم. أفاده الماوردي[8].
قوله تعالى:{وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} [يوسف : ٩]، أي:" وتكونوا مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم"[9].
القرآن
{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)} [يوسف : ١٠]
التفسير:
قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارَّة من المسافرين فتستريحوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون.
قوله تعالى:{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} [يوسف : ١٠]، أي:" قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر"[1].

---

[1] النكت والعيون:٣/١٠-١١.
[2] التفسير الميسر:٢٣٥.
[3] التفسير الميسر:٢٣٥.
[4] تفسير الطبري:١٥/٥٦٤.
[5] انظر: النكت والعيون:٣/١١.
[6] انظر: تفسير الطبري(١٨٧٩٨):ص١٥/٥٦٤.
[7] أخرجه الطبري(١٨٧٩٨):ص١٥/٥٦٤.
[8] انظر: النكت والعيون:٣/١١.
[9] التفسير الميسر:٢٣٥.

اختلف في قائل هذا منهم على ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه روبيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته ، قاله قتادة[٢].
الثاني : أنه شمعون ، قاله مجاهد[٣].
الثالث : أنه يهوذا ، قال السدي[٤].
قال محمد بن إسحاق:" فذكروا والله أعلم أن الذي قال ذلك منهم روبيل الأكبر من بني يعقوب، وكان أقصدهم فيه رأيا، وكل قد عظم فيه جرمه، وكان أيسرهم جرما، وكفى بجرمه جرما لما اجتمعوا عليه من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع، الذي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل عليهم، وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده- ليفرقوا بينه وبين ولده وحبيبه على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله وبين من أحبه طفلا صغيرا على ضعف قوته، وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده، وسكونه إليه يغفر الله لهم، وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمرا عظيما"[٥].
عن ابن عباس:"{...غيابت الجب}، يعني: الركية"[٦].
وفي قوله تعالى:{وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} [يوسف : ١٠]، وجهان:
أحدهما : يعني: قعر الجب وأسفله.
عن قتادة :"{وألقوه في غيابت الجب}، في بعض نواحيه أسفله"[٧].
الثاني : ظلمه الجب التي تغيّب عن الأبصار ما فيها ، قاله الكلبي[٨]. فكان رأس الجب ضيقاً وأسفله واسعاً.
وفي تسميته «غيابة الجب»، وجهان[٩]:
أحدهما : لأنه يغيب فيه خبره.
الثاني : لأنه يغيب فيه أثره، قال ابن أحمر[١٠]:
ألا فالبِثَا شَهْرَيْن أو نِصْفَ ثالث   إلى ذَاكُما ما غَيّبتْني غَيَابِيَا
قال الزجاج:" «الغيابة»: كل ما غاب أو غيب عنك شيئا، قال المنخل[١١]:
وإن أنا يوما غيبتني منيتي   فسيري بسيري في العشيرة والأصل"[١٢]
وفي «الجبّ»، أقوال:
أحدها : أنه اسم بئر في «بيت المقدس»، قاله قتادة[١٣].
الثاني : أن الجب الذي جعل فيه يوسف بحذاء طبرية بينه وبينها أميال. قاله ابن زيد[١٤].
الثالث: أنه بئر غير معينة ، وإنما يختص بنوع من الآبار[١]، قال الأعشى[٢]:

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٥.
[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٧):ص٢١٠٦/٧.
[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٩):ص٢١٠٦/٧.
[٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٥٨):ص٢١٠٦/٧.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦٠):ص٢١٠٦/٧.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦١):ص٢١٠٦/٧.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦٢):ص٢١٠٧/٧.
[٨] انظر: النكت والعيون:١١/٣.
[٩] انظر: النكت والعيون:١١/٣-١٢.
[١٠] من قصيدة له في هجاء يزيد بن معاوية، انظر: "ديوانه" ص ١٧١، و"المحتسب" ٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨، و"الخصائص" ٢/ ٤٦٠، وابن الشجري ٣/ ٧٥، ٢٠٧، و"الإنصاف" ص ٣٨٧، و"شواهد كتاب سيبويه" ١٢٩.
[١١] هو المنخل بن سبيع بن زيد بن معاوية بن العنبر، والبيت في "معجم المرزباني" ٣٨٨، و"مجاز القرآن" ١/ ٣٠٢، و"شواهد الكشاف" (٩٦)، والقرطبي ٩/ ١٣٢، و"معاني الزجاج" ٣/ ٩٣، و"المحرر" ٧/ ٤٤٤، و"البحر المحيط" ٥/ ٢٨٤، و"الدر المصون" ٦/ ٤٤٦.
[١٢] معاني القرآن:٩٤/٣.
[١٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٦٣):ص٢١٠٧/٧.
[١٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٦٤):ص٢١٠٧/٧.

لئن كنت فى جبّ ثمانين قامة   ورقيّت أسباب السماء بسلّم

وفيما يسمى من الآبار جباً قولان[٣]:

أحدهما : أنه ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن .

الثاني : أنه ما لا طيّ له من الآبار[٤].

قال الزجاج :" وسميت جبا من أنها قطعت قطعا، ولم يحدث فيها غير القطع، من طي وما أشبهه"[٥].

وقرأ أهل الحجاز:«غيابات»، على الجمع[٦].

قوله تعالى:{يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} [يوسف : ١٠]، أي:" البئر يلتقطه بعض المارَّة من المسافرين فتستريحوا منه، ولا حاجة إلى قتله"[٧].

قال الطبري:" يقول: يأخذه بعض مارّة الطريق من المسافرين"[٨].

قال ابن أبي زمنين:" أي: بعض من يمر في الطريق"[٩].

قال مقاتل:" فيذهبوا به فيكفونكم أمره"[١٠].

قال الثعلبي:أي:" بعض ماري الطريق من المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى"[١١].

وفي «السيارة»، قولان:

أحدهما : أنهم المسافرون سُموا بذلك لأنهم يسيرون[١٢].

الثاني : أنهم مارة الطريق ، قاله الضحاك[١٣].

وقرأ الحسن:« تلتقطه»، بالتاء[١٤].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف : ١٠]، أي:" إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون"[١٥].

قال الصابوني:" أي: إن كان لا بدَّ من الخلاص منه فاكتفوا بذلك، وكان رأيه فيه أهون شراً من رأي غيره"[١٦].

قال الثعلبي:أي:" إن كنتم فاعلين ما أقول لكم"[١٧].

قال الطبري:" يقول: إن كنتم فاعلين ما أقول لكم "[١٨].

قال ابن عباس:" التقطه ناس من الأعراب"[١٩].

قال أبو بكر بن عياش: "كان يوسف في الجب ثلاثة أيام"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:١٢/٣.

(٢)ديوانه ٩٤ والكتاب ١/ ١٩٧ والشنتمرى ١/ ٢٣١، ومجاز القرآن:٣٠٢/١، والقرطبي ٩/ ١٣٢ وشواهد الكشاف ٢٧٩..

(٣) انظر: النكت والعيون:١٢/٣.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني:١٨٢.

(٥) معاني القرآن:٩٤/٣.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء:٣٦/٢.

(٧) التفسير الميسر:٢٣٥.

(٨) تفسير الطبري:٥٦٧/١٥.

(٩) تفسير ابن ابي زمنين:٣١٧/٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٠/٢.

(١١) الكشف والبيان:٢٠٠/٥.

(١٢) انظر: النكت والعيون:١٢/٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون:١٢/٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٨١٢):ص٥٦٧/١٥، ومعاني القرآن للفراء:٣٦/٢.

(١٥) التفسير الميسر:٢٣٥.

(١٦) صفوة التفاسير:٣٨/٢.

(١٧) الكشف والبيان:٢٠٠/٥.

(١٨) تفسير الطبري:٥٦٧/١٥.

(١٩) أخرجه الطبري(١٨٨١١):ص٥٦٧/١٥.

قال الثعلبي:" قيل للحسن: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب؟ ولهذا قيل: الأب جلاب، والأخ سلاب"[٢].

قال محمد بن إسحاق: "اشتمل فعلهم على جرائم من قطع الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير، الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد والكذب مع أبيهم. وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييئس أحد من رحمة الله"[٣].

قال البغوي:" قال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعين، وكل ذلك كان قبل أن أنبأهم الله تعالى"[٤].

فوائد الآيات:[٧-١٠]:

١- الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة بين الإخوة.
٢- الحسد سبب لكثير من الكوارث البشرية.
٣- الشفقة والمحبة في الشقيق أكبر منها في الأخ للأب.

القرآن

{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١)} [يوسف : ١١]

التفسير:

قال إخوة يوسف -بعد اتفاقهم على إبعاده-: يا أبانا ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير ونشفق عليه ونرعاه، ونخصه بخالص النصح؟

قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ} [يوسف : ١١]، أي:" قال إخوة يوسف -بعد اتفاقهم على إبعاده-: يا أبانا أي شيء يجعلك لا تأمنا على أخينا يوسف وأنت أب لنا جميعًا ونحن إخوة شركاء في الانتساب إليك بالبنوة""[٥].

قال البيضاوي:أي:" لمَ تخافنا عليه"[٦].

قال ابن كثير:" لما تواطئوا على أخذه وطَرْحه في البئر، كما أشار عليهم أخوهم الكبير رُوبيل ، جاءوا أباهم يعقوب ، عليه السلام، فقالوا:{ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ } وهذه توطئة وسلف ودعوى ، وهم يريدون خلاف ذلك ؛ لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له"[٧].

قال البغوي:" بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟"[٨].

قال القرطبي:" قيل: لما تفاوضوا وافترقوا على رأي المتكلم الثاني عادوا إلى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول. وفيه دليل على أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى على ما يأتي"[٩].

قرأ أبو جعفر: {تأمنا} بلا إشمام، وهو رواية عن نافع، وقرأ الباقون: {تأمنا} بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة[١٠].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٦٥):ص٢١٠٧/٧.
[٢] الكشف والبيان:٢٠٠/٥.
[٣] تفسير البغوي:٢١٩/٤.
[٤] تفسير البغوي:٢١٩/٤.
[٥] انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث:٢٨٨/٤، والتفسير الميسر:٢٣٦.
[٦] تفسير البيضاوي:١٥٧/٣.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٧٣/٤.
[٨] تفسير البغوي:٢١٩/٤.
[٩] تفسير القرطبي:١٣٨/٩.
[١٠] انظر: تفسير البغوي:٢١٩/٤.

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} [يوسف : ١١]، أي:" وإنا جميعًا له لمخلصون نريد له الخير ونشفق عليه"[١].

قال القرطبي:" أي: في حفظه وحيطته حتى نرده إليك"[٢].

قال البيضاوي:أي: "ونحن نشفق عليه ونريد له الخير، أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم"[٣].

القرآن

{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)} [يوسف : ١٢]

التفسير:

أرسله معنا غدًا عندما نخرج إلى مراعينا يَسْعَ وينشط ويفرح، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح، وإنا لحافظون له من كل ما تخاف عليه.

قوله تعالى:{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} [يوسف : ١٢]، أي:" أرسله معنا غدًا عندما نخرج إلى مراعينا يَسْعَ وينشط ويفرح، ويلعب"[٤].

قال الطبري:أي:" أرسله معنَا غدًا نلهو ونلعب وننعم، وننشط في الصحراء"[٥].

وفي قوله تعالى:{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} [يوسف : ١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : يتلهَّى ويلعب، قاله الضحاك[٦]، ومقاتل بن حيان[٧].

الثاني : ينشط ويلعب. قاله مجاهد[٨]، وقتادة[٩]، والسدي[١٠].

وفي رواية عن قتادة:" ينشط ويلهو"[١١].

الثالث: يسعى ويلهو. قاله قتادة[١٢].

الرابع: يسعى وينشط، قاله ابن عباس[١٣]، والضحاك-في رواية-[١٤].

الخامس: ينشط ويفرح. والعرب تقول: رتعت لك يعنى فرحت لك. قاله مقاتل[١٥].

السادس: يحفظ بعضنا بعضًا، نتكالأ نتحارس، ونلهو، قاله مجاهد[١٦].

قال ابن قتيبة:" {يرتع} بتسكين العين: يأكل. يقال: رتعت الإبل؛ إذا رعت. وأرتعتها: إذا تركتها ترعى، ومن قرأ: (نرتع) بكسر العين - أراد: نتحارس ويرعى بعضنا بعضا ، أي: يحفظ. ومنه يقال: رعاك الله؛ أي: حفظك"[١٧].

السابع : يرعى غنمه، وينظر ويعقل، فيعرف ما يعرف الرجُل، قاله ابن زيد[١٨]، ومنه قول الفرزدق[١]:

---

[١]: التفسير الوسيط، مجمع البحوث:٢٨٨/٤.

[٢] تفسير القرطبي:١٣٨/٩.

[٣] تفسير البيضاوي:١٥٧/٣.

[٤] التفسير الميسر:٢٣٦.

[٥] تفسير الطبري:٥٧٢/١٥.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٠):ص٥٧١/١٥.

[٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢١٠٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

[٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٧٠):ص٢١٠٨/٧.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٣):ص٥٧١/١٥.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢١):ص٥٧١/١٥.

[١١] أخرجه الطبري(١٨٨١٦):ص٥٧٠/١٥.

[١٢] أخرجه الطبري(١٨٨١٨):ص٥٧٠/١٥.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٨١٤)، و(١٨٨١٥):ص٥٧٠/١٥.

[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٤):ص٥٧١/١٥.

[١٥] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٠/٢.

[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٦)-(١٨٨٣٠):ص٥٧٢/١٥.

[١٧] غريب القرآن:٢١٣.

[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٢٥):ص:٥٧٢/١٥.

راحَتْ بمسلمةَ البغالُ عَشِيَّةً   فارعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعْ
قال الزجاج:" كأنهم قالوا يرعى ماشيته ويلعب، فيجتمع النفع والسرور"[٢].
الثامن: نطعم ونتنعم مأخوذ من «الرتعة»، وهي سعة المطعم والمشرب ، قاله ابن شجرة[٣]، وأنشد قول الشاعر[٤]:
أكُفراً بعد رَدّ الموت عنّي   وبعد عطائك المائة الرِّتاعا
أي: الراتعة لكثرة المرعى.
قال الماوردي:" ولم ينكر عليهم يعقوب عليه السلام اللعب لأنهم عنوا به ما كان مباحاً"[٥].
قرأ ابن كثير «نرتع ونلعب» بفتح النون فيهما وكسر العين فى «نرتع» من غير ياء من ارتعيت، عن إسماعيل المكى قال سمعت ابن كثير يقرأ« نرتع»، بالنون وكسر العين {ويلعب} بالياء وجزم الباء وقرأ نافع {يرتع} مثل ابن كثير فى كسر العين وهى بياء {ويلعب} بالياء وجزم الباء، وقرأ أبو عمرو وابن عامر «نرتع ونلعب» بالنون فيهما وتسكين العين والباء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائى {يرتع ويلعب} بالياء وجزم العين والباء[٦].
قوله تعالى:{وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف : ١٢]، أي:" وإنا لحافظون له من كل ما تخاف عليه"[٧].
قال البيضاوي:أي:" من أن يناله مكروه"[٨].
قال الطبري:أيونحن حافظُوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه"[٩].
قال ابن كثير:" يقولون: ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك"[١٠].
القرآن
{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)} [يوسف : ١٣]
التفسير:
قال يعقوب: إني لَيؤلم نفسي مفارقته لي إذا ذهبتم به إلى المراعي، وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون.
قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ} [يوسف : ١٣]، أي:" قال يعقوب: إني لَيؤلم نفسي مفارقته لي إذا ذهبتم به إلى المراعي"[١١].

---

[١]انظر الكتاب: ٢/ ١٧٠، والخصائص: ٣/ ١٥٢، وشرح شواهد الشافية/ ٣٣٥. والبيت في ديوانه ٢/ ٥٠٨ برواية:
ومضت لمسلمة الركاب مودّعا ... .
من قطعة يقولها حين عزل مسلمة بن عبد الملك من العراق، ووليه عمر بن هبيرة الفزاري، يهجوه ويدعو ألا يهنأ قومه النعمة بولايته. وأراد بالبغال بغال البريد التي ذهبت بمسلمة عند عزله.
[٢] معاني القرآن:٩٥/٣.
[٣]انظر: النكت والعيون:١٣/٣.
[٤]الشاهد للقطامي في ديوانه ٣٧، وتذكرة النحاة ٤٥٦، وخزانة الأدب ٨/ ١٣٦، وشرح التصريح ٢/ ٦٤، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٤٩، وشرح عمدة الحافظ ٦٩٥، ومعاهد التنصيص ١/ ١٧٩، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٠٥، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٤١١، وأوضح المسالك ٣/ ٢١١، والدرر ٥/ ٢٦٢، وشرح الأشموني ٢/ ٣٣٦، وشرح شذور الذهب ٥٢٨ وشرح ابن عقيل ٤١٤ .
[٥] النكت والعيون:١٣/٣.
[٦] انظر: السبعة في القراءات:٣٤٥-٣٤٦.
[٧] التفسير الميسر:٢٣٦.
[٨] تفسير البيضاوي:١٥٧/٣.
[٩] تفسير الطبري:٥٧٢/١٥.
[١٠] تفسير ابن كثير:٣٧٣/٤.
[١١] التفسير الميسر:٢٣٦.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء"[١].

قوله تعالى:{وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} [يوسف : ١٣]، أي:" وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون"[٢].

قال الطبري:" مخافة عليه من الذئب أن يأكله، وأنتم عنه غافلون لا تشعرون"[٣].

قال ابن كثير:" يقول : وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورَعْيتكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فمه هذه الكلمة ، وجعلوها عذرهم فيما فعلوه"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} [يوسف : ١٣]، قولان[٥]:

أحدهما:أنه قال ذلك لخوفه منهم عليه ، وأنه أرادهم بالذئب ، وخوفه إنما كان من قتلهم له فكنى عنهم بالذئب مسايرة لهم ، قال ابن عباس "فسماهم ذئاباً"[٦].

والقول الثاني : ما خافهم عليه ، ولو خافهم ما أرسله معهم ، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يخاف منه من الصحارى.

قال مقاتل:" وكانت أرضا مذئبة فمن ثم قال يعقوب: «أخاف أن يأكله الذئب»[٧].

وقال الكلبي : "بل رأى في منامه أن الذئب شَدّ على يوسف فلذلك خافه عليه"[٨].

قال أبو مجلز:" لا ينبغي لأحد أن يلقن ابنه الشر، فإن بني يعقوب لم يدروا أن الذئب يأكل الناس، حتى قال لهم أبوهم: إني أخاف أن يأكله الذئب"[٩].

القرآن

{قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)} [يوسف : ١٤]

التفسير:

قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذًا لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يُرْجَى منا.

قوله تعالى:{قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ} [يوسف : ١٤]، أي:" أي والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة أقوياء أشداء إنا إذًا لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يُرْجَى منا"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب: لئن أكل يوسف الذئبُ في الصحراء، ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه- وهم العصبة- إنا إذًا لعجزة هالكون"[١١].

قال ابن كثير:" يقولون : لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ، ونحن جماعة ، إنا إذًا لهالكون عاجزون "[١٢].

قال مقاتل:" {لخاسرون}، يعنى: لعجزة"[١٣].

---

[١] تفسير الطبري:٥٧٣/١٥.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٦.
[٣] تفسير الطبري:٥٧٣/١٥.
[٤] تفسير ابن كثير:٣٧٣/٤.
[٥] انظر: النكت والعيون:١٣/٣.
[٦] انظر: النكت والعيون:١٣/٣.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢١/٢.
[٨] النكت والعيون:١٣/٣.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٤):ص٢١٠٨/٧.
[١٠] انظر: التفسير الميسر:٢٣٦، وصفوة التفاسير:٣٨/٢.
[١١] تفسير الطبري:٥٧٣/١٥.
[١٢] تفسير ابن كثير:٣٧٣/٤.
[١٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢١/٢.

قال محمد بن إسحاق:" فلم يزالوا يأتونه حتى أرسله معهم دعاه حين أرادوا الذهاب به فضمه إليه ودعا له"[١].

عن السدي: "قال: لن أرسله معكم، أخاف أن يأكله الذئب ... قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون، فأرسله معهم"[٢].

وقال السدي أيضا:" فلما ذهبوا به، أخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما خرجوا به إلى البرية أظهروا به، فلما أخرجوه، وبه عليهم كرامة، فلما خرجوا به إلى البرية، أظهروا له العداوة، فجعل يضربه أحدهم فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح، يا أبتاه يا يعقوب، لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا أن يقتلوه قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوا فيه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفة البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه، ذروا علي قميصي أتوارى به في الجب، قالوا له: ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يؤنسوك، قال: فإني لم أر شيئا فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه فلم يضره، ثم أوى إلى صخرة في البئر فقام عليها فجعل يبكي فناداه إخوته فظن أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه، بصخرة فقام يهوذا فمنعهم وقال: قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، فكان يهوذا يأتيه بالطعام"[٣].

فوائد الآيات:[١١-١٤]:

١- تقرير قاعدة: لا حذر مع القدر أي لا حذر ينفع في رد المقدور.
٢- صدق المؤمن يحمله على تصديق من يحلف له ويؤكد كلامه.
٣- جواز الحزن وأنه لا إثم فيه وفي الحديث " وإنا بك لمحزونون "[٤].

القرآن

{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)} [يوسف : ١٥]

التفسير:

فأرْسَلَهُ معهم. فلما ذهبوا به وأجمعوا على إلقائه في جوف البئر، وأوحينا إلى يوسف لتخبرنَّ إخوتك مستقبلا بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يُحِسُّون بذلك الأمر ولا يشعرون به.

قوله تعالى:{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ} [يوسف : ١٥]، أي:" فأرسله معهم فلما أخذوه وابتعدوا به عن أبيه"[٥].

قوله تعالى:{وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} [يوسف : ١٥]، أي:" عزموا واتفقوا على إلقائه في غور الجب"[٦].

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف : ١٥]، أي:" وأوحينا إلى يوسف لتخبرنَّ إخوتك مستقبلا بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يُحِسُّون بذلك الأمر ولا يشعرون به"[٧].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٣):ص٢١٠٨/٧.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٥):ص٢١٠٨/٧.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٦):ص٢١٠٨/٧-٢١٠٩.
[٤]أخرجه ابن سعد (١٣٨/١) ، والبيهقى (٦٩/٤، رقم ٦٩٤٣) ، والترمذى (٣٢٨/٣، رقم ١٠٠٥) .
ونص الحديث:" إنى لم أنه عن البكاء إنما نهيت عن النوح عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان إنما هذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وإنها سبيل مأتية وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزنا أشد من هذا وإنا بك لمحزونون تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب".
[٥] صفوة التفاسير:٣٨/٢.
[٦] صفوة التفاسير:٣٨/٢.
[٧] التفسير الميسر:٢٣٧.

قال الطبري:" يقول: وأوحينا إلى يوسف لتخبرنَّ إخوتك بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يعلمون ولا يدرُون"[١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى ذاكرًا لطفه ورحمته وعائدته وإنزاله اليسر في حال العسر : إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق ، تطييبًا لقلبه ، وتثبيتًا له : إنك لا تحزن مما أنت فيه ، فإن لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا ، وسينصرك الله عليهم ، ويعليك ويرفع درجتك ، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع"[٢].

قال الرازي:"فائدة تقديم الوحي تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه"[٣].

قال مقاتل:" وذلك أن الله أوحى إلى يوسف- عليه السلام- بعد ما انصرف إخوته إنك ستخبر إخوتك بأمرهم هذا الذي ركبوا منك ثم قال: «وهم لا يشعرون» أنك يوسف حين تخبرهم فأنبأهم يوسف بعد ذلك حين قال لهم: وضرب الإناء. فقال: إن الإناء ليخبرني بما فعلتم بيوسف من الشر ونزع الثياب"[٤].

وفي وفي قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} [يوسف : ١٥]، وجهان:

أحدهما : يعني: وألهمناه ، كما قال تعالى {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص : ٧][٥].

الثاني : أن الله تعالى أوحى إليه وهو في الجب، قاله مجاهد[٦]، وقتادة[٧].

قال مجاهد:" أوحى إلى يوسف وهو في الجبّ أنْ سينبئهم بما صنعوا، وهم لا يشعرون بذلك الوحي"[٨].

قال قتادة:" أوحى الله إليه وحيا وهو في الجب، فهون ذلك الوحي عليه ما صنع به"[٩].

وفي قوله تعالى:{ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا} [يوسف : ١٥]، وجهان :

أحدهما : أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا ، فعلى هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجب تبشيراً له بالسلامة .

الثاني : أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به، فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجب إنذاراً له.

قال قتادة:" أتاه الوحي من الله، وهو في البئر بما يريدوا أن يفعلوا به، وهم لا يشعرون بما أطلع الله عليه رسوله من أمرهم"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف : ١٥]، وجهان :

أحدهما : لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف، قاله قتادة[١١]، وابن جريج[١٢].

قال ابن عباس:" لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصُّوَاع، فوضعه على يده، ثم نقره فطنَّ، فقال: إنه ليخبرني هذا الجامُ أنه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له يوسف، يدنيه دونكم، وإنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب! قال: ثم نقره فطنَّ فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم على قميصه بدَمٍ كذب! قال: فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام

---

[١] تفسير الطبري:٥٧٥/١٥.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٧٤/٤.
[٣] مفاتيح الغيب:٤٢٨/١٨.
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢١/٢.
[٥] انظر: النكت والعيون:١٤/٣.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٣٢)-(١٨٨٣٥):ص٥٧٥/١٥-٥٧٦.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٧٧)، (١١٣٧٩):ص٢١٠٩/٧.
[٨] أخرجه الطبري(١٨٨٣٤):ص٥٧٥/١٥-٥٧٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٧):ص٢١٠٩/٧.
[١٠] اخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٧٩):ص٢١٠٩/٧.
[١١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٢):ص٢١١٠/٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٣٩):ص٥٧٦/١٥.

ليخبره بخبركم! قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم: {لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون}"[1].

قال الفخر الرازي:" المراد أن الله تعالى أوحى إلى يوسف إنك لتخبرن إخوتك بصنيعهم بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون في ذلك الوقت أنك يوسف، والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت قهره وقدرته.

[وعلى هذا التفسير]" كان هذا أمرا من الله تعالى نحو يوسف في أن يستر نفسه عن أبيه وأن لا يخبره بأحوال نفسه، فلهذا السبب كتم أخبار نفسه عن أبيه طول تلك المدة، مع علمه بوجد أبيه به خوفا من مخالفة أمر الله تعالى، وصبر على تجرع تلك المرارة، فكان الله سبحانه وتعالى قد قضى على يعقوب عليه السلام أن يوصل إليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليكثر رجوعه إلى الله تعالى، وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن الشديدة"[2].

الثاني : لا يشعرون بوحي الله تعالى له بالنبوة، قاله ابن عباس[3]، ومجاهد[4].

قال الزجاج:" أي: أنبأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أوحي إليه"[5].

قال الفخر:" أن المراد إنا أوحينا إلى يوسف عليه السلام في البئر بأنك تنبئ إخوتك بهذه الأعمال، وهم ما كانوا يشعرون بنزول الوحي عليه، والفائدة في إخفاء نزول ذلك الوحي عنهم أنهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله"[6].

الفوائد:

١- جواز صدور الذنب الكبير من الرجل المؤمن المهيء للكمال مستقبلا.

٢- لطف الله تعالى بيوسف وإكرامه له بإعلامه إياه أنه سينبىء إخوته بفعلتهم هذه وضمن ذلك بشره بسلامة الحال وحسن المآل.

القرآن

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦)} [يوسف : ١٦]

التفسير:

وجاء إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العِشاء من أول الليل، يبكون ويظهرون الأسف والجزع.

قوله تعالى:{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} [يوسف : ١٦]، أي:" رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليلاً وهم يبكون"[7].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وجاء إخوة يوسف أباهم، بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الجبّ عشاء يبكون"[8].

قال السدي:" ثم إنهم رجعوا إلى أبيهم فأخذوا جديا من الغنم فذبحوه، ونضحوا دمه على القميص، ثم أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون"[9].

قال محمد بن إسحاق: "فلما انطلقت به العير، وعرف إخوته أن قد ذهب به، جاؤ أباهم عشاء يبكون"[10].

---

[1] اأخرجه الطبري(١٨٨٤٠):ص١٥/٥٧٦-٥٧٧.

[2] مفاتيح الغيب:١٨/٤٢٨.

[3] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨١):ص٧/٢١٠٩-٢١١٠.

[4] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٣٤):ص١٥/٥٧٥-٥٧٦.

[5] معاني القرآن:٣/٩٥.

[6] مفاتيح الغيب:١٨/٤٢٨.

[7] صفوة التفاسير:٢/٣٩.

[8] تفسير الطبري:١٥/٥٧٧.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٨٥):ص٧/٢١١٠.

[10] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٨٦):ص٧/٢١١٠.

قال القرطبي:" وإنما جاءوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار، فروي أن يعقوب عليه السلام لما سمع بكاءهم قال: ما بكم؟ أجرى في الغنم شي؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق فأكله الذئب، فبكى وصاح وقال: أين قميصه؟"[١].

روى :"أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت، فقال له الشعبي: يا أبا أمية، أما تراها تبكى؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة: ولا ينبغي لأحد أن يقضى إلا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية"[٢].

القرآن

{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)} [يوسف : ١٧]

التفسير:

قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في الجَرْي والرمي بالسهام، وتركنا يوسف عند زادنا وثيابنا، فلم نقصِّر في حفظه، بل تركناه في مأمننا، وما فارقناه إلا وقتًا يسيرًا، فأكله الذئب، وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق؛ لشدة حبك ليوسف.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ} [يوسف : ١٧]، أي:" قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في الجَرْي والرمي بالسهام"[٣].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ} [يوسف : ١٧]، وجوه[٤]:

أحدها : معناه ننتصل، من السباق في الرمي ، قاله ابن قتيبة[٥]، والزجاج[٦]، والطبري[٧]، والزمخشري[٨].

الثاني : أنهم أرادوا السبق بالسعي على أقدامهم.

الثالث : أنهم عنوا استباقهم في العمل الذي تشاغلوا به من الرعي والاحتطاب .

الرابع : أي: نتصيد. قاله مقاتل[٩]، قال الماوردي:"وأنهم يستبقون على اقتناص الصيد"[١٠].

قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف : ١٧]، أي:" تركنا يوسف عند ثيابنا وحوائجنا ليحفظها فجاء الذئب فافترسه"[١١].

قال السدي:" أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون، فلما سمع أصواتهم فزع وقال: ما لكم يا بنيّ؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا! قال: فما فعل يوسف؟ قالوا: {يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب}! فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته، وقال: أين القميص؟ فجاءوه بالقميص عليه دمٌ كذب، فأخذ القميص فطرحه على وجهه، ثم بكى حتى تخضَّب وجهه من دم القميص"[١٢].

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف : ١٧]، أي:" وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق؛ لشدة حبك ليوسف"[١٣].

---

[١] تفسير القرطبي:١٤٤/٩.
[٢] الكشاف:٤٥٠/٢.
[٣] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٤] اظر: النكت والعيون:١٤/٣.
[٥] انظر: غريب القرآن:٢١٣.
[٦] انظر: معاني القرآن:٩٥/٣.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٧٧/١٥.
[٨] انظر: الكشاف:٤٥١/٢.
[٩] انظر: تفسيرمقاتل بن سليمان:٣٢٤/٢.
[١٠] اظر: النكت والعيون:١٤/٣.
[١١] صفوة التفاسير:٣٩/٢.
[١٢] أخرجه الطبري(١٨٨٤١):ص٥٧٧/١٥-٥٧٨.
[١٣] التفسير الميسر:٢٣٧.

عن السدي: "{وما أنت بمؤمن لنا}، قال: بمصدق لنا!"[1].
قال محمد بن إسحاق:" أي: ما أنت بمصدقنا ولو كنا صادقين وإن كنا قد صدقنا"[2].
قال الزمخشري:أي:" بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة، لشدة محبتك ليوسف، فكيف وأنت سيئ الظن بنا، غير واثق بقولنا؟"[3].
قال الزجاج:" ليس يريدون أن يعقوب - عليه السلام - لا يصدق من يعلم أنه صادق، هذا محال، لا يوصف الأنبياء بذلك، ولكن المعنى: لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبناك"[4].
نقل القرطبي عن السدي وابن حبان: "إنه لما قالوا أكله الذئب خر مغشيا عليه، فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك، ونادوه فلم يجب، قال وهب: ولقد وضع يهوذا يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويل لنا من ديان يوم الدين! ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يفق يعقوب إلا ببرد السحر، فأفاق ورأسه في حجر روبيل، فقال: يا روبيل! ألم آتمنك على ولدي؟ ألم أعهد إليك عهدا؟ فقال: يا أبت كف عني بكاءك أخبرك، فكف يعقوب بكاءه فقال: يا أبت{إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب}" [5].
فوائد الآيتين:[١٦-١٧]:
١- اختيار الليل للاعتذار دون النهار لأن العين تستحي من العين كما يقال.
٢- أن هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعا، فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر[6].
وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى، كما قال حكيم[7]:

إذا اشتبكت دموع في خدود … تبين من بكى ممن تباكى

القرآن
{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)} [يوسف : ١٨]
التفسير:
وجاؤوا بقميصه ملطخًا بدم غير دم يوسف؛ ليشهد على صدقهم، فكان دليلا على كذبهم؛ لأن القميص لم يُمَزَّقْ. فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام: ما الأمر كما تقولون، بل زيَّنت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء أمرًا قبيحًا في يوسف، فرأيتموه حسنًا وفعلتموه، فصبري صبر جميل لا شكوى معه لأحد من الخلق، وأستعين بالله على احتمال ما تصفون من الكذب، لا على حولي وقوتي.
قوله تعالى:{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} [يوسف : ١٨]، أي:" وجاءوا على ثوبه بدمٍ كاذب"[8].
قال ابن قتيبة:" أي: مكذوب به"[9].
قال قتادة:" الدم الكذب، لم يكن دم يوسف"[10].
قال الصابوني:" وُصِفَ بالمصدر مبالغةً كأنه نفسُ الكذب وعينُه "[1].

---

[1] أخرجه الطبري(١٨٨٤٢):ص٥٧٨/١٥.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٨٩):ص٢١١٠/٧ .
[3] الكشاف:٤٥١/٢.
[4] معاني القرآن:٩٦/٣ .
[5] تفسير القرطبي:١٤٤/٩-١٤٥.
[6] انظر: تفسير القرطبي:١٤٥/٩.
[7] من شواهد القرطبي في تفسيره:١٤٥/٩، وأحكام القرآن لابن العربي:٣٩/٣، ولطائف الإشارات للقشيري:١٠٤/١.
[8] صفوة التفاسير:٣٩/٢.
[9] غريب القرآن:٢١٣.
[10] أخرجه الطبري(١٨٨٥٨):ص٥٨١/١٥.

عن ابن عباس، في قوله: "{بدم كذب}، قال: بدم سخلة"[2]. قال ابن عباس:" لو أكله السبع لخرق القميص"[3]، وفي رواية:" لما أتي يعقوب بقميص يوسف، فلم ير فيه خرقًا، قال: كذبتم، لو أكله السبع لخرق قميصه! "[4].

عن مجاهد في قول الله: "{بدم كذب}، قال: دم سخلة، يعني: شاة"[5].

قال السدي:" ذبحوا جديًا من الغنم، ثم لطَّخوا القميص بدمه، ثم أقبلوا إلى أبيهم، فقال يعقوب: إن كان هذا الذئبُ لرحيما! كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه؟ يا بني، يا يوسف ما فعل بك بنو الإماء!"[6].

قال الشعبي:" ذبحوا جديًا ولطخوه من دمه. فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحًا، عرف أن القوم كذبوه. فقال لهم: إن كان هذا الذئب لحليمًا، حيث رَحم القميص ولم يرحم ابني! فعرف أنهم قد كذبوه"[7].

قال الحسن:" جيء بقميص يوسف إلى يعقوب، فجعل ينظر إليه فيرى أثر الدم، ولا يرى فيه خَرْقًا، قال: يا بني ما كنت أعهدُ الذئب حليمًا؟"[8]. وفي رواية:" أكل ابني، وأبقى على قميصه!"[9].

قال عامر:" في قميص يوسف ثلاث آيات: حين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرًا، وحين قُدَّ منْ دُبُر، وحين جاؤوا على قميصه بدم كذب"[10].

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف : ١٨]، أي:" فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام: ما الأمر كما تقولون، بل زيَّنت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء أمرًا قبيحًا في يوسف، فرأيتموه حسنًا وفعلتموه"[11].

وفي قوله تعالى:{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف : ١٨]، وجهان:

أحدهما : بل أمرتكم أنفسكم ، رواه الضحاك عن ابن عباس[12].

الثاني : بل زينت لكم أنفسكم أمراً، قاله قتادة[13].

وفي ردّ يعقوب عليهم وتكذيبه لهم ثلاثة وجوه[14]:

أحدها : أنه كان ذلك بوحي من الله تعالى إليه بعد فعلهم .

الثاني : أنه كان عنده علم بذلك قديم أطلعه الله عليه .

الثالث : أنه قال ذلك حدساً بصائب رأيه وصدق ظنه .

قوله تعالى:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف : ١٨]، أي:" فصبري صبر جميل لا شكوى معه لأحد من الخلق"[15].

---

(1) صفوة التفاسير:٣٩/٢.

(2) أخرجه الطبري(١٨٨٤٩):ص٥٨٠/١٥.

السخلة". ولد الشاة من المعز والضأن، ذكرًا كان أو أنثى.

(3) أخرجه الطبري(١٨٨٥١):ص٥٨٠/١٥.

(4) أخرجه الطبري(١٨٨٦٠):ص٥٨١/١٥.

(5) أخرجه الطبري(١٨٨٤٥):ص٥٧٩/١٥.

(6) أخرجه الطبري(١٨٨٥٠):ص٥٨٠/١٥.

(7) أخرجه الطبري(١٨٨٥٩):ص٥٨١/١٥.

(8) أخرجه الطبري(١٨٨٥٤):ص١٥-٥٨٠-٥٨١.

(9) أخرجه الطبري(١٨٨٥٦):ص٥٨١/١٥.

(10) أخرجه الطبري(١٨٨٦٢):ص٥٨٢/١٥.

(11) التفسير الميسر:٢٣٧.

(12) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٩٥):ص٢١١١/٧.

(13) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٩٦):ص٢١١١/٧.

(14) انظر: النكت والعيون:١٥/٣-١٦.

(15) التفسير الميسر:٢٣٧.

قال الطبري:" يقول: فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف صبرٌ جميل= أو فهو صبر جميل"[١].

وفي الصبر الجميل وجهان :

أحدهما : أنه الصبر الذي لا جزع فيه: قاله مجاهد[٢].

الثاني : أنه الصبر الذي لا شكوى فيه.

عن حبان بن أبي جبلة، قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: {فصبر جميل}، قال: صبر لا شكوى فيه. قال: من بثّ فلم يصبر"[٣].

أخرج الطبري بسنده عن الثوري، عن بعض أصحابه قال: "يقال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدِّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكّي نفسك، قال أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت: أن يعقوب النبيّ ﷺ كان قد سقط حاجبَاه، فكان يرفعهما بخرقةٍ، فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان، وكثرة الأحزان! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا يعقوب، أتشكوني؟ قال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي"[٤].

قال سهل التستري:" الصبر مع الرضا. قيل: ما علامته؟ قال: أن لا يجزع فيه. فسئل: بأي شيء يحصل التجمل بالصبر؟ قال: بالمعرفة بأن الله تعالى معك، وبراحة العافية، فإنما مثل الصبر مثل قدح أعلاه الصبر وأسفله العسل. ثم قال: عجبت ممن لم يصبروا كيف لم يصبروا للحال، ورب العزة يقول: إن الله مع الصابرين [البقرة: ١٥٣]"[٥].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف : ١٨]، أي:" وأستعين بالله على احتمال ما تصفون من الكذب، لا على حولي وقوتي"[٦].

قال الطبري:" يقول: واللهَ أستعين على كفايتي شرّ ما تصفون من الكذب "[٧].

عن قتادة: "{والله المستعان على ما تصفون}، أي: على ما تكذبون"[٨].

الفوائد:

١- فضيلة الصبر الجميل وهو الخالي من الجزع والشكوى معا.

٢- اختصاص علم الغيب بالله، ونفيه عن غيره تعالى من الملائكة والأنبياء، والأولياء، والجن.

القرآن

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)} [يوسف : ١٩]

التفسير:

وجاءت جماعة من المسافرين، فأرسلوا مَن يطلب لهم الماء، فلما أرسل دلوه في البئر تعلَّق بها يوسف، ففرح وارد الماء وابتهج بالعثور على غلام، وقال: يا بشري هذا غلام نفيس، وأخفى الواردُ وأصحابه يوسفَ عن بقية المسافرين فلم يظهروه لهم، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها، والله عليم بما يعملونه بيوسف.

قوله تعالى:{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ} [يوسف : ١٩]، أي:" وجاءت جماعة من المسافرين"[٩].

قوله تعالى:{فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ} [يوسف : ١٩]، أي:" فأرسلوا مَن يطلب لهم الماء"[١].

---

[١] تفسير الطبري:٥٨٤/١٥.

[٢]انظر: تفسير الطبري(١٨٨٦٧):ص٥٨٤/١٥.

[٣] أخرجه الطبري(١٨٨٧٢):ص٥٨٤/١٥-٥٨٥.

[٤] تفسير الطبري(١٨٨٧٨):ص٥٨٥/١٥-٥٨٦.

[٥] تفسير التستري:٨١.

[٦] التفسير الميسر:٢٣٧.

[٧] تفسير الطبري:٥٨٤/١٥.

[٨] أخرجه الطبري(١٨٨٧٩):ص٥٨٦/١٥.

[٩] التفسير الميسر:٢٣٧.

قوله تعالى:{فَأَدْلَى دَلْوَهُ} [يوسف : ١٩]، أي:" فلما أرسل دلوه في البئر تعلَّق بها يوسف"[٢].

قوله تعالى:{قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} [يوسف : ١٩]، أي:" ففرح وارد الماء وابتهج بالعثور على غلام، وقال: يا بشري هذا غلام نفيس"[٣].

قوله تعالى:{وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً} [يوسف : ١٩]، أي:" وأخفى الواردُ وأصحابه يوسفَ عن بقية المسافرين فلم يظهروه لهم، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً} [يوسف : ١٩]، وجوه:

أحدها:أن إخوة يوسف كانوا بقرب الجب، فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسرّوا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم، قاله ابن عباس[٥].

قال أبو الصخر:" إنهم لما ألقوه في الجب، بصروا العير قد أقبلت، فلما أرسل أهل العير واردهم، وأدلى دلوه أحس بالغلام، فنادى أصحابه فلما أتوا، قال لهم إخوة يوسف: هذا الغلام الذي في الجب غلام لنا مملوك، فهل لكم أن تبتاعوه منا؟ وأسروا بيعهم بينهم"[٦].

الثاني:أن الواردين إلى الجُب أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون بضاعة لهم كيلا يشركوهم فيه لرخصه، وتواصوا أنه بضاعة استبضعوها من أهل الماء ، قاله مجاهد[٧]، والسدي[٨]، وبه قال الفراء[٩].

قال مقاتل:" يعني: أخفوه من أصحابهم الذين مروا على الماء في الرفقة وقالوا: هو بضاعة لأهل الماء نبيعه لهم بمصر، لأنهما لو قالا: إنا وجدناه أو اشتريناه سألوهما الشركة فيه"[١٠].

الثالث:أن الذين شروه أسرُّوا بيعه على الملك حتى لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لهم.

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب: قولُ من قال:"وأسرَّ وارد القوم المدلي دلوَه ومن معه من أصحابه، من رفقته السيارة، أمرَ يوسف أنهم أشتروه، خيفةً منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضَعَها معنا أهل الماء ، وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبرًا عنه، أشبهُ من أن يكون خبرًا عمَّن هو بالخبر عنه غيرُ متَّصِل"[١١].

وحكى جويبر عن الضحاك "أنه ألقيَ في الجب وهو ابن ست سنين ، وبقي فيه إلى أن أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام"[١٢] .

وقال الكلبي : "ألقي فيه وهو ابن سبع عشرة سنة"[١٣].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [يوسف : ١٩]، أي:" والله عليم بما يعملونه بيوسف"[١٤].

محمد بن إسحاق :"{العليم}، أي: علم بما يخفون"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٣] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٤] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٩٨)ص:٦/١٦.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٦):ص٢١١٥/٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٨٨):ص٥/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٨٩٣):ص٥/٦.
[٩] انظر: معاني القرآن:٤٠/٢.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٥/٢-٣٢٦.
[١١] تفسير الطبري:٧/١٦.
[١٢] النكت والعيون:١٧/٣.
[١٣] النكت والعيون:١٧/٣.
[١٤] التفسير الميسر:٢٣٧.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بما يعمله باعَةُ يوسف ومشتروه في أمره، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضي فيه وفيهم حكمه السابق في علمه، وليري إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرتَه فيه، وهذا، وإن كان خبرًا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيّه ﷺ، فإنه تذكير من الله نبيَّه محمدًا ﷺ، وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فيه، يقول: فاصبر، يا محمد، على ما نالك في الله، فإنّي قادرٌ على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادرًا على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغييرَ ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلى عُلوّك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلوِّ يوسف عليهم"[2].

القرآن

{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)} [يوسف : ٢٠]

التفسير:

وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم، وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه؛ وذلك أنهم لا يعلمون منزلته عند الله.

قوله تعالى:{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف : ٢٠]، أي:" وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم"[3].

عن عطية، عن أبيه:"{وشروه}، قال: باعوه"[4].

قال أبو عبيدة:" «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ»،أي: باعوه، فإذا بعته أنت قلت: اشتريته"[5].

قال الماوردي:" معنى {شروه}، أي: باعوه ، ومنه قول ابن مفرغ الحميري[6]:

وشريت برداً ليتني   من بعدِ بُرْدٍ كنت هامه

واسم «البيع والشراء»، يطلق على كل واحد من البائع والمشتري لأن كل واحد منهما بائع لما في يده مشتر لما في يد صاحبه"[7].

وفي بائعه قولان :

أحدهما : أنهم إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب فادّعوه عبداً، قاله ابن عباس[8]، ومجاهد[9].

الثاني : أن السيارة باعوه عن ملك مصر، قاله الحسن[10]، وقتادة[11].

وفي قوله تعالى:{ بِثَمَنٍ بَخْسٍ} [يوسف : ٢٠]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن البخس ها هنا الحرام، قاله الضحاك[12].

عن ابن عباس:" { بِثَمَنٍ بَخْسٍ}، يقول: لم يحلّ لهم أن يأكلوا ثمنَه"[13].

---

(1) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٧):ص٢١١٥/٧.

(2) تفسير الطبري:٧/١٦.

(3) التفسير الميسر:٢٣٧.

(4) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٨):ص٢١١٥/٧.

(5) مجاز القرآن:٣٠٤/١.

(6)ديوان يزيد بن مفرغ ص ٢١٣، ولسان العرب (برد) ، (شرى) ، والشعر والشعراء ١/ ٣٢١، والأغاني ١٧/ ٥٥، ومجاز القرآن ١/ ٤٨، ٣٠٤، وأمالي المرتضى ٢/ ٩٥- ٩٦.

(7) النكت والعيون:١٨/٣.

(8) انظ{: تفسير الطبري(١٨٩٠٨):ص٩/١٦.

(9) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٠٠)-(١٨٩٠٤):ص٩/١٦.

(10) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤١٩):ص٢١١٥/٧.

(11) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٢٩٠):ص٢٠٩/٢.

(12) انظر: تفسير الطبري(١٨٩١٤):ص١٢/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٢):ص٢١١٥/٧.

(13) أخرجه الطبري(١٨٩١٥):ص١٢/١٦.

الثاني : أنه الظلم ، قاله قتادة[١]، وعطية[٢].
الثالث : أنه القليل ، قاله مجاهد[٣]، والشعبي[٤].
واختلفوا في تفسير قوله تعالى: {دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف : ٢٠]، على وجوه:
أحدها : أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين ، قاله ابن مسعود[٥]، وابن عباس[٦]، وقتادة[٧]، وعطية[٨]، وعكرمة[٩]، وأبو الصخر[١٠]، والسدي[١١]، والسدي[١١]، ونوف بن فضالة البكالي الشامي[١٢].
قال عطية:" كانوا عشرة اقتسموا درهمين درهمين"[١٣].
قال الفراء:" قيل: عشرين ، وإنما: قيل معدودة ليستدل به على القلة لأنهم كانوا لا يزنون الدراهم حتى تبلغ أوقية، والأوقية كانت وزن أربعين درهما"[١٤].
الثاني : باثنين وعشرين درهماً ، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين ، قاله مجاهد[١٥]، والسدي[١٦].
الثالث: بأربعين درهما ، قاله عكرمة[١٧]، وابن إسحاق[١٨].
قال ابن إسحاق:" باعوه ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالأواقي، فما قصَّر عن الأوقية فهو عَدد ؛ يقول الله: {وشروه بثمن بخس دراهم معدودة}، أي: لم يبلغ الأوقية"[١٩].
وكان السدي يقول: "اشتروا بها خفافاً ونِعالاً"[٢٠].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعُوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدَّ مبلغَ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول ﷺ. وقد يحتمل أن يكون كان عشرين - ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين - وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأيُّ ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة ؛ وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه. والإيمان بظاهر التنزيل فرضٌ، وما عَداه فموضوعٌ عنا تكلُّفُ علمه"[٢١].

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٣):ص٢١١٦/٧.
[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢١):ص٢١١٥/٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٨٩١٨):ص١٢/١٦.
[٤] انظر: النكت والعيون:١٨/٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٠):ص١٣/١٦.
[٦] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٤):ص٢١١٦/٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٧):ص١٤/١٦.
[٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٥):ص٢١١٦/٧.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٠):ص٢١١٥/٧.
[١٠] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢١١٥/٧. ذكره دون إسناد.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٦):ص١٤/١٦.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٢٢):ص١٣/١٦.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٢٥):ص٢١١٦/٧.
[١٤] معاني القرآن:٤٠/٢.
[١٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٧):ص٢١١٦/٧.
[١٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٢٨):ص٢١١٦/٧.
[١٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٢٦):ص٢١١٦/٧.
[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٣٦):ص١٥/١٦.
[١٩] أخرجه الطبري(١٨٩٣٦):ص١٥/١٦.
[٢٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٢٨):ص٢١١٦/٧.
[٢١] تفسير الطبري:١٥/١٦-١٦.

قوله تعالى:{وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف : ٢٠]، أي:" وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه؛ وذلك أنهم لا يعلمون منزلته عند الله"[١].

قال الفراء:" يقول: لم يعلموا منزلته من الله عز وجل"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين، لا يعلمون كرامته على الله، ولا يعرفون منزلته عنده، فهم مع ذلك يحبّون أن يحولوا بينه وبين والده، ليخلو لهم وجهه منه، ويقطعوه عن القرب منه، لتكون المنافع التي كانت مصروفة إلى يوسف دونهم، مصروفةً إليهم"[٣].

قال الصابوني:" أي: وكانوا في يوسف من الزاهدين الذين لا يرغبون فيه لأنهم التقطوه وخافوا أن يكون عبداً آبقاً فينتزعه سيّده من أيديهم، ولذلك باعوه بأبخس الأثمان"[٤].

عن الضحاك :"{وكانوا فيه من الزاهدين}، قال: لم يعلموا بنبوته، ولا بمنزلته من الله"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف : ٢٠]، وجهان[٦]:

أحدها : أنهم إخوة يوسف كانوا فيه من الزاهدين حين صنعوا به ما صنعوا .

الثاني : أن السيارة كانوا فيه من الزاهدين حين باعوه بما باعوه به.

قال الضحاك:" فاستقى من الماء فاستخرج يوسف، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلامًا لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه، فباعوه. وكان بيعه حرامًا، وباعوه بدراهم معدودة"[٧].

وفي زهدهم فيه ثلاثة وجوه[٨]:

أحدهما : لعلمهم بأنه حرٌّ لا يبتاع .

الثاني : أنه كان عندهم عبداً فخافوا أن يظهر عليه مالكوه فيأخذوه .

والثالث: أنهم كانوا في ثمنه من الزاهدين لاختبارهم له وعلمهم بفضله.

وقال عكرمة:" أعتق يوسف حين بيع"[٩].

فوائد الآيتين:[١٩-٢٠]:

١- جواز الفرح بما يسر والإعلان عنه.

٢- جواز الاحتياط لأمر الدين والدنيا.

٣- إطلاق لفظ «الشراء» على «البيع».

٤- ومن أسمائه تعالى: «العليم»:هو المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[١٠].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)} [يوسف : ٢١]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٧.

[٢] معاني القرآن:٢/٤٠.

[٣] تفسير الطبري:١٦/١٦.

[٤] صفوة التفاسير:٢/٣٩.

[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٣١):ص٧/٢١١٧.

[٦] انظر: النكت والعيون:٣/١٩.

[٧] أخرجه الطبري(١٨٩٣٨):ص١٦/١٦.

[٨] انظر: النكت والعيون:٣/١٩.

[٩] انظر: النكت والعيون:٣/١٩.

[١٠] انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١/١٨٨.

ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريمًا، لعلنا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد، وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يَعْطِف عليه، فكذلك مكنَّا له في أرض «مصر» ، وجعلناه على خزائنها، ولنعلِّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلا. والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} [يوسف : ٢١]، أي:" ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريمًا"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى بألطافه بيوسف ، عليه السلام ، أنه قيض له الذي اشتراه من مصر ، حتى اعتنى به وأكرمه ، وأوصى أهله به ، وتوسم فيه الخير والفلاح ، فقال لامرأته : { أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}، وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها ، وهو الوزير بها"[٢].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وقال الذي اشترى يوسف من بائعه بمصر [لامرأته]... أكرمي موضع مقامه، وذلك حيث يَثوِي ويُقيم فيه"[٣].

قال مقاتل:" {وقال الذي اشتراه من مصر}، وهو قطفير بن ميشا {لامرأته}، زليخا بنت يمليخا، {أكرمي مثواه}، يعني: أحسني منزلته وولايته "[٤].

عن قتادة :"{أكرمي مثواه}: منزلته"[٥].

قال ابن عباس:"كان اسم الذي اشتراه قطفير "[٦].

قال مجاهد:" اشتراه الملك، والملك مسلم"[٧].

وعن محمد بن سحاق:" إن اسمه إطفير بن روحيب، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الريَّان بن الوليد، رجل من العماليق"[٨].

وروي عن ابن عباس:" إن الذي باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن بُويب بن عفقان بن مديان بن إبراهيم"[٩].

أخرج الطبري عن ابن إسحاق أن اسم امراة العزيز:" راعيل بنت رعائيل"[١٠].

وأخرج الثعلبي عن هشام الرفاعي، أن: "اسم امرأة العزيز التي ضمت يوسف زليخا بنت موسى"[١١].

قوله تعالى:{عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف : ٢١]، أي:" لعلنا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد "[١٢].

قال مقاتل:" نصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا"[١٣].

قال الزمخشري:أي:" لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها، نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفايته وأمانته. أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيما

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٧٦/٤.
[٣] تفسير الطبري:١٧/١٦-١٨.
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٣٧):ص٢١١٧/٧.
[٦] أخرجه الطبري(١٨٩٤١):١٧/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٨٩٤٧):ص١٩/١٦.
[٨] اخرجه الطبري(١٨٩٤٢):١٧/١٦.
[٩] اخرجه الطبري(١٨٩٤٣):١٨/١٦.
[١٠] كتفسير الطبري(١٨٩٤٤):ص١٨/١٦.
[١١] الكشف والبيان:٢٠٥/٥.
[١٢] التفسير الميسر:٢٣٧.
[١٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.

لا يولد له، وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك... وروى أنه سأله عن نفسه، فأخبره بنسبه فعرفه"[١].

قال الطبري:" ذكر أن مشتري يوسف قال هذا القول لامرأته، حين دفعه إليها، لأنه لم يكن له ولد، ولم يأت النساء، فقال لها: أكرميه عسَى أن يكفينا بعض ما نعاني من أمورنا إذا فهم الأمور التي يُكلَّفها وعرفها {أو نتخذه ولدًا}، يقول: أو نتبنَّاه"[٢].

قال السدي:" انطُلِق بيوسف إلى مصر، فاشتراه العزيز ملك مصر، فانطلق به إلى بيته فقال لامرأته: {أكرمي مثْواه عسى أن ينفعنا أو نتخذهُ ولدًا}"[٣].

قال محمد بن إسحاق:" كان إطفير فيما ذكر لي رجلا لا يأتي النساء، وكانت امرأته راعيل امرأةً حسناء ناعمةً طاعمة، في مُلك ودُنْيا"[٤].

وقال سهل:" قوله تعالى: {أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا}، يعني: عسى أن يكون شفيعنا في الآخرة"[٥].

قال عبد الله بن مسعود: "أحسن الناس في فراسة ثلاثة: العزيز في يوسف حين قال لامرأته {أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا}[٦]، وابنة شعيب في موسى حين قالت لأبيها {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص : ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر"[٧].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف : ٢١]، أي:" وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يَعْطِف عليه، فكذلك مكنَّا له في أرض «مصر»"[٨].

قال الزجاج:" أي: ومثل الذي وصفنا، مكنا ليوسف في الأرض"[٩].

قال القرطبي: أي:" أقدرناه على ما يريد"[١٠].

قال الطبري:" يقول عز وجل: وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله، وأخرجناه من الجبّ بعدَ أن ألقي فيه، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، كذلك مكنّا له في الأرض، فجعلناه على خزائنها"[١١].

قال الثعلبي:" وكما أنقذ يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله فأخرجناه من الجب بعد أن ألقي فيه، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر مكنا ليوسف في الأرض يعني أرض مصر، فجعلناه على خزائنها، قال أهل الكتاب: لما تمت ليوسف -عليه السلام- ثلاثون سنة، استوزره فرعون"[١٢].

قال الإمام الشافعي:" التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله - عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل: {وكذلك مكنا ليوسف في

---

(١) الكشاف:٤٥٤/٢.
(٢) تفسير الطبري:١٩/١٦.
(٣) اخرجه الطبري(١٨٩٥٠):ص١٩/١٦.
(٤) اخرجه الطبري(١٨٩٤٨):ص١٩/١٦.
(٥) تفسير سهل التستري:٨١.
(٦) إلى هنا أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٣٨):ص٢١١٨/٧. وفيه:" أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حيث قال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا".
(٧) النكت والعيون:٢٠/٣.
(٨) التفسير الميسر:٢٣٧.
(٩) معاني القرآن:٩٩/٣.
(١٠) تفسير القرطبي:٢١٧/٩.
(١١) تفسير الطبري:٢٠/١٦.
(١٢) الكشف والبيان:٢٠٦/٥.

الأرض}، وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن، قال الله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُم}[١] الآية"[٢].

قال الغزالي رحمه الله فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن، واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء "[٣].

قوله تعالى:{وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف : ٢١]، أي:" ولنعلِّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلا"[٤].

قال الثعلبي:" أي: ولكي نعلمه من عبارة الرؤيا، مكنا له في الأرض"[٥].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} [يوسف : ٢١]، أي:" والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطل"[٦].

قال الزمخشري:أي:" على أمر نفسه: لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى. أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره، قد أراد إخوته به ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره "[٧].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف : ٢١]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله"[٨].

قال الزمخشري:" أن الأمر كله بيد الله"[٩].

قال الصابوني:" أي: لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله"[١٠].

قال الثعلبي:" ما الله صانع بيوسف، و [ما] إليه يوسف من أمره صائر، وهم الذين زهدوا فيه وباعوه بثمن بخس وفعلوا به ما فعلوا، قالت الحكماء في هذه: والله غالب على أمره حيث أمر يعقوب يوسف (عليهما السلام) أن لا يقص رؤياه على إخوته فغلب أمر الله حين قص، ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوا فغلب أمره حتى كادوا، ثم أراد أخوة يوسف قتله فغلب أمره حتى لم يقتلوه، ثم أرادوا أن يلقوه في الجب ليلتقطه بعض السيارة فيندرس اسمه، فغلب أمره حتى لم يندرس اسمه وصار مذكورا مشهورا، ثم باعوه ليكون مملوكا فغلب أمره حتى صار ملكا والعبيد بين يديه، ثم أرادوا أن يخلوا لهم وجه أبيهم، فغلب أمره حتى ضاق عليهم قلب أبيهم، ثم تدبروا أن يكونوا من بعده قوما صالحين تائبين، فغلب أمره حتى نسوا الذنب وأصروا حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد أربعين سنة، وقالوا: وإن كنا خاطئين، وقالوا لأبيهم: إنا كنا خاطئين، ثم أرادوا أن يغروا باسم القميص والدم والبكاء، فغلب أمره حتى لم يخدع، وقال: بل سولت لكم أنفسكم أمرا ثم احتالوا أن تذهب محبته من قبل أبيه، فغلب أمره حتى ازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم تدبر يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي، فغلب أمره حتى نسي الساقي في ذكره، ولبث في السجن بضع سنين، ثم احتالت امرأة العزيز أن [تترك] المراودة عن نفسها حتى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الآية، فغلب أمره حتى شهد الشاهد من أهلها"[١١].

الفوائد:

١- معرفة تعبير الرؤيا كرامة لمن علمه الله ذلك.

---

[١][الأنبياء : ٨٤].
[٢] تفسير الإمام الشافعي:١٠٧٦/٣.
[٣] تفسير الإمام الشافعي:١٠٧٦/٣.
[٤] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٥] الكشف والبيان:٢٠٦/٥.
[٦] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٧] الكشاف:٤٥٤/٢.
[٨] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٩] الكشاف:٤٥٤/٢.
[١٠] صفوة التفاسير:٤٠/٢.
[١١] الكشف والبيان:٢٠٦/٥-٢٠٧.

٢- بيان حكم «التبني»: وهو أن يعمد الشخص إلى طفل مجهول النسب وينسبه إلى نفسه نسبة الابن الحقيقي لأبيه، ويثبت له أحكام البنوة من استحقاق إرثه بعد موته، وحرمة تزوجه بحليلته، وكونه محرما لبناته، وغير ذلك. فهذا باطل ولايصح، وهذا هو التبني المعروف في الجاهلية وفي صدر الاسلام يتوارث ويتناصر به.

ويجدر القول بأنه إذا أراد شخص ضم طفل لقيط إليه ومعاملته كأبنائه بالعناية والعطف والشفقة والنفقة وغير ذلك. فهذا من الأعمال الصالحة المرغب فيها شرعا لمن صلحت نيته، غير أنه لايلحق به نسبة شرعا، ولا يكون محرما لبناته ونحوهن، ولاتحرم عليه زوجته؛ ولا يستحق شيئاً من ميراثه. ومتى رغب أن يهب له شيئا منماله في حال حياته فلا مانع، وإن أراد أن يجعل له شيئاً من تركته بعد وفاته فالطريقة الشرعية أن يوصي له بما يريد بشرط أن يكون من الثلث فأقل، ولايتجاوز ثلث التركة مع بقية وصاياه إن كان له وصايا أخرى.

وقد تبنى النبي ﷺ زيد بن حارثة فكان يدعى زيد بن محمد، فنسخ الله حكم التبني ومنع من اطلاق لفظه وأرشد إلى ماهو الأعدل والأرشد وهو انتساب الرجل إلى أبيه، فقال تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّ} [الأحزاب : ٥]، وقال: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب : ٤]، فامتثل النبي ﷺ، وأمر بأن يدعى زيد بن حارثة، وتزوج ﷺ بحليلته - فتبناه زيد بن حارثة - بل زوجه الله بها من فوق سبع سموات. وذلك لابطال التبني من جذوره؛ لما فيه من المفاسد الكثيرة التي منها الحاق المسلم بنسبة طفلا يعرف أنه من غيره وليس ابناله. ولايخفى مافي هذا من الحكم، والمصالح، وصيانة الانساب، وحفظ حقوق الاسر، وحرمان الابن من الانتساب لأبيه الشرعي، وإدخال عنصر غريب في نسب المتبني يدخل على زوجته وبناته باسم البنوة والأخوة ويختلط بهن وهو أجنبي عنهن، وكلما تركزت هذه البنوة الكاذبة ضاعت البنوة الحقيقية، وضاعت الانساب والمواريث، وحصل بذلك شر عظيم وفساد عريض، فلله الحمد والمنة على ماشرعه لنا من أحكام، وتبيان الحلال من الحرام. والله أعلم[١].

وتبين مما تقدم أن القضاء على التبني ليس معناه القضاء على المعاني الإنسانية والحقوق الإسلامية من الإخاء والوداد والصلات والإحسان، وكل ما يتصل بمعاني الأمور ويوحي بفعل المعروف: أ- فللإنسان أن ينادي من هو أصغر منه سنا بقوله: يا بني، على سبيل التلطف معه، والعطف عليه وإشعاره بالحنان؛ ليأنس به ويسمع نصيحته أو يقضي له حاجته، وله أن يدعو من هو أكبر منه سنا بقوله: يا أبي؛ تكريما له واستعطافا، لينال بره ونصحه، وليكون عونا له، وليسود الأدب في المجتمع، وتقوى الروابط بين أفراده، وليحس الجميع بالأخوة الصادقة في الإنسانية والدين[٢].

٣- ومن الفوائد: أن الله محص يوسف ورعاه بتتابع البلاء والإنجاء، وابتلاه بكيد إخوته له ورميهم إياه في الجب، ثم أنجاه، وابتلاه ببيع السيارة له، ثم هيأ له من أحسن مثواه، ابتلاه بتسليط امرأة العزيز عليه وبالنسوة اللاتي قطعن أيديهن، ثم عصمه وحماه، وابتلاه بالسجن، ثم أخرجه منه بريئا من التهمة عليما بربه وبشئون الأمة في وقت اشتدت فيه حاجة البلاء إلى حفيظ عليم يدبر أمرها، ويقودها في حياتها خير قيادة، فتولى أمرها واستسلم له أهلها.

وفي قصة يوسف سوى ما ذكر شيء كثير يدل على أن الله سبحانه تعهد يوسف برعايته، وتولاه في أطوار حياته ليختاره رسولا يضطلع بأعباء الرسالة وليجعل من سيرته الحميدة آيات بينات على صدقه فيما جاء به وأمانته في البلاغ عن رب العالمين.

---

[١] انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ:٢٠/٩.

[٢] انظر: فتاوى اللجنة الدائمة:١٠:ص٣٥٥/٢٠.

بيان غلبة أمره سبحانه وتعالى على أمر غيره، كما قال: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} . [يوسف: ٢١] . فدل ذلك على أنه من هو القاهر الغالب يستحق العبادة لا المقهور المغلوب.

القرآن

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)} [يوسف : ٢٢]

التفسير:

ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيناه فهمًا وعلمًا، ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم.

قوله تعالى:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف : ٢٢]، أي:" ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيناه فهمًا وعلمًا"[١].

قال ابن كثير:" أي : يوسف عليه السلام { أَشُدَّهُ }، أي : استكمل عقله وتم خلقه. { آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا } يعني : النبوة ، إنه حباه بها بين أولئك الأقوام"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لما بلغ يوسف أشده، يقول: ولما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحَدِّه، وذلك فيما بين ثماني عشرة إلى ستين سنة، وقيل إلى أربعين سنة"[٣]

قال الزجاج:" أي: جعلناه حكيما عالما، وليس كل عالم حكيما، «الحكيم»: العالم المستعمل علمه، الممتنع من استعمال ما يجهل فيه، وأصل :«أحكمت» في اللغة :«منعت»، ومن هذا حكمة الذائة، لأن الفارس يمنع بها الدائة من إرادتها"[٤].

قال الماوردي:" الفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه ، والعالم هو المقتصر على العلم دون العمل"[٥].

قال ابن العربي:" الحكم هو العمل بالعلم، وقد تقدم في سورة البقرة معنى ترتيب " حكم"، والعمل بمقتضى العلم إنما يكون بعد البلوغ، وما قبله في زمان عدم التكليف فإنه فيه معدوم إلا في النادر. قال الله تعالى في يحيى بن زكريا: {وآتيناه الحكم صبيا} [مريم: ١٢]. قال المفسرون: قيل له، وهو صغير: ألا تذهب تلعب؟ قال: ما خلقت للعب. وهذا إنما بين الله به حال يوسف من حين بلوغه بأنه آتاه العلم، وآتاه العمل بما علم؛ وخبر الله صادق، ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد أو الجار أو الأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أناب إلى المراودة [بحكم المراودة]؛ بل أدبر عنها، وفر منها؛ حكمة خص بها، وعملا بمقتضى ما علمه الله سبحانه؛ وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل، وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علمت عليه من سوء، بل أبرئه مما برأه منه، فقال: {ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما} [يوسف: ٢٢]، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الذين استخلصناهم. والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة، فما ألم بشيء ولا أتى بفاحشة"[٦].

وفي معنى «الأشدُّ»، عشرة أقوال:

أحدها : ببلوغ الحلم ، قاله الشعبي[٧]، وربيعة[٨]، وزيد بن أسلم[٩]، ومالك[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٧٨/٤.
[٣] تفسير الطبري:٢١/١٥-٢٢.
[٤] معاني القرآن:٩٩/٣.
[٥] النكت والعيون:٢١/٣.
[٦] أحكام القرآن:٤٦/٣-٤٧.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.
[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٦):ص٢١١٩/٧.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٧):ص٢١١٩/٧.
[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١١٩/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

قال الشعبي:" لأشد: الحلم. إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات"[١].
الثاني : ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير[٢]، وبه قال مقاتل[٣].
الثالث : عشرون سنة ، قاله ابن عباس[٤]، والضحاك[٥].
الرابع : خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة[٦].
الخامس : ثلاثون سنة ، قاله السدي[٧].
السادس : ثلاث وثلاثون سنة . قاله ابن عباس[٨]، والحسن[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١].
السابع: بضع ثلاثون سنة. قاله ابن عباس[١٢].
الثامن: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وهذا مروي عن ابن عباس من وجه غير مرضي-كما قاله الطبري-[١٣].
التاسع: أربعون سنة. قاله الحسن[١٤]. قال ابن العربي:" يروى عن جماعة"[١٥].
العاشر: من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين. قاله الزجاج[١٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشدهُ حكمًا وعلمًا، و"الأشُدّ": هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة ،وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ،ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول ﷺ، ولا في إجماع الأمة، على أيّ ذلك كان. وإذا لم يكن ذلك موجودًا من الوجه الذي ذكرت، فالصوابُ أن يقال فيه كما قال عز وجل، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ"[١٧].

قال ابن العربي:" والصحيح أن الحلم إلى خمسين سنة؛ فإن من الحلم يشتد الآدمي إلى خمسين ثم يأخذ في القهقرى "[١٨]

قال الشوكاني:" والأولى في تحقيق بلوغ «الأشد»: أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء : ٦]، فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد"[١٩].

---

[١] اخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.
[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٠):ص٢١١٩/٧.
[٣] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦١):ص٢٣/١٦.
[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٥):ص٢١١٩/٧.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٩):ص٢١٩/٧.
[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٣):ص٢١١٨/٧.
[٩] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٥٧)-(١٨٩٦٠):ص٢٢/١٦.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١١٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦٠):ص٢٢/١٦.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٢٣/١٦.
[١٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٤):ص٢١١٨/٧.
[١٥] أحكام القرآن:٤٦/٣.
[١٦] انظر: معاني القرآن:٩٩/٣.
[١٧] تفسير الطبري:٢٣/١٦.
[١٨] أحكام القرآن:٤٦/٣.
[١٩] فتح القدير:٣٠٢/٢.

قال الشنقيطي:" أما الأشُد من حيث هو: فهو يطلق على خمس وعشرين، وعلى ثلاثين سنة، وعلى أربعين، وعلى ستين، وعلى خمسين"[١].

وفي آخر الأشد ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه أربعون سنة. حكاه الطبري[٢].

وروي عن الحسن في قوله: {بلغ أشده}، قال: أربعين سنة"[٣]. وذكره الماوردي في الأشد الآخر[٤]. والظاهر انه في الأشد الاول. والله أعلم.

الثاني: أنه ستون سنة ، حكاه الطبري، وأنشد قول حُميد[٥]:

وَقَدْ أَتَى لَوْ تُعْتِبُ الْعَوَاذِلُ بَعْدَ الأَشُدِّ أَرْبَعٌ كَوَامِلِ"[٦]

وقال سُحَيْم بن وثيل الرياحي:[٧]:

أخو خمسين مجتمع أشُدّي وتجذّني مداورة الشئون

الثالث :اثنتان وستون. حكاه الزمخشري[٨].

قوله تعالى:{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف : ٢٢]، أي:" أعطيناه فهمًا وعلمًا"[٩].

قال ابن كثير:" يعني : النبوة ، إنه حباه بها بين أولئك الأقوام"[١٠].

قال الزمخشري:" هو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه"[١١].

قال بحبى بن سلام:" يعني: عقلا وفهما"[١٢]. وقال:" النبوة فيها الحكم والعلم"[١٣].

قال مجاهد:" «يعني: الفقه والعقل والعلم قبل النبوة»[١٤]. وفي رواية:" العقل والعلم قبل النبوة"[١٥].

وفي هذا الحكم الذي آتاه ستة وجوه:

أحدها : العقل، قاله مجاهد[١٦].

الثاني : العلم. قاله ابن عباس[١٧].

الثالث : القرآن، قاله مجاهد[١٨]، وسفيان[١٩].

الرابع: النبوة ، قاله السدي[٢٠].

الخامس: الحكم على الناس. ذكره الماوردي[٢١].

السادس : الحكمة في أفعاله. ذكره الماوردي[١].

---

[١] العذب المنير:٥٠٨/٢.

[٢] انظر:٢٢/١٦. وحكاه الطبري دون نسبة.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٤٤):ص٢١١٨/٧.

[٤]انظر: النكت والعيون:٢١/٣.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٦.

[٦] تفسير الطبري:٢١/١٥-٢٢.

[٧]انظر: النكت والعيون:٢١/٣. وأحكام القرآن لابن العربي:٤٦/٣

[٨] انظر: الكشاف:٤٥٤/٢.

[٩] التفسير الميسر:٢٣٧.

[١٠] تفسير ابن كثير:٣٧٨/٤.

[١١] الكشاف:٤٥٤/٢.

[١٢]التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٠٢.

[١٣] تفسير يحيى بن سلام:٣٢٦/١.

[١٤] تفسير مجاهد:٥٢٥/١، وتفسير ابن وهب(٣٠٧):ص١٣٤/١، .

[١٥] أخرجه الطبري(١٨٩٦٢):ص٢٣/١٦.

[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦٢):ص٢٣/١٦.

[١٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٢):ص٢١١٩/٧.

[١٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٤):ص٢١٢٠/٧.

[١٩] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.

[٢٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٣):ص٢١٢٠/٧.

[٢١] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.

وفي هذا العلم الذي آتاه ثلاثة وجوه:
أحدهما : الفقه ، قاله مجاهد[٢].
الثاني : النبوة ، قاله ابن أبي نجيح[٣].
والثالث: أنه العلم بتأويل الرؤيا . أفاده الماوردي[٤].
قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٢٢]، أي:" ، ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم"[٥].
قال الزجاج:" أي: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف نجزي المحسنين"[٦].
قال ابن كثير:" أي : إنه كان محسنًا في عمله ، عاملا بطاعة ربه تعالى "[٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيّاي الحكمَ والعلمَ، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهى عما نهيته عنه من معاصي، وهذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المرادَ به محمدٌ نبيُّ الله ﷺ. يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطَّأتُ له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأنّ ذلك جزائي أهلَ الإحسان في أمري ونهيي"[٨].
قال الزمخشري:قوله:"{ وكذلك نجزي المحسنين}: تنبيه على أنه كان محسنا في عمله، متقيا في عنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه. وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله"[٩].
عن ابن عباس: "{وكذلك نجزي المحسنين}، يقول: المهتدين"[١٠].
الفوائد:
١- في الآية التسلية للرسول ﷺ.
٢- بلوغ الأشد يبتدى بانتهاء الصبا والدخول في البلوغ.
٣- مدح أهل العلم.
٤- ومن الفوائد: أن العصمة المجمع عليها لا تشترط للنبي إلا بعد ثبوت نبوته لا قبلها ومع ذلك فإن النبي لا تثبت له معصية مشروع تركها قبل النبوة ولا بعدها، وأما إثبات نبوة يوسف-عليه السلام- فقوله تعالى {ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما}، إذ أجمعوا على أن هذا الحكم والعلم في حق يوسف عليه السلام أنهما النبوة.
٥- حسن الجزاء مشروط بحسن القيد والعمل.
القرآن
{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)} [يوسف : ٢٣]
التفسير:

---
[١] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
[٢] انظ{: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٥٢):ص٢١١٩/٧.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢١/٣.
[٥] التفسير الميسر:٢٣٧.
[٦] معاني القرآن:٩٩/٣.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٧٨/٤.
[٨] تفسير الطبري:٢٣/١٦-٢٤.
[٩] الكشاف:٤٥٤/٢.
[١٠] أخرجه الطبري(١٨٩٦٣):ص٢٤/١٦.

ودعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها؛ لحبها الشديد له وحسن بهائه، وغلّقت الأبواب عليها وعلى يوسف، وقالت: هلمَّ إليَّ، فقال: معاذ الله أعتصم به، وأستجير مِن الذي تدعينني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح مَن ظَلَم فَفَعل ما ليس له فعله.

قوله تعالى:{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف : ٢٣]، أي:" ودعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها"[١].

عن السدي: {وراودته التي هو في بيتها عن نفسه}، قال: أحبته"[٢].

قال محمد بن إسحاق:" امرأة العزيز"[٣].

قوله تعالى:{وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" غلّقت أبواب البيوت عليها وعلى يوسف وأحكمت إغلاقها"[٤].

قال مقاتل:" على نفسها وعلى يوسف في أمر الجماع"[٥].

قال الطبري:" يقول: وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف، لما أرادت منه وراودته عليه، بابًا بعد باب"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} [يوسف : ٢٣]، وجهان[٧]:

أحدهما : بتكثير الأغلاق .

الثاني : بكثرة الإيثاق .

قوله تعالى:{وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" وقالت: هلمَّ إليَّ"[٨].

قال الزجاج:"المعنى: هلم لك، أي: أقبل إلى ما أدعوك إليه"[٩].

قال مقاتل:" يعني هلم لك نفسي تريد المرأة الجماع فغلبته بالكلام"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف : ٢٣]، وجوه:

أحدها: معناه: تهيأت لك، قاله عكرمة[١١]، وأبو عبد الرحمن السلمي[١٢]، وهذا تأويل من قرأ بكسر الهاء وترك الهمز[١٣]، وقال الشاعر :

قد رابني أن الكرى أسكتا لو كان معنياً بها لهيتا

أخرج الطبري من طريق احمد بن يوسف عن قتادة: "أن ابن عباس قرأها كذلك، مكسور الهاء، مضمومة التاء. قال أحمد: قال أبو عبيدة: لا أعلمها إلا مهموزة"[١٤].

عن عاصم بن بهدلة، قال: "كان أبو وائل يقول:«هِئْتُ لَكَ»: أي: تهيأت لك. وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة"[١٥].

عن القاسم، قال: لم يكن الكسائي يحكي:«هئت لك» عن العرب "[١٦].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٨.
[٢] أخرجه الطبري(١٨٩٦٥):ص٢٥/١٦.
[٣] أخرجه الطبري(١٨٩٦٤):ص٢٤/١٦.
[٤] صفوة التفاسير:٤٢/٢.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.
[٦] تفسير الطبري:٢٥/١٦.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٢/٣.
[٨] التفسير الميسر:٢٣٨.
[٩] معاني القرآن:٩٩/٣.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٨٩٩٢)، و(١٨٩٩٤):ص٢٨/١٦-٢٩.
[١٢] أخرجه الطبري(١٨٩٩١):ص٢٨/١٦.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٢٨/١٦.
[١٤] تفسير الطبري(١٨٩٩٠):ص٢٨/١٦.
[١٥] أخرجه الطبري(١٨٩٩٥):ص٢٩/١٦.
[١٦] أخرجه الطبري(١٨٩٩٧):ص٢٩/١٦-٣٠.

عن علي بن المغيرة ، قال:" قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: شهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد - أو أحمد -وكان عالما بالقرآن [وكان لألاء، ثم كبر، فقعد في بيته، فكان يؤخذ عنه القرآن، ويكون مع القضاة، فسأله] عن قول من قال:"هِئْتُ لَكَ" بكسر الهاء، وهمز الياء. فقال: أبو عمرو: [سى] إي: باطل، جعلها،"فعلت" من"تهيأت"، فهذا الخندق، فاستعرض العربَ حتى تنتهي إلى اليمن، هل تعرف أحدًا يقول:«هئت لك»"[١].

الثاني: معناه: عليك عليك. أي: دونك حاجتك. قاله الحسن[٢].

وعن محمد بن إسحاق :"{وقالت هيت لك}، أي: تعال فأنا لك"[٣].

الثالث: هلم لك، قاله ابن عباس[٤]، والحسن[٥]، والسدي[٦]، وابن زيد[٧].

قال مجاهد:" لغة عربية، تدعُوه بها"[٨].

وعن مجاهد :"{هيت لك}، قال: ألقت نفسها، ودعته إلى نفسها، وهي لغة"[٩].

وعن ابن إسحاق: "{هيت لك}، قال: تعال"[١٠].

وعن ابن زيد:"{ وقالت هيت لك}، قال: هلمَّ لك، إليَّ"[١١].

عن ابن عباس :"أنه كان يقرأ كما يقرأ عبد الله يعني:«هيت لك»، وهو كقول أحدكم لصاحبه: هلم لك"[١٢].

قال أبو عبيد: كان الكسائي يحكيها - يعني: {هيت لك}- قال: وقال: وهي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز، معناها:"تعال". قال: وقال أبو عبيدة: سألت شيخًا عالمًا من أهل حوران، فذكر أنها لغتُهم، يعرفها"[١٣].

وأنشد أبو عمرو بن العلاء[١٤]:

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيـ ـنَ ابْنَ الزُّبَيْرِ إِذَا أَتَيْتَا
إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ سَلَمٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

قال الماوردي :"وهذا تأويل من قرأ هيت لك بفتح الهاء وهي أصح وأفصح ، قال طرفة بن العبد[١٥]:

---

[١] أخرجه الطبري(١٨٩٩٦):ص٢٩/١٦.

[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٦٧):ص٢١٢٢/٧.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٦٨):ص٢١٢٢/٧.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦٧)، (١٨٩٦٩)، و(١٨٩٧٢):ص٢٥/١٦-٢٦. وقال:" هي بالحَوْرانية".

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٧٣):ص٢٦/١٦. وقال في(١٨٩٧٦):ص٢٧/١٦:" كلمة بالسريانية، أي: عليك". عليك".

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٧٥):ص٢٧/١٦. وقال:"بالقبطية".

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٨٩٨٩):ص٢٨/١٦.

[٨] أخرجه الطبري(١٨٩٨٢):ص٢٧/١٦.

[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٦٣):ص٢١٢١/٧.

[١٠] أخرجه الطبري(١٨٩٨٨):ص٢٨/١٦.

[١١] أخرجه الطبري(١٨٩٨٩):ص٢٨/١٦.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٦٠):ص٢١٢١/٧.

[١٣] أخرجه الطبري(١٨٩٨٧):ص٢٨/١٦.

[١٤] الشعر في تفسير الطبري ١٦/ ٢٥، وتفسير القرطبي ٩/ ١٦٤، والصحاح واللسان والتاج (هيت)، والبيت الثاني منهما فى الخصائص: ٢٩٧ والجمهرة ٢/ ٣٢.
والشعر لشاعر يقولهما في علي -رضي الله عنه-
قال أبو عبيدة: أنشدني أبو عمرو بن العلاء:
أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا ... أن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا
يريد: علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- "مجاز القرآن" ١/ ٣٠٥.
وأنشده الأزهري في "تهذيب اللغة" ١/ ٢٥٢ (عنق)، ولم ينسبه. وذكره الثعلبي ٢٠٨/٨٥، وابن عطية ١١/ ٨٩، وأبو حيان ٧/ ٦، ولم ينسبوه.

[١٥] البيت في تفسير الطبري:٣٠/١٦، وقال المحقق:"لم أجد البيت في مكان آخر].

لَيْسَ قَومِي بِالأَبْعَدِينَ إِذَا مَا   قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ"[1]

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الكلمة، على وجوه:

أحدها: حكى عطية عن ابن عباس أن{هيت لك}، كلمة بالقبطية معناها هلم لك[2].

الثاني: قال مجاهد بل هي كلمة عربية هذا معناها[3].

والثالث: وقال الحسن : هي كلمة سريانية[4].

عن ابي وائل: قال ابن مسعود:" قد سمعت القرأة، فسمعتهم متقاربين، فاقرءوا كما عُلِّمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف، فإنما هو كقول أحدكم:"هلم" و"تعال". ثم قرأ عبد الله: {هَيْتَ لَكَ}، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن ناسًا يقرءونها:"هَيْتُ لَكَ" فقال عبد الله: إني أقرؤها كما عُلِّمْت، أحبُّ إليَّ"[5].

قوله تعالى:{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} [يوسف : ٢٣]، أي:" عياذاً بالله من فعل السوء"[6].

قال مقاتل:" يعني: أعوذ بالله"[7].

قال الزجاج:"المعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا"[8].

قوله تعالى:{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" إن زوجك هو سيدي العزيز الذي أكرمني وأحسن تعهدي فكيف أسيء إليه بالخيانة في حَرَمه؟"[9].

قال الطبري:" يقول: أحسن منزلتي، وأكرمني وائتمنني، فلا أخونه"[10].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} [يوسف : ٢٣]، وجهان:

أحدهما : إن الله ربي أحسن مثواي،أي: تولاني في طول مقامي فلا أعصيه، أجازه الزجاج[11].

الثاني : أنه أراد العزيز إظفير، {إنه ربي}، أي: سيدي أحسن مثواي فلا أخونه . قاله مجاهد[12]، وابن إسحاق[13]، والسدي[14]، وبه قال مقاتل[15].

ن ابن إسحاق، قال: "{أحسن مثواي}، أمنني على بيته وأهله"[16].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف : ٢٣]، أي:" إنه لا يفلح مَن ظَلَم فَفَعل ما ليس له فعله"[17].

قال الطبري:" يقول: إنه لا يدرك البقاء، ولا ينجح من ظلم، ففعل ما ليس له فعله. وهذا الذي تدعوني إليه من الفجور، ظلم وخيانة لسيدي الذي ائتمنني على منزله"[18].

---

[1] النكت والعيون:٢٣/٣.

[2] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٦٢):ص٢١٢١/٧.

[3] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٦٤):ص٢١٢١/٧.

[4] انظر: تفسير الطبري: (١٨٩٧٦):ص٢٧/١٦.

[5] أخرجه الطبري(١٨٩٩٨):ص٣٠/١٦.[إسناده صحيح]، ورواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨: ٢٧٤، ٢٧٥،) ، مختصرا. ورواه أبو داود أيضًا مختصرا في سننه ٤: ٥٢، ٥٣ برقم: ٤٠٠٤، ٤٠٠٥. ورواه أبو جعفر فيما سلف من طرق أخرى، مختصرًا، ليس فيه" هيت لك"، برقم: ٤٨، في أول الكتاب. وفصل الحافظ ابن حجر في الفتح، الكلام فيه بما لا مزيد عليه.

[6] صفوة التفاسير:٤٢/٢.

[7] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.

[8] معاني القرآن: ١٠١/٣.

[9] صفوة التفاسير:٤٢/٢.

[10] تفسير الطبري:٣٢/١٦.

[11] انظر: معاني القرآن: ١٠١/٣.

[12] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٠٧)، و(١٩٠١١):ص٣٢/١٦-٣٣.

[13] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٠٩):ص٣٣/١٦.

[14] انظر: تفسير الطبري(١٩٠١٠):ص٣٣/١٦.

[15] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢.

[16] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٠٩):ص٣٣/١٦.

[17] التفسير الميسر:٢٣٨.

[18] تفسير الطبري:٣٣/١٦.

عن ابن إسحاق: "{إنه لا يفلح الظالمون}، قال: هذا الذي تدعوني إليه ظلم، ولا يفلح من عمل به"[١].

القرآن

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)} [يوسف : ٢٤]

التفسير:

ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ} [يوسف : ٢٤]، أي:" ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة"[٢].

قال الصابوني:" همَّت بمخالطته عن عزمٍ وقصدٍ وتصميم، عزماً جازماً على الفاحشة لا يصرفها عنها صارف، وقصدت إجباره على مطاوعتها القوة، بعد أن استحكمت من تغليق الأبواب، ودعوته إلى الإسراع، مما اضطره إلى الهرب إلى الباب"[٣].

قال مقاتل:" " وألقي عليها شهوة أربعين إنسانا ولقد همت به يقول همت المرأة بيوسف حتى استلقت للجماع"[٤].

قال ابن عطية:" لا شك أن «هم» زليخا كان في أن يواقعها يوسف"[٥].

قال الزمخشري:" هم بالأمر، إذا قصده وعزم عليه. قال[٦]:

همممت ولم أفعل وكدت وليتنى   تركت على عثمان تبكى حلائله

ومنه قولك: لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما. أى: ولا أكاد أن أفعله كيدا، ولا أهم بفعله هما، حكاه سيبويه، ومنه: الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه. وقوله {ولقد همت به}، معناه: ولقد همت بمخالطته"[٧].

قوله تعالى:{وَهَمَّ بِهَا} [يوسف : ٢٤]، أي:" وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَهَمَّ بِهَا} [يوسف : ٢٤]، أقوال:

أحدها : أنه همّ بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواقعتها. حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين[٩].

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٠١٢):ص٣٣/١٦.

[٢] التفسير الميسر:٢٣٨.

[٣] صفوة التفاسير:٤٢/٢.

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٧/٢-٣٢٨.

[٥] المحرر الوجيز:٢٢٣/٣.

[٦]العمير بن ضابئ البرجمي، دخل على عثمان وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعه وقال: عزمت على قتل عثمان ولم أقتله، وكدت أن أفعل وليتني قتلته. وكنى عن ذلك بقوله: «تركت على عثمان تبكى حلائله» وهو من باب التنازع. وأصله: تركت على عثمان حلائله تبكى فجعل حلائله فاعلا. وحذف مفعول تركت الأول لعلمه من الكلام، ولأنه فضلة وهي لا تضمر في هذا الباب. والمعنى ليتني قتلته فصيرت نساءه تبكى عليه، ودخل هذا الرجل على الحجاج وقال: يا أمير المؤمنين: أنا شيخ ضعيف، وخرج اسمى في هذا البعث، فاقبل ابني بديلا عنى فقبله منه وخرج فقال عتبة بن سعيد: أيها الأمير، هذا هو الذي فعل بعثمان كذا وكذا، فقال: ردوه على، فقال له:

أيها الشيخ، هلا بعثت إلى عثمان أمير المؤمنين بديلا يوم الدار؟ إن في قتلك صلاحا، يا حرسى، اضربا عنقه. أمير الحرسي بقتله وخاطبه خطاب المثنى على لغة الحرس الذين نسب المخاطب إليهم هذا. وقيل: إن القصة مع ضابئ نفسه، وأن عثمان كان حبسه في هجوه بنى نهشل، فلما قتل عثمان أفلت وفعل به ذلك.

[٧] الكشاف:٤٥٥/٢.

[٨] التفسير الميسر:٢٣٨.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٤/٣.

الثاني : أن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى ، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال:{وهم بها لولا أن رأى برهان ربه}، ومعنى الكلام: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ، قاله قطرب[1].
الثالث : أن همها كان شهوة ، وهمه كان عفة[2].
الرابع : أن همه بها لم يكن عزماً وإرادة وإنما كان تمثيلاً بين الفعل والترك، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل ، وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً ، ومنه قول جميل[3]:

هممت بهمٍّ من بثينة لو بدا شفيت غليلات الهوى من فؤاديا

قال الأخفش:" فلم يكن هم بالفاحشة ولكن دون ذلك مما لا يقطع الولاية"[4].
الخامس : أنه همه كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهراً له وهو معنى قول الحسن[5].
السادس: أن الهم بالفاحشة لم يقع منها ولا منه ـ عليه السلام ـ وإنما الذي وقع منها هو المراودة، فلما امتنع وكان ذلك إهانة لها وكسرا لطبيعة الأنثى التي فطرت على أن تكون مراودة لا مراودة، من عبدها العبراني، وعدت هذا احتقارا منه، أرادت الانتقام منه بالاعتداء عليه والبطش به في ثورة غضبها وهو انتقام معهود من مثلها ومن دونها في كل زمان ومكان، والهم منه كان هما بدفع اعتدائها عليه. أفاده الشيخ رشيد رضا[6].
السابع: أنه هم بمواقعتها وعزم عليه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس[7]، ومجاهد[8]، والسدي[9]. وحكي الماوردي هذا القول عن جمهور المفسرين[10].
قال مجاهد:" حل سراويله حتى بلغ ثنته، فمثل له يعقوب فضرب في صدره، فخرجت شهوته من أنامله"[11].
عن أسباط، عن السدي، قوله: "{ولقد همت به وهم بها}، فقالت له: يا يوسف، ما أحسن شعرك. قال: هو أول ما يتناثر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك.. قال: هما أول ما يسيلان إلى الأرض من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن وجهك.. قال: هو للتراب يأكله، فلم تزل به حتى أطمعها ف همت به وهم بها ودخل البيت، وغلقت الأبواب فذهب يحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف، لا تواقعها"[12].
أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبدالله ابن أبي مليكة: "سئل ابن عباس عن هم يوسف فقال: حل الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن فنودي: يا ابن يعقوب أتزني؟ فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه، فذهب يطير فلم يستطع"[13].

---

[1] انظر: النكت والعيون:٢٤/٣.
[2] انظر: النكت والعيون:٢٤/٣.
[3] انظر: البيت في النكت والعيون:٢٤/٣، وتفسير القرطبي:١٦٦/٩.
[4] معاني القرآن:٣٩٧/١.
[5] انظر: النكت والعيون:٢٤/٣.
[6] انظر: تفسير المنار:١٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، وقريب منه أيضا ما حكاه الطبري عن بعضهم. انظر: التفسير :١٦/ ٣٨. ثم ضعفه وقال:" ويفسد هذين القولين: أن العرب لا تقدم جواب"لولا" قبلها، لا تقول:"لقد قمت لولا زيد"، وهي تريد": لولا زيد لقد قمت"، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن، الذين عنهم يؤخذ تأويله". [انظر: التفسير:٣٩/١٦].
[7] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٣):ص٢١٢٢/٧.
[8] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
[9] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
[10] انظر: النكت والعيون:٢٥/٣.
[11] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
[12] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٧٥):ص٢١٢٣/٧.
[13] تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٣):ص٢١٢٢/٧.

وفي رواية اخرى عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس:" لما همت به تزينت ثم استلقت على فراشها، وهم بها وجلس بين رجليها يحل ثيابه، فنودي من السماء يا ابن يعقوب، لا تكن كطائر نتف ريشه فبقي لا ريش له، فلم يتعظ على النداء شيئا، أي: لم يفصم، حتى رأى برهان ربه، جبريل في صورة يعقوب، عاضا على أصبعيه ففزع"[1].

وعن عن محمد بن إسحاق قوله: "{ولقد همت به وهم بها}، فأكبت عليه تطيعه مرة، وتخيفه مرة أخرى، وتدعوه إلى لذة وهي من حاجة الرجال، في جمالها وحسنها وملكها، وهو شاب مقتبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجال حتى رق لها مما يرى من كلفها به، ولم يتخوف منها حتى هم بها وهمت به، حتى دخلوا في بعض بيوته فلما هم وتهيأ لذلك رأى برهان ربه فانكشف عنها هاربا"[2].

قال مقاتل:" {وهم بها} يوسف حين حل سراويله وجلس بين رجليها"[3].

قال الماوردي:"فإن قيل: فكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل ؟

قيل : هي منه معصية، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه:

أحدها : أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة إنما ابتلاء ليكون من الله تعالى على وجل إذا ذكرها فيجدّ في طاعته إشفاقاً منها ولا يتكل على سعة عفوه ورحمته .

الثاني : أن الله تعالى ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة على معصيتهم .

الثالث: أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا"[4].

قال ابن حزم الاندلسي:" وأما قوله: {همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه}، فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتأخرين من قال أنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة! ومعاذ الله من هذا أن يظن برجل من صالحي المسلمين أو مستوريهم فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

فإن قيل: أن هذا قد روى عن ابن عباس رضي الله عنه من طريق جيدة الإسناد؟

قلنا: نعم ولا حجة في قول أحد إلا فيما صح عن رسول الله ﷺ فقط ،والوهم في تلك الرواية إنما هي بلا شك عمن دون ابن عباس أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك إذ إنما أخذه عمن لا يدري من هو ولا شك في أنه شيء سمعه فذكره لأنه رضي الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله ﷺ ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين:

- إما أنه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالى : {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوه} [غافر : ٥]، وكما يقول القائل: لقد همت بك، لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان أراه الله إياه استغنى به عن ضربها وعلم أن الفرار أجدى عليه وأظهر لبراءته على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر القد من القميص.
- والوجه الثاني: أن الكلام تم عند قوله :{ولقد همت به}، ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال: {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه}، وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تأويل، وبهذا نقول حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي حدثنا ابن عون الله أنبأنا إبراهيم ابن أحمد بن فراس حدثنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابوري أنا اسحق بن راهوية أنا المؤمل ابن إسماعيل الحميري حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه «إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب}، قال رسول الله

---

[1] تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٧٤):ص٢١٢٢/٧.

[2] اخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٧٦):ص٢١٢٣/٧.

[3] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢٨/٢-٣٢٩.

[4] النكت والعيون:٢٥/٣.

ﷺ: لما قالها يوسف عليه السلام، قال له جبريل: يا يوسف اذكر همك، فقال يوسف: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}[1]»[2]، فليس في هذا الحديث على معنى من المعاني تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه أنه بأمرها وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الأول والثاني معا إلا أن الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال وصح أن ذلك الهم ضرب سيدته وهي خيانة لسيده إذ هم بضرب امرأته و{برهان ربه}-ها هنا- هو النبوة وعصمة الله عز وجل إياه ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة وهذا لا شك فيه، ولعل من ينسب هذا إلى النبي المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل المقام فيهلك وقد خشى النبي ﷺ الهلاك على من ظن به ذلك الظن إذ قال للأنصاريين حين لقيهما «هذه صفية»[3].

ومن الباطل الممتنع أن يظن ظان أن يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء فلا بد أنه سوء ولو قال إنه ليس بسوء لعاند الإجماع فإذ هو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم بيقين وأيضا فإنها قالت :«ما جزاء من أراد بأهلك سوءا» وأنكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق «إن كان قمصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين»، فصح أنها كذبت بنص القرآن وإذا كذبت بنص القرآن فما أراد بها سوء فما هم بالزنا قط ولو أراد بها الزنا لكانت من الصادقين وهذا بين جدا وكذلك قوله تعالى عنه انه قال :{وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين} فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن، فصح عنه أنه قط لم يصب إليها. وبالله تعالى التوفيق"[4].

وقال أبو حيان:" طول المفسرون في تفسير هذين «الهمين»، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق. والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب «لولا» متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: أن جواب «لولا» محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل.

وكذلك هنا التقدير: «لولا أن رأى برهان ربه لهم بها»، فكان موجدا الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم.

ولا التفات إلى قول الزجاج. ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا، فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: {وهم بها} هو جواب «لولا»، ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب. وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فـ«اللام» ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب «لولا» إذا كان بصيغة الماضي باللام، وبغير «لام»، تقول: لولا زيد لأكرمتك، ولولا زيد أكرمتك.

فمن ذهب إلى أن قوله: {وهم بها} هو نفس الجواب لم يبعد، ولا التفات لقول ابن عطية إن قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ولقد همت به، وإن جواب« لولا» في قوله: {وهم بها}، وأن المعنى: لولا أن رأى البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف انتهى.

---

[1] [يوسف : ٥٣].

[2] ذكره السيوطي في الدر المنثور:٥٤٩/٤، ونسبه إلى الحاكم في تاريخه وابن مردويه والديلمي عن أنس رضي الله عنه.
وأخرجه الطبري عن الحسن(١٩٤٣٨):ص١٤٥/١٦

[3] صحيح البخاري(٢٠٣٩):ص٣/ ٥٠.

[4] الملل والنحل:١٠/٤-١١.

أما قوله: يرده لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله تعالى: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص : ١٠]، فقوله: {إن كادت لتبدي به}، إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة. والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب لولا محذوفا، ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا لهم بها. ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأن ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه. وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين. ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري[(١)]، وابن عطية[(٢)]، وغيرهما"[(٣)].

وقال ابن العربي:" قد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد أو الجار أو الأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أناب إلى المراودة [بحكم المراودة]؛ بل أدبر عنها، وفر منها؛ حكمة خص بها، وعملا بمقتضى ما علمه الله سبحانه؛ وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل، وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علمت عليه من سوء، بل أبرئه مما برأه منه، فقال: {ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما} [يوسف: ٢٢]، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الذين استخلصناهم. والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة، فما ألم بشيء ولا أتى بفاحشة.

فإن قيل: فقد قال الله: {ولقد همت به وهم بها} [يوسف: ٢٤].

قلنا: قد تقصينا عن ذلك في كتاب الأنبياء من شرح المشكلين، وبينا أن الله [سبحانه] ما أخبر عنه أنه أتى في جانب القصة فعلا بجارحة، وإنما الذي كان منه الهم، وهو فعل القلب، فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا، ويقولون: فعل، وفعل؟ والله إنما قال: هم بها، لا أقالهم ولا أقاتهم الله ولا عالهم.

كان بمدينة السلام إمام من أئمة الصوفية، وأيّ إمام، يعرف بابن عطاء، تكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته من مكروه ما نسب إليه، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كان طائفة، فقال له: يا سيدي، فإذن يوسف هم وما تم. فقال: نعم؛ لأن العناية من ثم. فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره، واستيفائه. ولذلك قال علماء الصوفية: إن فائدة قوله: {ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما} [يوسف: ٢٢] أن الله أعطاه العلم والحكمة إبان غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة"[(٤)].

قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} [يوسف : ٢٤]، أي:" لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه"[(٥)].

قال الصابوني:" لولا حفظ الله ورعايتُه ليوسف، وعصمتُه له لخالطها وأمضى ما حدثته نفسه به، ولكنَّ الله عصمه بالحفظ والتأييد فلم يحصل منه شيءٌ البتَّة"[(١)].

---

(١) انظر: الكشاف:٤٥٥/٢ وما بعدها.

(٢) انظر: المحرر الوجيز:٢٢٣/٣ وما بعدها.

(٣) البحر المحيط:٢٥٧/٦-٢٥٨. وانظر: معاني القرآن للزجاج:١٠١/٣.

(٤) أحكام القرآن:٤٦/٣-٤٧.

(٥) التفسير الميسر:٢٣٨.

وفي قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} [يوسف : ٢٤]، وجوه:
أحدها : أن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة. ووهذا قول ابن عباس، وقتادة[٢]، و ابن أبي مليكة [٣].

قال ابن عباس:" نودي: يا يوسف، أتزني، فتكون كالطير وَقَع ريشه، فذهب يطير فلا ريش له؟"[٤].

وفي رواية اخرى:" نُودي: يا ابن يعقوب، لا تكن كالطائر له ريش، فإذا زنى ذهب ريشه، أو قعد لا ريش له. قال: فلم يُعْطِ على النداء، فلم يزد على هذا"[٥].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس:" نودي: يا ابن يعقوب، لا تكن كالطير إذا زنى ذهب ريشه، وبقي لا ريش له! فلم يطع على النداء، ففُزِّع"[٦].

قال قتادة:" نودي يوسف فقيل: أنت مكتوب في الأنبياء، تعمل عمل السفهاء؟"[٧].

الثاني : أنه رأى صورة يعقوب-عليه السلام- يتوعّده، فكفّ عن مواقعة الخطيئة، قاله ابن عباس[٨]، والحسن[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، عكرمة[١١]، والضحاك[١٢]، وقتادة[١٣]، ومجاهد[١٤]، والسدي[١٥]، وأبو صالح[١٦]، ومحمد بن سيرين[١٧]، وحميد بن عبد الرحمن[١٨]، والقاسم بن ابي بزة[١٩]، ومشمر بن عطية[٢٠].

قال الحسن:" رأى يعقوب عاضا على أصابعه يقول: يوسف، يوسف"[٢١].

وفي رواية أخرى:" زعموا، والله أعلم، أن سقف البيت انفرج، فرأى يعقوبَ عاضًّا على أصابعه"[٢٢].

قال سعيد بن جبير:" رأى تمثال وجه أبيه، قائلا بكفه هكذا - وبسط كفه- فخرجت شهوته من أنامله"[٢٣].

---

[١] صفوة التفاسير:٤٢/٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤٠):ص٤١/١٦.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤١):ص٤١/١٦.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٠٣٢):ص٣٩/١٦.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٠٣٤):ص٤٠/١٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٩٠٣٧):ص٤٠/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٠٤٠):ص٤١/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤٢):ص٤١/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٤٧٧):ص٢١٢٣/٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧٣):ص٤٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٠):ص٢١٢٤/٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٤٤):ص٤٢/١٦.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٦٤)، و(١٩٠٦٥):ص٤٥/١٦.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٨٣):ص٤٧/١٦ ولفظه:" يزعمون أنه مَثَّلَ له يعقوب، فاستحيىمنه".
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧١):ص٤٥/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٣):ص٢١٢٤/٧.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٥٥)-(١٩٠٦٢):ص٤٣/١٦-٤٤، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٦):ص٢١٢٥/٧.
[١٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٨٨):ص٢١٢٥/٧.
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧٤):ص٤٦/١٦.
[١٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨٤):ص٢١٢٤/٧.
[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٥٣):ص٤٣/١٦.
[١٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٦٣):ص٤٤/١٦.
[٢٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٧٧):ص٤٦/١٦.
[٢١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٠):ص٢١٢٤/٧.
[٢٢] أخرجه الطبري(١٩٠٤٨):ص٤٢/١٦-٤٣.
[٢٣] أأخرجه الطبري(١٩٠٤٤):ص٤٢/١٦.

عن وهب بن جرير، عن أبيه قال: "سمعت ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: أطلق تكة سراويله، وقعد منها ذلك المقعد، فمثل له يعقوب في سقف البيت عاضا على إبهامه، فانتزع الله كل شهوة كانت في جسده فخرج يسعى إلى باب البيت"[١].

وعن الضحاك، عن ابن عباس، قوله: "{لولا أن رأى برهان ربه}، قال: "رأى صورة أبيه، يعقوب في وسط البيت عاضا على إبهامه فأدبر هاربا، قال: وحقك يا أبه، لا أعود أبدا"[٢].

قال قتادة:"مثل له يعقوب عاضا على أصبعيه وهو يقول له: أيا يوسف أتتهم بعمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فذلك البرهان، فانتزع الله كل شهوة كانت في مفاصله"[٣].

قال محمد بن سيرين:" مثل له يعقوب عاضا على أصبعيه يقول: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، اسمك في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء"[٤].

قال السدي:" فإذا هو بصورة يعقوب قائم في البيت قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف، لا تواقعها، إنما مثلك مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إذا وقعت عليها مثله إذا مات فوقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع، عن نفسه، ومثلك مثل الثور الصعب الذي لم يعمل عليه ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات، فدخل الماء في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع، عن نفسه فربط سراويله"[٥].

قال مجاهد:" تمثل له يعقوب، فضرب في صدر يوسف، فطارت شهوته من أطراف أنامله، فولد لكل ولد يعقوب اثنا عشر ذكر غير يوسف لم يولد له إلا غلامان"[٦].

قال سعيد بن جبير:" رأى صورةً فيها وجه يعقوب عاضًّا على أصابعه، فدفع في صدره، فخرجت شهوته من أنامله. فكلُّ ولد يعقوب وُلِدَ له اثنا عشر رجلا إلا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة، ولم يولد له غير أحد عشر"[٧].

عن علي بن بذيمة، قال: "كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابنًا، إلا يوسف، ولد له أحد عشر، من أجل ما خرج من شهوته"[٨].

قال عبيد الله بن أبي جعفر: "بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بَنَانه"[٩].

الثالث : أن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى. وهذا المعنى مروي عن محمد بن كعب القرظي[١٠]، وأبي هلال في رواية نافع[١١].

قال محمد بن كعب القرظي:" رفع رأسَه إلى سقف البيت، فإذا كتاب في حائط البيت: {لا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا} [سورة الإسراء: ٣٢]"[١٢].

وقال محمد بن كعب:" لولا أن رأى ما حرم عليه من القرآن لرجع عليه"[١٣].

وعن أبي صخر، قال: "سمعت القرظي يقول في «البرهان»: الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٧٨):ص٢١٢٤/٧.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٧٩):ص٢١٢٤/٧.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٣):ص٢١٢٤/٧.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٤):ص٢١٢٤/٧.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٨):ص٢١٢٥/٧.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٦):ص٢١٢٥/٧.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٠٥٢):ص٤٣/١٦.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٠٦٧):ص٤٥/١٦.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٠٦٨):ص٤٥/١٦.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٨٤):ص٤٧/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٤٨٦) ، و(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧-٢١٢٦.
[١١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧-٢١٢٦.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٠٨٤):ص٤٧/١٦.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٧):ص٢١٢٥/٧.

(١٢)}[1]، وقول الله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}[2]، وقول الله: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}[3]، قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل القرظي، وزاد آية أخرى رابعة {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا}[4]"[5].

الرابع : أن البرهان الذي رآه . تمثال الملك إظفير سيده ، قاله ابن عباس[6]، وابن إسحاق[7].

قال محمد بن إسحاق:" كان بعض أهل العلم، فيما بلغني، يقول: البرهان الذي رأى يوسف فصرف عنه السوءَ والفحشاء، يعقوبُ عاضًّا على إصبعه، فلما رآه انكشفَ هاربًا ،ويقول بعضهم: إنما هو خيال إطفير سيده، حين دَنا من الباب، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته، ألفياه لدى الباب"[8].

الخامس:أن البرهان الذي رآه هو ما آتاه الله تعالى من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة، قاله ابن بحر[9].

فالبرهان على هذا القول هو: اليقين والإيمان وشدة مراقبة الله تعالى.

السادس: أن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها : ما وراء هذه الستر؟ فقالت : صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه . فقال : إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه ، قاله الضحاك[10].

السابع: انه رأى آية من كتاب الله نهته مثلت له في جدار، وهو البرهان الذي رأى. وهذا القول حكاه الأوزاعي عن ابن عباس[11].

وقال قتادة:" رأى آية من آيات ربه حجزه الله بها، عن معصيته"[12].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله، زجرته عن ركوب ما همَّ به يوسف من الفاحشة،وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك - وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ،ولا حجة للعذر قاطعة بأيِّ ذلك [كان] من أيٍّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه"[13].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ} [يوسف : ٢٤]، أي:" وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره"[14].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما أرينَا يوسف برهاننا على الزجر عمَّا همّ به من الفاحشة، كذلك نسبّب له في كلِّ ما عرض له من همٍّ يهمُّ به فيما لا يرضاه، ما يزجره ويدفعه عنه ؛ كي نصرف عنه ركوب ما حرَّمنا عليه، وإتيان الزنا، لنطهره من دنس ذلك"[15].

---

[1] [الانفطار : ١٠ - ١٢].

[2] [يونس : ٦١].

[3] [الرعد : ٣٣].

[4] [الإسراء : ٣٢].

[5] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٧/٢١٢٥-٢١٢٦.

[6] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٨٩):ص١٦/٤٨.

[7] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٩٠):ص١٦/٤٨-٤٩.

[8] أخرجه الطبري(١٩٠٩٠):ص١٦/٤٨-٤٩.

[9] انظر: النكت والعيون:٣/٢٦.

[10] انظر: النكت والعيون:٣/٢٦، وذكره العز بن عبدالسلام في تفسيره :٢/١١٦، دون نسبة.

[11] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٨١):ص٧/٢١٢٤.

[12] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٨٢):ص٧/٢١٢٤.

[13] تفسير الطبري:١٦/٤٩.

[14] التفسير الميسر:٢٣٨.

[15] تفسير الطبري:١٦/٤٩.

قوله تعالى:{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف : ٢٤]، أي:" ، إنه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده"[١].

قال الطبري:" إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا"[٢].

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر في قوله: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء}، قال: الزنا، والثناء القبيح"[٣].

عن أبي ثمامة قال: "قال الحواريون: يا روح الله: أخبرنا من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده الناس"[٤].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر :«المخلصين» بكسر اللام، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالى .

وقرأ الباقون« الْمُخْلَصِينَ» بفتح اللام، وتأويلها الذين أخلصهم الله برسالته ، وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مستخلصاً لرسالة الله[٥].

القرآن

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)} [يوسف : ٢٥]

التفسير:

وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بينه وبين الخروج فشقَّته، ووجدا زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء مَن أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجع.

قوله تعالى:{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} [يوسف : ٢٥]، أي:" وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به"[٦].

قال قتادة:" استبق هو والمرأة الباب"[٧].

قال الزجاج:" أي: استبقا إلى الباب، يعني به يوسف وامرأة العزيز"[٨].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: واستبق يوسف وامرأة العزيز بابَ البيت، أما يوسف ففرارًا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها"[٩].

قال مقاتل:" ويوسف أمامها هارب منها وهي ورائه تتبعه لتحبسه على نفسها فأدركته قبل أن ينتهي إلى الباب"[١٠].

قال الثعلبي:" وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادرا إلى باب البيت، هاربا مما أرادته منه، واتبعته المرأة فذلك قوله تعالى:{واستبقا الباب}، يعني: بادر يوسف وراحيل إلى الباب، أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها أي راودته عليها"[١١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٨.
[٢] تفسير الطبري:٤٩/١٦.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٩٠):ص٢١٢٦/٧.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٩١):ص٢١٢٦/٧.
[٥] انظر: السبعة في القراءات:٣٤٨، والنكت والعيون:٢٦/٣.
[٦] التفسير الميسر:٢٣٨.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٠٩١):ص٥١/١٦.
[٨] معاني القرآن:١٠٢/٣.
[٩] تفسير الطبري:٥٠/١٦.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٠/٢.
[١١] الكشف والبيان٢١٤/٥.

عن عبد الله بن عباس، قال: "فلم يتعظ بالنداء، حتى صكه جبريل في صدره فطارت كل شهوة في رأسه، فخرجت من أنامله، فوثب إلى الباب، فوجده مغلقا، فرفع يوسف رجله، فضرب بها الباب الأدنى، فانفرج له، فانفرجت له الأبواب التي دونه، واتبعته فأدركته عند آخر باب منها"[1].

قوله تعالى:{وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف : ٢٥]، أي:" وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بينه وبين الخروج فشقَّته"[2].

قال الطبري:" فأدركته فتعلقت بقميصه، فجذبته إليها مانعةً له من الخروج من الباب،، فقدَّته من دبر، يعني: شقته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهارب، وكانت هي الطالبة"[3].

قال ابن ابي زمنين:" أي: شقته من خلفه"[4].

قال الثعلبي:" فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها مانعة له من الخروج، {وقدت}، أي: خرقت وشقت، {قميصه من دبر}: من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة"[5].

قال الزجاج:" «القد»: القطع، أي خرقته خرقا انقد منه"[6].

قال مقاتل:" يقول: فمزقت قميصه من ورائه حتى سقط القميص عن يوسف"[7].

قال ابن عباس:" فوضعت يداها في قميصه، فشقته حتى بلغت عظمة ساقيه، وسقط عنه، وتبعته فـ {ألفيا سيدها لدى الباب}"[8].

قال ابن إسحاق:" لما رأى برهان ربه، انكشفَ عنها هاربًا، واتبعته، فأخذت قميصه من دبر، فشقَّته عليه"[9].

قوله تعالى:{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} [يوسف : ٢٥]، أي:" ووجدا زوجها عند الباب"[10].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وصادفا سيدها -وهو زوج المرأة- عند الباب"[11].

قال مقاتل:" يقول وجدا كقوله : {مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [البقرة : ١٧٠]، يعني: وجدا سيدها، يعني: زوجها {لدى الباب}، يعني: عند الباب ومعه ابن عمها يمليخا بن زليخا"[12].

قال الثعلبي:" فلما خرجا {وألفيا سيدها لدى الباب}، أي: وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراحيل"[13].

قال مجاهد:" سيدها: زوجها ، {لدى الباب}، قال: عند الباب"[14].

قال زيد بن ثابت: " «السيد»، الزوج"[15].

قال أبو صالح : "والسيد هو الزوج بلسان القبط "[1].

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٩٢):ص٢١٢٦/٧.
[2] التفسير الميسر:٢٣٨.
[3] تفسير الطبري:٥٠/١٦.
[4] تفسير ابن أبي زمنين:٣٢٢/٢.
[5] الكشف والبيان٢١٤/٥.
[6] معاني القرآن:١٠٢/٣.
[7] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٠/٢.
[8] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٩٥):ص٢١٢٧/٧.
[9] أخرجه الطبري(١٩٠٩٢):ص٥١/١٦.
[10] التفسير الميسر:٢٣٨.
[11] تفسير الطبري:٥١/١٦.
[12] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٠/٢.
[13] الكشف والبيان٢١٤/٥.
[14] أخرجه الطبري(١٩٠٩٣):ص٥١/١٦.
[15] أخرجه الطبري(١٩٠٩٤):ص٥١/١٦.

عن السدي: "{وألفيا سيدها لدى الباب}، قال: جالسًا عند الباب وابن عمّها معه، فلما رأته قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ إنه راودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي، فشققت قميصه. قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي، وفررت منها فأدركتني، فشقت قميصي. فقال ابن عمها: تِبْيان هذا في القميص، فإن كان القميص، قدّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فأتي بالقميص، فوجده قدّ من دبر قال: {إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين}"[2].

عن ابن إسحاق: "{وألفيا سيدها لدى الباب}، إطفير، قائمًا على باب البيت، فقالت وهابَتْه: {ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسجن أو عذاب أليم}، ولطخته مكانها بالسيئة، فَرَقًا من أن يتهمها صاحبُها على القبيح. فقال هو، وصَدقه الحديث: {هي راودتني عن نفسي}"[3].

قال يحيى بن زكريا بن أبي زائدة: "وفي قراءة عبد الله:« ووجدا سيدها»، يعني: {وألفيا}"[4].

قوله تعالى:{قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [يوسف : ٢٥]، أي:" فقالت: ما جزاء مَن أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجع"[5].

قال مقاتل:" يعنى: الزنا، {إلا أن يسجن}، حبسا في نصب أو {عذاب أليم}، يعني: ضربا وجيعا"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفياه عند الباب، فخافت أن يتهمها بالفجور: ما ثواب رجل أرادَ بامرأتك الزنا {إلا أن يسجن} في السجن، أو إلا {عذاب أليم}، يقول: موجع"[7].

قال الثعلبي:" فلما رأته هابته فقالت: سابقة بالقول لزوجها: {قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا}، يعني: الزنا، {إلا أن يسجن}: يحبس، {أو عذاب أليم}، يعني: الضرب بالسياط، قاله ابن عباس"[8].

عن ابن عباس :"{أو عذاب}، يقول: نكال"[9].

وعن ابن عباس في قول الله: "{عذاب أليم}، قال: كل شيء موجع"[10].

عن نوف الشامي، قال: "ما كان يوسف يريد أن يذكره، حتى قالت: {ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا}، الآية، قال: فغضب، فقال: {هي راودتني عن نفسي}"[11].

أخرج الثعلبي عن جعفر بن سليمان، قال: "سمعت امرأة في بعض الطرق وهي تتكلم ببعض الرفث فقلت لها: [....]إنكن صويحبات يوسف، فقالت له المرأة: وا عجبا نحن دعوناه إلى اللذة، وأنتم أردتم قتله، فمن أصحابه نحن أو أنتم، وقتل النفس أعظم مما أردناه؟"[12].

فوائد الآيات:[٢٣-١٥]:

---

(1) النكت والعيون:٣/٢٧.
(2) أخرجه الطبري(١٩٠٩٦):ص١٦/٥١-٥٢.
(3) أخرجه الطبري(١٩٠٩٧):ص١٦/٥٢.
(4) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٩٦):ص٧/٢١٢٧.
(5) التفسير الميسر:٢٣٨.
(6) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٣٣٠.
(7) تفسير الطبري:١٦/٥٢.
(8) الكشف والبيان٥/٢١٤.
(9) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٠٠):ص٧/٢١٢٧.
(10) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٠١):ص٧/٢١٢٨.
(11) أخرجه الطبري(١٩٠٩٦):ص١٦/٥٣.
(12) الكشف والبيان٥/٢١٤.

١- بيان أثر الإيمان في تطهير القلب من محبة الفاحشة، وأن أهل الإيمان يحفظهم إيمانهم من الوقوع في الفواحش.

قال شيخ الاسلام:" وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبودية الله ومحبته له، لم يكن شيء أحب إليه من ذلك، حتى يقدمه عليه، وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء، كما قال تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}"[١].

٢- أن ما حدث بين النبي يوسف-عليه السلام- وبين امرأة العزيز التي فتنت به وغلقت الأبواب وراودته عن نفسه بطريقة مكشوفة وبأسلوب صريح. فقد قال تعالى في قمة هذا الموضوع: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}.

فقد استغلت الإسرائيليات هذه الواقعة كما استغلها أصحاب القلوب المريضة لينسجوا منها قصة عشق متبادل، وهيام عنيف، وتحرك إلى الفاحشة من كلا الطرفين- يوسف وزليخا- مع أن المقام يدفع عن يوسف كل شبهة ويضعه في قمة الطهارة والعفة ورعاية أسمى آيات النبل والوفاء.

فإن الهم المذكور في هذه الآية وضع في إطار من العصمة الإلهية، والتزكية الربانية. بحيث لا يسع أي منصف إلا أن يقف أمام موقف يوسف - عليه السلام - في إجلال وإكبار وإعظام.

فقبل هذا الهم قال تعالى في يوسف: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[يوسف:٢٢].

وبعده يأتي قوله تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[يوسف:٢٤].

أما العبارة التي نسجوا منها الافتراء على نبي الله وهي قوله تعالى: {وَهَمَّ بِهَا} فبعدها قوله: {لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} والمعنى: أن يوسف لولا برهان ربه- وهو اليقين والإيمان وشدة مراقبة الله تعالى- لفتن ووقع في الفحشة، وما دام إيمانه هو الذي عصمه فإنه يستحق الثناء العاطر والثواب الجزيل، وذلك ما نطق به القرآن الكريم، فمن أين لهؤلاء المفترين ما ينسجون وما يأفكون؟؟[٢].

٣- بيان عفة النبي يوسف-عليه السلام- ونزاهة نفسه مع توفر دواعي الشهوة وتهيؤ أسباب الجريمة، من تكرار الخلوة بامرأة العزيز، ومزيد الخلطة، ودعوتها إياه للفاحشة، وحياته معها في بيتها، وأخذها الحيطة بإغلاق الأبواب، لقد كان يوسف من المخلصين لله الواثقين به، فاستعاذ بربه ولاذ بجنابه، واستقبح أن يقابل جميل من أحسن مثواه بخيانته في عرضه، وذكر ما يصيب الظالمين في العواقب من الدمار والخسارة، وبذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء، وأظهر براءته على رءوس الأشهاد.

٤- ومن الفوائد: أنه كلما حقق العبد الإخلاص في قوله لا اله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه، ويصرف عنه المعاصي والذنوب، كما قال تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين.

٥- ومنها: أن كلمة «همّ» فى القرآن إنما يقصد به :الهم بالأذى، كالضرب والقتل {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} [غافر : ٥]، وقوله تعالى: {وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} [التوبة : ٧٤]

القرآن

[١] مجموع الفتاوى ٢١٥/١.

[٢] انظر: تبسيط العقائد الإسلامية:١٣١-١٣٢.

{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦)} [يوسف : ٢٦]

التفسير:

قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك، فشهد صبي في المهد مِن أهلها فقال: إن كان قميصه شُقَّ من الأمام فصدقت في اتِّهامها له، وهو من الكاذبين.

قوله تعالى:{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} [يوسف : ٢٦]، أي:" قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك"[١].

قال السدي:" واشتد نحو الباب وألفيا سيدها جالسا عند الباب هو وابن عم المرأة فلما رأته قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم إنه راودني، عن نفسي، فدفعته عني، فشققت قميصه فقال يوسف: لا بل هي راودتني، عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني فأخذت بقميصي فشقته علي"[٢].

قوله تعالى:{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا} [يوسف : ٢٦]، أي:" فشهد صبي في المهد مِن أهلها"[٣].

قال ابن عباس:" كان من خاصة الملك"[٤].

وفي هذا الشاهد، اربعة أقوال:

أحدها : أنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده ، قاله ابن عباس[٥]، وأبو هريرة[٦]، والحسن[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، والضحاك[٩]، وهلال بن يساف[١٠].

قال ابن عباس:" تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام"[١١]. ورواه مرفاعا[١٢].

عن أبي هريرة، قال: عيسى، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، يعني: تكلموا في المهد"[١٣].

الثاني : أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن، قاله مجاهد[١٤].

قال ابن كثير: "هذا قول غريب"[١٥].

الثالث : أنه رجل حكيم من أهلها، قاله قتادة[١٦]، وعكرمة[١٧].

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٨.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٠٢):ص٢١٢٨/٧.

[٣] التفسير الميسر:٢٣٨.

[٤] أخرجه ابن ابي حات(١١٥٠٩):ص٢١٢٩/٧.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٩٩):ص٥٤/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٥٠٣):ص٢١٢٨/٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٠٩٩):ص٥٤/١٦.

[٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢١٢٨/٧ذدره دون إسناد.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩١٠١)-(١٩١٠٥):ص٥٤/١٦-٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم:٢١٢٨/٧ذدره دون إسناد.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩١٠٧):ص٥٥/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم:٢١٢٨/٧ذدره دون إسناد.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩١٠٦):ص٥٥/١٦.

[١١] أخرجه الطبري(١٩٠٩٩):ص٥٤/١٦.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩١٠٨):ص٥٥/١٦. ورواه أحمد في المسند (٣١٠/١) والحاكم في المستدرك (٤٩٦/٢) من طريق حماد بن سلمة به ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[١٣] أخرجه الطبري(١٩١٠٠):ص٥٤/١٦.

[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٩١٣٢)، و(١٩١٣٣):ص٥٨/١٦-٥٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٥٠٥)، و(١١٥٠٦):ص٢١٢٨/٧-٢١٢٩.

[١٥] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٤.

[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩١٢٤):ص٥٧/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٥٠٧):ص٢١٢٩/٧.

[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٩١١٣):ص٥٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١٢٩/٧. حكاه دون ذكر السند.

قال قتادة:" رجل حكيم كان من أهلها، فقال: القميص يقضي بينكما، إن كان قميصه قد من قبل، فصدقت وهو من الكاذبين"[١].
وقال مجاهد:"كان رجلا:"[٢]. وروي عنه أيضا: "حكم حاكم"[٣].
وقال سعيد بن جبير:" رجل"[٤].
قال الحسن:" رجل له رأي أشارَ برأيه"[٥].
وروي عن ابن عباس، قال: "كان ذا لحية"[٦]. وفي رواية:" كان من خاصّة"[٧].
قال زيد بن أسلم:" ابن عم كان لها حكيما"[٨].
قال السدي:" ابن عمها كان الشاهدَ من أهلها"[٩].
قال ابن إسحاق:" إن الشاهد مشيوا، رجل من أهل أطيفير، كان يستعين برأيه ويسمع منه إلا أنه قال: أشهد إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا، وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة مدبرا، وقال: إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذلك"[١٠].
وقال الحسن:" رجل له فهم وعلم"[١١].
الرابع : أنه عنى شهادة القميص المقدود ، قاله مجاهد أيضاً[١٢].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك، قول من قال: كان صبيًّا في المهد = للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ. أنه ذكر من تكلم في المهد. فذكر أنَّ أحدهم صاحب يوسف، فأمّا ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود، فما لا معنى له ؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال: {وشهد شاهد من أهلها}، ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة"[١٣].
قوله تعالى:{إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [يوسف : ٢٦]، أي:" فقال: إن كان قميصه شُقَّ من الأمام فصدقت في اتِّهامها له، وهو من الكاذبين"[١٤].
قال ابن كثير:" {قُدَّ مِنْ قُبُلٍ}، أي : من قدامه، {فَصَدَقَتْ}، أي: في قولها إنه أرادها على نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره ، فقدت قميصه ، فيصح ما قالت"[١٥].
قال عامر: "كان في قميص يوسف ثلاث آيات: حين قد قميصه من دبر، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، وحين جاؤ على قميصه بدم كذب، عرف أن الذئب لو أكله خرق قميصه"[١٦].

القرآن

{وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)} [يوسف : ٢٧]

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٢):ص٢١٢٩/٧.
[٢] أخرجه الطبري(١٩١١٥):ص٥٦/١٦.
[٣] أخرجه الطبري(١٩١٢٩):ص٥٨/١٦.
[٤] أخرجه الطبري(١٩١١٨):ص٥٧/١٦.
[٥] أخرجه الطبري(١٩١٢٧):ص٥٨/١٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٩١١١):ص٥٦/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩١١٢):ص٥٦/١٦.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٠):ص٢١٢٩/٧.
[٩] أخرجه الطبري(١٩١٢٠):ص٥٧/١٦.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٣):ص٢١٢٩/٧-٢١٣٠.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٠٨):ص٢١٢٩/٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩١٣٠)، و(١٩١٣١):ص:٥٨/١٦
[١٣] تفسير الطبري:٥٩/١٦.
[١٤] التفسير الميسر:٢٣٨.
[١٥] تفسير ابن كثير:٣٨٣/٤.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١١):ص٢١٢٩/٧.

التفسير:
وإن كان قميصه شُقَّ من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين.

قوله تعالى:{وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [يوسف : ٢٧]، أي:" وإن كان ثوبه قد شُقَّ من الوراء فهي كاذبة وهو صادق"[١].

قال ابن كثير:" وذلك يكون كما وقع لما هرب منها ، وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لتردّه إليها ، فقدت قميصه من ورائه"[٢].

قال الصابوني:" لأن الأمر المنطقي أن يُشق الثوب من خلف إن كانت هي الطالبة له وهو الهارب"[٣].

قال الماوردي:" وهذه إحدى الآيات الثلاث في قميصه : إن كان قُدَّ من دبر فكان فيه دليل على صدقه ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب ، وحين ألقي على وجه أبيه فارتدّ بصيراً"[٤].

قال السدي:" قال ابن عمها: في القميص تبيان الأمر انظروا إن كان قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما أتى بالقميص وجد قد قد من دبر"[٥].

القرآن

{فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)} [يوسف : ٢٨]

التفسير:
فلما رأى الزوج قميص يوسف شُقَّ من خلفه علم براءة يوسف، وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمتِ به هذا الشاب هو مِن جملة مكركن -أيتها النساء-، إنَّ مكركن عظيم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف : ٢٨]، أي:" فلما رأى زوجها أن الثوب قد شُقَّ من الوراء"[٦].

قال ابن كثير: " أي : فلما تحقق زوجها صدقَ يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به"[٧].

قال محمد بن إسحاق:" فلما رأى أطيفير قميصه قد من دبر عرف أنه من كيدها قال: {إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم}"[٨].

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ} [يوسف : ٢٨]، أي:" قال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمتِ به هذا الشاب هو مِن جملة مكركن -أيتها النساء-"[٩].

قال ابن كثير:"أي:إن هذا البهت واللَّطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن "[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف : ٢٨]، أي:"إن مكركنَّ معشر النسوة واحتيالكنّ للتخلص مما دبرتُنَّ شيءٌ عظيم"[١١].

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : أنه الزوج ، قاله محمد بن إسحاق[١٢].

---

[١] صفوة التفاسير:٤٣/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٨٣/٤.
[٣] صفوة التفاسير:٤٣/٢.
[٤] النكت والعيون:٢٨/٣.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٤):ص٢١٣٠/٧.
[٦] .صفوة التفاسير:٤٣/٢
[٧] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٤.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٥):ص٢١٣٠/٧.
[٩] التفسير الميسر:٢٣٨.
[١٠] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٤.
[١١] صفوة التفاسير:٤٣/٢-٤٤.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥١٥):ص٢١٣٠/٧.

الثاني : أنه الشاهد ، حكاه علي بن عيسى[1].
قال محمد بن إسحاق:" فلما رأى أطيفير قميصه قد من دبر عرف أنه من كيدها، قال: {إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم}"[2].

القرآن

{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)} [يوسف : ٢٩]

التفسير:

قال عزيز «مصر» : يا يوسف اترك ذِكْر ما كان منها فلا تذكره لأحد، واطلبي -أيتها المرأة- المغفرة لذنبك؛ إنك كنتِ من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افترائك عليه.

قوله تعالى:{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [يوسف : ٢٩]، أي:" قال عزيز «مصر» : يا يوسف اترك ذِكْر ما كان منها فلا تذكره لأحد"[3].

قال الزجاج:" معناه: يا يوسف اكتم هذا الأمر ولا تذكره... ويروى أنه كان قليل الغيرة"[4].

قال الطبري:" وهذا فيما ذكر عن ابن عباس، خبرٌ من الله تعالى ذكره عن قِيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف.. يقول: أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما راودتك عليه، فلا تذكره لأحد"[5].

قال ابن كثير:" ثم قال آمرا ليوسف ، عليه السلام ، بكتمان ما وقع : يا { يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}، أي : اضرب عن هذا الأمر صفحا ، فلا تذكره لأحد "[6].

عن قتادة، قوله: "{يوسف أعرض عن هذا}: الأمر والحديث"[7].

عن ابن زيد:" {يوسف أعرض عن هذا}، قال: لا تذكره"[8].

وفي قوله تعالى:{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [يوسف : ٢٩]، وجهان[9]:

أحدهما : أعرض عن هذا الأمر، قاله قتادة[10]، على وجه التسلية له في ارتفاع الإثم .

الثاني : أعرض عن هذا القول، قاله ابن زيد[11]، على وجه التصديق له في البراءة من الذنب .

قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ} [يوسف : ٢٩]، أي:" واطلبي -أيتها المرأة- المغفرة لذنبك"[12].

قال ابن كثير:" يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها؛ لأنها رأت ما لا صبر لها عنه، فقال لها:{ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ}، أي : الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ، ثم قَذْفه بما هو بريء منه ، استغفري من هذا الذي وقع منك"[13].

عن ابن زيد:" {واستغفري} أنت زوجك، يقول: سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذي أذنبتِ، وأن يصفح عنه فيستره عليك"[14].

عن السدي :"{واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين}، يقول: لا تعودن لذنبك"[1].

---

[1] انظر: النكت والعيون:٣/٢٩.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥١٥):ص٧/٢١٣٠.
[3] التفسير الميسر:٢٣٨.
[4] معاني القرآن:٣/!٤٠.
[5] تفسير الطبري:١٦/٦٠.
[6] تفسير ابن كثير:٤/٣٨٤.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥١٦):ص٧/٢١٣٠.
[8] أخرجه الطبري(١٩١٣٦):ص١٦/٦١.
[9] انظر: النكت والعيون:٣/٢٩.
[10] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥١٦):ص٧/٢١٣٠.
[11] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥١٧):ص٧/٢١٣٠.
[12] التفسير الميسر:٢٣٨.
[13] تفسير ابن كثير:٤/٣٨٤.
[14] أخرجه الطبري(١٩١٣٦):ص١٦/٦١.

قوله تعالى:{إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف : ٢٩]، أي:" إنك كنتِ من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افترائك عليه"[٢].

قال الطبري:" يقول: إنك كنت من المذنبين في مراودة يوسف عن نفسه"[٣].

قال الماوردي:" يعني: من المذنبين ، يقال لمن قصد الذنب خَطِىءَ ، ولمن لم يقصده أخطأ ، وكذلك في الصوب والصواب ، قال الشاعر[٤]:

لَعَمْرُكَ إِنَّمَا خَطَئِي وَصَوْبِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالي

وقال :{من الخاطئين}، ولم يقل :«من الخاطئات»، لتغليب المذكر على المؤنث"[٥].

فوائد الآيات:[٢٦-٢٩]:

١- مشروعية الدفاع عن النفس ولو بما يسي إلى الخصم.

٢- إكرام الله تعالى لأوليائه حيث أنطق طفلا في المهد فحكم ببراءة يوسف.

٣- تقرير أن كيد النساء عظيم وهو كذلك.

٤- استحباب الستر على المسيء وكراهية إشاعة الذنوب بين الناس.

القرآن

{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠)} [يوسف : ٣٠]

التفسير:

ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به، وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ حبها له شَغَاف قلبها -وهو غلافه-، إنا لَنراها في هذا الفعل لفي ضلال واضح.

قوله تعالى:{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف : ٣٠]، أي:" قال جماعة من النساء في مدينة مصر امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها"[٦].

قال الطبري:" قول تعالى ذكره: وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر، وشاع من أمرهما فيها ما كان، فلم ينكتم، وقلن: {امرأة العزيز تراود فتاها} عبدها {عن نفسه}"[٧].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة ، وهي مصر ، حتى تحدث الناس به،{ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ} مثل نساء الأمراء والكبراء ، ينكرن على امرأة العزيز ، وهو الوزير، ويعبن ذلك عليها:{ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ }،أي : تحاول غلامها عن نفسه ، وتدعوه إلى نفسها"[٨].

قال محمد بن إسحاق:" وشاع الحديث في القرية، وتحدث النساء بأمره وأمرها، وقلن: {امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه}، أي: عبدها"[٩].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٢٠):ص٢١٣١/٧.

[٢] التفسير الميسر:٢٣٨.

[٣] تفسير الطبري:٦١/١٦.

[٤] البيت لأوس بن غلفاء، انظر: نوادر أبي زيد: ٤٧، طبقات فحول الشعراء: ١٤٠، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢٤١، اللسان (صوب) ، من أبيات يقولها لامرأته: ألا قالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غُوْلٍ: ... تَقَطَّعَ بِابنِ غَلْفاء الحِبالُ
ذَريني إنَّما خَطَئِي وصَوْبي ... .
فَإنْ تَرَنِي أُمَامَة قَلَّ مالِي ... وَأَلْهانِي عَنِ الغَزْوِ ابْتِذَالُ
فَقَدْ أَلْهُو مَعَ النَّفَرِ النَّشَاوَى ... لِيَ النَّسَبُ المُوَاصَلُ والخِلالُ.

[٥] النكت والعيون٢٩/٣. وانظر: تفسير الطبري:٦١/١٦-٦٢.

[٦] انظر: صفوة التفاسير:٤٤/٢، والتفسير الميسر:٢٣٨.

[٧] تفسير الطبري:٦٢/١٦.

[٨] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٤-٣٨٥.

[٩] أخرجه الطبري(١٩١٣٧):ص٦٢/١٦.

قال الماوردي:" قلن ذلك ذماً لها وطعناً فيها وتحقيقاً لبراءة يوسف وإنكاراً لذنبه"[١].

و«العزيز»: الملك في كلام العرب، مأخوذ من عزته، ومنه قول أبى داؤد[٢]:

دُرّةٌ غَاصَ عليها تَاجِرٌ جُلِبَت عند عَزِيزٍ يَوْمَ طَل [٣]

قال أبو حيان:" «الفتى» : الغلام، وعرفه في المملوك- وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي»[٤]، ولكنه قد يقال في غير المملوك، ومنه: {إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ} [الكهف: ٦٠] وأصل «الفتى» في اللغة الشاب، ولكن لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى"[٥].

قوله تعالى:{قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} [يوسف : ٣٠]، أي:" قد بلغ حبُّه شَغَاف قلبها"[٦].

قال ابن عباس:" يقول: عَلّقها حبًّا"[٧].

قال عكرمة:" دخل حبه تحت الشَّغاف"[٨].

قال مجاهد:" دخل حبه في شَغافها"[٩].

قال الشعبي:: "«المشغوف»: المحب، و«المشعوف»، المجنون"[١٠].

قال الحسن:" قد بطنَها حبًّا"[١١].

وعن أبي رجاء والحسن: "{قد شغفها حبًّا}، قال أحدهما: قد بَطَنَها حبًّا. وقال الآخر: قد صَدَقها حبًّا"[١٢].

قال قتادة:" استبطنها حبها إياه"[١٣].

قال الضحاك:" هو الحب اللازق بالقلب"[١٤]. وفي رواية:" هلكت عليه حبًّا، و"الشَّغَاف": شَغَاف القلب"[١٥].

قال الطبري:" يقول قد وصل حبُّ يوسف إلى شَغَاف قلبها فدخل تحته، حتى غلب على قلبها"[١٦].

قال ابن كثير:" أي قد : وصل حبه إلى شغاف قلبها. وهو غلافه"[١٧].

وفي «شغاف القلب»، خمسة أقوال :

أحدها : أنه حجاب القلب، قاله ابن عباس[١].

---

[١] النكت والعيون:٣٠/٣.

[٢] البيت لأبي دؤاد، وقيل: لأبي داود جارية بن الحجاج، وقيل: جويرية، وقيل: حنظلة، شاعر جاهلي. انظر: "خزانة الأدب" ٩/ ٥٩٠، و"الشعر والشعراء" ص ١٤٠.

والبيت من الرمل ونسبه الواحدي في التفسير البسيط:٨٧/١٢ إلى أبي دؤاد، ونسب إليه أيضاً في الطبري ١٢/ ١٩٨، ورواية البيت في تلك المصادر:« جُلِبَت يَوْمَ عَزِيز»، وفي تفسير الثعلبي ٧/ ٧٨ أ، فيها: (جلبت عند عزيز ...) وفي "النكت والعيون" ٣/ ٣٠، و"مجمع البيان" ٥/ ٣٥٠.

[٣] انظر: تفسير الطبري:٦٢/١٦، والنكت والعيون:٣٠/٣.

[٤]أخرجه أحمد (٣١٦/٢، رقم ٨١٨٢) ، والبخارى (٩٠١/٢، رقم ٢٤١٤) ، ومسلم (١٧٦٥/٤، رقم ٢٢٤٩). ٢٢٤٩).

[٥] البحر المحيط:٢٣٧/٣.

[٦] صفوة التفاسير:٤٤/٢.

[٧] أخرجه الطبري(١٩١٤٣):ص٦٤/١٦.

[٨] أخرجه الطبري(١٩١٣٨):ص٦٣/١٦.

[٩] أخرجه الطبري(١٩١٣٩):ص٦٣/١٦.

[١٠] أخرجه الطبري(١٩١٤٥):ص٦٤/١٦.

[١١] أخرجه الطبري(١٩١٤٧):ص٦٤/١٦.

[١٢] أخرجه الطبري(١٩١٤٦):ص٦٤/١٦.

[١٣] أخرجه الطبري(١٩١٥٢):ص٦٥/١٦.

[١٤] أخرجه الطبري(١٩١٥٥):ص٦٥/١٦.

[١٥] أخرجه الطبري(١٩١٥٦):ص٦٥/١٦.

[١٦] تفسير الطبري:٦٣/١٦.

[١٧] تفسير ابن كثير:٣٨٥/٤.

الثاني : أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب وربما سميت لباس القلب ، قاله السدي[2]، وسفيان[3].
الثالث : أنه باطن القلب ، قاله الحسن[4].
وقيل: "هو حبة القلب"[5].
وقال أبو علي الفارسي:" وسط القلب"[6].
الرابع : أنه ما يكون في الجوف ، قاله الأصمعي[7].
الخامس : هو الذعر والفزع الحادث عن شدة الحب، قاله إبراهيم[8].
قال الطبري:" «شَغَاف القلب»: حجابه وغلافه الذي هو فيه، وإياه عنى النابغة الذبياني بقوله[9]:

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ   دُخُولَ شَغَافٍ تَبْتَغِيهِ الأصَابِع"[10]

قال أبو حيان:" شَغَفَها معناه: بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف، وهو على أكثر القول غلاف من أغشية القلب "[11].
وقد قرىء في الشواذ عن ابن محيصن:«قد شعفها حباً»، بالعين غير معجمة، واختلف في الفرق بينهما على قولين[12]:
أحدهما : أن «الشغف» بالغين معجمة هو الجنون، وبالعين غير معجمة هو الحب، قاله الشعبي[13].
والثاني : أن «الشغف» بالإعجام: الحب القاتل ، والشعف بغير إعجام دونه، قاله ابن عباس[14]، وقال أبو ذؤيب[15]:

فلا وجْدَ إلا دُون وجْدٍ وجَدته   أصاب شغافَ القلب والقلبُ يشغف

قوله تعالى:{إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف : ٣٠]، أي:" إنا لنعتقد أنها في ضلال عن طريق الرشد واضح بسبب حبها إيّاه"[16].
قال الطبري:" قلن: إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه، وغلبة حبه عليها، لفي خطأ من الفعل، وجَوْر عن قصد السبيل {مبين}، لمن تأمله وعلمه أنه ضلال، وخطأ

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٥٢٣):ص٢١٣١/٧.
(٢)انظر: تفسير الطبري(١٩١٥٧):ص٦٥/١٦-٦٦ .
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٥٢٨):ص٢١٣١/٧-٢١٣٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣٠/٣، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني:٤٥٧.
(٥) النكت والعيون:٣٠/٣.
(٦)المفردات في غريب القرآن للأصفهاني:٤٥٧.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣٠/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٩١٦٢):ص٦٧/١٦.
(٩)ديوانه: ٣٨، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٣٠٨، وغيرهما، مع اختلاف في روايته، وقبله:
عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ ؟
و"الأصابع" يعني أصابع الأطباء. وجعله الطبري من" الشغاف" بالفتح، واللغويون يجعلونه من" الشغاف" (بضم الشين"، وهو داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن. وإذا اتصل بالطحال قتل صاحبه. وهذا أجود الكلاميين.
(١٠) تفسير الطبري:٦٣/١٦.
(١١) البحر المحيط:٢٣٧/٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٣٠/٣-٣١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٩١٤٥):ص٦٤/١٦.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٥٢٣):ص٢١٣١/٧.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٣١/٣، وتفسير السمعاني: ٢٥/٣، .
(١٦) صفوة التفاسير:٤٤/٢.

غير صواب ولا سداد. وإنما كان قيلهنّ ما قلن من ذلك، وتحدُّثهن بما تحدَّثن به من شأنها وشأن يوسف، مكرًا منهن، فيما ذكر، لتريَهُنَّ يوسف"[١].

عبد الصمد بن محمد العباد اني، قال: "سمعت أبي يقول قال رجل ليوسف يعني: النبي ﷺ: إني أحبك فقال له يوسف: لا أريد أن يحبني أحد غير الله، من حب أبي ألقيت في الجب، ومن حب امرأة العزيز ألقيت في السجن"[٢].

الفوائد:

١- بيان طبيعة الإنسان في حب الإطلاع وتتبع الأخبار.

٢- ومن الفوائد: أنه سمى بعض خلقه عزيزاً، فقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء كتسمية الملك بـ«العزيز»، كما في قوله تعالى:{امْرَأَتُ الْعَزِيزِ}.

٣- ومنها: أن الاستعمال اللغوي لكلمة «الفتى» بالعربية تعني «عبد»، إذ يُسمَّى العبدُ والأمةُ :فتًى وفتاة[٣].

القرآن

{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)} [يوسف : ٣١]

التفسير:

فلما سمعت امرأة العزيز بغِيْبتهن إياها واحتيالهن في ذمِّها، أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها، وهيَّأت لهن ما يتكئن عليه من الوسائد، وما يأكلنه من الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا ليُقَطِّعن الطعام، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمنه وأجللنه، وأخَذَهن حسنه وجماله، فجرحن أيديهن وهن يُقَطِّعن الطعام من فرط الدهشة والذهول، وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر؛ لأن جماله غير معهود في البشر، ما هو إلا مَلَك كريم من الملائكة.

قوله تعالى:{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" فلما سمعت امرأة العزيز بغِيْبتهن إياها واحتيالهن في ذمِّها"[٤].

عن قتادة، قوله: "{فلما سمعت بمكرهن}، أي: بحديثهن"[٥].

عن السدي: "{فلما سمعت بمكرهن}، يقول: بقولهن"[٦].

قال ابن إسحاق:" لما أظهر النساء ذلك، من قولهن: تراود عبدها! مكرًا بها لتريهن يوسف، وكان يوصف لهن بحُسنه وجماله؛ {فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ}"[٧].

قوله تعالى:{أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها"[٨].

عن قتادة: "{ أرسلت إليهن}، يقول: أرسلت إلى النسوة اللاتي تحدثن بشأنها وشأن يوسف"[٩].

---

[١] تفسير الطبري:٦٨/١٦.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٣٠):ص٢١٣٢/٧.

[٣] انظر: اللسان، مادة "فتا".

[٤] التفسير الميسر:٢٣٩.

[٥] أخرجه الطبري(١٩١٦٦):ص٦٩/١٦.

[٦] أخرجه الطبري(١٩١٦٤):ص٦٩/١٦.

[٧] أخرجه الطبري(١٩١٦٥):ص٦٩/١٦.

[٨] التفسير الميسر:٢٣٩.

[٩] أخرجه الطبري(١٩١٦٦):ص٦٩/١٦.

قوله تعالى:{وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً} [يوسف : ٣١]، أي:" هيأت لهنَّ ما يتكئن عليه من الفرش والوسائد"[١].

قال ابن عباس:" وهيأت لهن متكئا"[٢].

قال الطبري:" يعني: مجلسًا للطعام، وما يتكئن عليه من النمارق والوَسائد"[٣].

وفي «المُتْكَأ» ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه المجلس، قاله ابن عباس[٤].

وعن الحسن أنه كان يقرأ: "«مُتَّكَآءً»، ويقول: هو المجلس والطعام"[٥].

وعن السدي، قوله: "{وأعتدت لهن متكأ} يتكين عليه، وآتت كل واحدة منهن سكينا وأترنجا يأكلنه"[٦].

والثاني : أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها ، قاله أبو عبيدة[٧]، والسدي .

قال الطبري:" حكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة، ثم قال: والفقهاء أعلم بالتأويل منه. ثم قال: ولعله بعضُ ما ذهب من كلام العرب، فإنّ الكسائي كان يقول: قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله، والقول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة، كما قال أبو عبيد لا شك فيه، غير أن أبا عبيدة لم يُبْعد من الصواب في هذا القول، بل القول كما قال: مِن أن مَن قال للمتكأ: هو الأترج، إنما بيَّن المعدَّ في المجلس الذي فيه المتكأ، والذي من أجله أعطين السكاكين، لأن السكاكين معلومٌ أنها لا تعدُّ للمتكأ إلا لتخريقه! ولم يعطين السكاكين لذلك"[٨].

الثالث : أنه الطعام، قاله الحسن[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، وعكرمة[١١]، ومجاهد[١٢]، وقتادة-في إحدى الروايات-[١٣]، وعطية[١٤]، والسدي-في إحدى الروايات-[١٥]، وابن زيد[١٦]، ومحمد بن إسحاق[١٧]. وهو مأخوذ من قول العرب: اتكأنا عند فلان، أي: طعمنا عنده ، وأصله أن من دعي إلى طعام أُعد له متكأ فسمي الطعام بذلك متكأ على الاستعارة .

فعلى هذا، أيّ الطعام هو ؟ فيه أربعة أقوال:

أحدها : أنه الزُّماورد ، قاله الضحاك[١٨].

الثاني : أنه الأترج، قاله ابن عباس[١٩]، والضحاك[٢٠]، والسدي[١]، وأبو عبدالله الشقري[٢]، وهو وتأويل من قرأها مخففة غير مهموزة.

---

[١] صفوة التفاسير:٤٤/٢.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٣٣):ص٢١٣٢/٧.

[٣] تفسير الطبري:٦٩/١٦.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩١٦٩):ص٧٠/١٦.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٠):ص٧٠/١٦.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٤٤):ص٢١٣٤/٧.

[٧]انظر: مجاز القرآن: ١/ ٣٠٩.

[٨] تفسير الطبري:٧١/١٦.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٧):ص٧٢/١٦.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٩):ص٧٢/١٦.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٩١٩١):ص٧٣/١٦.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩١٨٢):ص٧٢/١٦.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٩١٨٩):ص٧٣/١٦.

[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٦):ص٧٢/١٦.

[١٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١٣٢/٧. حكاه دون ذكر الاسناد.

[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٥):ص٧٤/١٦.

[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٣):ص٧٣/١٦.

[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٢):ص٧٠/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٥٤٠)، و(١١٥٤١):ص٢١٣٣/٧.

[١٩] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٣)، و(١٩١٧٤):ص٧١/١٦.

[٢٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٣٦):ص٢١٣٢/٧.

قال أبو عبدالله الشقري:" عبد الله الشقري، قال: متكأ بكلام الحبش يسمون الترنج متكئا"[3].

وقال ابن زيد:"وأعطتهن تُرنجًا وعسلا فكن يحززن الترنج بالسكين، ويأكلن بالعسل"[4].

و«المتْك» في كلامهم الأترج ، قال الشاعر[5]:

نَشْرَبُ الإثمَ بالصُّواعِ جِهاراً   وترى المُتْكَ بيننا مُسْتعارا

عن عوف، قال: "حدثت عن ابن عباس أنه كان يقرؤها:«مُتْكًا»، مخففة، ويقول: هو الأترُجّ"[6].

قال عبد الله بن يزيد: "من قرأ:«مُتْكاً»، خفيفة، يعني: طعامًا. ومن قرأ «مُتَّكَأً»، يعني المتكأ"[7].

الثالث : أنه كل ما يجز بالسكين. وهو قول عكرمة[8]، والضحاك[9].

قال الماوردي:"لأنه في الغالب يؤكل على متكأ"[10].

الرابع : أنه كل الطعام والشراب على عمومه ، وهو قول سعيد بن جبير[11]، وقتادة[12].

قوله تعالى:{وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا} [يوسف : ٣١]، أي:" وأعطت كل واحدة منهن سكينًا ليُقَطِّعن الطعام"[13].

قال ابن عباس:" كانت سنتهم إذا وضعوا المائدة أعطي كل إنسان منهم سكينا يأكل بها"[14].

قوله تعالى:{وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" قالت ليوسف: اخرج عليهن"[15].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقالت امرأة العزيز ليوسف: {اخرج عليهن}، فخرج عليهن يوسف"[16].

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن دريد بن مجاشع عن بعض أشياخه، قال:"{وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا}، قالت للقيم: أدخله عليهن وألبسه ثيابا بيضاء، فإن الجميل أحسن ما يكون في البياض، قال فأدخله عليهن، وهن يحززن ما في أيديهن، فلما رأينه حززن أيديهن، وهن لا يشعرن من النظر إليه فنظرن إليه مقبلا، ثم أومأت إليه أن ارجع فنظرن إليه مدبرا، وهن يحززن أيديهن بالسكاكين، لا يشعرن بالوجع من نظرهن إليه فلما خرج نظرن إلى

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٧):ص٧٤/١٦.
[2] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٣٥):ص٢١٣٢/٧.
[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٣٥):ص٢١٣٢/٧.
[4] أخرجه الطبري(١٩٢٠٠):ص٧٤/١٦.
[5] البيت غير منسوب في لسان العرب (أثم): ص (١٢/ ٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، وتاج العروس (أثم). والمتك: الأترج.
[6] أخرجه الطبري(١٩١٧٥):ص٧١/١٦-٧٢.
[7] أخرجه الطبري(١٩١٧١):ص٧٠/١٦.
[8] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٤٢):ص٢١٣٢/٧.
[9] انظر: تفسير الطبري(١٩١٩٦):ص٧٤/١٦.
[10] النكت والعيون:٣٢/٣.
[11] انظر: تفسير الطبري(١٩١٧٩):ص٧٢/١٦.
[12] انظر: تفسير الطبري(١٩١٨٩):ص٧٣/١٦.
[13] التفسير الميسر:٢٣٩.
[14] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٥٤٦):ص٢١٣٤/٧.
[15] التفسير الميسر:٢٣٩.
[16] تفسير الطبري:٧٥/١٦.

أيديهن، وجاء الوجع فجعلن يولولن، وقالت لهن: أنتن من ساعة واحدة هكذا صنعتن فكيف أصنع أنا؟ {قلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم}"[١].

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} [يوسف : ٣١]، أي:" فلما رأينه أعظمنه وأجللنه"[٢].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللْنه"[٣].

وفي قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} [يوسف : ٣١]، ثلاثة اقوال:

أحدها : معناه أعظمنه ، قاله ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، والسدي[٧] وابن زيد[٨].

الثاني : معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٩].

الثالث : معناه : حضن عند رؤيته ، وهو قول رواه عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس[١٠].

وقيل : إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت ، وقد يسمى الحيض إكباراً ، قال الشاعر[١١]:

نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا

قال الطبري:" فالهاء التي في{أكبرنه}، من ذكر يوسف، ولا شك أن من المحال أن يحضنَ يوسف. ولكن الخبر، إن كان صحيحًا عن ابن عباس على ما روي، فخليقٌ أن يكون كان معناه في ذلك أنهن حضن لِمَا أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك"[١٢].

قوله تعالى:{وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف : ٣١]، أي:" فجرحن أيديهن وهن يُقَطِّعن الطعام من فرط الدهشة والذهول"[١٣].

وفي قطع أيديهن وجهان[١٤]:

أحدهما : أنهن قطعن أيديهن حتى بانت. قاله مجاهد[١٥]، وقتادة[١٦].

الثاني : أنهن جرحن أيديهن حتى دميت، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها. وهذا قول ابن عباس[١٧]، ومجاهد[١٨]، وقتادة[١]، والسدي[٢]، وابن زيد[٣]، وابن إسحاق[٤].

---

[١] تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٥٠):ص٢١٣٤/٧-٢١٣٥.
[٢] التفسير الميسر:٢٣٩.
[٣] تفسير الطبري:٧٥/١٦.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٩):ص٧٦/١٦.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠١)-(١٩٢٠٣):ص٧٥/١٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٤):ص٧٦/١٦.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٥):ص٧٦/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٧):ص٧٦/١٦.
[٩] انظر: النكت والعيون:٣٢/٣.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٠٨):ص٧٦/١٦.
[١١] اللسان، "كبر".
وذكر أبو منصور الأزهري، عن أبي الهيثم أنه قال:" سألت رجلا من طيئ فقلت: يا أخا طيئ، ألك زوجة؟ قال: لا والله ما تزوجت، وقد وعدت في ابنة عم لي. قلت: ما سنها؟ قال: قد أكبرت = أو: كبرت = قلت: ما أكبرت؟ قال: حاضت". قال: الأزهري:" وإن صحت هذه اللفظة في اللغة بمعنى الحيض، فلها مخرج حسن. وذلك أن المرأة أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر، فقيل لها: أكبرت، أي: حاضت فدخلت في حد الكبر الموجب عليها الأمر والنهي.
[١٢] تفسير الطبري:٧٧/١٦.
[١٣] التفسير الميسر:٢٣٩.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٣٣/٣.
[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٢٢):ص٧٩/١٦.
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٢٣):ص٧٩/١٦.
[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٩):ص٧٨/١٦.
[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٢)-(١٩٢١٤):ص٧٧/١٦-٧٨.

قال ابن عباس:" جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج"[٥].

قال السدي:" كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج، فقطعن أيديهنّ، وسالت الدماء، فقلن: نحن نلومك على حبّ هذا الرجل، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء!"[٦].

قال ابن زيد:" قال ابن زيد: جعلن يحززن أيديهن بالسكين، ولا يحسبن إلا أنهن يحززن الترنج، قد ذهبت عقولهن مما رأين! "[٧].

قال ابن إسحاق:" قالت ليوسف: {اخرج عليهن}، فخرج عليهن، {فلما رأينه أكبرنه}، وغلبت عقولهن عجبًا حين رأينه، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن، ما يعقلن شيئًا مما يصنعن، {وقلن حاش لله ما هذا بشرًا}"[٨].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عنهن أنهن قطَّعن أيديهن وهن لا يشعرن لإعظام يوسف، وجائز أن يكون ذلك قطعًا بإبانة، وجائز أن يكون كان قطع حزّ وخدش، ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل"[٩].

عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: "أعطي يوسف وأمه شَطْرَ الحسن"[١٠].

قال عبدالله:" أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن"[١١].

وفي رواية:" أعطي يوسف وأمه ثلث حسن الخلق"[١٢].

عن الحسن، أن النبي ﷺ قال: "أعطي يوسف وأمه ثلث حُسن أهل الدنيا، وأعطي الناس الثلثين، أو قال: أعطي يوسف وأمه الثلثين، وأعطي الناس الثلث"[١٣].

عن الحسن:"أعطي يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا، وأعطي الناس الثلثين"[١٤].

عن ربيعة الجرشي، قال: "قسم الحسن نصفين، فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن، والنصف الآخر بين سائر الخلق"[١٥].

قوله تعالى:{وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا} [يوسف : ٣١]، أي:" وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر"[١٦].

وقرىء: «ما هذا بشراً»، بكسر الباء والشين، أى: ما هذا عبداً مشترى[١٧].

وقرأ بعض البصريين :«حَاشَى لله»، بإثبات الياء[١٨].

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف : ٣١]، أي:" ما هو إلا مَلَك كريم من الملائكة"[١٩].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٨):ص٧٨/١٦.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٥)، و(١٩٢١٦):ص٧٨/١٦.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٢١٧):ص٧٨/١٦.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٢١):ص٧٩/١٦.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٢١٩):ص٧٨/١٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٩٢١٦):ص٧٨/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٢١٧):ص٧٨/١٦.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٢٢١):ص٧٩/١٦.
[٩] تفسير الطبري:٧٩/١٦.
[١٠] أخرجه الطبري(١٩٢٢٨):ص٨٠/١٦.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٢٢٤):ص٧٩/١٦.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٢٢٧):ص٨٠/١٦.
[١٣] أخرجه الطبري(١٩٢٢٩):ص٨٠/١٦-٨١.
[١٤] أخرجه الطبري(١٩٢٣٣):ص٨١/١٦.
[١٥] أخرجه الطبري(١٩٢٣٠):ص٨١/١٦.
[١٦] التفسير الميسر:٢٣٩.
[١٧] انظر: النكت والعيون:٣٣/٣.
[١٨] انظر: تفسير الطبري:٨١/١٦.
[١٩] التفسير الميسر:٢٣٩.

قال أهل العلم:" وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر"[١].

جاء في شرح الطحاوية:" قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركوز في النفس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر على الأفعال الهائلة، خصوصا العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"[٢].

قال السيوطي:" فالمراد من هذا التشبيه إما تشبيه يوسف بالملك في صورته أو في سيرته، والثاني أولى لأنه شبهه بالملك الكريم والملك إنما يكون كريما بالسيرة لا بالصورة فثبت أن المراد تشبيهه بالملك في نفي دواعي الشهوة ونفي الحرص على طلب اللذات الحسية، وإثبات ضد ذلك، وهي صفة الملائكة، وهي غض البصر ومنع النفس عن الميل إلى المحرمات، فدلت هذه الآية على إطباق العقلاء من الرجال والنساء والمؤمن والكافر على اختصاص الملائكة بالدرجات الفائقة على درجات البشر، فإن قيل: قول المرأة {فَذَلِكَ الذَي لُمتُنَنَي فِيهِ} [يوسف: ٣٢]، يقتضي أن يكون تشبيه يوسف بالملك إنما وقع في الصورة لا في السيرة لأن ظهور عذرها في شدة عشقها له يحتمل أن يكون لسبب غاية زهده، لأن الإنسان حريص على ما منع، وكلما كان إعراض المعشوق اكثر كان شدة عشق العاشق أكثر "[٣].

الفوائد:

١- رغبة الإنسان في الثأر لكرامته، وما يحميه من دم أو مال أو عرض.
٢- تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: فلما رأينه أكبرنه وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ}[٤].
٣- استدل البعض بهذه الآية على تفضيل الملائكة، قال السيوطي:" ومنها :تشبيه يوسف بالملك في قوله تعالى (إنَّ هَذا إلاّ مَلَكٌ كَرِيم) [يوسف: ٣١] والمشبه بالشيء دونه"[٥].

والخلاف في المسألة قديم:

قال ابن كثير: " قد اختلف الناس في تفصيل الملائكة على البشر على أقوال: فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص: " أنّه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة، فقال عمر: ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم، واستدل بقوله تعالى: (إنَّ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات أولئك هم خير البريَّة) [البينة: ٧] . ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد. فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من ملائكته، هم خدمة دارَيْه، ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى: (ما نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عن هذه الشَّجرة إلاَّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) [الأعراف: ٢٠] .

فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: قد أكرم الله آدم فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعل من ذريته الأنبياء، والرسل ومن يزوره الملائكة. فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله "[٦].

---

[١] كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء:١٠١.
[٢] شرح الطحاوية، تح: جماعة من العلماء:٣٠٧.
[٣] الحبائك في أخبار الملائك: ٢٢١-٢٢٢.
[٤] انظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر: ١٢.
[٥] الحبائك في أخبار الملائك:٢٣٦.
[٦] البداية والنهاية:٥٨/١.

وهذا الذي ذكره ابن كثير من كلام عمر بن عبد العزيز وجلسائه في هذه المسألة يبين الخطأ ما قاله تاج الدين الفزاري، حيث يقول: " هذه المسألة من بدع علم الكلام، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة "[١]، بل قد ثبت أن بعض الصحابة تكلموا في شيء من ذلك، فهذا عبد الله بن سلام يقول: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد. فقيل له: ولا جبريل ولا ميكائيل؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ»[٢] "[٣].

فإن الملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقد خلقهم الله وجبلهم على طاعته وعبادته ، فمنهم الموكل بالوحي ، ومنهم الموكل بالأرزاق ، ومنهم الموكل بالجبال ، ومنهم المخلوق للعبادة والصلاة والتسبيح وذكر الله.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ"[٤].

وفي حديث الإسراء : "فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ"[٥].

وروى الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما ، ثم قرأ : {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ }"[٦].

ومثل هذه العبادة لا يطيقها بشر ، ولا يقدرون عليها ، والملائكة لا يفترون ولا يسأمون ، كما قال تعالى : { فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ }[فصلت: ٣٨]، والبشر ركبت فيهم الطبيعة البشرية ، بما فيهم أنبياء الله ورسله صلى الله عليهم وسلم ، فهم يختلفون عن الملائكة في صفاتهم وطبائعهم. فالملائكة يقدرون في العبادة على ما لا يقدر عليه بشر .

لكن ذلك لا يعني أنهم خير من الأنبياء ، لأن عبادتهم أعظم أو أكثر ؛ فالأنبياء بحكم كونهم بشرا ، وفيهم طبيعة البشر ، لما ارتفعوا إلى ذلك المقام العالي في طاعة ربهم ، كانت لهم فضيلة خاصة ، ومقام عظيم ، حتى ذهب غير واحد من أهل العلم إلى أن صالحي البشر أفضل مقاما من الملائكة ، لأن الملائكة ليس عندهم نوازع للشر أو العصيان ، وأما صالحو البشر فعندهم هذه النوازع ، غير أنهم يغالبونها ، ويقهرونها في طاعة الله.

قال ابن القيم رحمه الله : "إن الله سبحانه يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها ، وهذا من كمال قدرته سبحانه ، ولهذا كان محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح والرسل أفضل من الملائكة ، ومذهب أهل السنة أن صالحي البشر أفضل من الملائكة ، وإن كانت مادتهم نورا ، ومادة البشر ترابا " انتهى من "[٧].
"[٧].

---

[١]شرح العقيدة الطحاوية: ٣٣٩.
[٢]رواه الحاكم في مستدركه وصححه هو والذهبي.
[٣] انظر: تحقيق الألباني على شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٣٤٢.
[٤] رواه الترمذي (٢٣١٢) وحسنه الالباني في صحيح الترمذي.
[٥]رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).
[٦] تفسير الطبري (١٢٧/٢١) وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٠٥٩).
[٧]الصواعق المرسلة:٣ /١٠٠٢.

وقال أيضا : " صالح البشر أفضل من الملائكة ، لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية ، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق ، وهي كالنفَس للحي . وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس ، وقمع الشهوات ومخالفة دواعي الطبع فكانت أكمل ، ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم على الملائكة لهذا المعنى ولغيره " [1].

وهناك من فصل تفصيلا آخر في المسألة ، فقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من البشر محل خلاف بين أهل العلم ، وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص ، ولكن القول الراجح أن يقال : إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية ، فإن الله سبحانه وتعالى يؤدي لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم ، بل إن الملائكة في مقرهم- أي : في مقر الصالحين ، وهو الجنة - يدخلون عليهم من كل باب يهنئونهم : {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد : ٢٤].

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل ؛ لأنهم خلقوا من نور ، وجبلوا على طاعة الله عز وجل والقوة عليها ، كما قال الله تعالى في الملائكة ملائكة النار : {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]، وقال عز وجل : {وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء:١٩-٢٠]. هذا هو القول الفصل في هذه المسألة.

وبعدُ : فإن الخوض فيها ، وطلب المفاضلة بين صالح البشر والملائكة ، من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به "[2].

يتضح بأن هذه المسألة وأشباهها لا حاجة للعبد في الخوض فيها والنزاع فيها من فضول العلم ، ولا ضرورة على المسلم في معرفة الأفضل والأكمل منهم عليهم السلام، والذي ينبغي عليه أن يلتفت إلى صلاح نفسه بطاعة ربه. والله تعالى أعلم.

القرآن

{قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)} [يوسف : ٣٢]

التفسير:

قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطَّعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراءه؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى، ولئن لم يفعل ما آمره به مستقبلا لَيعاقَبَنَّ بدخول السجن، ولَيكونن من الأذلاء.

قوله تعالى:{قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [يوسف : ٣٢]، أي:" قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطَّعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به"[3].

قال القرطبي:" لما رأت افتتانهن بيوسف أظهرت عذر نفسها بقولها:{لمتنني فيه}، أي: بحبه"[4].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف : ٣٢]، أي:" ولقد طلبته وحاولت إغراءه؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى"[5].

قال القرطبي:" أي: أمتنع، وسميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية. وقيل:{استعصم}، أي: استعصى، والمعنى واحد"[1].

---

[1]طريق الهجرتين: ٣٤٩-٣٥٠.
[2]فتاوى نور على الدرب:٨ /٦.
[3] التفسير الميسر:٢٣٩.
[4] تفسير القرطبي:١٨٣/٩.
[5] التفسير الميسر:٢٣٩.

قال الزمخشري:" «الاستعصام»: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها. ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأى واستفحل الخطب. وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان"[٢].

قوله تعالى:{وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف : ٣٢]، أي:" ولئن لم يفعل ما آمره به مستقبلا لَيعاقَبَنَّ بدخول السجن، ولَيكونن من الأذلاء"[٣].

قال الزجاج:" {من الصاغرين}، من المذلين"[٤].

قال القرطبي:" عاودته المراودة بمحضر منهن، وهتكت جلباب الحياء، ووعدت بالسجن إن لم يفعل، وإنما فعلت هذا حين لم تخش لوما ولا مقالا خلاف أول أمرها إذ كان ذلك بينه وبينها"[٥].

الفوائد:

١- رغبة الإنسان في الثأر لكرامته، وما يحميه من دم أو مال أو عرض.

٢- ضعف النساء أمام الرجال، وعدم قدرتهن على التحمل كالرجال.

القرآن

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)} [يوسف : ٣٣]

التفسير:

قال يوسف مستعيذًا مِن شرهن ومكرهن: يا ربِّ السجنُ أحب إليَّ مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أَمِلْ إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف : ٣٣]، أي:" قال يوسف مستعيذًا مِن شرهن ومكرهن: يا ربِّ السجنُ أحب إليَّ مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة"[٦].

قال الزجاج:" المعنى: نزول السجن أحب إلي، {مما يدعونني إليه}، أي: من ركوب المعصية"[٧].

قال الطبري:" قال يوسف: يا رب، الحبس في السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه من معصيتك، ويراودنني عليه من الفاحشة ...وهذا الخبر من الله يدلُّ على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه، وتوعَّدته بالسّجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه، فاختار السجن على ما دعته إليه من ذلك ؛ لأنها لو لم تكن عاودته وتوعَّدته بذلك، كان محالا أن يقول: {ربّ السجن أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه}، وهو لا يدعَى إلى شيء، ولا يخوَّف بحبس"[٨].

قال البيضاوي:" أي: آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه، وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها. أو دعونه إلى أنفسهن، وقيل: إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر"[٩].

---

[١] تفسير القرطبي:١٨٣/٩.
[٢] الكشاف:٤٦٧/٢.
[٣] التفسير الميسر:٢٣٩.
[٤] معاني القرآن:١٠٨/٣.
[٥] تفسير القرطبي:١٨٤/٩.
[٦] التفسير الميسر:٢٣٩.
[٧] معاني القرآن:١٠٨/٣.
[٨] تفسير الطبري:٨٧/١٦-٨٨.
[٩] تفسير البيضاوي:١٦٣/٣.

قال الزمخشري:" وقال ي{دعونني} على إسناد الدعوة إليهن جميعا، لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها، وقلن له: إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار، فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال: رب نزول السجن أحب إلى من ركوب المعصية. فإن قلت: نزول السجن مشقة على النفس شديدة، وما دعونه إليه لذة عظيمة، فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة؟ قلت: كانت أحب إليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله، وفي قبح المعصية، وفي عاقبة كل واحدة منهما، لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها"[١].

قال محمد بن إسحاق:" قال يوسف، وأضاف إلى ربه، واستغاثه على ما نزل به {رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه}، أي: السجن أحبّ إليّ من أن آتي ما تكره"[٢].

عن السدي: "{قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه} : من الزنا"[٣].

وقرئ:«السجن»، بافتح، على المصدر[٤].

قوله تعالى:{وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} [يوسف : ٣٣]، أي:" وإن لم تدفع عني مكرهن أَمِلْ إليهن "[٥].

قال الزجاج:" أي: إلا تعصمني {أصب إليهن}، أي: أمل إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صبوا، وصبيا، وصبا، إذا مال إليه، وقال: {وإلا تصرف عني كيدهن}. . وجائز أن يكون يعني امرأة العزيز وحدها، ألا أنه أراد كيدها وكيد جميع النساء، وجائز أن يكون كيدها وكيد النسوة اللاتي رأين يوسف حين أرتهن إياه"[٦].

قال الطبري:" يقول: وإن لم تدفع عني، يا رب، فعلهن الذي يفعلن بي، في مراودتهن إياي على أنفسهن، أَمِلْ إليهن، وأتابعهن على ما يُرِدن مني ويهوَيْن، من قول القائل:"صَبَا فلان إلى كذا"، ومنه قول الشاعر[٧]:

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي   وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْبِي"[٨]

قال البيضاوي:" وإن لم تصرف عني. كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة. أصب إليهن أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي، والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها"[٩].

قال الزمخشري:" فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته، كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر، لا أن يطلب منه الإجبار على التعفف والإلجاء إليه، {أصب إليهن}: أمل إليهن. والصبوة: الميل إلى الهوى. ومنها: الصبا، لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها"[١٠].

عن ابن إسحاق: "{وإلا تصرف عني كيدهن}، أي: ما أتخوَّف منهن، {أصب إليهن}"[١١].

عن قتادة: "{أصب إليهن} ، يقول: أتابعهن"[١].

---

[١] الكشاف:٤٦٧/٢.

[٢] أخرجه الطبري(١٩٢٤٧):ص٨٨/١٦.

[٣] أخرجه الطبري(١٩٢٤٦):ص٨٨/١٦.

[٤] انظر: الكشاف:٤٦٧/٢.

[٥] التفسير الميسر:٢٣٩.

[٦] معاني القرآن:١٠٨/٣-١٠٩.

[٧] البيت ليزيد بن ضبة الثقفي، انظر: الأغاني ٧: ١٠٢ (دار الكتب) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣١١، من من أبيات له هو مطلعها، وبعده:

وهِنْدٌ غَادَةٌ غَيْدَا ... ءُ مِنْ جُرْثُومَةٍ غُلْبِ

وَمَا إِنْ وَجَدَ النَّاسُ ... مِنَ الأَدْوَاءِ كالحُبِّ.

[٨] تفسير الطبري:٨٨/١٦.

[٩] تفسير البيضاوي:١٦٣/٣.

[١٠] الكشاف:٤٦٧/٢.

[١١] أخرجه الطبري(١٩٢٤٩):ص٨٩/١٦.

وقرئ: «أصب إليهن»، من الصبابة[٢].

قوله تعالى:{وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف : ٣٣]، أي:" وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم"[٣].

قال الطبري:" يقول: وأكن بصبوتي إليهن، من الذين جهلوا حقك، وخالفوا أمرك ونهيك"[٤].

قال الزمخشري:" من الذين لا يعملون بما يعلمون. لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء. أو من السفهاء، لأن الحكيم لا يفعل القبيح"[٥].

قال البيضاوي:أي:"من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح، أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء"[٦].

عن ابن إسحاق: "{وأكن من الجاهلين}، أي: جاهلا إذا ركبت معصيتك"[٧].

الفوائد:

١- إيثار يوسف عليه السلام السجن على معصية الله تعالى وهذه مظاهر الصديقية.
٢- الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ووعده ووعيده وشرعه هو سبب كل الجرائم في الأرض.

القرآن

{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)} [يوسف : ٣٤]

التفسير:

فاستجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله. إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع مِن خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم.

قوله تعالى:{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ} [يوسف : ٣٤]، أي:" استجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله"[٨].

قال البيضاوي:" فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله: وإلا تصرف. فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان"[٩].

قال الزمخشري:" وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء، لأن قوله: {وإلا تصرف عني}، فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف : ٣٤]، أي:" إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع مِن خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم"[١١].

قال الزمخشري والبيضاوي:أي:" {السميع} لدعاء الملتجئين إليه. {العليم}، بأحوالهم وما يصلحهم"[١٢].

الفوائد:

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٢٤٨):ص٨٩/١٦.
[٢] انظر: الكشاف:٤٦٧/٢.
[٣] التفسير الميسر:٢٣٩.
[٤] تفسير الطبري:٨٩/١٦.
[٥] الكشاف:٤٦٧/٢.
[٦] تفسير البيضاوي:١٦٣/٣.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٢٥١):ص٨٩/١٦.
[٨] التفسير الميسر:٢٣٩.
[٩] تفسير البيضاوي:١٦٣/٣.
[١٠] الكشاف:٤٦٧/٢-٤٦٨.
[١١] التفسير الميسر:٢٣٩.
[١٢]الكشاف:٤٦٧/٢-٤٦٨، ونقله البيضاوي بتمامه: تفسير البيضاوي:١٦٣/٣.

١- صح عن النبي يوسف-عليه السلام- أنه قط لم يصب إلى امرأة العزيز.
٢- اثبات اسمين من أسمائه تعالى، وهما:«السميع»، «العليم»:
- فـ«السميع»: هو "الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية البعيد عنده قريب"[١].
وسمعه تعالى نوعان[٢]:
احدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، واحاطته التامة بها.
والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيصيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [إبراهيم:٣٩]، وقول المصلي «سمع الله لمن حمده»، أي: استجاب.
- ومن أسمائه تعالى: «العليم»:هو المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[٣].

القرآن

{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)} [يوسف : ٣٥]

التفسير:

ثم ظهر للعزيز وأصحابه -من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعفته- أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر؛ منعًا للفضيحة.

قوله تعالى:{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف : ٣٥]، أي:" ثم ظهر للعزيز وأهله ومن استشارهم بعد الدلائل القاطعة على براءة يوسف، سجنه إلى مدة من الزمن غير معلومة"[٤].

قال الزمخشري:" أى: ظهر لهم رأى ليسجننه، والضمير في لهم للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها، وفتلها منه في الذروة والغارب[٥] وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها، حتى أنساه ذلك ما عاين عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه وإلحاق الصغار به كما أو عدته به، وذلك لما أيست من طاعته لها، أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها... {حتى حين}، إلى زمان، كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه"[٦].

قال البيضاوي:" ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره، {ليسجننه حتى حين}، وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه، أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين"[٧].

قال مقاتل:" وذلك أنها قالت لزوجها حين لم يطاوعها يوسف: احبس يوسف في السجن لا يلج عليّ، فصدقها فحبسته"[٨].

قال السدي:" قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبدَ العبرانيَّ قد فضحني في الناس، يعتذر إليهم، ويخبرهم أني راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج

---

[١] توضيح الكافية الشافية:١١٨، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي:٢٠٩.
[٢] انظر: الحق الواضح المبين:٣٥، تفسير اسماء الله الحسنى للسعدي:٢١٠.
[٣] انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١/١٨٨.
[٤] صفوة التفاسير:٢/٤٥.
[٥] قوله «وفتلها منه في الذروة»، أى: دورانها من وراء خديعته. [أفاده الصحاح]..
[٦] الكشاف:٢/٤٦٨.
[٧] تفسير البيضاوي:٣/١٦٣.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٣٣٢.

فأعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستَني. فذلك قول الله تعالى: {ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين}"[١].

وفي الآيات التي رأوها وجهان[٢]:

أحدهما :قدَّ القميص من دُبُر، وخمشًا في الوجه، وقَطْعَ أيديهن. قاله ابن عباس[٣].

وقال قتادة:" حزُّهن أيديهن، وقدُّ القميص"[٤].

قال السدي:" القميصُ، وقطع الأيدي"[٥].

وقال مجاهد:" قدُّ القميص من دبر"[٦].

قال ابن إسحاق:" شق قميصه من دُبر"[٧].

الثاني : ما ظهر لهم من عفته وجماله حتى قلن :{ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم}.

وفي قوله تعالى:{لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف : ٣٥]، أربعة أقوال:

أحدها : أن الحين: قد يكون غدوة وعشية. قاله ابن عباس[٨].

والثاني: أن الحين -ها هنا- ستة أشهر ، قاله سعيد بن جبير[٩].

الثالث: أنه سبع سنين ، قاله عكرمة[١٠].

الرابع: أنه زمان غير محدود ، حكاه الماوردي عن أكثر المفسرين[١١].

قال الطبري:" يقول: ليسجننه إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم"[١٢].

وروي عن عكرمة :" نذر رجل أن يقطع يد غلامه، ويحبسه حينا، فسألني عمر بن عبد العزيز عنها فقلت: لا تقطع يده، ويحبسه الحين في سنة مرة، ثم قرأ: ليسجننه حتى حين"[١٣].

قال ابن عباس:" عثر يوسف عليه السلام ثلاثَ عثرات: حين همَّ بها فسجن. وحين قال: {اذكرني عند ربك}، فلبث في السجن بضع سنين، وأنساه الشيطان ذكر ربه. وقال لهم: {إنكم لسارقون} ، فقالوا: {إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل}"[١٤].

قال وهب بن منبه:" لما أتى جبريل يوسف بالبشرى، وهو في السجن، قال: هل تعرفني أيها الصديق؟ قال: أرى صورة طاهرة وروحا طيبا، لا يشبه أرواح الخطائين، قال: فإني رسول رب العالمين، وأنا الروح الأمين، قال: فما الذي أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين، ورأس المقربين، وأمين رب العالمين؟ قال ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرضين، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله، يا طاهر الطاهرين ويا ابن المتطهرين..: إنما يتطهر بفضل طهورك وطهر آبائك المخلصين، قال: كيف تسميني بأسماء الصديقين، وتعدني مع المخلصين الصالحين وقد أدخلت مدخل المذنبين، وسميت بالضالين المفسدين؟ قال: لم يفتن قلبك الحزن، ولم يدرس حرمتك الرق، ولم تطع

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٢٦٤):ص١٦/٩٣.
[٢] انظر: النكت والعيون:٣/٣٤.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٥٣):ص١٦/٩١.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٢٥٩):ص١٦/٩٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٢٦٢):ص١٦/٩٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٩٢٥٥):ص١٦/٩٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٢٦١):ص١٦/٩٢.
[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٨٩):ص٧/٢١٤٠.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٥٩١):ص٧/٢١٤١.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٦٥):ص١٦/٩٤.
[١١] انظر: النكت والعيون:٣/٣٥.
[١٢] تفسير الطبري:١٦/٩٢.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٩١):ص٧/٢١٤١.
[١٤] أخرجه الطبري(١٩٢٦٣):ص١٦/٩٣.

سيدتك في معصية ربك، ولذلك سماك الله بأسماء الصديقين، وعدك مع المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين"[١].

وقرئ« لتسجننه» بالتاء، على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه، و في قراءة ابن مسعود: «عتى حين» بلغة هذيل[٢].

وعن عمر رضى الله عنه :"أنه سمع رجلا يقرأ «عتى حين»، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود. فكتب إليه: إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام"[٣].

الفوائد:

١- دخول يوسف السجن بداية أحداث ظاهرها محرق وباطنها مشرق.

٢- دخول السجن ليس دائما دليلا على أنه بيت المجرمين والمنحرفين إذ دخله صفي الله تعالى يوسف عليه السلام.

٣- ومن الفوائد: أن «البداء» له معنيان[٤]:

أ- الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر:٤٧].

ب- نشأة رأي جديد لم يكن من قبل، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتَّى حِينٍ} [يوسف:٣٥].

والبداء بمعنييه السابقين يستلزم سبق الجهل، وحدوث العلم وكلاهما مُحال علَى الله - عز وجل - فإن علمه تعالى أزلي وأبدي لقوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام:٥٩].

والبداء في الأصل عقيدة يهودية ضالة، وقد وردت في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[٥].

القرآن

{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)} [يوسف : ٣٦]

التفسير:

ودخل السجن مع يوسف فَتَيان، قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عنبًا ليصير خمرًا، وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه، أخبرنا -يا يوسف -بتفسير ما رأينا، إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقه.

قوله تعالى:{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} [يوسف : ٣٦]، أي:" ودخل السجن مع يوسف فَتَيان"[٦].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٥٨٨):ص٧/٢١٤٠.

[٢] انظر: تفسير البيضاوي:١٦٣/٣، والكشاف:٤٦٨/٢.

[٣] الكشاف:٤٦٨/٢.

[٤] انظر: القاموس المحيط» مادة "بدو":ص ٣٠٢/٤.

[٥] انظر: مسائل الإمامة: ص ٧٥ و «مناهل العرفان» : ٧٨/٢ .

ومع ذلك فقد جاء في التوراة: "ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، الإنسان مع البهائم والدبابات وطير السماء لأني ندمت على خلقي لهم" . «الكتاب المقدس» ، الفصل السادس من تكوين التوراة: ص ١٢.

[٦] التفسير الميسر:٢٣٩.

قال البيضاوي:" أي: أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه"[1].

قال ابن إسحاق:" فطرح في السجن - يعني يوسف – {ودخل معه السجن فتيان}، غلامان كانا للملك الأكبر الرّيان بن الوليد، كان أحدهما على شرابه، والآخر على بعض أمره، في سَخْطَةٍ سخطها عليهما، اسم أحدهما: «مجلث» والآخر: «نبو»، و«نبو» الذي كان على الشراب"[2].

قال قتادة:" كان أحدهما خبازًا للملك على طعامه، وكان الآخر ساقيه على شرابِه"[3].

قال السدي:" إن الملك غضب على خبَّازه، بلغه أنه يريد أن يسمّه، فحبسه وحبس صاحب شرابه، ظنَّ أنه مالأه على ذلك. فحبسهما جميعًا ؛ فذلك قول الله: {ودخل معه السجن فتيان}"[4].

قوله تعالى:{قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} [يوسف : ٣٦]، أي:" قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عنبًا ليصير خمرًا"[5].

عن ابن عباس: "{إني أراني أعصر خمرًا}، قال: عنبًا"[6].

قال عكرمة:" أتاه فقال: رأيت فيما يرى النائم أني غرست حَبَلة من عنب، فنبتت، فخرج فيه عناقيد فعصرتهنّ، ثم سقيتهن الملك، فقال: تمكث في السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتسقيه خمرًا"[7].

وفي تسميته خمراً وجهان:

أحدهما : لأن عصيره يصير خمراً فعبر عنه بما يؤول إليه. ذكره الماوردي[8].

الثاني : أن أهل عُمان يسمون العنب خمراً، قاله الضحاك[9].

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {إني أراني أعصر خمرًا}، يقول: أعصر عنبًا، وهو بلغة أهل عمان، يسمون العنب خمرًا"[10].

وقرأ ابن مسعود:«إنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنَبًا»[11].

قال الزجاج:" قال أهل اللغة: الخمر في لغة عمان اسم للعنب، فكأنه قال: أراني أعصر عنبا، ويجوز أن يكون عنى الخمر بعينها، لأنه يقال للذي يصنع من التمر الدبس هذا يعمل دبسا، وإنما يعمل التمر حتى يصير دبسا، وكذلك كل شيء نقل من شيء، وكذلك قوله :{أعصر خمرا}، أي: أعصر عنب الخمر أي العنب الذي يكون عصيره خمرا"[12].

قوله تعالى:{وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} [يوسف : ٣٦]، أي:" وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه"[13].

قال البيضاوي:" أي: تنهش منه"[14].

وفي الرؤيا-ها هنا ثلاثة أقوال:

---

[1] تفسي البيضاوي:١٦٣/٣.

[2] أخرجه الطبري(١٩٢٦٦).:ص٩٥/١٦

[3] أخرجه الطبري(١٩٢٦٧).:ص٩٥/١٦

[4] أخرجه الطبري(١٩٢٦٨).:ص٩٥/١٦

[5] التفسير الميسر:٢٣٩.

[6] أخرجه الطبري(١٩٢٧٦):ص٩٧/١٦.

[7] أخرجه الطبري(١٩٢٧٧):ص٩٧/١٦.

[8] انظر: النكت والعيون:٣٦/٣.

[9] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٤):ص٩٧/١٦.

[10] أخرجه الطبري(١٩٢٧٤):ص٩٧/١٦.

[11] أخرجه الطبري(١٩٢٧٣):ص٩٦/١٦-٩٧.

[12] معاني القرآن:١٠٩/٣.

[13] التفسير الميسر:٢٣٩.

[14] تفسي البيضاوي:١٦٣/٣.

أحدها : أنها كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها. قاله مجاهد[١]، وابن إسحاق[٢].

روى عن أبي هريرة عن النبي-ﷺ- أنه قال:« إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس وأحب القيد فى النوم وأكره الغل، القيد ثبات فى الدين»[٣].

عن مجاهد: "أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك: أنشدكما الله أن لا تحباني، فوالله ما أحبني أحدٌ قط إلا دخل عليَّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء، ثم لقد أحبني أبي فدخل عليّ بحبه بلاء، ثم لقد أحبتني زوجةُ صاحبي هذا فدخل عليَّ بحبها إياي بلاء، فلا تحباني بارك الله فيكما! قال: فأبيا إلا حبه وإلفه حيث كان، وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله. وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا، فرأى"مجلث" أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، ورأى"نبو" أنه يعصر خمرًا، فاستفتياه فيها، وقالا له: {نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين}، إن فعلت"[٤].

الثاني : أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة، فلما أجابهما قالا: إنما كنا نلعب، فقال: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}، وهذا معنى قول ابن مسعود[٥]، والسدي[٦].

قال ابن مسعود:" ما رأى صاحبا يوسف شيئًا، وإنما كانا تحالما ليجرِّبا علمه"[٧].

قال السدي:" لما دخل يوسف السجن قال: أنا أعبُرُ الأحلام. فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلمَّ نجرّب هذا العبد العبرانيّ فتراءَيَا له! فسألاه، من غير أن يكونا رأيا شيئًا. فقال الخباز: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير"[٨].

قال الطبري:" ذكر أن يوسف صلوات الله عليه لما أدخل السجن، قال لمن فيه من المحبَّسين، وسألوه عن عمله: إني أعبُرُ الرؤيا: فقال أحد الفتيين اللذين أدخلا معه السجن لصاحبه: تعال فلنجربه"[٩]

الثالث : أن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً، قاله أبو مجلز[١٠].

قوله تعالى:{نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف : ٣٦]، أي:" أخبرنا -يا يوسف -بتفسير ما رأينا"[١١].

قال الزجاج:" أي: تأويل ما رأينا، وقولهما {نبئنا بتأويله} يدل على أنهما رأيا ذلك في النوم، لأنه لا تأويل لرؤية اليقظة غير ما يراه الإنسان"[١٢].

قال الطبري:" يقول: أخبرنا بما يؤول إليه ما أخبرناك أنَّا رأيناه في منامنا، ويرجع إليه"[١٣].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٢):ص٩٦/١٦.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧١):ص٩٦/١٦.

[٣]أخرجه أحمد (٥٠٧/٢، رقم ١٠٥٩٨) ، ومسلم (١٧٧٣/٤، رقم ٢٢٦٣) ، وأبو داود (٣٠٤/٤، رقم ٥٠١٩) ٥٠١٩) ، والترمذى (٥٣٢/٤، رقم ٢٢٧٠) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٢٢٦/٦، رقم ١٠٧٤٦) ، والدارمى (١٦٨/٢، رقم ٢١٤٣) ، وابن ماجه (١٢٨٥/٢، رقم ٣٩٠٦) .
وللحديث أطراف أخرى منها: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا".

[٤] أخرجه الطبري(١٩٢٧٢):ص٩٦/١٦.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٠):ص٩٦/١٦.

[٦] أخرجه الطبري(١٩٢٦٩):ص٩٥/١٦-٩٦.

[٧] أخرجه الطبري(١٩٢٧٠):ص٩٦/١٦.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٦٩):ص٩٥/١٦-٩٦.

[٩] تفسير الطبري:٩٥/١٦.

[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٠٣):ص٢١٤٣/٧.

[١١] التفسير الميسر:٢٣٩.

[١٢] معاني القرآن:١٠٩/٣.

[١٣]تفسير الطبري:٩٨/١٦ .

قال مجاهد:" أن«تأويل الشيء»، هو الشيء. قال: ومنه:«تأويل الرؤيا»، إنما هو الشيء الذي تؤول إليه"[١].

قوله تعالى:{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٣٦]، أي:" إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقه"[٢].

قال البيضاوي:أي:" من الذين يحسنون تأويل الرؤيا، أو من العالمين، وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم، أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٣٦]، وجوه:

أحدها: أنهم وصفوه بذلك، لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم، قاله الضحاك[٤].

وقال قتادة:" بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوي مريضهم، ويعزِّي حزينهم، ويجتهد لربه. وقال: لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قومًا قد انقطع رجاؤهم، واشتد بلاؤهم، فطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجَروا، إن لهذا أجرًا، إن لهذا ثوابًا. فقالوا: يا فتى، بارك الله فيك، ما أحسن وجهك، وأحسن خلقك، لقد بورك لنا في جوارك، ما نحبُّ أنَّا كنا في غير هذا منذ حبسنا، لما تخبرنا من الأجر والكفَّارة والطَّهارة، فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف، ابن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وكانت عليه محبَّة. وقال له عامل السجن: يا فتى، والله لو استطعت لخلَّيت سبيلك، ولكن سأحسن جِوارك، وأحسن إسارك، فكن في أيِّ بيوت السجن شئت"[٥].

وفي رواية عن الضحاك:" كان يوسع للرجل في مجلسه، ويتعاهد المرضى"[٦].

الثاني: لأنه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف، ويعود العليل. حكاه الزجاج[٧].

الثالث: معناه: لأنه كان يأمرهم بالصبر ويعدهم بالثواب والأجر[٨].

الرابع: إنا نراك ممن أحسن العلم. حكاه ابن جرير الطبري[٩].

وقال الزجاج:" وقيل: {من المحسنين}، أي: ممن يحسن التأويل. وهذا دليل أن أمر الرؤيا صحيح، وأنها لم تزل في الأمم الخالية، ومن دفع أمر الرؤيا وأنه منها ما يصح فليس بمسلم لأنه يدفع القرآن والأثر عن رسول الله - ﷺ - لأنه روي عن رسول الله أن الرؤيا «جزء من أربعين جزءا من النبوة»[١٠]، وتأويله أن الأنبياء يخبرون بما سيكون، والرؤيا الصادقة تدل على ما سيكون"[١١].

الخامس: أنه كان لا يرد عذر معتذر[١٢].

السادس: أنه كان يقضي حق غيره ولا يقضي حق نفسه[١].

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٢٧٨):ص١٦/٩٨.

[٢] التفسير الميسر:٢٣٩.

[٣] تفسي البيضاوي:١٦٣/٣.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٧٩):ص١٦/٩٨.

[٥] أخرجه الطبري(١٩٢٨١):ص١٦/٩٩.

[٦] أخرجه الطبري(١٩٢٨٢):ص١٦/٩٩.

[٧] انظر: معاني القرآن:١١٠/٣.

[٨] انظر: النكت والعيون:٣٧/٣.

[٩] انظر: تفسير الطبري:١٠٠/١٦.

[١٠] الحديث :« رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا تحدث بها سقطت ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا».

أخرجه الترمذى (٥٣٦/٤، رقم ٢٢٧٨) ، والطبرانى (٢٠٥/١٩، رقم ٤٦٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٩٠/٤، رقم ٤٧٦٧) .

[١١] معاني القرآن:١١٠/٢.

[١٢] انظر: النكت والعيون:٣٧/٣.

السابع: إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه، قاله ابن إسحاق[٢].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الضحاك وقتادة، فإن قال قائل: وما وجهُ الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت، وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما، ليست من الخبَر عن صفته بأنه يعود المريض ويقوم عليه، ويحسن إلى من احتاج في شيء، وإنما يقال للرجل:"نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم"، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم، لا بغيره؟ قيل: إن وجه ذلك أنهما قالا له: نبئنا بتأويل رؤيانا محسنًا إلينا في إخبارك إيانا بذلك، كما نراك تحسن في سائر أفعالك: {إنا نراك من المحسنين}"[٣].

الفوائد:

١- تعبير الرؤى تابع لصفاء الروح وقوة الفراسة وهي في يوسف علم لدني خاص.

٢- جاء لفظ «التأويل» مرادا به «التفسير»، شاهده قوله سبحانه: {نبئنا بتأويله أنا نراك من المحسنين}.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أن التأويل عند السلف له معنيان: أحدهما: بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير رحمه الله: واختلف علماء التأويل ومن ذلك قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٣٦، ٣٧] أي تفسيره وقوله: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٤٥].

الثاني: من معاني التأويل يطلق ويراد به الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ١٠٠]، فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التي تؤول إليه[٤].

فالحاصل أن تأويل الرؤيا يشمل تفسيرها الذي نسميه عبارة الرؤيا، ويشمل الحقيقة التي يؤول إليها الرؤيا، فالتعبير أخص من التأويل[٥]، فالتأويل كما في قوله عز وجل: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} وكقوله عز وجل: {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ}، والتعبير كقوله: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣] وأغلب الأحاديث في الرؤيا أن يقول - ﷺ -: «فأولت ذلك بكذا».

٣- قد تقع الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كرؤيا صاحبي السجن في قصة يوسف عليه السلام ورؤيا الملك سبع بقرات.

ولذلك ترجم الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب التعبير "باب رؤيا أهل السجود والفساد والشرك"[٦].

القرآن

{قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)} [يوسف : ٣٧]

التفسير:

---

[١] انظر: النكت والعيون:٣٧/٣.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٨٣):ص٩٩/١٦.

[٣] تفسير الطبري:١٠٠/١٦.

[٤]انظر: التدمرية ص (٩١ - ٩٣) والدليل في المتشابه والتأويل، ص (٢٨، ٢٩) الطبعة الثانية السلفية.

[٥]انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٣٣٢.

[٦]صحيح البخاري كتاب التعبير :٤/ ٢٩٨.

قال لهما يوسف: لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبرتكما بتفسيره قبل أن يأتيكما، ذلكما التعبير الذي سأعبّره لكما مما علّمني ربي؛ إني آمنت به، وأخلصت له العبادة، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالبعث والحساب جاحدون.

قوله تعالى:{قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [يوسف : ٣٧]، أي:" قال لهما يوسف: لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبرتكما بتفسيره قبل أن يأتيكما"[١].

قال الزجاج:" وليس هذا جواب ما سألا عنه، إنما سألا أن يخبر هما بتأويل ما رأياه فأحب يوسف عليه السلام أن يدعوهما إلى الإيمان وأن يعلمهما أنه نبي، وأن يدلهما على نبوته بآية معجزة، فأعلمهما أنه يخبرهما بكل طعام يؤتيان به قبل أن يرياه"[٢].

قال ابن عباس:" ما أدري لعل يوسف كان يعتاف، وهو كذلك لأني أجد في كتاب الله عز وجل حين قال للرجلين: {لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله}، قال إذا جاءه الطعام حلوا ومرا اعتاف عند ذلك، وقال: إنما علم فعلم"[٣].

وفي قوله تعالى:{قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [يوسف : ٣٧]، ثلاثة وجوه:

أحدها : لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة. قاله مجاهد[٤]، والسدي[٥]، وابن إسحاق[٦].

الثاني : لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يصلكما، لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسى، قاله الحسن[٧].

الثالث : أن الملك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً وأرسل به إليه ، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحّ عليه عبرها ، لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحَّ عليه عبرها ، قاله ابن جريج[٨].

قال ابن جريج:" فكره العبارة لهما، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ليريهما أن عنده علمًا. وكان الملك إذا أراد قتل إنسان، صنع له طعامًا معلومًا، فأرسل به إليه، فقال يوسف: {لا يأتيكما طعام ترزقانه}، إلى قوله: {تشكرون}، فلم يدَعَاه، فعدل بهما، وكره العبارة لهما. فلم يدعاه حتى يعبر لهما، فعدل بهما وقال: (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، إلى قوله: {يعلمون}، فلم يدعاه حتى عبر لهما، فقال: {يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه}. قالا ما رأينا شيئًا، إنما كنا نلعب! قال: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}"[٩].

قال الطبري:" وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج، فقوله: {لا يأتيكما طعام ترزقانه} ، في اليقظة لا في النوم. وإنما أعلمهما على هذا القول أنَّ عنده علم ما يؤول إليه أمر الطعام الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره، لأنه قد علم النوعَ الذي إذا أتاهما كان علامةً

---

[١] التفسير الميسر:٢٣٩.
[٢] معاني القرآن:١١٠/٢.
[٣] اخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٠٧):ص٢١٤٤/٧.
[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٠٨):ص٢١٤٤/٧.
[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٠٩):ص٢١٤٤/٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٨٥):ص١٠١/١٦.
[٧] انظر: النكت والعيون:٣٧/٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٢٨٦):ص١٠٢/١٦.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٢٨٦):ص١٠٢/١٦.

لقتل من أتاه ذلك منهما، والنوع الذي إذا أتاه كان علامة لغير ذلك، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك"[1].

قوله تعالى:{ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف : ٣٧]، أي:" ذلكما التعبير الذي سأعبِّره لكما مما علَّمني ربي"[2].

قال الطبري:" يقول: هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا، مما علمني ربى فعلمته"[3].

قال الزجاج:" أي: لست أخبركما على جهة التكهن، والتنجم، إنما أخبركما بوحي من الله وعلم"[4].

عن أبي مالك قوله: "{ذلكما}، يعني: هذا"[5].

قوله تعالى:{إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [يوسف : ٣٧]، أي:" إني آمنت به، وأخلصت له العبادة، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالبعث والحساب جاحدون"[6].

قال مقاتل:" أولئك الكهنة، والسحرة، يعني: أهل مصر، {لا يؤمنون بالله}، يعني: لا يصدقون بتوحيد الله، ولا بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال {وهم بالآخرة هم كافرون}"[7].

قال الصابوني:" نبّه على أصلين عظيمين: الإيمان بالله، والإيمان بدار الجزاء، إذ هما أعظم أركان الإيمان، وكرر لفظه {هُمْ} على سبيل التأكيد"[8].

قال الطبري:" يقول: إني برئت من ملة من لا يصدق بالله، ويقرّ بوحدانيته، وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله، لا يقرّون بالمعاد والبعث، ولا بثواب ولا عقاب"[9].

القرآن

{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)} [يوسف : ٣٨]

التفسير:

واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده، ما كان لنا أن نجعل لله شريكًا في عبادته، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان.

قوله تعالى:{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [يوسف : ٣٨]، أي:" واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده"[10].

قال الطبري:" واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك"[11].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[12].

روي عن ابن عباس:" أنه كان يجعل الجد أبا ويقول: والله لمن شاء لأعناه عند الحجر ما ذكر الله جدا ولا جدة، قال الله: واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب"[1].

---

[1] تفسير الطبري:١٦/١٠٢.
[2] التفسير الميسر:٢٣٩.
[3] تفسير الطبري:١٦/١٠١.
[4] معاني القرآن:٢/١١٠.
[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦١٠):ص٧/٢١٤٤.
[6] التفسير الميسر:٢٣٩.
[7] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٣٣٤.
[8] صفوة التفاسير:٢/٤٦.
[9] تفسير الطبري:١٦/١٠٢.
[10] التفسير الميسر:٢٤٠.
[11] تفسير الطبري:١٦/١٠٣.
[12] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١١):ص٧/٢١٤٤.

عن أبي إسحاق سمع أبا الأحوص، يقول:" فاخر أسماء بن خارجة الفزاري رجلا، فقال: أنا ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله بن مسعود: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله"[٢].

قوله تعالى:{مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف : ٣٨]، أي:" ما كان لنا أن نجعل لله شريكًا في عبادته"[٣].

قال الطبري:" يقول: ما جاز لنا أن نجعل لله شريكًا في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالألُوهة والعبادة"[٤].

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ} [يوسف : ٣٨]، أي:" ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس"[٥].

قال الطبري:" يقول: اتباعي ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام، وتركي ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون، من فضل الله الذي تفضّلَ به علينا، فأنعم إذ أكرمنا به {وعلى الناس} ، يقول: وذلك أيضًا من فضل الله على الناس، إذ أرسلنا إليهم دعاةً إلى توحيده وطاعته"[٦].

قال الزجاج:" أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله لنا بفضله علينا {وعلى الناس} بأن دلهم على دينه المؤدي إلى صلاحهم"[٧].

عن ابن عباس، :"وقول يوسف: {ذلك من فضل الله علينا}، يقول: أن بعثنا أنبياء"[٨]، " قوله: {وعلى الناس}، أن بعثنا إليهم رسلا"[٩].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف : ٣٨]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ولا يعرف المتفضِّل به"[١١].

قال قتادة:" وإن المؤمن ليشكر نعم الله عليه، وعلى خلقه"[١٢].

وروي عن قتادة قال: "ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: يا رب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدري، ويا رب حامل فقه غير فقيه"[١٣].

فوائد الآيتين:[٣٧-٣٨]:

١- استغلال المناسبات للدعوة إلى الله تعالى كما استغلها يوسف عليه السلام.
٢- وجوب البراءة من الشرك وأهله.
٣- اطلاق لفظ الآباء على الجدود إذ كل واحد هو أب لمن بعده.

القرآن

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)} [يوسف : ٣٩]

التفسير:

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦١٢):ص٧/٢١٤٤-٢١٤٥.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦١٣):ص٧/٢١٤٥.
[٣] التفسير الميسر:٢٤٠.
[٤] تفسير الطبري:١٦/١٠٣.
[٥] التفسير الميسر:٢٤٠.
[٦] تفسير الطبري:١٦/١٠٣.
[٧] معاني القرآن:٢/١١٠.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٤):ص٧/٢١٤٥.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٥):ص٧/٢١٤٥.
[١٠] التفسير الميسر:٢٤٠.
[١١] تفسير الطبري:١٦/١٠٣.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٦):ص٧/٢١٤٥.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٧):ص٧/٢١٤٥.

وقال يوسف للفَتَيين اللذين معه في السجن: أعبادةُ آلهةٍ مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

قوله تعالى:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)} [يوسف : ٣٩]، أي:" يا صاحبيَّ في السجن أآلهة متعددة لا تنفع ولا تضر ولا تستجيب لمن دعاها كالأصنام، خيرٌ أم عبادة الواحد الأحد، المتفرد بالعظمة والجلال؟!"[١].

قال الطبري:" يقول: أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر، خيرٌ أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه، الذي قهر كل شي فذلله وسخره، فأطاعه طوعًا وكرهًا"[٢].

قال مقاتل:" أآلهة شتى تعبدون {خير}، يعني: أفضل أم {الله الواحد القهار} لخلقه، لأن الآلهة مقهورة، كقوله في النمل: {آلله خير أما يشركون}[٣] من الآلهة"[٤].

قال الزجاج:" فدعاهم إلى توحيد الله بعد أن علمهما أنه يخبرهما بالغيب"[٥].

قال مجاهد:" دعاهما إلى الله وإلى الإسلام فقال: {يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، أي: خير أن تعبدوا إلها واحدا، أم آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئا ما تعبدون من دونه"[٦].

قال ابن إسحاق:" ثم دعاهما إلى الله وإلى الإسلام، فقال: {يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار}، أي: خيرٌ أن تعبدوا إلهًا واحدًا، أو آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئا؟"[٧].

قال قتادة:" لما عرف نبيُّ الله يوسف أن أحدهما مقتولٌ، دعاهما إلى حظِّهما من ربهما، وإلى نصيبهما من آخرتهما"[٨].

قال ابن عباس:" كان أحدهما ساقي الملك، والآخر خبازه على طعامه"[٩].

الفوائد:

١- وجوب اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى.

٢- تضمنت الآية الكريمة استفساراً إنكارياً فيه تهكم وتقريع للمشركين، إذ أنّهُ من الواضح أنه ليس هناك موازنة بين ما عبدوه من دون الله من المعبودات التي ليس فيها شائبة خير، وبين من لا خير إلا خيره، ولا إله غيره.

قال سيد قطب رحمه الله: " ويبدو هذا السؤال بهذه الصيغة وكأنه تهكم محض، وتوبيخ صرف؛ لأنه غير قابل أنْ يوجه على سبيل الجد، أو أن يطلب عنه جواب"[١٠].

٣- مشروعية الاستفتاء في كل مشكل من الأمور.

٤- إثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«الواحد»، و«القهار»:

- فـ«الواحد»: " هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف

---

[١] صفوة التفاسير:٤٦/٢.
[٢] تفسير الطبري:١٠٤/١٦.
[٣]سورة النمل: ٥٩.
[٤]تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٤/٢ .
[٥] معاني القرآن:١١١/٣.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦١٨):ص٢١٤٥/٧-٢١٤٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٢٩٢):ص١٠٥/١٦.
[٨]أخرجه الطبري(١٩٢٨٩):ص١٠٤/١٦-١٠٥ .
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦١٧):ص٢١٤٥/٧.
[١٠] في ظلال القرآن:٢٩١/٦.

بغاية الكمال، ونهايته من كل صفة من هذه الصفات فيجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة"[1].

قال الخطابي:" هو الفرد الذي لم يزل وحده؛ و لم يكن معه آخر. وقيل هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك، والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ إذ كل شيء سواه يدعى واحدا فهو واحد من جهة غير واحد من جهات، والله -سبحانه- الواحد الذي ليس كمثله شيء، والواحد لا يثنى من لفظه ولا يقال واحدان"[2].

- ومن أسمائه تعالى«القهار»: و" هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت"[3].

القرآن

{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)} [يوسف : ٤٠]

التفسير: ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أربابًا جهلا منكم وضلالا، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، ما الحكم الحق إلا لله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

قوله تعالى:{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} [يوسف : ٤٠]، أي:" ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أربابًا جهلا منكم وضلالا"[4].

قال الطبري:" وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابًا، شركًا منهم، وتشبيهًا لها في أسمائها التي سمَّوها بها بالله، تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه"[5].

قوله تعالى:{مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [يوسف : ٤٠]، أي:" ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها"[6].

قال الطبري:" يقول: سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها، ولا وضع لهم على أن تلك الأسماء أسماؤها، دلالةً ولا حجةً، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء"[7].

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عباس، قال:" كل سلطان في القرآن حجة"[8]، قال ابن أبي حاتم:" وروي، عن أبي مالك، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، والضحاك، والسدي، والنضر بن عربي مثله"[9].

قوله تعالى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف : ٤٠]، أي:" ما الحكم الحق إلا لله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده"[10].

قال الطبري:" يقول: وهو الذي أمر ألا تعبدوا أنتم وجميعُ خلقه، إلا الله الذي له الألوهة والعبادة خالصةً دون كل ما سواه من الأشياء"[1].

---

[1] اسماء الله الحسنى للسعدي:١٦٧، وانظر: التفسير: ٥/ ٦٢٠،٦٢١، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار الأخيار في شرح جوامع =الأخبار :١٦٥.
[2] شأن الدعاء: ٨٢.
[3] شان الدعاء:٥٣.
[4] التفسير الميسر:٢٤٠.
[5] تفسير الطبري:١٦/١٠٥-١٠٦.
[6] التفسير الميسر:٢٤٠.
[7] تفسير الطبري:١٦/١٠٦.
[8] تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٢٠):ص٧/٢١٤٦.
[9] تفسير ابن أبي حاتم:٧/٢١٤٦.
[10] التفسير الميسر:٢٤٠.

قال الفخر الرازي: " إنّ كونه تعالى واحداً يوجب عبادته؛ لأنه لو كان له ثان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا، ورفع الشرور والآفات عنا، فيقع الشك في أننا هل نعبد هذا أم ذاك؟ "[٢].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف : ٤٠]، أي:" وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه"[٣].

قال الطبري:" يقول: هذا الذي دعوتكما إليه من البراءة من عبادة ما سوى الله من الأوثان، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار، هو الدِّين القويم الذي لا اعوجاج فيه، والحقُّ الذي لا شك فيه "[٤].

قال أبو العالية:" أسَّسَ الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"[٥].

قال ابن عباس:" ذلك القضاء القيم"[٦].

وقال مقاتل بن حيان:" ذلك الحساب القيم"[٧]. وفي روياة أخرى:" الدين القيم: الحساب البين"[٨].

عن السدي قوله: "{ذلك الدين القيم}، قال: المستقيم"[٩].

وروي عن زيد بن أسلم قوله: "{الدين القيم}، قال: الحمد لله رب العالمين"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف : ٤٠]، أي:" ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته"[١١].

قال الطبري:" يقول: ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته"[١٢].

عن ابن عباس :"{ولكن أكثر الناس لا يعلمون}، يقول: لا يعقلون"[١٣].

الفوائد:

١- تقرير التوحيد عن طريق أحاديث السابقين.

٢- البراهين العقلية على وحدانية الله: فإن الدين الإسلامي لا يدعو الناس إلى عقيدة غامضة، ولكنه يقوم على براهين عقلية واضحة، تدل على صحة ما يدعو إليه، ولا يهاجم مبدأ أو معتقداً آخر إلاّ بعد أن يقدّم الدليل الواضح على تفاهته وبعده عن الحق والصواب، وتعدد المعبودات -مثلاً- يجعل البشر عبيداً لتلك المعبودات، ومن جراء ذلك تقع الأعباء الكثيرة على كواهل عابديها، كتقديم الهدايا والنذور وغيرها من أنواع القرب. قال تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}..

فالقرآن الكريم يبين الفرق العظيم، والبون الشاسع بين عبادة إله واحد يخضع الجميع لحكمه، وما يتطلبه ذلك التوحيد من التخفيف عن كواهل البشر من التضحيات المرهقة، والشعائر الرهيبة، وبين عبادة آلهة متعددة، غالباً ما ينشأ بسببها أنواع من الاختلاف والشقاق، كما يُحاج القرآن الكريم المشركين بأن تعدد المعبودات ليس له

---

[١] تفسير الطبري:١٠٦/١٦.

[٢] مفاتيح الغيب:١٤٠/١٨.

[٣] التفسير الميسر:٢٤٠.

[٤] تفسير الطبري:١٠٦/١٦.

[٥] أخرجه الطبري(١٩٢٩٣):ص١٠٦/١٦.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٢):ص٢١٤٦/٧.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٣):ص٢١٤٦/٧.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٦):ص٢١٤٧/٧.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٥):ص٢١٤٧/٧.

[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٤):ص٢١٤٧/٧.

[١١] التفسير الميسر:٢٤٠.

[١٢] تفسير الطبري:١٠٦/١٦.

[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢٧):ص٢١٤٧/٧.

أساس من شرع أو حق، وإنما هي أسماء سموها هم وآباؤهم، ولذلك فإنّه يجب عليهم أنْ يرجعوا إلى عقولهم ويخلصوا العبادة لله تعالى وحده، فذلك الدين القيم الذي لا اعوجاج فيه[١].

٣- لا حكم في شيء إلا بحكم الله تعالى فالحق ما أحقه الله والباطل ما أبطله والدين ما شرعه.

٤- وفي الآية دلالة على أن الاسم قد يكون هو المسمى.

القرآن

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)} [يوسف : ٤١]

التفسير:

يا صاحبيَّ في السجن، إليكما تفسيرَ رؤياكما: أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزًا فإنه يُصْلب ويُتْرك، وتأكل الطير من رأسه، قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وفُرغ منه.

قوله تعالى:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} [يوسف : ٤١]، أي:" يا صاحبيَّ في السجن، إليكما تفسيرَ رؤياكما: أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للملك"[٢].

قال الطبري:" يقول: يكون صاحب شرابه"[٣].

قوله تعالى:{وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ} [يوسف : ٤١]، أي:" وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزًا فإنه يُصْلب ويُتْرك، وتأكل الطير من رأسه"[٤].

قوله تعالى:{قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف : ٤١]، أي:" قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وفُرغ منه"[٥].

قال الطبري:" يقول: فُرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما، ووجب حُكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به"[٦].

قال مقاتل:" يقول رأيتما أو لم تريا فقد وقع بكما ما عبرت لكما"[٧].

قال عبدالله:" لما قالا ما قالا أخبرهما، فقالا ما رأينا شيئا! فقال: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}"[٨].

وقال عبدالله:" عبد الله قال: ما رأى صاحبا يوسف شيئًا، إنما كانا تحالما ليجرّبا علمه، فقال أحدهما: إني أراني أعصر عنبًا! وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه؟ {نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين} ! قال: {يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه}. فلما عبَّر، قالا ما رأينا شيئًا! قال: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}، على ما عبَّر يوسف"[٩].

قيل : فكيف قطع بتأويل الرؤيا وهو عنده ظن من طريق الاجتهاد الذي لا يقطع فيه ؟ ففيه وجهان[١٠]:

---

[١] انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الرحيلي:٤٣١/١-٤٣٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٤١.
[٣] تفسير الطبري:١٠٧/١٦.
[٤] التفسير الميسر:٢٤١.
[٥] التفسير الميسر:٢٤١.
[٦] تفسير الطبري:١٠٧/١٦.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٥/٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٢٩٦):ص١٠٨/١٦.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٢٩٨):ص١٠٨/١٦.
[١٠] انظر النكت والعيون:٣٩/٣.

أحدهما : يجوز أن يكون قاله عن وحي من الله تعالى .
الثاني : لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالى وأجراه على لسانه ، بخلاف من ليس بنبي .
القرآن
{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)} [يوسف : ٤٢]
التفسير:
وقال يوسف للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه: اذكرني عند سيِّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات.

قوله تعالى:{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف : ٤٢]، أي:" وقال يوسف للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه: اذكرني عند سيِّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب"[١].

قال الطبري:" قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا: اذكرني عند سيدك، وأخبره بمظلمتي، وأني محبوس بغير جُرْم"[٢].

قال الماوردي:" أي: عند سيدك يعني الملك الأكبر الوليد بن الريان تأميلاً للخلاص إن ذكره عنده"[٣].

قال أبو عبيدة:" أي: عند سيدك من بنى آدم ومولاك وقال[٤]:
فإن يك ربّ أذواد بحسمى   أصابوا من لقائك ما أصابوا
قال الأعشى[٥]:
ربّى كريم لا يكدّر نعمة   وإذا تنوشد فى المهارق أنشدا
يعنى النّعمان إذا سئل بالمهارق الكتب، أنشدا: أعطى كقولك: إذا سئل أعطى"[٦]

عن ابن إسحاق قال، "قال- يعني لنبو-: {اذكرني عند ربك}: أي: اذكر للملك الأعظم مظلمتي وحبسي في غير شيء، قال: أفعل"[٧].

عن مجاهد في قول الله: "{اذكرني عند ربك}، قال للذي نجا من صاحبي السجن، يوسف يقول: اذكرني عند الملك"[٨].

عن إبراهيم التيمي: "أنه لما انتهى به إلى باب السجن، قال له صاحبٌ له: حاجتَك أوصني بحاجتك! قال: حاجتي أن تذكرني عند ربك- سوى الربِّ، قال يوسف"[٩].

عن قتادة: "{وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك}، وإنما عبارة الرؤيا بالظن، فيحقُّ الله ما يشاءُ ويُبْطِل ما يشاء"[١٠].

قال الطبري:" وهذا الذي قاله قتادة، من أن عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء. فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن، لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها، لم يُؤمَن مثل ذلك في كل أخبارها. وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت

---

[١] التفسير الميسر:٢٤١.
[٢] تفسير الطبري:١٠٩/١٦.
[٣] النكت والعيون:٤٠/٣.
[٤] البيت من شواهد أبو عبيدة في المجاز:٣١١/١، ولم أجده فيما رجعت إليه. - «حسمى» : بالكسر ثم بالسكون بالسكون مقصور أرض ببادية الشام انظر معجم البلدان ٢/ ٣٦٧ ومعجم ما استعجم للبكرى ٢/ ٤٤٦.
[٥]ديوانه: ١٥١.
[٦] مجاز القرآن:٣١١/١-٣١٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٣٠٣):ص١٠٩/١٦.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٣٠٤):ص١٠٩/١٦.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٣٠٩):ص١١٠/١٦.
[١٠] أخرجه الطبري(١٩٣١٠):ص١١٠/١٦.

حُجَّتها على من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك، كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق. فمعلومٌ، إذ كان الأمر على ما وصفت، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: {أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه}، ثم يؤكد ذلك بقوله: {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان}، عند قولهما: «لم تر شيئا» ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنه كائن لا محالة لا شك فيه. وليقينه بكون ذلك، قال للناجي منهما: {اذكرني عند ربك}. فبيِّنٌ إذًا بذلك فسادُ القول الذي قاله قتادة في معنى قوله: {وقال للذي ظن أنه ناج منهما}"[1].

قوله تعالى:{فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف : ٤٢]، أي:" فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف"[2].

قال الطبري:" وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن غفلة عَرَضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلَّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسَه، وأوجع لها عقوبته"[3].

وفي قوله تعالى:{فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف : ٤٢]، وجهان:

أحدهما : أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملك الرؤيا قاله محمد بن إسحاق[4].

قال محمد بن إسحاق:" لما خرج - يعني الذي ظنّ أنه ناج منهما- رُدّ على ما كان عليه، ورضي عنه صاحبه، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذي أمره يوسف أن يذكره، فلبث يوسف بعد ذلك في السجن بضع سنين. يقول جل ثناؤه: فلبث يوسف في السجن، لقيله للناجي من صاحبي السجن من القيل:«اذكرني عند سيدك»، بضع سنين، عقوبةً له من الله بذلك"[5].

الثاني:أن يوسف أنساه الشياطن ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه. وهذا قول جماعة من المفسرين[6].

عن مالك بن دينار قال: لما قال يوسف للساقي: {اذكرني عند ربك}، قال: قيل: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلا؟ لأطيلن حبسك! فبكى يوسف وقال: يا ربّ، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي"[7].

عن ابن عباس قال: "قال النبي ﷺ: لو لم يقل يوسف- يعني الكلمة التي قال - ما لبث في السجن طول ما لبث، يعني: حيث يبتغي الفرج من عند غير الله"[8].

عن قتادة قال: "بلغني أن النبي ﷺ قال: لو لم يستعن يوسف على ربّه، ما لبث في السجن طول ما لبث"[9].

وعن قتادة -أيضا-قال: "ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: لولا أنّ يوسف استشفع على ربه، ما لبث في السجن طول ما لبث، ولكن إنما عوقب باستشفاعه على ربّه"[10].

عن مجاهد قال: "قال له: {اذكرني عند ربك}، قال: فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكرَ ربه، وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده، {فلبث في السجن بضع سنين} بقوله: {اذكرني عند ربك}"[11].

---

[1] تفسير الطبري:١١١/١٦.
[2] التفسير الميسر:٢٤١.
[3] تفسير الطبري:١١١/١٦.
[4] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٢):ص١١٣/١٦.
[5] أخرجه الطبري(١٩٣٢٢):ص١١٣/١٦.
[6] انظر: الأقوال في تفسير الطبري:١١١/١٦ وما بعدها.
[7] أخرجه الطبري(١٩٣١١):ص١١١/١٦.
[8] أخرجه الطبري(١٩٣١٥):ص١١٢/١٦.
[9] أخرجه الطبري(١٩٣١٦):ص١١٢/١٦.
[10] أخرجه الطبري(١٩٣١٧):ص١١٣/١٦.
[11] أخرجه الطبري(١٩٣١٨):ص١١٣/١٦.

قال مجاهد:" فلبث في السجن بضع سنين، عقوبةً لقوله: {اذكرني عند ربك}"[١].
قوله تعالى:{فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف : ٤٢]، أي:" فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات"[٢].
واختلفوا في معنى «البضع»، على أقوال:
أحدها: ما بين الثلاث إلى الخمس ، حكاه الزجاج[٣].
الثاني: ما بين الثلاث إلى السبع. وهذا قول أبي بكر الصديق[٤]، وقطرب[٥]، وحكاه البغوي عن عن مجاهد[٦].
الثالث: ما بين الثلاث إلى التسع. قاله مجاهد[٧]، وحكاه البغوي عن قتادة[٨]، وحكاه الزجاج عن عن الأصمعي ورجّحه[٩].
قال الزجاج:" واشتقاق «البضع» والبضعة من قطعت الشيء فمعناه القطعة ممن العدد، فجعل لما دون العشرة من الثلاث إلى التسع"[١٠].
الرابع: ما دون العشرة. وهذا القول رواه ابن جريج عن ابن عباس[١١]، وبه قال الفراء[١٢].
قال الفراء:" ذكروا أنه لبث سبعا بعد خمس، و«البضع» ما دون العشرة"[١٣].
قال الطبري:" والصواب في«البضع»: من الثلاث إلى التسع، إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث. وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة، وما زاد على المئة فلا يكون فيه «بضع»"[١٤].
وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً أقوال:
أحدها : سبع سنين ، قاله قتادة[١٥]، وابن جريج[١٦]، ووهب بن منبه[١٧].
الثاني : أنه لبث اثنتي عشرة سنة ، قاله ابن عباس[١٨].
الثالث : لبث أربعة عشرة سنة ، قاله الضحاك[١٩]، وطاوس[٢٠].
قال البغوي:" وأكثر المفسرين على أن «البضع» في هذه الآية: سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين، فجملته اثنتا عشرة سنة"[٢١].
وقال وهب:" أصاب أيُّوب البلاء سبع سنين، وترك في السجن يوسف سبع سنين، وعذب بختنصر، فحُوِّل في السباع سبع سنين"[٢٢].

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٣١٩):ص١١٣/١٦.
[٢] التفسير الميسر:٢٤١.
[٣] انظر: النكت والعيون:٤١/٣، ولم اجد القول في معاني القرآن.
[٤] انظر: النكت والعيون:٤١/٣.
[٥] انظر: معاني القرآن للزجاج: ١١٢/٢، والنكت والعيون:٤١/٣.
[٦] انظر: تفسير البغوي:٢٤٤/٤.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٤٤):ص٢١٥٠/٧.
[٨] انظر: تفسير البغوي:٢٤٤/٤.
[٩] انظر: معاني القرآن:١١٢/٣، وانظر: النكت والعيون:٤١/٣.
[١٠] معاني القرآن:١١٢/٣.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٩):ص١١٥/١٦.
[١٢] انظر: معاني القرآن:٤٦/٢.
[١٣] معاني القرآن:٤٦/٢.
[١٤] تفسير الطبري:١١٥/١٦.
[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٣):ص١١٤/١٦.
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٦):ص١١٤/١٦.
[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٢٥):ص١١٤/١٦.
[١٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٤٥):ص٢١٥٠.
[١٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٤٦):ص٢١٥٠.
[٢٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٤٦):ص٢١٥٠.
[٢١] تفسير البغوي:٢٤٤/٤.
[٢٢] أخرجه الطبري(١٩٣٢٥):ص١١٤/١٦.

قال الكلبي:"حبس سبع سنين بعد الخمس السنين التي قال فيها :{اذكرني عند ربك}"[1].
قلت: ظاهر الآيات لا يدل على أن هناك خمسا قبل ذلك، والله أعلم.
قال المفسرون: "وإنما لبث في السجن بضع سنين، لأنه اعتمد ووثق بالمخلوق، وغفل أن يرفع حاجته إلى الخالق جل وعلا"[2].
روي ابن عباس عن رسول الله-ﷺ-:" عجبت لصبر أخى يوسف وكرمه والله يغفر له حيث أرسل إليه ليستفتى فى الرؤيا ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له أتىليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ولو كنت أنا لبادرت الباب ولولا الكلمة لما لبث فى السجن حيث يبتغى الفرج من عند غير الله قوله {اذكرنى عند ربك} [يوسف: ٤٢]"[3].
عن أنس قال: "أوحي إلى يوسف، يا يوسف، من استنقذك من الجب إذ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا رب، قال: من استنقذك من القتل إذ هم إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب، قال: فمالك نسيتني وذكرت آدميا؟ قال: جزعا بذنبي، وكلمة تكلم بها لساني، قال: وعزتي لأخلدنك السجن بضع سنين، قال: فلبث فيه سبع سنين"[4]. وروي عن الثوري مثل ذلك [5].
عن الحسن قال: "قال نبيُّ الله ﷺ:"رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طولَ ما لبث- يعني قوله: {اذكرني عند ربك}-، قال: ثم يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس"[6].
فوائد الآيتين:[٤١-٤٢]:
١- ليس في قوله{اذكرني عند ربك} دليل على أن نبي الله يوسف –عليه السلام- أغفل الدعاء إلى الله عز وجل، لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين أحدهما وجوب السعي في كف الظلم عنه والثاني دعاؤه إلى الخير والحسنات وأما قوله تعالى {فأنساه الشيطان ذكر ربه} فالضمير الذي في أنساه وهو الهاء راجع إلى الفتى الذي كان معه في السجن أي أن الشيطان أنساه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل أيضا أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول الله عز وجل {وادكر بعد أمة} فصح يقينا أن المذكور بعد أمة هو الذي أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر وحتى لو صح أن الضمير من أنساه راجع إلى يوسف عليه السلام لما كان في ذلك نقص ولا ذنب إذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الأنبياء[7].
٢- ومن الفوائد: لا يطلق «الرب» -بالألف واللام- إلا على الله تعالى خاصة، وأما مع الإضافة فيقال: رب المال ورب الدار وغير ذلك، ومنه قوله ﷺ في الحديث الصحيح في ضالة الإبل «حتى يلقاها ربها»[8]. وما في معناه، فإنما استعمل؛ لأنها غير مكلفة فهي كالدار والمال، ولا شك أنه لا كراهة في قول: رب المال، ورب الدار[1].

---

[1] النكت والعيون:٤١/٣.
[2] صفوة التفاسير:٤٧/٢.
[3]أخرجه الطبرانى (٢٤٩/١١، رقم ١١٦٤٠) قال الهيثمى (٤٠/٧) : فيه إبراهيم بن يزيد القرشى المكى وهو متروك. وأخرجه أيضا: الديلمى (٣٩/٣، رقم ٤٠٩٣).
[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٤٢):ص٢١٤٩/٧-٢١٥٠
[5] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:ص٢١٥٠/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
[6] أخرجه الطبري(١٩٣١٣):ص١١٢/١٦.
[7] انظر: الفصل والملل والأهواء والنحل/ أبو حزم الأندلسي:١٠/٤.
[8] الحديث:" اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها قيل فضالة الغنم قال هى هى لك أو لأخيك أو للذئب قيل فضالة الإبل قال ما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها".
أخرجه مالك (٧٥٧/٢، رقم ١٤٤٤) ، وأحمد (١١٧/٤، رقم ١٧١٠١) ، والبخارى (٨٣٦/٢، رقم ٢٢٤٣) ، ومسلم (١٣٤٦/٣، رقم ١٧٢٢) ، وأبو داود (١٣٥/٢، رقم ١٧٠٤) ، والترمذى (٦٥٥/٣، رقم ١٣٧٢) وقال:

وأما قول يوسف - عليه الصلاة والسلام {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف:٤٢]، ففيه جوابان:
أحدهما: أنه خاطبه بما يعرفه، وجاز هذا للضرورة، كما قال موسى - عليه الصلاة والسلام - للسامري: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ}[طه:٩٧] أي: الذي اتخذته إلها.
والجواب الثاني: أن هذا شرع لمن كان قبلنا، وشرع من قبلنا لا يكون شرعا لنا إذا ورد شرعنا بخلافه[٢].

٣- ومن الفوائد: جواز التعلق بالأسباب، وإن كان اليقين حاصلاً، لأن الأمور بيد مسببها، ولكنه جعلها سلسلة، وركب بعضها على بعض، فتحريكها سنة، والتعويل على المنتهى يعني القدر يقين، والذي يدلك على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان، كما جرى لموسى ﷺ في لقاء الخضر، وهذا بين فتأملوه. أفاده ابن العربي[٣].

والمقصود أن تعلق القلب بالله تعالى لا يتعارض مع تعلق البدن بالأسباب ، وأن حقيقة التوكل هي عمل القلب وعلمه، فعمل القلب الاعتماد على الله عز وجل والثقة به، وعلمه معرفته بتوحيد الله سبحانه بالنفع والضر.

وعمل القلب لا بد أن يؤثر في عمل الجوارح والذي هو الأخذ بالأسباب، فمن ترك العمل -أي الأخذ بالأسباب-فهو العاجز المتواكل الذي يستحق من العقلاء التوبيخ والتهجين، ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرَز والأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ}[آل عمران:١٥٩]، وقد قال عليه الصلاة والسلام للذي سأله: "يا رسول الله أعقلها -أي الناقة- وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟! قال: اعقلها وتوكل"[٤].

فمن كان توكله صحيحاً أخذ بالأسباب.

القرآن

{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)} [يوسف : ٤٣]

التفسير:

وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات نحيلات من الهُزال، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تُفَسِّرون.

حسن صحيح. والنسائى فى الكبرى (٤١٩/٣، رقم ٥٨١٢) ، وابن ماجه (٨٣٦/٢، رقم ٢٥٠٤) ، وابن حبان (٢٥٠/١١،
رقم ٤٨٨٩) جميعا أن النبى - ﷺ - سئل عن اللقطة؟ ... فذكره.

[١]الأذكار للنووي": (ص ٤٥٠) بعد حديث (١١٤١).

[٢]انظر هذا الاستشكال وجوابه في: كتاب"الأذكار"للنووي: ٤٥٠- ٤٥١.

[٣] أحكام القرآن:٥٥/٣.

[٤]حديث أنس: أخرجه الترمذى (٦٦٨/٤، رقم ٢٥١٧) ، وقال: غريب. وابن خزيمة فى التوكل كما فى إتحاف المهرة.
(٤٤٦/١٢ رقم ١٥٩١٠) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٩٠/٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٨٠/٢، رقم ١٢١٢) ، والضياء (٢١٦/٧، رقم ٢٦٥٨) . ونقل الترمذى والضياء عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: "وهذا عندى حديث منكر". قال المناوى
(٨/٢) : قال الزركشى: إنما أنكره القطان من حديث أنس، وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن عمرو بن أمية الضمرى، وإسناده صحيح، وقال الزين العراقى: رواه ابن خزيمة والطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمرى بإسناد جيد.
حديث عمرو بن أمية: أخرجه ابن حبان (٥١٠/٢، رقم ٧٣١) ، والحاكم (٧٢٢/٣، رقم ٦٦١٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٨٠/٢، رقم ١٢١٠) . وأخرجه أيضا: ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢١٥/٢، رقم ٩٧٠).

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} [يوسف : ٤٣]، أي:" وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات نحيلات من الهُزال، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات"[١].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف : ٤٣]، أي:" يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تُفَسِّرون"[٢].

قال القرطبي:" فأرسل إلى الناس وأهل العلم منهم والبصر بالكهانة والنجامة والعرافة والسحر، وأشراف قومه، فقال:{ يا أيها الملأ أفتوني في رءياي}، فقص عليهم"[٣].

قال الزجاج:" «الملأ»: الذين يرجع إليهم في الأمور، ويقتدي بآرائهم... ومعنى :«عبرت الرؤيا وعبرتها»: خبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها، واشتققته من عبر النهر، وهو شاطئ النهر، فتأويل «عبرت النهر»، أي: بلغت إلى عبره، أي: شاطئه، وهو آخر عرضه"[٤].

وهذه الرؤيا رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين[٥]:

أحدهما : أنها كانت سبباً لخلاص يوسف من سجنه .

الثاني : أنها كانت نذيراً بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عدته .

القرآن

{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤)} [يوسف : ٤٤]

التفسير:

قالوا: رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها، وما نحن بتفسير الأحلام بعالمين.[٦].

قوله تعالى:{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} [يوسف : ٤٤]، أي:" قالوا: رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه: رؤياك هذه{أضغاث أحلام}، يعنون أنها أخلاطٌ، رؤيا كاذبةٌ لا حقيقة لها"[٨].

قال الثعلبي:" أي: أحلام مختلطة مشتبهة، أهاويل بأباطيل، واحدها ضغث، وأصله الحزمة من الزرع والحشيش"[٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} [يوسف : ٤٤]، وجوه:

أحدها: ألوان أحلام ، قاله الحسن[١٠].

الثاني : أهاويل أحلام. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[١١].

الثالث : أكاذيب أحلام ، قاله ابن عباس-في إحدى الروايات-[١٢]، والضحاك[١٣].

قال ابن جريج: "قال لي عطاء: إن أضغاث الأحلام :الكاذبة المخطئة من الرؤيا"[١٤].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤١.

[٢] التفسير الميسر:٢٤١.

[٣] تفسير القرطبي:١٩٩/٩.

[٤] معاني القرآن:١١٢/٣.

[٥] انظر: النكت والعيون:٤١/٣.

[٦] التفسير الميسر:٢٤١.

[٧] التفسير الميسر:٢٤١.

[٨] تفسير الطبري:١١٧/١٦.

[٩] الكشف والبيان:٢٢٦/٥.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٤٢/٣.

[١١] انظر: تفسير مجاهد:٤٦٩، وانظر: النكت والعيون:٤٢/٣، وتفسير القرطبي:١٩٩/٩.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٣):ص١١٨/١٦.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٦)-(١٩٣٣٨):ص١١٨/١٦-١١٩.

[١٤] حكاه القرطبي في تفسيره:١٩٩/٩.

وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: "إن الرؤيا منها حق، ومنها أضغاث أحلام، يعني بها الكاذبة"[1].
الرابع : شبهة أحلام، قاله ابن عباس[2].
الخامس: أخلاط أحلام. قاله معمر[3]، وقتادة[4]، وبه قال الهروي[5]، وابن قتيبة[6].
قال ابن قتيبة:"مثل «أضغاث النبات» يجمعها الرجل فيكون فيها ضروب مختلفة. والأحلام واحدها حلم"[7].
قال الزجاج:" و«الضغث» في اللغة : الحزمة والباقة من الشيء، كالبقل وما أشبهه، فقالوا له: رؤياك أضغاث أحلام، أي: حزم أخلاط ليست برؤيا بينة"[8].
قال أبو عبيدة { أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}: واحدها:«ضغث» -مكسور-، وهى ما لا تأويل لها من الرؤيا، أراه جماعات تجمع من الرؤيا كما يجمع الحشيش، فيقال: ضغث، أي: ملء كفّ منه، قال [عوف بن الخرع التّيمىّ][9]:

وأسفل منى نهدة قدر بطنها ... وألقيت ضغثا من خلى متطيّب

[أي: تطيبت لها أطايب الحشيش]، وفى آية أخرى : {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ} [ص : ٤٤]"[10].
وروى عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ-« إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا الرجل المسلم تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا»[11].
وفي تقارب الزمان وجهان :
أحدهما : أنه استواء الليل والنهار لأنه وقت اعتدال تنفتق فيه الأنوار وتطلع فيه الثمار فكان أصدق الزمان في تعبير الرؤيا .
الثاني : أنه آخر الزمان وعند انتهاء أمده .
و«الأضغاث»: جمع واحده: ضغث، و«الضغث»: الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلى بعض وقيل هو ملء الكف ، ومنه قوله تعالى: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا } [ص : ٤٤]، وقال ابن مقبل[12]:

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ ... أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالِ

ومنه قول الآخر[13]:

يَحْمِي ذِمَارَ جَنِينٍ قَلَّ مَانِعُهُ ... طَاوٍ كَضِغْثِ الخَلا فِي البَطْنِ مُكْتَمِن

---

[1] حكاه القرطبي في تفسيره:١٩٩/٩.
[2] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٢):ص١١٨/١٦.
[3] انظر: النكت والعيون:٤٢/٣.
[4] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٥):ص١١٨/١٦.
[5] انظر: تفسير القرطبي:١٠٠/٩.
[6] انظر: غريب القرآن:٢١٧.
[7] غريب القرآن:٢١٧.
[8] معاني القرآن:١١٢/٣.
[9] انظر: مجاز القرآن: ٣١٢/١، والبيت عجزه فقط فى الجمهرة: ٢/ ٤٣.
والشاعر: هو عوف بن عطية بن عمر بن الحرث بن تيم. والخزع لقب جده عمرو. هو من فرسان العرب. جاهلى شاعر مفلق حسب قول المرزباني فى معجم الشعراء ٢٧٧ وقال البكري فى السمط ٣٧٧، ٧٢٣: أنه جاهلى إسلامى وراجع تمام نسبه فى شرح المفضليات ٦٣٧، والخزانة ٣/ ٨٢.
[10] مجاز القرآن:٣١٢/١.
[11] أخرجه البخارى (٢٥٧٤/٦، رقم ٦٦١٤) ، ومسلم (١٧٧٣/٤، رقم ٢٢٦٣) وابن ماجه (١٢٨٩/٢ رقم ٣٩١٧) . وأخرجه أيضا: الدارمى (١٦٨/٢، رقم ٢١٤٤) ، وابن حبان (٤٠٤/١٣، رقم ٦٠٤٠).
[12] لم أجده في غير تفسير الطبري:١١٨/١٦. و" الخود"، الفتاة الناعمة الشابة. و" الشمال" هي الريح المعروفة، وهي الباردة. وما أطيب ما وصف ابن مقبل وما أبصره!.
[13] من شواهد الطبري في تفسيره:١١٨/١٦. ولم أجده في مكان آخر.

و«الأحلام»: جمع: حُلم ، و«الحُلم» الرؤيا في النوم ، وأصله الأناة ، ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرى في النوم حلم لأنها حال أناة وسكون[١].

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} [يوسف : ٤٤]، أي:" وما نحن بتفسير الأحلام بعالمين"[٢].

قال الطبري:" يقول: وما نحن بما تئول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين"[٣].

فوائد الآيتين:[٤٣-٤٤]:

١- لا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم، ولهذا كان النبي - ﷺ - كثيرًا ما يسأل أصحابه عن الرؤيا، فيقص عليهم ما شاء الله أن يقص.

كما ثبت في الصحيحين من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله - ﷺ - مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا؟» قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص[٤].

قال النووي رحمه الله في ذكر فوائد هذا الحديث: "وفيه استحباب السؤال عن الرؤيا"[٥].

وقال ابن حجر رحمه الله في ذكر فوائد هذا الحديث أيضًا: "وفيه الاهتمام بأمر الرؤيا بالسؤال عنها، وفضل تعبيرها، واستحباب ذلك بعد صلاة الصبح" [٦].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: إن رسول الله - ﷺ - كان مما يقول لأصحابه «من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له»[٧].

٢- استدل البعض بهذه الآية على أن للرؤيا حقيقة ثابتة مستقرة بنفسها وليست تابعة للتعبير، إذ قال تعالى في قصة الملك: {قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} [يوسف: ٤٤].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "في الآية دليل على بطلان قول من يقول إن الرؤيا على أول ما تعبر؛ لأن القوم قالوا: أضغاث أحلام، ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر، وفيها دليل على فساد أن الرؤيا على رجل طائر، فإذا عبرت وقعت" [٨].

واستدلوا بقوله - ﷺ - لأبي بكر عندما فسر الرؤيا: «أصبت بعضًا، وأخطأت بعضًا»[٩].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:١٦/١١٧-١١٨النكت والعيون:٣/٤٢.

[٢] التفسير الميسر:٢٤١.

[٣] تفسير الطبري:١٦/١١٩.

[٤]رواه البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه :١٢ / ٤٣٨- ٤٣٩ فتح الباري.

[٥]شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ٣٥.

[٦]فتح الباري (١٢/ ٤٤٦) وانظر كذلك (١٢/ ٤٣٧.

[٧]أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا ٣ باب في تأويل الرؤيا، (٢٢٦٩) (٤/ ١٧٧٨).

[٨] تفسير القرطبي: ٩/ ٢٠١.

[٩]أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التعبير ٤٧ - باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، رقم الحديث (٧٠٤٦) (٤/ ٣٠٩) ومسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا ٣ - باب في تأويل الرؤيا، رقم الحديث (٢٢٦٩) (٤/ ١٧٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني رأيت الليلة في المنام أن ظلة تنظف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني أعبرها فقال له - صلى الله عليه وسلم -: «اعبرها».

قال: أما الظلة، فالإسلام وأما الذي ينظف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنظف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به، فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت وأمي أصبت أم أخطأت؟ قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أصبت بعضًا وأخطأت

ووجه الدلالة: أن الرؤيا حقيقة لم يدرك بعضها أبو بكر، وأخطأ فيها، ثم بتعبيره لها لم تتغير حقيقتها[١].

قال الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث أن الرؤيا ليست لأول عابر كما تقدم تقريره، لكن قال إبراهيم بن عبد الله الكرماني: المعبر لا يغير الرؤيا عن وجهها عبارة عابر ولا غيره، وكيف يستطيع مخلوق أن يغير ما كانت نسخته من أم الكتاب؟ غير أنه يستحب لمن يتدرب في علم التأويل ألاَّ يتعرض لما سبق إليه ممن لا يشك في أمانته ودينه".

قال الحافظ تعليقًا على قول الكرماني: "وهذا مبني على تسليم أن المرائي تنسخ من أم الكتاب على وفق ما يعبرها العارف، وما المانع أنها تنسخ على وفق ما يعبرها أول عابر"[٢].

وأجابوا عن حديث «إذا عبرت وقعت» بأن وقوعها بعد التعبير عبارة عن زوال التردد للرائي، فإنه لا تزال نفسه تتردد في تعبيره، فإذا عبر وقع تعبيره عنده، وليس فيه أن الواقع أيضًا يتبع تعبيره، وإنما المضرة في تعبير الرؤيا المشوهة هو التحزين لا غير[٣].

ورجّح الشيخ الألباني رحمه الله حيث في قوله - ﷺ -: «على رجل طائر»[٤]، أي أنها لا تستقر ما لم تعبر، كما قال الطحاوي والخطابي وغيرهما، والحديث صريح بأن الرؤيا تقع على مثل ما تعبر، ولذلك أرشدنا رسول الله - ﷺ - إلى ألا نقصها إلا على ناصح أو عالم؛ لأن المفروض فيهما أن يختار أحسن المعاني في تأويلها فتقع على وفق ذلك، لكن مما لا ريب فيه أن ذلك مقيد بما إذا كان التعبير مما تحتمله الرؤيا ولو على وجه، وليس خطأ محضًا، وإلا فلا تأثير له حينئذ، والله أعلم[٥].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)} [يوسف : ٤٥]

التفسير:

وقال الذي نجا من القتل من صاحبَي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لآتيكم بتفسيرها.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف : ٤٥]، أي:" وقال الذي نجا من القتل من صاحبَي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ} [يوسف : ٤٥]، وجوه:

أحدها : يعني بعد حين ، قاله ابن عباس[٧]، والحسن[٨]، وأبو رزين[٩]، وأبو بكر بن عياش[١]، ومجاهد[٢]، وابن كثير[٣]، والسدي[٤].

بعضًا» قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي اخطأت قال: «لا تقسم».

[١] انظر: فتح الباري :٤/ ٤٩٤.

[٢] فتح الباري :١٢/ ٤٣٧.

[٣] انظر: فتح الباري (٤/ ٤٩٤) ولسان العرب (٤/ ٥٣٠).

[٤] الحديث« رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا تحدث بها سقطت ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا».

أخرجه الترمذى (٥٣٦/٤، رقم ٢٢٧٨) ، والطبرانى (٢٠٥/١٩، رقم ٤٦٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٩٠/٤، رقم ٤٧٦٧).

[٥] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها :١/ ١٨٨.

[٦] التفسير الميسر:٢٤١.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٣٩)-(١٩٣٤١):ص١٢٠/١٦.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٤٧):ص١٢٠/١٦.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٤٣):ص١٢٠/١٦.

قال ابن عباس:" بعد حين، وهو: الأجل الذي يعلمه الله"[٥].
الثاني: بعد حقبة من الدهر. قاله عكرمة[٦]، ومجاهد[٧].
الثالث: بعد سنين. قاله سعيد بن جبير[٨]، وحكاه ابن جريج عن ابن عباس[٩].
الرابع: بعد نسيان ، قاله ابن عباس[١٠]، وعكرمة[١١]، وقتادة[١٢]، والضحاك[١٣]، وقرأ ابن عباس[١٤]، وعكرمة[١٥]، ومجاهد[١٦]:«بَعْدَ أَمَةٍ»: بفتح الألف، وتخفيف الميم وفتحها بمعنى: بعد نسيان[١٧].

وفيها قراءة ثالثة«وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمْهٍ»، مجزومة الميم مخففة. هذ قراءة مجاهد[١٨].
الخامس : بعد أمة من الناس ، قاله الحسن[١٩].

قال مالك بن دينار: "وكان الحسن يقرأ هذه الآية :«أنا آتيكم بتأويله»، فقيل له: يا أبا سعيد أنا أنبئكم بتأويله قال: أهو كان نبيهم"[٢٠].

قال الحسن : " ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبوديّة وفي السجن وفي الملك ثمانين سنة، ثم جمع الله عز وجل شمله، وعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة"[٢١].

قوله تعالى:{فَأَرْسِلُونِ} [يوسف : ٤٥]، أي:" فابعثوني إلى يوسف لآتيكم بتفسيرها"[٢٢].

قال ابن عباس: "لم يكن السجن في المدينة، فانطلق الساقي إلى يوسف"[٢٣].

القرآن

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)} [يوسف : ٤٦]

التفسير:

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٤٢):ص١٢٠/١٦.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٠):ص١٢١/١٦.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥١):ص١٢١/١٦.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٢):ص١٢١/١٦.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٥٤):ص٢١٥١/٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٣):ص١٢١/١٦.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٥٦):ص٢١٥٢/٧.
[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٥٥):ص٢١٥١/٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥١):ص١٢١/١٦.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٤)، و(١٩٣٥٥)، و(١٩٣٦٠):ص١٢٢/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٦٥٨):ص٢١٥٢/٧.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٥٦)-(١٩٣٥٩):ص١٢٢/١٦.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦١):ص١٢٢/١٦.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦٣):ص١٢٣/١٦.
[١٤]انظر:تفسير الطبري(١٩٣٥٥): ص١٢٢/١٦ .
[١٥]انظر:تفسير الطبري(١٩٣٥٦)ص١٢٢/١٦ .
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦٢):ص١٢٢/١٦-١٢٣.
[١٧]انظر:تفسير الطبري:١٢٢/١٦ .
[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٣٦٥):ص١٢٣/١٦.
[١٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٦٥٩):ص٢١٥٢/٧.
[٢٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٠):ص٢١٥٢/٧.
[٢١] أخرجه الطبري(١٩٩٢٧):ص٢٧٤/١٦.
[٢٢] التفسير الميسر:٢٤١.
[٢٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٦١):ص٢١٥٢/٧.

وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات؛ لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

قوله تعالى:{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} [يوسف : ٤٦]، أي:" وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسِّر لنا رؤيا مَن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات"[١].

عن قتادة :" قوله: {أفتنا في سبع بقرات سمان}، وهي: السنون المخصبات"[٢]، " يأكلهن سبع عجاف وهن السنون المحول الجدوب"[٣]، {وسبع سنبلات خضر}: وهي السنون المخاصيب تخرج الأرض نباتها وزرعها وثمارها"[٤]، {وأخر يابسات}: المحول الجدوب، فلا تخرج الأرض زرعها ولا ثمارها"[٥].

واحتمل تسميته بالصديق وجهين[٦]:

أحدهما : لصدقه في تأويل رؤياهما .

الثاني : لعلمه بنبوته . والفرق بين الصادق والصديق أن الصادق في قوله بلسانه ، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره ، فصار كل صدّيق صادقاً وليس كل صادق صدّيقاً .

قوله تعالى:{لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف : ٤٦]، أي:" لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك"[٧].

قال الزجاج:" أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون مكانك فيكون ذلك سبب خلاصك من الحبس"[٨].

عن السدي: "{لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون}، تأويلها"[٩].

فوائد الآيتين:[٤٥-٤٦]:

١- أن «الأمة»: تطلق على كل جماعة يجمعهم أمر من الأمور؛ إما دين، أو زمان، أو مكان، وأيضا يطلق على الإمام القدوة، وأدلتها كما يلي:

أ- الجماعة من الناس في المكان الواحد، قال تعالى: {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون} [القصص:٢٣].

ب- الملة والدين، قال تعالى: {إنا وجدنا آباءنا على أمة} [الزخرف:٢٣].

ت- الفترة من الزمن، قال تعالى: {وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون} [يوسف:٤٥].

ث- الإمام القدوة المتبع، قال تعالى: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا} [النحل:١٢٠][١٠].

٢- أن تأويل الرؤيا يشمل تفسيرها الذي نسميه عبارة الرؤيا، ويشمل الحقيقة التي يؤول إليها الرؤيا، فالتعبير أخص من التأويل[١١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤١.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٢):ص٢١٥٢/٧.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٦٣):ص٢١٥٣/٧.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٤):ص٢١٥٣/٧.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٥):ص٢١٥٣/٧.
[٦] انظر: النكت والعيون:٤٣/٣.
[٧] التفسير الميسر:٢٤١.
[٨] معاني القرآن:١١٤/٣.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٧):ص٢١٥٣/٧.
[١٠] انظر: شرح الشيخ الغنيمان حفظه الله على كتاب (فتح المجيد)، شريط رقم (١٦).
[١١]انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٣٣٢) دار الفكر.

فالتأويل كما في قوله عز وجل: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} وكقوله عز وجل: {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ}.
والتعبير كقوله: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣] وأغلب الأحاديث في الرؤيا أن يقول - ﷺ -: «فأولت ذلك بكذا».
و"التأويل عند السلف له معنيان:
أحدهما: بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير رحمه الله: واختلف علماء التأويل ومن ذلك قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٣٦، ٣٧] أي تفسيره وقوله: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٤٥].
الثاني: من معاني التأويل يطلق ويراد به الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ١٠٠].
فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التي تؤول إليه"[١].

القرآن

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)} [يوسف : ٤٧]

التفسير:

قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادِّين ليَكْثُر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله؛ ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى، إلا قليلا مما تأكلونه من الحبوب.

قوله تعالى:{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} [يوسف : ٤٧]، أي:" قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادِّين ليَكْثُر العطاء"[٢].

قال الزجاج:" «الدأب»: الملازمة للشيء والعادة"[٣].

قوله تعالى:{فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ} [يوسف : ٤٧]، أي:" فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله؛ ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى"[٤].

عن السدي: "{قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله}، قال: هو أبقى له"[٥].

قال ابن زيد:" فلم يرض أن أفتاهم بالتأويل حتى أمرهم بالرفق، فقال: سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله لأن الحب إذا كان في سنبله لا يؤكل"[٦].

قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} [يوسف : ٤٧]، أي:" إلا قليلا مما تأكلونه من الحبوب"[٧].

قال قتادة:" قال لهم نبي الله يوسف- ﷺ-: {تزرعون سبع سنين دأبا} إلى قوله {مما تأكلون}، أراد نبي الله يوسف البقاء"[٨].

القرآن

---

[١] انظر: التدمرية ص (٩١ - ٩٣) والدليل في المتشابه والتأويل، ص (٢٨، ٢٩) الطبعة الثانية السلفية.
[٢] التفسير الميسر:٢٤١.
[٣] معاني القرآن:١١٤/٣.
[٤] التفسير الميسر:٢٤١.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٨):ص٢١٥٣/٧.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦٩):ص٢١٥٣/٧.
[٧] التفسير الميسر:٢٤١.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٧٠):ص٢١٥٣/٧.

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)} [يوسف : ٤٨]

التفسير:

ثم يأتي بعد هذه السنين الخِصْبة سبع سنين شديدة الجَدْب، يأكل أهلها كل ما ادَّخرتم لهن من قبل، إلا قليلا مما تحفظونه وتدَّخرونه ليكون بذورًا للزراعة.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ} [يوسف : ٤٨]، أي:" ثم يأتي بعد هذه السنين الخِصْبة سبع سنين شديدة الجَدْب"[١].

قال قتادة: "وهن السنون المحمول، الجدوب"[٢].

عن ابن زيد، عن أبيه:" أن يوسف، النبي ﷺ، في زمانه كان يضع لرجل طعام اثنين فيقربه إلى الرجل فيأكل نصفه ويدع نصفه، حتى إذا كان يوما قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم من السبع الشداد"[٣].

قوله تعالى:{يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} [يوسف : ٤٨]، أي:" تأكلون فيها مما ادخرتم أيام الرخاء"[٤].

قال قتادة:" يقول: يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ} [يوسف : ٤٨]، أي:" إلا القليل الذي تدخرونه وتخبئونه للزراعة"[٦].

قال أبو عبيدة:" أي: مما تحرزون"[٧].

عن ابن عباس: قوله: "{إلا قليلا مما تحصنون}، يقول: تخزنون"[٨].

عن قتادة: قوله: "{إلا قليلا مما تحصنون}، أي: مما تدخرون"[٩].

القرآن

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)} [يوسف : ٤٩]

التفسير:

ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخِصْب والنماء.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ} [يوسف : ٤٩]، أي:" ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة"[١٠].

قال ابن عباس:" يقول: يصيبهم فيه غيث"[١١].

قال قتادة:" يغاث الناس بالمطر"[١٢].

قال الطبري:أي:" بالمطر والغيث"[١٣].

قال ابن كثير:" ثم بشرهم بعد الجَدْب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك { عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ } أي : يأتيهم الغيث ، وهو المَطرُ، وتُغل البلاد" [١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤١.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧١):ص٢١٥٤/٧.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٢):ص٢١٥٤/٧.
[٤] صفوة التفاسير:٥١/٢.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٣):ص٢١٥٤/٧.
[٦] صفوة التفاسير:٥١/٢.
[٧] مجاز القرآن:٣١٣/١.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٥):ص٢١٥٤/٧.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٦):ص٢١٥٤/٧.
[١٠] التفسير الميسر:٢٤١.
[١١] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٧):ص٢١٥٤/٧.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٦٧٨):ص٢١٥٤/٧.
[١٣] تفسير الطبري:١٢٨/١٦.

عن قتادة، قوله: "{ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس}، قال: فيه يغاثون بالمطر"[٢].

قال ابن عباس:" أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه، وكان الله قد علمه إياه، {عام فيه يغاث الناس} ، بالمطر"[٣].

قوله تعالى:{وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٩]، أي:" ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخِصْب والنماء"[٤].

قال الطبري:" وهذا خبرٌ من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالةً على نبوته وحجة على صدقة"[٥].

قال ابن كثير:" ويَعصرُ الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم ، من زيت ونحوه ، وسكر ونحوه حتى قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضًا"[٦].

قال قتادة:" ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها، فقال: {ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون}"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعصرون العنب والزيتون من خصب الثمار، قاله ابن عباس[٨]، وقتادة[٩].

قال ابن عباس:" يقول: يصيبهم غيث، فيعصرون فيه العنب، ويعصرون فيه الزيت، ويعصرون من كل الثمرات"[١٠].

وقال مجاهد:" يعصرون أعنابهم"[١١].

وعن السدي: "{وفيه يعصرون} ، قال: العنب"[١٢].

وعن الضحاك: "{وفيه يعصرون}، قال: الزيت"[١٣].

الثاني : أي: فيه يَحْلِبون المواشي من خصب المراعي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[١٤]، وقرأ«وَفِيهِ تَعْصِرُونَ» بالتاء، يعني: تحتلبون[١٥].

قال الطبري:وهذا القول" لا معنى له، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس"[١٦].

الثالث : يعصرون السحاب بنزول الغيث وكثرة المطر، من قوله تعالى:{وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجَّاجاً} [النبأ : ١٤] . قاله عيسى بن عمر الثقفي[١٧].

وقرئ: «وَفِيهِ يُعْصَرُونَ»، بمعنى: يمطرون[١٨].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٩٣/٤.
(٢) أخرجه الطبري(١٩٣٧٨):ص١٢٩/١٦.
(٣) أخرجه الطبري(١٩٣٨٠):ص١٢٩/١٦.
(٤) التفسير الميسر:٢٤١.
(٥) تفسير الطبري:١٢٨/١٦.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٩٣/٤.
(٧) أخرجه الطبري(١٩٣٧٧):ص١٢٨/١٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٨٢)-(١٩٣٨٤):ص١٢٩/١٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٨٩):ص١٣٠/١٦.
(١٠) أخرجه الطبري(١٩٣٨٤):ص١٢٩/١٦.
(١١) أخرجه الطبري(١٩٣٨٥):ص١٣٠/١٦.
(١٢) أخرجه الطبري(١٩٣٨٦):ص١٣٠/١٦.
(١٣) أخرجه الطبري(١٩٣٨٧):ص١٣٠/١٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٩٠):ص١٣٠/١٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٩٣٩١):ص١٣٠/١٦.
(١٦) تفسير الطبري:١٣٢/١٦.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٤٥/٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٦.

الرابع : تنجون ، مأخوذ من العُصْرة وهي المنجاة، قاله أبو عبيدة[١]، وذكره الزجاج[٢]، ومنه قول الشاعر[٣]:

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ

أي: المقهور المغلوب، وقال لبيد[٤]:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقّافا بغير معصّر

قال الزجاج:" يقال: فلان في عصر وفي عصر، إذا كان في حصن لا يقدر عليه"[٥].

واعترض الطبري على هذا الوجه قائلا:" وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مَذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: {وفيه يعصرون} إلى: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث... وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين"[٦].

الخامس : تحسنون وتفضلون. ذكره الماوردي[٧]، ومنه قول الشاعر[٨]:

لو كان في أملاكنا ملك يعصر فينا مثل ما تعصر

أي: يحسن.

قال الماوردي:"وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلقه الله تعالى عليه من آيات نبوته"[٩].

فوائد الآيات:[٤٧-٤٩]:

١- أرض مصر أرض فلاحة وزراعة من عهدها الأول.
٢- الاحتفاظ بالفائض في الصوامع وغيرها مبدأ اقتصادي هام ومفيد.
٣- كمال يوسف في حسن تعبير الرؤى شيء عظيم.
٤- فضل يوسف عليه السلام على أهل مصر حيث أفادهم بأكثر مما سألوا.

القرآن

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)} [يوسف : ٥٠]

التفسير:

---

[١] انظر: مجاز القرآن:١/٣١٣-٣١٤.

[٢] انظر: معاني القرآن:٣/١١٤.

[٣] البيت لأى زيد فى قصيدة يرثى بها اللجاج ابن أخته وكان من أحب الناس إليه وهى من الجمهرات ١٣٨ والبيت فى الطبري١٣١/١٦، والفرطين ١/ ٢٢٦، والاقتضاب ٣٩٠ والقرطبي ٩/ ٢٠٥ واللسان (عصر)..

[٤]ديوانه ١/ ٦٥- والطبري :١٣٢/١٦، واللسان والتاج (سرى). وغيرها.

من قصيدة ذكر فيها من هلك من قومه، وهذا البيت من ذكر قيس بن جزء ابن خالد بن جعفر، وكان خرج غازيًا فظفر، فلما رجع مات فجأه على ظهر فرسه، بات على فرسه ربيئة لأصحابه، وعليه الدرع، فهرأه البرد فقتله. ففي ذلك يقول لبيد: وقيسُ بن جَزْءٍ يَوْمَ نَادَى صِحَابَهُ ... فَعَاجُوا عَلَيْهِ مِنْ سَوَاهِمَ ضمَّرِ

طَوَتْهُ المَنَايَا فَوْقَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ ... تَدِفُّ دَفِيفَ الطَّائحِ المُتَمَطِّرِ

فَبَات........................... . . . .

يقول: نادى صحابه، فعطفوا عليه خيلا قد لوحها السفر وهزلها، وقد أخذته يد الموت وهو على ظهر فرسه الجرداء الطويلة،" تدف"، أي تطير طيرانًا كما يفعل الطائر وهو قريب من وجه الأرض، و" الرائح المتمطر"، وهو الطائر الذي يؤوب إلى فراخه، طائرًا في المطر، هاربًا منه، فذلك أسرع له.

يقول: فبات عليها هلكًا، وسار أصحابه، ولم يتأخر عنهم إلا لأمر أصابه. ورواية الديوان:" بدار معصر"، وذكر الرواية الأخرى.

[٥] معاني القرآن:٣/١١٤.

[٦] تفسير الطبري:١٦/١٣١-١٣٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:٣/٤٥.

[٨] انظر: النكت والعيون:٣/٤٥.

[٩] النكت والعيون:٣/٤٥.

وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعبِّر للرؤيا من السجن وأحضروه لي، فلما جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي؛ لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ} [يوسف : ٥٠]، أي:" وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعبِّر للرؤيا من السجن وأحضروه لي"[١].

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف : ٥٠]، أي:" جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي"[٢].

قال الصابوني:" أبى عليه السلام أن يخرج من السجن حتى تُبرأ ساحته من تلك التهمة الشنيعة، وأن يعلم الناس جميعاً أنه حُبس بلا جرم"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} [يوسف : ٥٠]، أي:" إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك"[٤].

قال الطبري:" يقول: إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التي فعلن، بي ويفعلن بغيري من الناس، لا يخفى عليه ذلك كله، وهو من ورَاء جزائهن على ذلك"[٥].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} [يوسف : ٥٠]، وجهان[٦]:

أحدهما : معناه إن الله بكيدهن عليم.

الثاني : إن سيدي إطفير العزيز، زوج المرأة التي راودتني عن نفسي، ذو علم ببراءتي مما قرفتني به من السوء.

الفوائد:

١- فضل العلم وشرفه إذ به رفع الملك يوسف إلى حضرته وهو رفيع.
٢- فضيلة الحلم والأناة وعدم التسرع في الأمور.

القرآن

{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)} [يوسف : ٥١]

التفسير:

قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتنَّ يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟ فهل رأيتن منه ما يريب؟ قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يَشينه، عند ذلك قالت امراة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه، فأنا التي حاولت فتنته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله.

قوله تعالى:{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف : ٥١]، أي:" قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتنَّ يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟"[٧].

قال الطبري:" وفي هذا الكلام متروك، قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو:"فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة

---

[١] التفسير الميسر:٢٤١.
[٢] التفسير الميسر:٢٤١.
[٣] صفوة التفاسير:٥١/٢.
[٤] التفسير الميسر:٢٤١.
[٥] تفسير الطبري:١٣٧/١٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري:١٣٧/١٦، والنكت والعيون:٤٦/٣.
[٧] التفسير الميسر:٢٤١.

العزيز" فقال لهن: {ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه}... ويعني بقوله: {ما خطبكن) ، ما كان أمركن، وما كان شأنكن{إذ راودتن يوسف عن نفسه}"[1].

قال ابن إسحاق:" فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه، جمع النسوة وقال: {ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه} ؟"[2].

قوله تعالى:{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} [يوسف : ٥١]، أي:" قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يَشينه"[3].

قوله تعالى:{قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} [يوسف : ٥١]، أي:" ذلك قالت امراة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه"[4].

قال الطبري:" تقول: الآن تبين الحق وانكشف فظهر"[5].

قال الزجاج:" أي: برز وتبين، واشتقاقه في اللغة من «الحصة»، أي: بانت حصة الحق وجهته من جهة الباطل"[6].

قال ابن إسحاق:" قالت راعيل امرأة إطفير العزيز: {الآن حصحص الحق}، أي: الآن برز الحق وتبيَّن"[7].

عن ابن عباس : "{الآن حصحص الحق}، قال: تبيّن"[8]. وروي عن مجاهد[9]، الضحاك[10]، وقتادة[11]، والسدي[12]، وابن زيد[13]، مثل ذلك.

قال السدي:" قال الملك: ائتوني بهن! فقال: {ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء} ، ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت وحلّ سراويله، ثم شدَّه بعد ذلك،، فلا تدري ما بدا له، فقالت امرأة العزيز: {الآن حصحص الحق}"[14].

قوله تعالى:{أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [يوسف : ٥١]، أي:" ، فأنا التي حاولت فتنته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله"[15].

قال ابن إسحاق:" فيما كان قال يوسف مما ادّعَت عليه"[16].

القرآن

{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)} [يوسف : ٥٢]

التفسير:

قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلتُه من ردّ الرسول حتى تظهر براءتي، ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها، وأن لا يوفق الخائن ولا يسدّد خطاه.

---

[1] تفسير الطبري:١٣٧/١٦-١٣٨.
[2] أخرجه الطبري(١٩٤٠٦):ص١٣٧/١٦-١٣٨.
[3] التفسير الميسر:٢٤١.
[4] التفسير الميسر:٢٤١.
[5] تفسير الطبري:١٣٨/١٦.
[6] معاني القرآن:١١٥/٢.
[7] أخرجه الطبري(١٩٤١٨):ص١٣٩/١٦.
[8] أخرجه الطبري(١٩٤٠٧):ص١٣٨/١٦.
[9] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٠٨):ص١٣٨/١٦.
[10] انظر: تفسير الطبري(١٩٤١٧):ص١٣٨/١٦.
[11] انظر: تفسير الطبري(١٩٤١٤):ص١٣٨/١٦.
[12] انظر: تفسير الطبري(١٩٤١٥):ص١٣٨/١٦.
[13] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٠):ص١٣٩/١٦.
[14] أخرجه الطبري(١٩٤١٩):ص١٣٩/١٦.
[15] التفسير الميسر:٢٤١.
[16] أخرجه الطبري(١٩٤١٨):ص١٣٩/١٦.

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف : ٥٢]، أي:" ذلك الأمر الذي فعلتُه من ردّ الرسول حتى تظهر براءتي، ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها"[١].

وفي قوله تعالى:{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف : ٥٢]، وجهان:

أحدها : أنه قول امرأة العزيز عطفاً على ما تقدم ، ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب ، يعني الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، حكاه ابن عيسى[٢].

الثاني : أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه ، وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته، قاله ابن عباس[٣]، والحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، والسدي[٨]، والسدي[٨]، وابن إسحاق[٩]، وأبو صالح[١٠].

قال ابن عباس:" هو: قول يوسف لمليكه، حين أراد الله عذره، فذكر أنه قد هم بها وهمت به"[١١].

قال ابن إسحاق:" ذلك ليعلم أطيفير سيده أني لم أخنه بالغيب أي: لم أكن لأخالف إلى أهله من حيث لا يعلم، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين"[١٢].

قال الزجاج:" هذا قول يوسف عليه السلام، المعنى: إني أردت التبيين للملك أمر أمرأته والنسوة، ليعلم أني لم أخنه بالغيب"[١٣].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [يوسف : ٥٢]، أي:" وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم"[١٤].

القرآن

{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)} [يوسف : ٥٣]

التفسير:

قال يوسف: ولا أزكي نفسي ولا أنزّهها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذاتها، إلا من رَحِمَهُ اللَّهُ بالعصمة. إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم.[١٥].

قوله تعالى:{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف : ٥٣]، أي:" قال يوسف: ولا أزكي نفسي ولا أنزّهها"[١٦].

قال الطبري:" يقول يوسف صلوات الله عليه: وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها"[١].

---

[١] صفوة التفاسير:٥٢/٢.
[٢] انظر: النكت والعيون:٤٦/٣.
[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٩٥):ص٢١٥٧/٧.
[٤] انظر: النكت والعيون:٤٧/٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٢):ص١٤١/١٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٥):ص١٤١/١٦.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٧):ص١٤١/١٦.
[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٦٩٦):ص٢١٥٧/٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢١):ص١٤٠/١٦.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٦):ص١٤١/١٦.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٩٥):ص٢١٥٧/٧.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٩٧):ص٢١٥٧/٧.
[١٣] معاني القرآن:١١٥/٢.
[١٤] التفسير الميسر:٢٤١.
[١٥] التفسير الميسر:٢٤٢.
[١٦] صفوة التفاسير:٥٢/٢.

وفي قوله تعالى:{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف : ٥٣]، ثلاثة وجوه[٢]:
أحدها : أنه قول العزيز، أي: وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف .
الوجه الثاني: أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها .
الوجه الثالث : أنه من قول يوسف. اختاره الطبري[٣].
والراجح-والله أعلم – هو القول الأول، وذلك لأمرين:
أحدهما: لأنه اختيار إمام المفسرين ابن جرير الطبري[٤].
والثاني: أن هذا الكلام: «وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم». لا يجري إلا على لسان الأنبياء والصالحين، ومن البعد أن يرقى الكافر إلى هذا المستوى فيقول ذلك.
واختلف في السبب الذي من اجله قال يوسف: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف : ٥٣]، وفيه وجوه:
أحدها : أن يوسف لما قال: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب}، قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل ؟ فقال : {وما أبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء}، قاله السدي[٥].
وروي عن السدي: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال: قاله يوسف حين جيء به، ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. فقالت امرأة العزيز: يا يوسف، ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال يوسف: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[٦].
الثاني : أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال : ولا حين هممت ؟ فقال: {وما أُبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء}. قاله ابن عباس[٧]، وأبو صالح[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، والحسن[١٠].
قال ابن عباس:" لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن حَاشَ لله، ما علمنا عليه من سوء! قالت امرأة العزيز: {الآن حصحص الحق} الآية. قال يوسف: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال فقال له جبريل: ولا يوم هممت بما هممت! فقال: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[١١].
عن أبي صالح، في قوله: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال: هذا قول يوسف قال: فقال له جبريل: ولا حين حللت سراويلك؟ قال فقال يوسف: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}، الآية"[١٢].
قال سعيد بن جبير:" لما قال يوسف: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} . قال جبريل، أو مَلَك: ولا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[١٣].
عن الحسن: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال له جبريل: اذكر همَّك! فقال: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٤٢/١٦.
[٢] انظر:النكت والعيون:٤٨/٣.
[٣] تفسير الطبري:١٤٢/١٦.
[٤] تفسير الطبري:١٤٢/١٦.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٤٤):ص١٤٦/١٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٩٤٤٤):ص١٤٦/١٦.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٢٨):ص١٤٣/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٣٩):ص١٤٥/١٦.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٣١):ص١٤٣/١٦.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٣٧):ص١٤٥/١٦.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٤٢٨):ص١٤٣/١٦.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٤٣٩):ص١٤٥/١٦.
[١٣] أخرجه الطبري(١٩٤٣١):ص١٤٣/١٦.

الثالث : أن الملك الذي مع يوسف قال له : اذكر ما هممت به، فقال: {وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء}.وهذا قول قتادة[٢].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف، قال له: اذكر ما هممت به. قال نبي الله: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}"[٣].

وروي عن عكرمة، قوله: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} ، قال الملك، وطَعَن في جنبه: يا يوسف، ولا حين هممت؟ قال: فقال: {وما أبرئ نفسي}"[٤].

الرابع : أن يوسف قال ذلك ابتداءً من قبل نفسه، وذلك لما قال:{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب}، كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال: {وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}. قاله ابن عباس[٥]، والحسن[٦].

روي عن ابن عباس، قوله: "{ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين}، هو قول يوسف لمليكه، حين أراه الله عذره، فذكر أنه قد همَّ بها وهمت به، فقال يوسف: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء} ، الآية"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف : ٥٣]، أي:"إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذاتها"[٨].

قال الطبري:" يقول: إن النفوسَ نفوسَ العباد، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله"[٩].

ويحتمل قوله:{لأمارة بالسوء} وجهين[١٠]:

أحدهما : يعني أنها مائلة إلى الهوى بالأمر بالسوء .

الثاني : أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزماً أفضت إلى السوء .

قوله تعالى:{إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} [يوسف : ٥٣]، أي:" إلا من رَحِمَهُ اللهُ بالعصمة"[١١].

قال الطبري:" يقول: إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمرُه به من السوء"[١٢].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف : ٥٣]، أي:" إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم"[١٣].

قال الطبري:" أن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبته عليها وفضيحته بها ، {رحيم}، به بعد توبته، أن يعذبه عليها"[١٤].

فوائد الآيات:[٥١-]:

١- فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

٢- فضيلة هضم النفس باتهامها بالنقص والتقصير.

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٤٣٧):ص١٤٥/١٦.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٤١):ص١٤٥/١٦.

[٣] أخرجه الطبري(١٩٤٤١):ص١٤٥/١٦.

[٤] أخرجه الطبري(١٩٤٤٣):ص١٤٥/١٦-١٤٦.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٤٥):ص١٤٦/١٦.

[٦] انظر: النكت والعيون:٤٩/٣.

[٧] أخرجه الطبري(١٩٤٤٥):ص١٤٦/١٦.

[٨] التفسير الميسر:٢٤٢.

[٩] تفسير الطبري:١٤٢/١٦.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٤٩/٣.

[١١] التفسير الميسر:٢٤٢.

[١٢] تفسير الطبري:١٤٢/١٦.

[١٣] التفسير الميسر:٢٤٢.

[١٤] تفسير الطبري:١٤٢/١٦.

٣- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- فـ«الغفور»: هو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب ففي الحديث: "إن الله يقول يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"[1]. وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم:٣٢].

وقد فتح الله الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته"[2].

قال الخطابي:"«الغفور»:هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[3].

- و«الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء"[4].

القرآن

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)} [يوسف : ٥٤]

التفسير:

وقال الملك الحاكم لـ «مصر» حين بلغته براءة يوسف: جيئوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلَّمه الملك، وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف : ٥٤]، أي:" وقال الملك الحاكم لـ «مصر» حين بلغته براءة يوسف: جيئوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره:{وقال الملك}، يعني ملك مصر الأكبر، وهو فيما ذكر ابن إسحاق: «الوليد بن الرّيان»[6]، حين تبين عذر يوسف، وعرف أمانته وعلمه، قال لأصحابه: {ائتوني به أستخلصه لنفسي}، يقول: أجعله من خُلصائي دون غيري"[7].

عن قتادة{ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي}،"أتخذه لنفسي"[8].

قال مجاهد : "وأسلم على يده"[9]. أي: الملك.

قال الصابوني:" قال ذلك لمّا تحقق براءته وعرف عفته وشهامته وعلمه"[10].

قال ابن عباس:" قال الملك ليوسف: إني أحب أن تخالطني في كل شيء إلا في أهلي، وأنا آنف أن تأكل معي، فغضب يوسف، فقال: أنا أحق أن آنف إن أبي إبراهيم خليل الله وأبي إسحاق ذبيح الله"[11].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٤٧) بنحوه، والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٨) كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥) كتاب الآداب باب فضل العمل، والدارمي (٢/ ٢٣٠) كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله عن أنس، وقال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه. انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٠٠).

[2] الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.

[3] انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

[4] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

[5] التفسير الكيسر:٢٤٢.

[6] تفسير الطبري(١٩٤٤٦):١٤٧/١٦.

[7] تفسير الطبري:١٤٧/١٦.

[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٠٩):ص٢١٥٩/٧.

[9] النكت والعيون:٥٢/٣.

[10] صفوة التفاسير:٥٢/٢.

[11] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٧):ص٢١٥٩/٧.

عن أبي ميسرة قال: "لما رأى العزيز لبق يوسف، وكيسه وظرفه دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه، فلما كان بينه وبين المرأة ما كان قالت له مرة: فليتغد ويتعشى مع الغلمان فقال له يوسف في وجهه: ترغب أن تأكل معي؟ أو تنكف أن تأكل معي؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله"[(١)].

قوله تعالى:{فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف : ٥٤]، أي:" فلما أتوا به وكلَّمه يوسف وشاهد الملك فضله، ووفور عقله، وحُسن كلامه قال إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء"[(٢)].

قال الماوردي:" لأنه استدل بكلامه على عقله ، وبعصمته على أمانته فقال :{إنك اليوم لدينا مكين أمين}، وهذه منزلة العاقل العفيف"[(٣)].

وفي قوله تعالى:{مَكِينٌ} [يوسف : ٥٤]، وجهان:

أحدهما : وجيه، كقوله تعالى: {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} [التكوير : ٢٠]. قاله مقاتل[(٤)].

الثاني : متمكن في المنزلة الرفيعة .

وفي قوله:{أَمِينٌ} [يوسف : ٥٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه بمعنى آمن لا تخاف العواقب ، قاله ابن شجرة[(٥)].

الثاني : أنه بمعنى مأمون ثقة ، قاله ابن عيسى[(٦)].

الثالث : حافظ ، قاله مقاتل[(٧)].

قال عبد الله:" أفرس الناس ثلاثة: صاحبة موسى، وصاحب يوسف :{إنك اليوم لدينا مكين أمين}، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر"[(٨)].

فوائد الآيتين:[٥٤-٥٥]:

١- تحقيق الحكمة القائلة: المرء مخبوء تحت لسانه.
٢- أنه سمى بعض خلقه ملكا فقال: {وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي} [يوسف: ٥٤] وهو العزيز، عليه فإنه لا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات، فإن الله تعالى قد سمى نفسه سميعا بصيرا، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعا بصيرا، وسمى نفسه الرءوف الرحيم، وأخبر أن نبيه -ﷺ- بالمؤمنين رءوف رحيم، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨]، وسمى نفسه الملك فقال: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة : ٤] {مَلِكِ النَّاسِ} [الناس : ٢]، وسمى بعض خلقه ملكا كما في الآية موطن التفسير.

القرآن

{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)} [يوسف : ٥٥]

التفسير:

قال يوسف للملك: اجعلني واليًا على خزائن «مصر» ، فإني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه.

قوله تعالى:{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ} [يوسف : ٥٥]، أي:" قال يوسف للملك: اجعلني واليًا على خزائن «مصر»"[(٩)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٨):ص٢١٥٩/٧.
(٢) انظر: التفسير الميسر: ٢٤٢/٢، وصفوة التفاسير:٥٢/٢.
(٣) النكت والعيون:٤٩/٣.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:٤٩/٣.
(٦) انظر: النكت والعيون:٤٩/٣.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧١٠):ص٢١٥٩/٧.
(٩) التفسير الكيسر:٢٤٢.

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: قال يوسف للملك: اجعلني على خزائن أرضك... وهذا من يوسف صلوات الله عليه، مسألة منه للملك أن يولّيه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب بلده، ففعل ذلك الملك به، فيما بلغني"[1].

وفي قوله تعالى:{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ} [يوسف : ٥٥]، وجهان:

أحدهما : هو قول بعض المتعمقة أن الخزائن ها هنا الرجال ، لأن الأفعال والأقوال مخزونة فيهم فصاروا خزائن لها .

الثاني : وهو قول أصحاب الظاهر أنها خزائن الأموال، وفيها قولان :

أحدهما : أنه سأله جميع الخزائن، وهذا معنى قول ابن زيد، وشيبة بن النعمان الضبي-في أحدى الروايات[2].

قال ابن زيد:" : كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام قال: فأسلم سلطانه كُلَّه إليه، وجعل القضاء إليه، أمرُه وقضاؤه نافذٌ"[3].

الثاني : أنه سأله خزائن الطعام، أخرجه الطبري عن شيبة بن نعامة الضبي[4].

فإن كان المولي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين[5]:

أحدهما : جوازها إن عمل بالحق فيما تقلده ، لأن يوسف عليه السلام ولي من قبل فرعون ، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره .

الثاني : لا يجوز ذلك له لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم بتنفيذ أعمالهم .

وأجاب من ذهب إلى هذا القول عن ولايته من قبل فرعون بجوابين[6]:

أحدهما : أن فرعون يوسف كان صالحاً ، وإنما الطاغي فرعون موسى .

الثاني : أنه نظر له في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه .

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام[7]:

أحدها : ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات فيجوز توليته من جهة الظالمين لأن النص على متسحقيه قد أغنى عن الاجتهاد فيه ، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التنفيذ .

والقسم الثاني : ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الإجتهاد في مصرفه كأموال الفيء فلا يجوز توليته من جهة الظالم لأنه يتصرف بغير حقٍ ويجتهد فيما لا يستحق .

والقسم الثالث : ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام ، فعقد التقليد فيه محلول ، فإن كان النظر تنفيذاً لحكم بين متراضيين أو توسطاً بين مجبورين جاز ، وإن كان إلزام إجبار لم يجز .

قوله تعالى:{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف : ٥٥]، أي:" فإني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه"[8].

وفي قوله تعالى:{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف : ٥٥]، أربعة وجوه:

أحدها : حافظ لما استودعتني عالم بما وليتني ، قاله ابن إسحاق[1].

الثاني : حفيظ بالكتاب ، عليم بالحساب ، حكاه ابن سراقة[2]، وأنه أول من كتب في القراطيس.

الثالث : حفيظ بالحساب ، عليم بالألسن ، قاله سفيان[3]، والأشجعي[4].

---

[1] تفسير الطبري:١٤٨/١٦-١٤٩.
[2] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٧١٢):ص٢١٦٠/٧.
[3] أخرجه الطبري(١٩٤٥٣):ص١٤٩/١٦.
[4] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٤):ص١٤٩/١٦.
[5] انظر: النكت والعيون:٥٠/٣.
[6] انظر: النكت والعيون:٥١/٣.
[7] انظر: النكت والعيون:٥١/٣.
[8] التفسير الميسر:٢٤٢.

وقال مقاتل:" {إني حفيظ} لما وكلتني به، {عليم} يعني: عالم بلغة الناس كلها"[٥].
الرابع : حفيظ لما وليت، عليم بأمرها. قاله قتادة[٦].
الخامس:حفيظ لما استودعتني، عليم بسنين المجاعة. قاله شيبة الضبي[٧].

قال الطبري:" وأولى القولين عندنا بالصواب، قولُ من قال: معنى ذلك:" إني حافظ لما استودعتني، عالم بما أوليتني"، لأن ذلك عقيب قوله: {اجعلني على خزائن الأرض} ، ومسألته الملك استكفاءه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرةً في ذلك وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب، ومعرفته بالألسن"[٨].

عن أبي هريرة قال: "استعملني عمر على البحرين ثم نزعني، ثم دعاني بعد إلى العمل، فأبيت فقال: لم؟ وقد سأل يوسف العمل"[٩].

الفوائد:

١- جواز ذكر المرشح للعمل كحذق الصنعة ونحوه ولا يعد تزكية للنفس.
٢- وفي الآية دليل على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم.
٣- وفي الآية دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل ، وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكن مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراءاة ، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله ، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله[١٠].

القرآن

{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [يوسف : ٥٦]

التفسير:

وكما أنعم الله على يوسف بالخلاص من السجن مكَّن له في أرض «مصر» ينزل منها أي منزل شاءه. يصيب الله برحمته من يشاء من عباده المتقين، ولا يضيع أجر مَن أحسن شيئًا مِن العمل الصالح.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف : ٥٦]، أي:" وهكذا مكنّا ليوسف في أرض مصر، وجعلنا له العزَّ والسلطان بعد الحبس والضيق"[١١].

عن ابن زيد:" {مكنا ليوسف في الأرض}، قال: ملكناه فيها"[١٢].

قال السدي:" فاستعمله على مصر، فكان صاحب أمرها هو الذي يلي البيع والأمر"[١٣].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٥):ص١٤٩/١٦.
[٢] انظر: النكت والعيون:٥١/٣.
[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٧١٨):ص٢١٦٠/٧. وفي رواية(١١٧١٥):ص٢١٦٠/٧، "حفظ" بدلا من "حفيظ".
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٨):ص١٥٠/١٦.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٥٦):ص١٤٩/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٧١٣):ص٢١٦٠/٧.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٧١٧):ص٢١٦٠/٧.
[٨] تفسير الطبري:١٥٠/١٦.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧١١):ص٢١٦٠/٧.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٥٢/٣.
[١١] صفوة التفاسير:٥٢/٢.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢١):ص٢١٦١/٧.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧١٩):ص٢١٦١/٧.

عن ابن إسحاق: "{إني حفيظ عليم}، بما وليتني، قال: قد فعلت. فولاه فيما يذكرون عمل أطيفير، وعزل أطيفير عما كان عليه"[1].

حكي مقاتل عن ابن عباس، قال:" لبث بعد ذلك سنة ونصفا ثم ملك أرض مصر"[2].

فروى مقاتل أن النبي -ﷺ- قال: لو قال: «إني حفيظ عليم» إن شاء الله- لملك من يومه ذلك "[3].

قال الماوردي :"ثم مات إظفير فزوّجه الملك بامرأة إظفير راعيل ، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء وولدت له ولدين أفرائيم ومنشا ابني يوسف، ومن زعم أنها زليخا قال لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت ، ثم قالت : الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً ، فضمها إليه فكانت في عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها"[4].

قوله تعالى:{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} [يوسف : ٥٦]، أي:" يتخذ منها منزلاً حيث يشاء ويتصرف في المملكة كما يريد"[5].

قال سعيد بن جبير:" يقول: ينزل منها حيث يشاء"[6].

قال ابن زيد:" يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا يصنع فيها ما يشاء فوضت إليه، قال: ولو يشاء أن يجعل فرعون من تحت يديه، ويجعله من فوق لفعل"[7].

قوله تعالى:{نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ} [يوسف : ٥٦]، أي:" نخص بإنعامنا وفضلنا من نشاء من عبادنا"[8].

قال مقاتل:" يعني: سعتنا من نشاء"[9].

قوله تعالى:{وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٥٦]، أي:" ولا يضيع أجر مَن أحسن أحسن عمله وأطاع ربه"[10].

قل الماوردي:" يعني في الآخرة بالجزاء . ومنهم من حملها على الدنيا ، ومنهم من حملها على الآخرة ، والأصح ما قدمناه"[11].

واختلف فيما أوتيه من هذا الحال على قولين[12]:

أحدهما : ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه .

الثاني : أنه أنعم بذلك عليه تفضلاً منه ، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة .

قال ابن إسحاق:" فذكروا، والله أعلم، أن أطيفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك الريان زوج يوسف امرأة أطيفير، راعيل وأنها حين أدخلت عليه قال: أليس هذا خيرا مما كنت تريدين؟ قال فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق لا تلمني فإني كنت امرأة كما ترى امرأة حسناء جملاء ناعمة في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي على ما رأيت فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين"[13].

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٠):ص٢١٦١/٧.
[2] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٠/٢.
[3] تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٠/٢.
[4] النكت والعيون:٥٢/٣.
[5] صفوة التفاسير:٥٢/٢.
[6] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٢):ص٢١٦١/٧.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٣):ص٢١٦١/٧.
[8] صفوة التفاسير:٥٢/٢.
[9] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٢.
[10] انظر: صفوة التفاسير:٥٢/٢، والتفسير الميسر:٢٤٢.
[11] النكت والعيون:٥٣/٣.
[12] انظر: النكت والعيون:٥٣/٣.
[13] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٣):ص٢١٦١/٧. هكذا الترقيم بالمطبوع!

قال الفضيل بن عياض: "وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق، حتى مر يوسف فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته وجعل الملوك عبيدا بمعصيته"[١].

الفوائد:

١- أن الابتلاء سنة الله الجارية لتمحيص أوليائه، فهو دليل الكرامة لا الإهانة، وهو عنوان الصدق في الإيمان.

٢- أن من الآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله: الاستخلاف والتمكين، إذا أقام العباد دين الله تعالى، وخلص لله تحاكمهم في السر والعلانية فإن الله سبحانه يقويهم ويشدُّ من أزرهم حتى يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ومكنّ لهم، وهي سنة إلهية ماضية نجدها في قصص شتى في كتاب الله تعالى، فهذا يوسف عليه السلام صار من أهل الاستخلاف والتمكين، بعد أن ابتلي فأبلى بلاء حسناً، وظهر أنه كان من المحسنين، قال تعالى:{وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }[يوسف: ٥٦].

٣- مع ما حملته القصة من التسلية والتثبيت، حملت أيضاً البشارة بأن العاقبة سوف تكون لهم، وأنها العزة والتمكين.

٤- ومن الفوائد: إثبات صفة الإرادة له تعالى، فإنه لا يكون إلا ما يريد، فهو سبحانه منفرد بالإرادة، فلا مشيئة ولا إرادة بعد مشيئته، والمراد بالإرادة هنا الإرادة الكونية القدرية.

٥- فضيلة الإحسان في المعتقد والقول والعمل.

القرآن

{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)} [يوسف : ٥٧]

التفسير:

ولَثواب الآخرة عند الله أعظم من ثواب الدنيا لأهل الإيمان والتقوى الذين يخافون عقاب الله، ويطيعونه في أمره ونهيه.

قوله تعالى:{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يوسف : ٥٧]، أي:" ولأجر الآخرة وثوابها خير للمؤمنين المتقين من أجر الدنيا"[٢].

قال الطبري:" ولثواب الله في الآخرة {خير للذين آمنوا} يقول: للذين صدقوا الله ورسوله، مما أعطى يوسف في الدنيا من تمكينه له في أرض مصر، {وكانوا يتقون}، يقول: وكانوا يتقون الله، فيخافون عقابه في خلاف أمره واستحلال محارمه، فيطيعونه في أمره ونهيه"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أن ما ادخره الله لنبيه يوسف ، عليه السلام ، في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل ، مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كما قال تعالى في حق سليمان ، عليه السلام : { هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ } [ص : ٣٩ ، ٤٠]، والغرض أن يوسف ، عليه السلام ، ولاه مَلك مصر الريانُ بن الوليد الوزارة في بلاد مصر ، مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته ، وأسلم الملك على يدي يوسف ، عليه السلام"[٤].

عن عكرمة: "دار {الآخرة}، يقول: الجنة"[٥].

عن مجاهد: "{يتقون}، يطيعونه"[٦].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٤):ص٢١٦٢/٧.

[٢] صفوة التفسير:٥٢/٢.

[٣] تفسير الطبري:١٥٢/١٦.

[٤] تفسير ابن كثير:٣٩٦/٤.

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٦):ص٢١٦٢/٧.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٧):ص٢١٦٢/٧.

وفي قوله تعالى:{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يوسف : ٥٧]، وجهان من التفسير[١]:

أحدهما : ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من أجر الدنيا، لأن أجر الآخرة دائم ، وأجر الدنيا منقطع. وهذا معنى قول ابن عباس[٢].

عن ابن عباس: "{ولأجر الآخرة خير}، يقول: باقية"[٣].

الثاني : ولأجر الآخرة خير ليوسف من التشاغل بملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة.

عن مالك بن دينار قال: "سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد {ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون}: ما هيه؟ قال: يا مالك: اتقوا المحارم، خمصت بطونهم، المحارم تركوا وهم يشتهونها"[٤].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: فضيلة التقوى، حيث ينال العبد بها الجنة.

والتقوى: في اصطلاح الشرع هو: "اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه"[٥]، قال عمر بن عبد العزيز: "التقي ملجم لا يستطيع كل ما يريد"[٦].

٢- أن أن العاقبة سوف تكون لأهل الإيمان والتقوى.

٣- ومنها: إثبات الآخرة؛ لقوله تعالى: "{ولأجر الآخرة خير}، وأن فيه أجر عظيم للمؤمنين المتقين.

القرآن

{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨)} [يوسف : ٥٨]

التفسير:

وقدِمَ إخوة يوسف إلى «مصر» -بعد أن حلَّ بهم الجدب في أرضهم-؛ ليجلبوا منها الطعام، فدخلوا عليه فعرفهم، ولم يعرفوه لطول المدة وتغيُّر هيئته.

قوله تعالى:{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ} [يوسف : ٥٨]، أي:" وقدِمَ إخوة يوسف إلى «مصر» -بعد أن حلَّ بهم الجدب في أرضهم-؛ ليجلبوا منها الطعام"[٧].

قال البيضاوي:" روي: أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات، حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشأم ونواحيهما، وتوجه إليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال: الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم، وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه- غير بنيامين- إليه للميرة"[٨].

قوله تعالى:{فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [يوسف : ٥٨]، أي:" فدخلوا عليه فعرفهم، ولم يعرفوه لطول المدة وتغيُّر هيئته"[٩].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٣/٥٣.

[٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٢٥):ص٧/٢١٦٢.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٥):ص٧/٢١٦٢.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٢٨):ص٧/٢١٦٢.

[٥]تفسير ابن عثيمين: ١/ ٢٨.

[٦] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٥٤٠٤):ص٧/٥١٨، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى:٥/٣٧٤، وأبو وأبو نعيم في الحلية:٥/٣٣٩، بلفظ:"إن المتقي ملجم".

[٧] التفسير الميسر:٢٤٢.

[٨] تفسير البيضاوي:٣/١٦٨.

[٩] التفسير الميسر:٢٤٢.

قال البيضاوي:" أي: عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه، وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام"[١].

عن قتادة: "{وهم له منكرون}، قال: لا يعرفونه"[٢].

قال الزمخشري:" لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر، مشريا بدراهم معدودة، حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم، ولأن الملك مما يبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف. وقيل: رأوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج، فما خطر ببالهم أنه هو. وقيل: ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب، وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج، وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذلك، ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمل ويتفطن"[٣].

وفي قوله تعالى:{فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [يوسف : ٥٨]، وجهان:

أحدهما : أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف ، قاله ابن عباس[٤].

قال ابن عباس:" إن إخوة يوسف لما دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال: جاء بصواع الملك الذي كان يشرب فيه فوضعه على يده فجعل ينقره ويطن وينقره ويطن فقال: إن هذا الجام ليخبرني عنكم خبرا، هل كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف؟ وكان أبوه يحبه دونكم؟ وأنكم انطلقتم به فألقيتموه في الجب، وأخبرتم أباكم أن الذئب أكله كله، وجئتم على قميصه بدم كذب؟ قال: فجعل بعضهم ينظر إلى بعض، ويعجبون إن هذا الجام ليخبر خبركم فمن أين يعلم هذا؟"[٥].

الثاني : ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم، قاله الحسن[٦].

عن ابن عون، قال: "قلت للحسن ترى يوسف عرف إخوته؟ قال: لا والله ما عرفهم حتى تعرفوا إليه"[٧].

وقيل بل عرفهم بلسانهم العبراني حين تكلموا به .

قال ابن عباس : "إنما سميت عبرانية لأن إبراهيم عليه السلام عبر بهم فلسطين فنزل من وراء نهر الأردن فسمّوا العبرانية"[٨].

قال ابن إسحاق:" لما اطمأن يوسف في ملكه، وخرج من البلاء الذي كان فيه، وخلت السنون المخصبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة، جُهد الناس في كل وجه، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة. وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد، قد آسى بينهم، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرًا واحدًا، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين، تقسيطًا بين الناس، وتوسيعًا عليهم، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس، يلتمسون الميرة من مصر، فعرفهم وهم له منكرون، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام فيما أراد"[٩].

---

[١] تفسير البيضاوي:١٦٨/٣.
[٢] أخرجه الطبري(١٩٤٦٥):ص١٥٤/١٦.
[٣] الكشاف:٤٨٤/٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١١٧٢٩):ص٢١٦٢/٧.
[٥] أخرجه الطبري(١١٧٢٩):ص٢١٦٢/٧.
[٦] انظر: النكت والعيون:٥٤/٣.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٣٢):ص٢١٦٣/٧.
[٨] النكت والعيون:٥٤/٣.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٤٦٣):ص١٥٣/١٦.

قال السدي:" أصاب الناس الجوعُ، حتى أصاب بلادَ يعقوب التي هو بها، فبعث بنيه إلى مصر، وأمسك أخا يوسف بنيامين ؛ فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ؛ فلما نظر إليهم، قال: أخبروني ما أمركم، فإني أنكر شأنكم! قالوا: نحن قوم من أرض الشأم. قال: فما جاء بكم قالوا: جئنا نمتار طعامًا. قال: كذبتم، أنتم عيون، كم أنتم؟ قالوا: عشرة. قال: أنتم عشرة آلاف، كل رجل منكم أمير ألف، فأخبروني خبركم. قالوا: إنّا إخوة بنو رجل صِدِّيق، وإنا كنا اثنى عشر، وكان أبونا يحبّ أخًا لنا، وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها، وكان أحبَّنا إلى أبينا. قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه. قال: فكيف تخبروني أن أباكم صدِّيق، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير؟ ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه {فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون}، قال: فضعُوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا. فوضعوا شمعون"[1].

عن ابن أبي الجلد قال: "قال إخوة يوسف ليوسف حين قال لهم إن أمركم ليريبني، وهو يترقب عليهم، كأنكم جواسيس، قالوا أيها العزيز: إن أبانا شيخ صديق وإنا قوم صديقون، وإن الله يحيي بكلام الأنبياء القلوب، كما يحيي وابل السماء الأرض ويقول لهم وفي يده الإناء وهو يقرعه القرعة، كأن هذا يخبر عنكم بأنكم جواسيس"[2].

القرآن

{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩)} [يوسف : ٥٩]

التفسير:

وقد أمر يوسف بإكرامهم وحسن ضيافتهم، ثم أعطاهم من الطعام ما طلبوا، وكانوا قد أخبروه أن لهم أخًا من أبيهم لم يُحضروه معهم -يريدون شقيقه- فقال: ائتوني بأخيكم من أبيكم، ألم تروا أني أوفيتُ لكم الكيل وأكرمتكم في الضيافة، وأنا خير المضيفين لكم؟

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} [يوسف : ٥٩]، أي:" ولمّا هيأ لهم الطعام والميرة وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم"[3].

قال الطبري:" يقول: ولما حمَّل يوسف لإخوته أبا عرهم من الطعام، فأوقر لكل رجل منهم بعيرَه"[4].

قال الزمخشري:" أى: أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاءوا من الميرة"[5].

قال محمد بن إسحاق:" لما جهز يوسف فيمن جهَّز من الناس، حَمَل لكل رجل منهم بعيرًا بعدّتهم"[6].

وقرئ: «بجهازهم» بكسر الجيم[7].

قوله تعالى:{قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ} [يوسف : ٥٩]، أي:" فقال: ائتوني بأخيكم من أبيكم"[8].

قال قتادة:" يعني: بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه"[9].

---

[1] أخرجه الطبري(١٩٤٦٤):ص١٦/١٥٣-١٥٤.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٧٣٠):ص٧/٢١٦٣.
[3] صفوة التفاسير:٢/٥٢.
[4] تفسير الطبري:١٦/١٥٤.
[5] الكشاف:٢/٤٨٤.
[6] أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٦/١٥٥.
[7] انظر: الكشاف:٢/٤٨٤.
[8] التفسير الميسر:٢٤٢.
[9] أخرجه الطبري(١٩٤٦٨):ص١٦/١٥٥.

قال الطبري:" قال لهم: {ائتوني بأخ لكم من أبيكم}، كيما أحمل لكم بعيرًا آخر، فتزدادوا به حمل بعير آخر"[1].

قال الزمخشري:" لا بد من مقدمة سبقت له معهم، حتى اجتر القول هذه المسألة. روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم: أخبرونى من أنتم وما شأنكم؟ فإنى أنكركم. قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة، أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال، لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي؟ قالوا: معاذ الله، نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق نبى من الأنبياء، اسمه يعقوب. قال: كم أنتم؟ قالوا كنا اثنى عشر، فهلك منا واحد. قال: فكم أنتم هاهنا؟ قالوا: عشرة. قال: فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك. قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق؟ قالوا: إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا. قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم، وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم، فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون- وكان أحسنهم رأيا في يوسف- فخلفوه عنده، وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم"[2].

قال الكلبي : "إنما اختار شمعون منهم لأنه يوم الجُبّ كان أجملهم قولاً وأحسنهم رأياً"[3].

قال محمد بن إسحاق:" ثم قال لهم: {ائتوني بأخ لكم من أبيكم}، أجعل لكم بعيرًا آخر"[4].

قوله تعالى:{أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ} [يوسف : ٥٩]، أي:" ألم تروا أني أوفيتُ لكم الكيل وأكرمتكم في الضيافة"[5].

قال الطبري:" فلا أبخسه أحدًا"[6].

قال محمد بن إسحاق:" أي: لا أبخس الناس شيئًا"[7].

قوله تعالى:{وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف : ٥٩]، أي:" وأنا خير المضيفين لكم"[8].

قال الطبري:" وأنا خير من أنزل ضيفًا على نفسه من الناس بهذه البلدة، فأنا أضيفكم"[9].

عن مجاهد: "{وأنا خير المنزلين}، يوسف يقوله: أنا خيرُ من يُضيف بمصر"[10].

قال محمد بن إسحاق:" أي: خير لكم من غيري، فإنكم إن أتيتم به أكرمت منزلتكم وأحسنت إليكم، وازددتم به بعيرًا مع عدّتكم، فإني لا أعطي كلّ رجل منكم إلا بعيرًا"[11].

القرآن

{فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)} [يوسف : ٦٠]

التفسير:

فإن لم تأتوني به فليس لكم عندي طعام أكيله لكم، ولا تأتوا إليَّ.

قوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي} [يوسف : ٦٠]، أي:" إن لم تأتوني بأخيكم فليس لكم عندي بعد اليوم ميرة"[12].

قال الطبري:" يقول: فليس لكم عندي طعام أكيله لكم"[1].

---

(١) تفسير الطبري:١٥٤/١٦.

(٢) الكشاف:٤٨٤/٢.

(٣) النكت والعيون:٥٥/٣.

(٤) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.

(٥) التفسير الميسر:٢٤٢.

(٦) تفسير الطبري:١٥٤/١٦-١٥٥.

(٧) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.

(٨) التفسير الميسر:٢٤٢.

(٩) تفسير الطبري:١٥٤/١٦-١٥٥.

(١٠) أخرجه الطبري(١٩٤٦٦):ص١٥٥/١٦.

(١١) أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.

(١٢) صفوة التفاسير:٥٣/٢.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُونِ} [يوسف : ٦٠]، أي:" ولا تقربوا بلادي مرة ثانية"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُونِ} [يوسف : ٦٠]، وجهان[٣]:

أحدهما: أن يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما، عطفا على محل قوله :{فلا كيل لكم}، كأنه قيل: فإن لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا.

قال الماوردي:" أي: لا أنزلكم عندي منزلة القريب"[٤].

والثاني: وأن يكون بمعنى النهى، أي: لا تقربوا بلادي. قاله ابن إسحاق[٥]، واختاره الطبري[٦].

قال محمد بن إسحاق:" لا تقربوا بلدي"[٧].

القرآن

{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١)} [يوسف : ٦١]

التفسير:

قالوا: سنبذل جهدنا لإقناع أبيه أن يرسله معنا، ولن نقصّر في ذلك.

قوله تعالى:{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ} [يوسف : ٦١]، أي:" قالوا: سنبذل جهدنا لإقناع أبيه أن يرسله معنا"[٨].

قال الزمخشري:أي:" سنخادعه عنه، وسنجتهد ونحتال حتى تنتزعه من يده"[٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} [يوسف : ٦١]، أي:" وإنّا لفاعلون ذلك"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} [يوسف : ٦١]، وجهان[١١]:

أحدهما: وإنا لقادرون على ذلك لا نتعايى به.

الثاني: وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى.

فإن قيل : كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه ؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة[١٢]:

أحدها : يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليُعظم له الثواب فاتّبع أمره فيه .

الثاني : يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف .

الثالث : لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه .

والرابع : ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه .

القرآن

{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)} [يوسف : ٦٢]

التفسير:

وقال يوسف لغلمانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سرًا؛ رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدِّروا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعًا في عطائنا.

قوله تعالى:{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ} [يوسف : ٦٢]، أي:" وقال يوسف لغلمانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سرًا"[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٥٥/١٦.
[٢] صفوة التفاسير:٥٣/٢.
[٣] انظر: الكشاف:٤٨٤/٢.
[٤] النكت والعيون:٥٥/٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري:١٥٥/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٤٦٧):ص١٥٥/١٦.
[٨] التفسير الميسر:٢٤٢.
[٩] الكشاف:٤٨٥/٢.
[١٠] صفوة التفاسير:٥٣/٢.
[١١] انظر: الكشاف:٤٨٥/٢.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٥٥/٣.

قال الزمخشري:" أي: لغلمانه الكيالين"[٢].
وقرئ :«لفتيانه»، وهما جمع «فتى»[٣].
قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ} [يوسف : ٦٢]، أي:" رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدِّروا إكرامنا لهم"[٤].
قال الزمخشري:"{لعلهم يعرفون} حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين {إذا انقلبوا إلى أهلهم} وفرغوا ظروفهم"[٥].
قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [يوسف : ٦٢]، أي:" لعلهم يرجعون إلينا إذا رأوها"[٦].
قال الزمخشري:" لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، وكانت بضاعتهم النعال والأدم. وقيل: تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به. وقيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا. وقيل: علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها. وقيل: معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها"[٧].
قال الصابوني:" فإنه علم أنَّ دينهم يحملهم على رد الثمن لأنهم مطهّرون عن أكل الحرام فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه"[٨].
فوائد الآيات:[٥٨-٦٢]:
١- عجيب تدبير الله تعالى إذ رؤيا الملك وتعبير يوسف لها وظهورها كما عبرها كان تدبيرا لولاية يوسف ثم لمجيء إخوته يطلبون الطعام لأهليهم ولتتم سلسلة الأحداث الآتية، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه.
٢- حسن تدبير يوسف عليه السلام للإتيان بأخيه بنيامين تمهيدا للإتيان بالأسرة كلها.
٣- أثر الإيمان في السلوك، إذ عرف يوسف أن أخوته لا يستحلون أكل مال بغير حقه فجعل الدراهم في رحالهم ليرجعوا بها ومعهم أخوهم الذي يريد إحضاره.

القرآن

{فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)} [يوسف : ٦٣]

التفسير:
فلما رجعوا إلى أبيهم قصُّوا عليه ما كان من إكرام العزيز لهم، وقالوا: إنه لن يعطينا مستقبَلا إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرناه به، فأرسلْه معنا نحضر الطعام وافيًا، ونتعهد لك بحفظه.
قوله تعالى:{فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} [يوسف : ٦٣]، أي:" فلما عادوا إلى أبيهم قالوا له - قبل أن يفتحوا متاعهم - يا أبانا لقد أُنذرنا بمنع الكيل في المستقبل إن لم نأت بأخينا الذي أخبرناه به"[٩].
قال الزمخشري:" يريدون قول يوسف :{فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندي}، لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل"[١٠].
واختلفوا في نزلهم الذي رجعوا إليه إلى أبيهم على قولين[١١]:
أحدهما : بالعربات من أرض فلسطين .

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٢.
[٢] الكشاف:٤٨٥/٢.
[٣] انظر الكشاف:٤٨٥/٢.
[٤] التفسير الميسر:٢٤٢.
[٥] الكشاف:٤٨٥/٢.
[٦] صفوة التفاسير:٥٣/٢.
[٧] الكشاف:٤٨٥/٢.
[٨] صفوة التفاسير:٥٣/٢.
[٩] انظر: التفسير الميسر:٢٤٢، وصفوة التفاسير٥٣/٢.
[١٠] الكشاف:٤٨٥/٢.
[١١] انظر: النكت والعيون:٥٧/٣.

الثاني : بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من حمس ، وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل .

قوله تعالى:{فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ} [يوسف : ٦٣]، أي:" فأرسل معنا أخانا بنيامين لنأخذ ما نستحقه من الحبوب التي تُكال لنا"[١].

قال الزمخشري:" {نكتل}: نرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه"[٢].

وقرئ: «يكتل» بمعنى :يكتل أخونا، فينضم اكتياله إلى اكتيالنا. أو يكن سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه[٣].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف : ٦٣]، أي:" وإننا نحفظه من أن يناله مكروه"[٤].

القرآن

{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)} [يوسف : ٦٤]

التفسير:

قال لهم أبوهم: كيف آمنكم على «بنيامين» وقد أمنتكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تفوا بذلك؟ فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، ولكني أثق بحفظ الله، خير الحافظين وأرحم الراحمين، أرجو أن يرحمني فيحفظه ويرده عليَّ.[٥].

قوله تعالى:{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} [يوسف : ٦٤]، أي:" قال لهم أبوهم: كيف آمنكم على «بنيامين» وقد أمنتكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تفوا بذلك؟ فلا أثق بالتزامكم وحفظكم ولكني أثق بحفظ الله"[٦].

قال الزمخشري:" يريد أنكم قلتم في يوسف: {وإنا له لحافظون} كما تقولونه في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك"[٧].

قوله تعالى:{فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف : ٦٤]، أي:" حفظ الله خيرٌ من حفظكم، وهو أرحم الراحمين، أرجو أن يرحمني فيحفظه ويرده عليَّ"[٨].

قال الزمخشري:" ثم قال: {فالله خير حافظا}، فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم"[٩].

القرآن

{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)} [يوسف : ٦٥]

التفسير:

ولما فتحوا أوعيتهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد رُدَّ إليهم قالوا: يا أبانا ماذا نطلب أكثر من هذا؟ هذا ثمن بضاعتنا ردَّه العزيز إلينا، فكن مطمئنًا على أخينا، وأرسله معنا؛ لنجلب طعامًا وفيرًا لأهلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد حِمْلَ بعير له؛ فإن العزيز يكيل لكل واحد حِمْلَ بعير، وذلك كيل يسير عليه.

قوله تعالى:{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ} [يوسف : ٦٥]، أي:" ولما فتحوا أوعيتهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد رُدَّ إليهم"[١٠].

---

[١] صفوة التفاسير:٥٣/٢.
[٢] الكشاف:٤٨٥/٢.
[٣] انظر: الكشاف:٤٨٥/٢.
[٤] صفوة التفاسير:٥٣/٢.
[٥] التفسير الميسر:٢٤٣.
[٦] التفسير الميسر:٥٢/٢.
[٧] الكشاف:٤٨٥/٢.
[٨] انظر: التفسير الميسر:٢٤٣، وصفوة التفاسير:٥٣/٢.
[٩] الكشاف:٤٨٥/٢.
[١٠] التفسير الميسر:٢٤٣.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي} [يوسف : ٦٥]، أي:" أيَّ شيءٍ نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟"[١].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي} [يوسف : ٦٥]، وجهان:

أحدهما : أنه على وجه الاستفهام، بمعنى: ما نبغي بعد هذا الذي قد عاملنا به، قاله قتادة[٢].

الثاني : معناه ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملك ، حكاه ابن عيسى [٣].

قوله تعالى:{هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا} [يوسف : ٦٥]، أي:" هذا ثمن بضاعتنا ردَّه العزيز إلينا"[٤].

قال الصابوني:" أي: هذا ثمن الطعام قد ردّ إلينا من حيث لا ندري، فهل هناك مزيدٌ فوق هذا الإحسان، أوفى لنا الكيل، وردَّ لنا الثمن!! أرادوا بذلك استنزال أبيهم عن رأيه"[٥].

قوله تعالى:{وَنَمِيرُ أَهْلَنَا} [يوسف : ٦٥]، أي:"ونأتي بالميرة والطعام لأهلنا"[٦].

قال الطبري:"يقول: ونطلب لأهلنا طعامًا فنشتريه لهم، يقال منه:«مارَ فلانٌ أهلهَ يميرهم مَيْرًا»، ومنه قول الشاعر[٧]:

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَمَكَثْتَ حَوْلا   مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ"[٨].

قوله تعالى:{وَنَحْفَظُ أَخَانَا} [يوسف : ٦٥]، أي:" ونحفظ أخانا من المكاره"[٩].

قال الطبري:"يقول: ونطلب لأهلنا طعامًا فنشتريه لهم"[١٠].

قوله تعالى:{وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ} [يوسف : ٦٥]، أي:" ونزداد باستصحابنا له حمل بعير"[١١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ} [يوسف : ٦٥]، أي: وذلك كيل "سهلٌ على الملك إعطاؤه لسخائه"[١٢].

قال أبو الحسن الحوفي:" أي: حمل يسير"[١٣].

القرآن

{قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)} [يوسف : ٦٦]

التفسير:

قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليَّ، إلا أن تُغْلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه، فلما أعطَوْه عهد الله على ما طلب، قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل، أي تكفينا شهادته علينا وحفظه لنا.

---

[١] انظر: صفوة التفاسير:٥٣/٢.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٧٦):ص١٦١/١٦-١٦٢.

[٣] انظر: النكت والعيون:٥٨/٣.

[٤] التفسير الميسر:٢٤٣.

[٥] انظر: صفوة التفاسير:٥٣/٢.

[٦] انظر: صفوة التفاسير:٥٣/٢.

[٧] البيت دون نسبة في تفسير الطبري:١٦٢/١٦، والكشف والبيان:٢٣٦/٥

وقال الجوهري، في "الصحاح"، ١/ ٢٨٩، والحميري في "تفسير القرآن العزيز-تفسير عبد الرزاق": ٩/ ٦٤٢٤: قاله العامري ... فذكرا هذا البيت. وكذا نسبه إليه ابن منظور، في "اللسان": ٢/ ١٧٤. وقال الزبيدي، "تاج العروس": ٥/ ٣١٣: "قاله العامري، وقيل: هو لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص".

[٨] تفسير الطبري:١٦٢/١٦.

[٩] انظر: صفوة التفاسير:٥٣/٢.

[١٠] تفسير الطبري:١٦٢/١٦.

[١١] صفوة التفاسير:٥٣/٢.

[١٢] صفوة التفاسير:٥٣/٢.

[١٣] **البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيِّ - سورة يوسف دارسة وتحقيقا:**٢٥٨.

قوله تعالى:{قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ} [يوسف : ٦٦]، أي:" قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليَّ"[١].

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ} [يوسف : ٦٦]، أي:" إلا أن تُغْلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه"[٢].

قال أبو الحسن الحوفي:" أي: يحيط بجميعكم مالا تقدرون على أن تؤتوني به، وأصله ضرب السور حول الشيء، ومنه يقال: يعلمه علم إحاطة أي: على التحديد"[٣].

قوله تعالى:{فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف : ٦٦]، أي:" فلما حلفوا له وأعطوه العهد المؤكد، قال يعقوب: الله شهيد رقيب على ذلك"[٤].

فوائد الآيات:[٦٣-٦٦]:

١- بيان مدى توكل يعقوب عليه السلام على الله وثقته في ربه عز وجل، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وكيف لا وهو أحد أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

٢- جواز أخذ العهد المؤكد في الأمور الهامة ولو على أقرب الناس كالأبناء مثلا.

القرآن

{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)} [يوسف : ٦٧]

التفسير:

وقال لهم أبوهم: يا أبنائي إذا دخلتم أرض «مصر» فلا تدخلوا مِن باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبكم العين، وإني إذ أوصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئًا قضاه الله عليكم، فما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت ووثقت، وعليه وحده يعتمد المؤمنون.

قوله تعالى:{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} [يوسف : ٦٧]، أي:" وقال لهم أبوهم: يا أبنائي إذا دخلتم أرض «مصر» فلا تدخلوا مِن باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبكم العين"[٥].

قال ابن قتيبة:" يريد: إذا دخلتم مصر، فادخلوا من أبواب متفرقة"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه لما أرادُوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام: يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة، وذكر أنه قال ذلك لهم، لأنهم كانوا رجالا لهم جمال وهيأة، فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعة من طريق واحدٍ، وهم ولد رجل واحد، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} [يوسف : ٦٧]، وجهان:

أحدهما : يعني من باب واحد من أبوابها . {وادخلوا من أبواب متفرقة} ، حكاه الماوردي عن الجمهور[٨].

الثاني : من طريق واحد من طرقها، {وادخلوا من أبواب متفرقة}، أي: طرق ، قاله السدي[٩]، والفراء[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٣.

[٢] التفسير الميسر:٢٤٣.

[٣] **البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيِّ - سورة يوسف دارسة وتحقيقا:٢٥٩.**

[٤] صفوة التفاسير:٥٤/٢.

[٥] التفسير الميسر:٢٤٣.

[٦] غريب القرآن:٢١٩.

[٧] تفسير الطبري:١٦٤/١٦-١٦٥.

[٨] انظر: النكت والعيون:٥٩/٣.

[٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٦٨):ص٢١٦٨/٧.

قال السدي:" ورهب عليهم أن تصيبهم العين إن دخلوا مصر، فيقال هؤلاء لرجل واحد، قال {يا بني لا تدخلوا من باب واحد}، يقول: من طريق واحد"[٢].

وفيما طلب منهم أن يدخلوا من باب واحد، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي صور وجمال ، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، والضحاك[٥]، وقتادة[٦]، ومحمد بن كعب[٧]، والسدي[٨]، وابن إسحاق[٩].

قال ابن قتيبة:" يقال: خاف عليهم العين إذا دخلوا جملة"[١٠].

قال قتادة:" خشي نبيُّ الله ﷺ العينَ على بنيه، كانوا ذوي صُورة وجَمال"[١١].

قال السدي:" خاف يعقوب ﷺ على بنيه العين، فقال: {يا بني لا تدخلوا من باب واحد}، فيقال: هؤلاء لرجل واحدٍ! ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة"[١٢].

الثاني: أنه خاف عليهم الملك أن يرى عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسداً أو حذراً ، حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين[١٣].

الثالث: علم أنه سيلقى إخوته في بعض الأبواب. وهذا قول إبراهيم[١٤].

قوله تعالى:{وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف : ٦٧]، أي:" وإني إذ أوصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئًا قضاه الله عليكم"[١٥].

قال الطبري:" يقول: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير، لأن قضاءه نافذ في خلقه"[١٦].

قوله تعالى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [يوسف : ٦٧]، أي:" فما الحكم إلا لله وحده"[١٧].

قال الطبري:" يقول: ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء، فإنه يحكم في خلقه بما يشاء، فينفذ فيهم حكمه، ويقضي فيهم، ولا يُرَدّ قضاؤه"[١٨].

قوله تعالى:{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [يوسف : ٦٧]، أي:" عليه اعتمدت ووثقت"[١٩].

قال الطبري:" يقول: على الله توكلت فوثقت به فيكم وفي حفظكم عليّ، حتى يردكم إليّ وأنتم سالمون معافون، لا على دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرقة"[٢٠].

قوله تعالى:{وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف : ٦٧]، أي:" وعليه وحده يعتمد المؤمنون"[٢١].

---

[١] انظر: معاني القرآن:٢/٥٠.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٦٨):ص٧/٢١٦٨.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٠):ص١٦/١٦٥.
[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٦٧):ص٧/٢١٦٨.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٨٧):ص١٦/١٦٥.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٨٨):ص١٦/١٦٥.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٢):ص١٦/١٦٥.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٣):ص١٦/١٦٦.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٤٩٤):ص١٦/١٦٦.
[١٠] غريب القرآن:٢١٩.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٤٨٨):ص١٦/١٦٥.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٤٩٣):ص١٦/١٦٦.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٣/٥٩.
[١٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٦٩):ص٧/٢١٦٨.
[١٥] التفسير الميسر:٢٤٣.
[١٦] تفسير الطبري:١٦/١٦٦.
[١٧] التفسير الميسر:٢٤٣.
[١٨] تفسير الطبري:١٦/١٦٦.
[١٩] التفسير الميسر:٢٤٣.
[٢٠] تفسير الطبري:١٦/١٦٦.
[٢١] التفسير الميسر:٢٤٣.

قال الطبري:" يقول: وإلى الله فليفوّض أمورَهم المفوّضون"[1].

الفوائد:

١- لا بأس بتخوف المؤمن من إصابة العين وأخذ الحيطة للوقاية منها مع اعتقاد أن ذلك لا يغني من الله شيئا وأن الحكم لله وحده في خلقه لا شريك له في ذلك.
وفي الآية دليل على ما يأتي:

أ- إن التحرز من العين، والعين حق لحديث: " العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر"[2]، ولتعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم منها في غير حديث.

ب- على المسلم إن أعجبه شيء أن يبرك، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا بركت"[3]!! والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه.

ت- إذا أصاب العبد بعينه لأنه لم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال ويجبر عليه.

ث- إذا عرف المرء بأذاه للناس بعينه يبعد عنهم وجوبا.

ج- الاغتسال من العين: هو أن يغسل المعيان وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه وداخل إزاره في إناء ثم يصب على المصاب بالعين فيشفى بإذن الله تعالى.

٢- وجوب التوكل على الله تعالى وإمضاء العمل الذي تعين وتفويض أمر ما يحدث لله تعالى.

القرآن

{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)} [يوسف : ٦٨]

التفسير:

ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم، ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين، وإن يعقوب لصاحب علمٍ عظيم بأمر دينه علَّمه الله له وحْيًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وما يعلمه يعقوب -عليه السلام- مِن أمر دينه.

قوله تعالى:{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ} [يوسف : ٦٨]، أي:" ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم"[4].

قوله تعالى:{مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف : ٦٨]، أي:" ما كان دخولهم متفريقن ليدفع عنهم من قضاء الله شيئا"[5].

قوله تعالى:{إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} [يوسف : ٦٨]، أي:" ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين"[6].

قال الماوردي:" وهو حذر المشفق وسكون نفس بالوصية أن يتفرقوا خشية العين"[7].

---

[1] تفسير الطبري:١٦٦/١٦.

[2] أخرجه ابن عدى (٤٠٧/٦ ترجمة ١٨٩٠ معاوية بن هشام القصار) ، وأبو نعيم فى الحلية (٩٠/٧) ، والخطيب (٢٤٤/٩) ، والقضاعى (١٤٠/٢، رقم ١٠٥٩) .

[3] الحديث« علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت إن العين حق توضأ له وفى لفظ اغتسل له إذا رأى أحدكم شيئا يعجبه فليبرك».
أخرجه مالك (٩٣٨/٢، رقم ١٦٧٨) ، وأحمد (٤٨٦/٣، رقم ١٦٠٢٣) قال الهيثمى (١٠٧/٥) : رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح وفى أسانيد الطبرانى ضعف. وابن حبان (٤٦٩/١٣، رقم ٦١٠٥) ، والحاكم (٤٦٥/٣، رقم ٥٧٤٢) : وقال هذه الزيادات فى الحديثين جميعا مما لم يخرجاه. والطبرانى (٨٢/٦، رقم ٥٥٨٠) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٣٨٠/٤، رقم ٧٦١٦).

[4] التفسير الميسر:٢٤٣.

[5] صفوة التفاسير:٥٤/٢.

[6] التفسير الميسر:٢٤٣.

[7] النكت والعيون:٦٠/٣.

عن مجاهد :قوله: "{حاجة في نفس يعقوب قضاها}، أي: خيفة العين على بنيه"[١].
قال محمد بن إسحاق:" والحاجة التي كانت في نفس يعقوب ما تخوف على بنيه من أنفس الناس لعدتهم ولهيئتهم"[٢].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف : ٦٨]، أي:" وإن يعقوب لذو علمٍ واسع لتعليمنا إياه بطريق الوحي"[٣].
قال الطبري:" يقولُ تعالى ذكره: وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه"[٤].
عن قتادة: "{لما علمناه}، أي: مما علمناه"[٥].
وفي قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف : ٦٨]، وجوه:
أحدها : إنه لعامل بما علم ، قاله قتادة[٦].
وروي عن سفيان، قال:" من لا يعمل لا يكون عالمًا"[٧].
وعن قتادة قوله: "{وإنه لذو علم}، وأعلمه أن خير العلم ما نفع، وأن أفضل الهدى ما اتبع وأن أغوى الضلالة، الضلالة بعد الهدى، وإنما ينتفع بالعلم من علمه، ثم عمل به ولا ينتفع به من علمه ثم تركه"[٨].
الثاني : لمتيقن بوعدنا، وهو معنى قول الضحاك[٩].
الثالث : إنه لحافظ لوصيتنا، وهو معنى قول الكلبي[١٠].
الرابع: إنه لذو حفظ لما علمناه. حكاه الفراء[١١].
الخامس: إنه لذو علم لتعليمنا إياه. وهو قول الفراء[١٢].
قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف : ٦٨]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وما يعلمه يعقوب -عليه السلام- مِن أمر دينه"[١٣].
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: ولكن كثيرًا من الناس غير يعقوب، لا يعلمون ما يعلمه، لأنَّا حَرَمناه ذلك فلم يعلمه"[١٤].
الفوائد:
١- بيان فضل العلم وأهله.
٢- تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس لا يعلمون.

القرآن

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩)} [يوسف : ٦٩]

التفسير:
ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيافته ومعهم شقيقه، ضم يوسف إليه شقيقه، وقال له سرًا: إني أنا أخوك فلا تحزن، ولا تغتمَّ بما صنعوه بي فيما مضى. وأمره بكتمان ذلك عنهم.

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٣):ص٢١٦٩/٧.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٤):ص٢١٦٩/٧.
[٣] صفوة التفاسير:٥٤/٢.
[٤] تفسير الطبري:١٦٨/١٦.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٦):ص٢١٦٩/٧.
[٦] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٧٧٧):ص٢١٧٠/٧.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٥٠٢):ص١٦٨/١٦.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٧٥):ص٢١٦٩/٧.
[٩] انظر: النكت والعيون:٦٠/٣.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٦٠/٣.
[١١] انظر: مهعاني القرآن:٥٠/٢.
[١٢] انظر: مهعاني القرآن:٥٠/٢.
[١٣] التفسير الميسر:٢٤٣.
[١٤] تفسير الطبري:١٦٨/١٦.

قوله تعالى:{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ} [يوسف : ٦٩]، أي:" ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيافته ومعهم شقيقه، ضم يوسف إليه شقيقه"[١].

قال الزمخشري:" ضم إليه بنيامين"[٢].

قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يوسف : ٦٩]، أي:" وقال له سرًا: إني أنا أخوك فلا تحزن، ولا تغتمَّ بما صنعوه بي فيما مضى"[٣].

قال البيضاوي:أي:" فلا تحزن بما كانوا يعملون في حقنا فيما مضى"[٤].

وفي قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} [يوسف : ٦٩]، وجهان:

أحدهما : أنه أخبره أنه يوسف أخوه ، قاله ابن إسحاق .

الثاني : أنه قال له : أنا أخوك مكان أخيك الهالك ، قاله وهب.

وفي قوله تعالى:{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يوسف : ٦٩]، وجهان:

أحدهما : فلا تأسف ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٥].

الثاني : فلا تحزن بما كانوا يعملون.

قال الفراء:" معناه: لا تستكن من الحزن والبؤس. يقول: لا تحزن"[٦].

وفي القول الثاني وجهان ايضا[٧]:

أحدهما : بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك .

الثاني : باستبدادهم دونك بمال أبيك .

قال الزمخشري:"روى أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به، فقال لهم: أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة. فبقى بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه، فقال يوسف: بقي أخوكم وحيدا، فأجلسه مع على مائدته وجعل يؤاكله، قال: أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا، وهذا لا ثانى له فيكون معى، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح، وسأله عن ولده فقال: لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك، فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخا مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له إني أنا أخوك يوسف، {فلا تبتئس} فلا تحزن {بما كانوا يعملون} بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير، ولا تعلمهم بما أعلمتك"[٨].

القرآن

{فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)} [يوسف : ٧٠]

التفسير:

فلما جهَّزهم يوسف، وحمَّل إبلهم بالطعام، أمر عماله، فوضعوا الإناء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد، ولما ركبوا ليسيروا نادى منادٍ قائلا يا أصحاب هذه العير المحمَّلة بالطعام، إنكم لسارقون.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} [يوسف : ٧٠]، أي:" فلما جهَّزهم يوسف، وحمَّل إبلهم بالطعام"[٩].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٣.

[٢] الكشاف:٤٨٩/٢.

[٣] التفسير الميسر:٢٤٣.

[٤] تفسير البيضاوي:١٧١/٣.

[٥] انظر: النكت والعيون:٦٠/٣.

[٦] معاني القرآن:٥٠/٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:٦٠/٣.

[٨] الكشاف:٤٨٩/٢.

[٩] التفسير الميسر:٢٤٤.

قوله تعالى:{جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ} [يوسف : ٧٠]، أي:" أمر عماله، فوضعوا الإناء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد"[١].

قال الزمخشري:" السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع. قيل: كان يسقى بها الملك، ثم جعلت صاعا يكال به. وقيل: كانت الدواب تسقى بها ويكال بها. وقيل: كانت إناء مستطيلا يشبه المكوك. وقيل: هي المكوك الفارسي الذي يلتقى طرفاه تشرب به الأعاجم. وقيل: كانت من فضة مموهة بالذهب، وقيل كانت من ذهب. وقيل: كانت مرصعة بالجواهر"[٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} [يوسف : ٧٠]، أي:" ولما ركبوا ليسيروا نادى منادٍ قائلا يا أصحاب هذه العير المحمَّلة بالطعام، إنكم لسارقون"[٣].

قال الزمخشري:" ثم نادى مناد. يقال: آذنه أعلمه. وأذن: أكثر الإعلام. ومنه المؤذن، لكثرة ذلك منه... و«العير»: الإبل التي عليها الأحمال، لأنها تعير: أى تذهب وتجيء. وقيل: هي قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير، كأنها جمع عير، وأصلها فعل كسقف وسقف، فعل به ما فعل ببيض وعيد[٤]، والمراد أصحاب العير كقوله: «يا خيل الله اركبي»[٥]"[٦].

قال الثعلبي:" {أيتها العير}: هي القافلة التي فيها الأحمال"[٧].

قال ابن قتيبة:" {أيتها العير}: القوم على الإبل"[٨].

قال الفراء: "لا يقال «عير» إلا لأصحاب الإبل"[٩].

وقال مجاهد :"كانت العير حميرا"[١٠].

فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه لسرقهم وهم برآء ، وهذه معصية ؟

قيل عن هذه خمسة أجوبة[١١]:

أحدها : أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف .

الثاني : أن المنادي الذي كال حين فقد السقاية ظن أنهم سرقوها ولم يعلم بما فعله يوسف ، فلم يكن عاصياً .

الثالث : أن النداء كان بأمر يوسف ، وعنى بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه ، وذلك صدق .

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٤.

[٢] الكشاف:٢/٤٩٠-٤٩١.

[٣] التفسير الميسر:٢٤٤.

[٤]قوله «ما فعل ببيض وعيد» لعله: وغيد، بإعجام الغين، وهو جمع غيداء أى ناعمة. أو أغيد، بمعنى وسنان مائل العنق، كذا في الصحاح، فليحرر لفظ المصنف.

[٥] قطعمة من حديث نبوي أخرجه الطبري(١١٨١٠):ص١٠/٢٤٥-٢٤٦. وتمام الحديث: عن سعيد بن جبير عن المحاربين فقال«: كان ناس أتوا النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على الإسلام! فبايعوه وهم كَذَبة، وليس الإسلامَ يريدون. ثم قالوا: إنا نجتوي المدينة! فقال النبي ﷺ:"هذه اللِّقاح تغدو عليكم وتروح، فاشربوا من أبوالها وألبانها. قال: فبينا هم كذلك، إذ جاء الصريخُ، فصرخ إلى رسول الله ﷺ، فقال: قتلوا الراعي، وساقوا النَّعَم! فأمر نبي الله فنودي في الناس: أنْ"يا خيل الله اركبي"! قال: فركبوا، لا ينتظر فارسٌ فارسًا. قال: فركب رسول الله ﷺ على أثرهم، فلم يزالوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمنَهم، فرجع صحابة رسول الله ﷺ وقد أسروا منهم، فأتوا بهم النبي ﷺ، فأنزل الله:{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله} الآية. قال: فكان نفيُهم: أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمنَهم وأرضهم، ونفوهم من أرض المسلمين. وقتل نبي الله منهم، وصلب وقَطَع، وَسَمل الأعين. قال: فما مثَّل رسول الله ﷺ قبلُ ولا بعدُ. قال: ونهَى عن المُثْلة، وقال: لا تمثِّلوا بشيء. قال: فكان أنس بن مالك يقول ذلك، غير أنه قال: أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم».

والأثر:في سنده أبو حمزة"، هو"ميمون، أبو حمزة الأعور القصاب"، ضعيف جدا.

[٦] الكشاف:٢/٤٩٠.

[٧] الكشف والبيان:٥/٢٣٩.

[٨] غريب القرآن:٢١٩.

[٩] حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:٥/٢٣٩.

[١٠] الكشف والبيان:٥/٢٣٩.

[١١] انظر: النكت والعيون:٣/٦١-٦٢.

الرابع : أنها كانت خطيئة من قبل يوسف فعاقبه الله عليها بأن قال القوم: {إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل}، يعنون يوسف .
الرابع: أن معنى قوله :{إنكم لسارقون}، أي: لعاقون لأبيكم في أمر أخيكم حيث أخذتموه منه وخنتموه فيه. حكاه الماوردي عن بعضهم[١]، وهو بعيد عن الظاهر الآية.
وقرأ ابن مسعود: «وجعل السقاية»، على حذف جواب «لما»، كأنه قيل: فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه، أمهلهم حتى انطلقوا، ثم أذن مؤذن[٢].
فوائد الآيتين:[٦٩-٧٠]:
١- حسن تدبير يوسف للإبقاء على أخيه معه بعد ذهاب إخوته.
٢- أن قول يوسف لأخوته: {أنكم لسارقون}، وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام، لأنهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل -عليه السلام- أنكم سرقتم الصواع، وإنما قال تفقد صواع الملك، وهو في ذلك صادق لأنه كان غير واجد له فكان فاقد له بلا شك. أفاده ابن حزم الأندلسي[٣].
٣- ومن فوائد الآية: حكي أن رجلا أتى ابن سيرين فقال :"رأيت كأني أؤذن فقال تحج وأتاه آخر فقال رأيت كأنّي أؤذن فقال تقطع يداك قيل له كيف فرقت بينهما قال رأيت للأول سيماً حسنة فأولت {وأذن في الناس بالحج} ورأيت للثاني سيماً غير صالحة فأولت {ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون}"[٤].

القرآن

{قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١)} [يوسف : ٧١]

التفسير:
قال أولاد يعقوب مقبلين على المنادي: ما الذي تفقدونه؟
قوله تعالى:{قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ} [يوسف : ٧١]، أي:" أي التفتوا إليهم وسألوهم ماذا ضاع منكم وماذا فُقد؟"[٥].
عن السدي: {قالوا وأقبلوا عليهم} يقولون: ماذا تفقدون"[٦].
عن ابن إسحاق، قال: "قالوا: بلى وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولأنتم عليها غيركم، قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض"[٧].
قال الثعلبي:" فوقفوا، فلما انتهى إليهم الرسول قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعله بغيركم؟ قالوا: بلى، وما ذاك؟ قال: سقاية الملك، فقال: إنه لا يتهم عليها غيركم...عطفوا على المؤذن وأصحابه: {ماذا تفقدون}؟ ما الذي ضل منكم؟ فالفقدان ضد الوجود، والمفقد: الطلب"[٨].
قال الصابوني:" وفي قولهم {مَّاذَا تَفْقِدُونَ} بدل «ماذا سرَقْنا» إرشادٌ لهم إلى مراعاة حسن الأدب، وعدم المجازفة بنسبة البريئين إلى تهمة السرقة، ولهذا التزموا الأدب معهم فأجابوهم {قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الملك}"[٩].

القرآن

{قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)} [يوسف : ٧٢]

---

[١] انظر: النكت والعيون:٦٢/٣.
[٢] انظر: الكشاف:٤٩٠/٢.
[٣] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل:٩/٤.
[٤]**تفسير الأحلام، منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ابن سيرين: ٨٥/١**.
[٥] صفوة التفاسير:٥٦/٢.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٩٩):ص٢١٧٣/٧.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٩٨):ص٢١٧٢/٧-٢١٧٣.
[٨] الكشف والبيان:٢٣٩/٥.
[٩] صفوة التفاسير:٥٦/٢.

التفسير:
قال المنادي ومَن بحضرته: نفقد المكيال الذي يكيل الملك به، ومكافأة من يحضره مقدار حِمْل بعير من الطعام، وقال المنادي: وأنا بحِمْل البعير من الطعام ضامن وكفيل.

قوله تعالى:{قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ} [يوسف : ٧٢]، أي:" قال المنادي ومَن بحضرته: نفقد المكيال الذي يكيل الملك به"[١].

عن الزهري في قول الله: "{نفقد صواغ الملك}، قال: القدح"[٢].

قال الضحاك:" إناءه الذي كان يشرب فيه"[٣].

عن ابن عباس في قوله: "{صواع الملك}، قال: كهيئة المكوك من فضة يشربون فيه"[٤].

عن سعيد بن جبير:" أنه قرأ: {صواغ الملك}، وكان إناؤه الذي يشرب فيه وكان إلى الطول ما هو"[٥].

وفي رواية أخرى عنه أيضا:" هو المكوك الفارسي الذي تشرب فيه الأعاجم، تلتقي طرفاه"[٦].

عن يحيى بن يعمر:" أنه كان يقرأها :«صواغ الملك»، بالغين، قال: كان صيغ من ذهب أو فضة سقايته التي كان يشرب فيها"[٧].

قوله تعالى:{وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ} [يوسف : ٧٢]، أي:" ومكافأة من يحضره مقدار حِمْل بعير من الطعام"[٨].

قال قتادة:" أي: وقد بعير"[٩].

عن مجاهد قوله: "{حمل بعير}، قال: حمل طعام وهي لغة"[١٠].

وروي عن مجاهد أيضا، قال:" {حمل بعير}، يعني: حمار وهي لغة"[١١].

قوله تعالى:{وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف : ٧٢]، أي:" وقال المنادي: وأنا بحِمْل البعير من الطعام ضامن وكفيل"[١٢].

قال الزمخشري:" {وأنا به زعيم}، يقوله المؤذن، يريد: وأنا بحمل البعير كفيل، أؤديه إلى من جاء به، وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله"[١٣].

قال الضحاك:" الزعيم الكفيل"[١٤].

قال مجاهد:" الزعيم هو المؤذن الذي قال: أيتها العير"[١٥].

وعن فضالة بن عبيد ، قال: "سمعت رسول الله، ﷺ، يقول أنا زعيم، والزعيم: الحميل"[١٦].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٤.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٥):ص٢١٧٣/٧.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٢):ص٢١٧٣/٧.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٠):ص٢١٧٣/٧.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠١):ص٢١٧٣/٧.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٢):ص٢١٧٣/٧.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٤):ص٢١٧٣/٧.
[٨] التفسير الميسر:٢٤٤.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٧):ص٢١٧٣/٧.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٦):ص٢١٧٣/٧.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٨):ص٢١٧٤/٧.
[١٢] التفسير الميسر:٢٤٤.
[١٣] الكشاف:٤٩٠/٢.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٠):ص٢١٧٤/٧.
[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٢):ص٢١٧٤/٧. هكذا الترقيم بالمطبوع!
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٠٩):ص٢١٧٤/٧.

القرآن

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)} [يوسف : ٧٣]

التفسير:

قال إخوة يوسف: والله لقد تحققتم مما شاهدتموه منا أننا ما جئنا أرض «مصر» من أجل الإفساد فيها، وليس من صفاتنا أن نكون سارقين.

قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف : ٧٣]، أي:" قال إخوة يوسف: والله لقد تحققتم مما شاهدتموه منا أننا ما جئنا أرض «مصر» من أجل الإفساد فيها"[١].

قال الربيع:" يقول: ما جئنا لنعصي في الأرض"[٢].

قال الزمخشري:" {تالله}، قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم. وإنما قالوا {لقد علمتم}، فاستشهدوا بعلمهم. لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك، ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة[٣]، لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من من أهل السوق، ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم"[٤].

قال الثعلبي في قوله تعالى:{ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ}: "فإن قيل: من أين علموا ذلك؟

الجواب عنه: قال الكلبي: إن فتى يوسف وهو المؤذن قال لهم: إن الملك ائتمنني بالصاع وأخاف عقوبة الملك، فلي اليوم عنده مقولة حسنة، فإن لم أجده تخوفت أن تسقط منزلتي وأفتضح في مصر، قالوا: ... {لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض} إنا منذ قطعنا هذا الطريق لم ننزل عند أحد ولا أفسدنا شيئا وسلوا عنا من مررنا به، هل ضررنا أحدا؟ أو هل أفسدنا شيئا؟ وإنا قد رددنا الدراهم كما وجدنا في رحلنا، فلو كنا سارقين ما رددناها.

قال فتى يوسف: إنه صواع الملك الأكبر الذي يكتال فيه، وقال بعضهم: إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين أنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وقيل: إنهم كانوا حين دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم لكي لا تتناول من حروث الناس"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} [يوسف : ٧٣]، أي:" وليس من صفاتنا أن نكون سارقين"[٦].

قال الزمخشري:أي:" وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا"[٧].

فوائد الآيات:[٧١-٧٣]:

١- مشروعية إعطاء المكافآت لمن يقوم بعمل معين وهي الجعالة في الفقه.
٢- مشروعية الكفالة والكفيل غارم.
٣- جواز الحلف بالله تعالى للحاجة.
٤- دلت الآية على أن كل معصية فساد في الأرض.
٥- مشروعية دفع التهمة عن النفس البريئة.

القرآن

{قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤)} [يوسف : ٧٤]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٤.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٣):ص٢١٧٤/٧.

[٣] قوله «وأفواه رواحلهم مكعومة» يقال: كعمت البعير، إذا شددت فمه بالكعام، وهو شيء يجعل في فم البعير عند هياجه، كذا في الصحاح.

[٤] الكشاف:٤٩٠/٢.

[٥] الكشف والبيان:٢٤٠/٥.

[٦] التفسير الميسر:٢٤٤.

[٧] الكشاف:٤٩٠/٢.

قال المكلَّفون بالبحث عن المكيال لإخوة يوسف: فما عقوبة السارق عندكم إن كنتم كاذبين في قولكم: لسنا بسارقين؟

قوله تعالى:{قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ} [يوسف : ٧٤]، أي:" قال المكلَّفون بالبحث عن المكيال لإخوة يوسف: فما عقوبة السارق في شريعتكم إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السَّرَق إن كنتم كاذبين في قولكم :{ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين} ؟"[٢].

قال الزمخشري:" {فما جزاؤه}، الضمير للـ«صواع»، أى: فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه"[٣].

القرآن

{قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)} [يوسف : ٧٥]

التفسير:

قال إخوة يوسف: جزاء السارق مَن وُجِد المسروق في رحله فهو جزاؤه. أي يسلَّم بسرقته إلى مَن سرق منه حتى يكون عبدًا عنده، مثل هذا الجزاء -وهو الاسترقاق- نجزي الظالمين بالسرقة، وهذا ديننا وسنتنا في أهل السرقة.

قوله تعالى:{قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ} [يوسف : ٧٥]، أي:" قال إخوة يوسف: جزاء السارق الذي يوجد الصاع في متاعه أن يُسترقَّ ويصبح مملوكاً لمن سَرَق منه"[٤].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وقال إخوة يوسف: ثواب السرق من وجد في متاعه السرق {فهو جزاؤه}، يقول: فالذي وجد ذلك في رحله ثوابه بأن يسلم بسَرِقته إلى من سرق منه حتى يستَرِقّه"[٥].

قال الثعلبي:" أن يسلم سرقته إلى المسروق منه، ويسترق سنة، وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق"[٦].

قال ابن زيد:" فعرفوا الحكم، في أحكامهم، فقالوا: من وجد في رحله فهو جزاؤه"[٧].

عن السدي قوله: "{قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه}، قالوا: خذوه، فهو لكم"[٨].

عن ابن إسحاق:" {فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه}، أي: سلم به"[٩].

قال الزمخشري:" أى: جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة، فلذلك استفتوا في جزائه، وقولهم {فهو جزاؤه}، تقرير للحكم، أى: فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير، كقولك: حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه، فذلك حقه، أى: فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه، ويجوز أن يكون {جزاؤه} مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر. والأصل: «جزاؤه من وجد في رحله فهو هو»، فوضع الجزاء موضع هو، كما تقول لصاحبك: من أخو زيد؟ فيقول لك: أخوه من يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأول إلى من، والثاني إلى الأخ، ثم تقول «فهو

---

[١] انظر: التفسير الميسر: ٢٤٤، وصفوة التفاسير:٥٧/٢.

[٢] تفسير الطبري:١٨٢/١٦.

[٣] الكشاف:٤٩٠/٢-٤٩١.

[٤] صفوة التفاسير:٥٧/٢.

[٥] تفسير الطبري:١٨٢/١٦.

[٦] الكشف والبيان:٢٤١/٥.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٤):ص٢١٧٤/٧.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٥):ص٢١٧٤/٧.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٦):ص٢١٧٤/٧-٢١٧٥.

أخوه» مقيما للمظهر مقام المضمر. ويحتمل أن يكون {جزاؤه}: خبر مبتدإ محذوف، أى: المسئول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: {من وجد في رحله فهو جزاؤه}، كما يقول: من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم، ثم يقول: {وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} [المائدة : ٩٥] "[١].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [يوسف : ٧٥]، أي:" كذلك نجازي من تعدَّى حدود الله بالسرقة وأمثالها"[٢].

قال الطبري:" يقول: كذلك نفعل بمن ظلم ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سَرَقًا"[٣].

قال ابن إسحاق:" أي: كذلك نصنع بمن سرق منا"[٤].

قال الصابوني:" وهذا القول منهم هو الحكم في شريعة يعقوب وقد نسخ بقطع الأيدي في الشريعة الإسلامية"[٥].

القرآن

{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)} [يوسف : ٧٦]

التفسير:

ورجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه يفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه؛ إحكامًا لما دبَّره لاستبقاء أخيه معه، ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإناء منه، كذلك يسَّرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصَّل به لأخذ أخيه، وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم مَلِك «مصر» ؛ لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برِقِّ السارق. نرفع منازل مَن نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علمٍ من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

قله تعالى:{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ } [يوسف : ٧٦]، أي:" رجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه يفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه"[٦].

قال الثعلبي:" فقال الرسول عند ذلك: إنه لا بد من تفتيش أمتعتكم ولستم سارقين حتى أفتشها فانصرف بهم إلى يوسف، فبدأ بأوعيتهم لإزالة التهمة قبل وعاء أخيه وكان فتش أمتعتهم واحدا واحدا"[٧].

قال الزمخشري:" قيل: قال لهم من وكل بهم: لا بد من تفتيش أوعيتكم، فانصرف بهم إلى يوسف، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال: ما أظن هذا أخذ شيئا، فقالوا: والله لا تتركه حتى تنظر في رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فاستخرجوه منه"[٨].

---

[١] الكشاف:٤٩١/٢.
[٢] صفوة التفاسير:٥٧/٢.
[٣] تفسير الطبري:١٨٢/١٦.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٨١٧):ص٢١٧٥/٧.
[٥] صفوة التفاسير:٥٧/٢.
[٦] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٧] الكشف والبيان:٢٤١/٥.
[٨] الكشاف:٤٩١/٢.

قال قتادة:" كان لا ينظر في وعاء رجل منهم إلا استغفر، تأثما مما قذفهم به حتى إذا بقي أخوه وهو أصغر القوم: ما أرى هذا أخذ شيئا، قالوا: بلى فاستبرءه، إلا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم، ثم استخرجها من وعاء أخيه"[1].

قال محمد بن إسحاق:" قال لهم الرسول: لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم، وأعذر في طلبها قالوا: ما نعلمها فينا، ولا معنا فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء، يفتشها وينظر ما فيها، حتى مر على أخيه ففتش فاستخرجها منه فأخذ برقبته فانصرف به إلى يوسف"[2].

وقرأ الحسن: «وعاء أخيه»، بضم الواو، وهي لغة. وقرأ سعيد ابن جبير: «إعاء أخيه»، بقلب الواو همزة[3].

قله تعالى:{ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ} [يوسف : ٧٦]، أي:" ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإناء منه"[4].

قال السدي:" فلما بقي رحل الغلام، قال: ما كان هذا الغلام ليأخذها، قالوا والله لا ترك حتى تنظر في رحله، وتذهب وقد طابت نفسك فأدخل يده في رحله فاستخرجها من رحل أخيه، يقول الله تعالى: {كذلك كدنا ليوسف}"[5].

قله تعالى:{كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} [يوسف : ٧٦]، أي:" كذلك يسَّرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصَّل به لأخذ أخيه"[6].

عن السدي عن أبي مالك :قوله: "{كذلك}، يعني: هكذا"[7].

قال الطبري:" قول: هكذا صنعنا ليوسف، حتى يخلص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، بإقرارٍ منهم أن له أن يأخذه منهم ويحتبسه في يديه، ويحول بينه وبينهم. وذلك أنهم قالوا، إذ قيل لهم: {ما جزاؤه إن كنتم كاذبين} : جزاءُ من سرق الصُّواع أن من وجد ذلك في رحله فهو مستَرَقٌّ به، وذلك كان حكمهم في دينهم. فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاه منهم، فصار عنده بحكمهم وصُنْعِ الله له"[8].

وفي قله تعالى:{كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} [يوسف : ٧٦]، وجهان:

أحدهما : صنعنا ليوسف. قاله الضحاك[9]، والسدي[10]، وابن جريج[11].

والثاني : دبّرنا ليوسف ، حكاه الماوردي عن ابن عيسى[12].

قله تعالى:{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [يوسف : ٧٦]، أي:" وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم مَلِك «مصر» ؛ لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برِقِّ السارق"[13].

قال الطبري:" يقول: ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقّ أحد بالسَّرَق، فلم يكن ليوسف أخذ

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٨):ص٢١٧٥/٧.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨١٩):ص٢١٧٥/٧.
[3] انظر: الكشاف:٤٩١/٢.
[4] التفسير الميسر:٢٤٥.
[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢٠):ص٢١٧٥/٧.
[6] التفسير الميسر:٢٤٥.
[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢١):ص٢١٧٥/٧.
[8] تفسير الطبري:١٨٦/١٦-١٨٧.
[9] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٦٩):ص١٨٨/١٦.
[10] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٦٨):ص١٨٨/١٦.
[11] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٦٧):ص١٨٧/١٦.
[12] انظر: النكت والعيون:٦٣/٣.
[13] التفسير الميسر:٢٤٥.

أخيه في حكم ملك أرضه، إلا أن يشاء الله بكيده الذي كاده له، حتى أسلم من وجد في وعائه الصواع إخوتُه ورفقاؤه بحكمهم عليه، وطابت أنفسهم بالتسليم"[١].

قال الزمخشري:" لأنه كان في دين ملك مصر، وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد، {إلا أن يشاء الله}، أى: ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه"[٢].

عن مجاهد قوله: "{ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك} ، إلا فعلة كادها الله له، فاعتلّ بها يوسف"[٣].

عن ابن إسحاق: "{ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك}، أي: بظلم، ولكن الله كاد ليوسف ليضمّ إليه أخاه"[٤].

وفي قله تعالى:{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} [يوسف : ٧٦]، وجوه:

أحدها : في سلطان الملك ، قاله ابن عباس[٥]، والضحاك[٦].

والثاني : في قضاء الملك وحكمه، أن يستعبد رجلا بسرقة. قاله قتادة[٧].

وقال محمد بن كعب القرظي : "في قضاء الملك"[٨].

وقال السدي: "في حكم الملك"[٩].

وقال معمر:" كان حكم الملك أن من سَرَق ضوعف عليه الغُرْم"[١٠].

والثالث: في عادة الملك. ذكره الماوردي[١١].

قال الطبري:" وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائليها في معنى"دين الملك"، فمتقاربة المعاني، لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله، فبرضاه أخذه إذًا لا بغيره، وذلك منه حكم عليه، وحكمه عليه قضاؤه، وأصل"الدين"، الطاعة"[١٢].

قال ابن زيد:" ليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته. قال: وكان الحكم عند الأنبياء، يعقوب وبنيه، أن يؤخذ السارق بسرقته عبدًا يسترقّ"[١٣].

قال الضحاك:" كان في دين ملكهم، إذا أخذت السرقة من السارق، أخذت منه ومثلها من ماله، فدفعت للمسروق"[١٤].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [يوسف : ٧٦]، وجهان:

أحدهما : إلا أن يشاء الله أن يُسْتَرق من سرق[١٥].

قال ابن إسحاق:" ولكن الله كاد له ليضم إليه أخاه"[١٦].

والثاني : إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل.وهذا معنى قول مجاهد.

قال مجاهد:" إلا بعلة كادَها الله، فاعتلَّ بها يوسف"[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٨٧/١٦.
[٢] الكشاف:٤٩٢/٢.
[٣] أخرجه الطبري(١٩٥٦٤):ص١٨٧/١٦.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٥٧٧):ص١٨٩/١٦.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧٠):ص١٨٨/١٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧١):ص١٨٨/١٦.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧٢)، و(١٩٥٧٣):ص١٨٨/١٦-١٨٩.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٥٧٤):ص١٨٩/١٦.
[٩]أخرجه الطبري(١٩٥٧٦):ص١٨٩/١٦ .
[١٠]أخرجه الطبري(١٩٥٧٥):ص١٨٩/١٦ .
[١١] انظر: النكت والعيون:٦٤/٣.
[١٢] تفسير الطبري:١٩٠/١٦.
[١٣] أخرجه الطبري(١٩٥٧٨):ص١٨٩/١٦.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢٦):ص٢١٧٦/٧.
[١٥] انظر: النكت والعيون:٦٣/٣.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٢٣):ص٢١٧٦/٧.

وعن السدي: "{إلا أن يشاء الله}، ولكن صنعنا له، بأنهم قالوا: {فهو جزاؤه}"[2].

قله تعالى:{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} [يوسف : ٧٦]، أي:" نرفع منازل مَن نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف"[3].

قال الطبري:" نرفع منازل من نشاء رفع منازله ومراتبه في الدنيا بالعلم على غيره، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك ومنزلته في الدنيا على منازل إخوته ومراتبهم"[4].

عن ابن جريج قوله: "{نرفع درجات من نشاء}، يوسف وإخوته، أوتوا علمًا، فرفعنا يوسف فوقهم في العلم"[5].

قله تعالى:{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف : ٧٦]، أي:" فوق كل عالمٍ من هو أعلم منه حتى ينتهي إلى ذي العلم البالغ وهو ربُّ العالمين"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وفوق كل عالم من هو أعلم منه، حتى ينتهي ذلك إلى الله. وإنما عنى بذلك أنّ يوسف أعلم إخوته، وأنّ فوق يوسف من هو أعلم من يوسف، حتى ينتهي ذلك إلى الله"[7].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، "أنه حدّث بحديث، فقال رجل عنده: {وفوق كل ذي علم عليم}، فقال ابن عباس: بئسما قلت! إن الله هو عليم، وهو فوق كل عالم"[8].

وفي رواية أخرى:" فقال رجل عنده: الحمد لله، {وفوق كل ذي علم عليم} ! فقال ابن عباس: العالم الله، وهو فوق كل عالم"[9].

وروي عن ابن عباس كذلك:" عن ابن عباس: "{وفوق كل ذي علم عليم} ، قال: يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم"[10].

ن محمد بن كعب قال:" سأل رجل عليًّا عن مسألة، فقال فيها، فقال الرجل: ليس هكذا ولكن كذا وكذا. قال عليٌّ: أصبتَ وأخطأتُ، {وفوق كل ذي علم عليم}"[11].

عن عكرمة في قوله: "{وفوق كل ذي علم عليم}، قال: علم الله فوق كل أحد"[12].

عن سعيد بن جبير: "{وفوق كل ذي علم عليم}، قال: الله أعلم من كل أحد"[13].

قال الحسن:" ليس عالمٌ إلا فوقه عالم، حتى ينتهي العلم إلى الله"[14].

عن بشير الهجيمي قال: "سمعت الحسن قرأ هذه الآية يومًا: {وفوق كل ذي علم عليم} ، ثم وقف فقال: إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوقه من هو أعلم منه، حتى يعود العلم إلى الذي علَّمه"[15].

عن قتادة، قوله:"{وفوق كل ذي علم عليم}، حتى ينتهي العلم إلى الله، منه بدئ، وتعلَّمت العلماء، وإليه يعود. في قراءة عبد الله:«وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ عَلِيمٌ»"[16].

---

[1] أخرجه الطبري(١٩٥٨٠):ص١٩٠/١٦.
[2] أخرجه الطبري(١٩٥٧٩):ص١٩٠/١٦.
[3] التفسير الميسر:٢٤٥.
[4] تفسير الطبري:١٩٠/١٦.
[5] أخرجه الطبري(١٩٥٨١):ص١٩١/١٦.
[6] صفوة التفاسير:٥٧/٢.
[7] تفسير الطبري:١٩٠/١٦.
[8] أخرجه الطبري(١٩٥٨٢):ص١٩١/١٦.
[9] أخرجه الطبري(١٩٥٨٣):ص١٩١/١٦.
[10] أخرجه الطبري(١٩٥٨٥):ص١٩٢/١٦.
[11] أخرجه الطبري(١٩٥٨٨):ص١٩٢/١٦.
[12] أخرجه الطبري(١٩٥٨٩):ص١٩٢/١٦.
[13] أخرجه الطبري(١٩٥٩١):ص١٩٣/١٦.
[14] أخرجه الطبري(١٩٥٩٢):ص١٩٣/١٦.
[15] أخرجه الطبري(١٩٥٩٣):ص١٩٣/١٦.
[16] أخرجه الطبري(١٩٥٩٥):ص١٩٣/١٦.

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا، فمن أى وجه حسن هذا الكيد؟ وما هو إلا بهتان، وتسريق لمن لم يسرق، وتكذيب لمن لم يكذب، وهو قوله :{إنكم لسارقون}، {فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ} [يوسف : ٧٤] ؟

قلت: هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة، لأن قوله :{إنكم لسارقون} تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف. وقيل: كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف، وقوله :{إن كنتم كاذبين} فرض لانتفاء براءتهم. وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا، على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق. لكان له وجه، لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: {وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف : ١٧]، هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية، كقوله تعالى لأيوب عليه السلام: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا} [ص : ٤٤]، ليتخلص من جلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم عليه السلام: هي أختى، لتسلم من يد الكافر. وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا"[١].

فوائد الآيات:[٧٤-٧٦]:

١- معرفة حكم السرقة في شرعة يعقوب عليه السلام.
٢- بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه.
٣- بيان حكم السرقة في القانون المصري على عهد يوسف عليه السلام.
٤- علو مقام يوسف عليه السلام في العلم.
٥- تقرير قاعدة {وفوق كل ذي علم عليم} إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى.

القرآن

{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)} [يوسف : ٧٧]

التفسير:

قال إخوة يوسف: إنْ سرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل (يقصدون يوسف عليه السلام) فأخفى يوسف في نفسه ما سمعه، وحدَّث نفسه قائلا أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبَّرتم لي ما كان منكم، والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} [يوسف : ٧٧]، أي:" قال إخوة يوسف: إنْ سرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل"[٢].

قال الطبري:" يعنون أخاه لأبيه وأمه، وهو يوسف"[٣].

عن مجاهد، قوله: "{إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل} ، ليوسف"[٤].

قال الزمخشري:" أرادوا يوسف. روى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسودت وجوهنا، يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء، ذهبتم بأخى فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم"[٥].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} [يوسف : ٧٧]، وجهان:

---

[١] الكشاف:٤٩٢/٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٣] تفسير الطبري:١٩٤/١٦.
[٤] أخرجه تفسير الطبري (١٩٥٩٦):ص١٩٤/١٦.
[٥] الكشاف:٤٩٢/٢.

أحدهما : أنه عقوبة ليوسف أجراها الله تعالى على ألسنتهم، رواه عكرمة عن ابن عباس[١].
والثاني : ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن سرق فقد جذبه عِرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلاً في الأخلاق[٢].
وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها، أقوال:
أحدها: أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب ، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير[٣]، وقتادة[٤].
قال قتادة:" أرادوا بذلك عيبَ نبيّ الله يوسف. وسرقته التي عابوه بها، صنم كان لجده أبي أمه، فأخذه، إنما أراد نبيُّ الله بذلك الخير، فعابوه"[٥].
وقال ابن جريج:" كانت أمّ يوسف أمرت يوسف يسرق صنمًا لخاله يعبده، وكانت مسلمةً"[٦].
وقال زيد بن أسلم:" كان يوسف مع أمه عند خال له قال: وكان غلاما، يلعب مع الغلمان، فدخلوا كنيسة لهم فوجد تمثالا لهم صغيرا من ذهب فأخذه فذلك قول إخوته: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"[٧].
الثاني: كان بنو يعقوب على طعام، إذْ نظرَ يوسف إلى عَرْق فخبأه أو اجتره، فعيّروه بذلك، وهذا قول إدريس[٨]، وعطية العوفي[٩].
الثالث: أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين، حكاه ابن عيسى[١٠].
وحكي الزمخشري:" أنه كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل"[١١].
الرابع : أن عمته بنت إسحاق وكانت كبرى ولد إسحاق، وكانت إليها منطقة إسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من أختانها من وليها، كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنته عمته فكان معها وإليها، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ووقعت نفس يعقوب عليه أتاها فقال: يا أخية، أسلمي إلي يوسف فو الله ما أقدر أن يغيب عني ساعة قال: وأنا والله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قال: فو الله ما أنا بتاركه قالت: دعه عندي أياما حتى أنظر إليه، وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه، أو كما قالت، فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف تحت ثيابها ثم قالت: فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست، ثم قالت: كشفوا أهل البيت فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه المسلم ما أصنع؟ أصنع فيه ما شئت، قال: وأتاها يعقوب، فأخبرته الخبر، فقال: أنت وذلك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه: {إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم}، إلى قوله: {والله أعلم بما تصفون}. قاله مجاهد[١٢].
الخامس : أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه ، قاله الحسن[١٣].

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٣٣):ص٢١٧٧/٧.
[٢] انظر: النكت والعيون:٦٤/٣.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠٠):ص١٩٥/١٦.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠١):ص١٩٥/١٦.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٦٠٢):ص١٩٥/١٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٩٦٠٣):ص١٩٥/١٦.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٣٥):ص٢١٧٨/٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠٤):ص١٩٦/١٦.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٣٦):ص٢١٧٨/٧.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٦٥/٣.
[١١] الكشاف:٤٩٢/٢.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٣٧):صص٢١٧٨/٧، وتفسير الطبري(١٩٦٠٥):ص١٩٦/١٦-١٩٧.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٦٥/٣.

قال ابن عباس:" عوقب يوسف ثلاث مرات، والثالثة حيث قال: أيتها العير إنكم لسارقون فاستقبل في وجهه، إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنونه"[١].

قوله تعالى:{فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} [يوسف : ٧٧]، أي:" فأخفى يوسف تلك القولة في نفسه وكتمها ولم يُظهرها لإخوته تلطفاً معهم"[٢].

وفي قوله تعالى:{فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} [يوسف : ٧٧]، وجهان:
أحدهما : أنه أسر في نفسه قولهم:{إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل}. قاله ابن شجرة[٣]، وعلي وعلي بن عيسى[٤].
الثاني : أسر في نفسه :{أنتُمْ شَرٌّ مكاناً}، الآية ، قاله ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، وابن إسحاق[٧].

قوله تعالى:{قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا} [يوسف : ٧٧]، أي:" وحدَّث نفسه قائلا أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبَّرتم لي ما كان منكم"[٨].

قال الطبري:" قال: أنتم شرّ عند الله منزلا ممن وصفتموه بأنه سرق، وأخبث مكانًا بما سلف من أفعالكم"[٩].

قال الزمخشري:أي:" أنتم شر منزلة في السرق، لأنكم سارقون بالصحة، لسرقتكم أخاكم من أبيكم"[١٠].

عن مجاهد قوله: {أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون}، يقولون: يوسف يقوله"[١١].

وفي قوله تعالى:{قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا} [يوسف : ٧٧]، وجهان:
أحدهما : بما تقولون ، قاله مجاهد[١٢].
الثاني : بما تكذبون ، قاله قتادة[١٣].

وفي قراءة ابن مسعود: «فأسره»، على التذكير، يريد القول أو الكلام[١٤].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف : ٧٧]، أي:" والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء"[١٥].

قال الطبري:" يقول: والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين... والله عالم بكذبكم، وإن جهله كثيرٌ ممن حضرَ من الناس"[١٦].

قال الزمخشري:أي:" يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخى سرقة، وليس الأمر كما تصفون"[١٧].

قال السدي:" فلما استخرجها يعني: من الوعاء، انقطعت ظهورهم، وهلكوا وقالوا: ما يزال لنا منكم بلاء يا بني راحيل، متى أخذت هذا الصواع؟ قال، بنيامين بنو راحيل الذي لا

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٣٣):ص٢١٧٧/٧.
[٢] صفوة التفاسير:٥٧/٢.
[٣] انظر: النكت والعيون:٦٥/٣.
[٤] انظر: النكت والعيون:٦٥/٣.
[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٣٩):ص٢١٧٩/٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٠٦):ص١٩٩/١٦.
[٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٤١):ص٢١٨٠/٧.
[٨] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٩] تفسير الطبري:٢٠٠/١٦.
[١٠] الكشاف:٤٩٣/٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٦٠٩):ص٢٠٠/١٦.
[١٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٤٢):ص٢١٨٠/٧.
[١٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٤٣):ص٢١٨٠/٧.
[١٤] انظر: الكشاف:٤٩٣/٢.
[١٥] التفسير الميسر:٢٤٥.
[١٦] تفسير الطبري:١٩٩/١٦-٢٠٠.
[١٧] الكشاف:٤٩٣/٢.

يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية وما وضع هذا الصواع في رحلي إلا الذي وضع الدراهم في رحالكم قال: لا تذكر الدراهم، فتؤخذ بها فوقعوا فيه وشتموه فلما أدخلوهم على يوسف دعا الصواع ثم نقر فيه ثم أدناه من أذنه، ثم قال: إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثنى عشر أخا، وإنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف، وقال: أيها الملك سل صواعك هذا، أحي ذلك أم لا؟ فنقره يوسف، ثم قال: نعم هو حي وسوف تراه، قال: اصنع بي ما شئت فإنه إن علم بي استنقذني، فدخل يوسف فبكى ثم توضأ فنقر فيه، فقال بنيامين: أيها الملك إني أراك تضرب بصواعك فيخبرك الحق، فسله من صاحبه؟ فنقر فيه، ثم قال: إن صواعي هذا غضبان، يقول كيف تسألني من صاحبي وقد رأيت مع من كنت وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل، فقام فقال: يا أيها الملك: والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة لا تبقى امرأة حامل بمصر إلا طرحت ما في بطنها، وقامت كل شعرة من جسد روبيل تخرج من ثيابه فقال يوسف لابنه: مر إلي جنب روبيل فمسه وكان بنوا يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فمر الغلام إلى جانبه فمسه فذهب غضبه، فقال: من هذا؟ إن في هذا البلاد لبزرا من بزر يعقوب، قال يوسف: ومن يعقوب؟ فغضب روبيل فقال: يا أيها الملك: لا تذكرن يعقوب فإنه سري الله بن ذبيح الله بن خليل الله فقال يوسف أنت إذا إن كنت صادقا"[1].

الفوائد:

١- مشروعية الاعتذار عن الخطأ.

٢- قد يضطر الحليم إلى أن يقول ما لم لكن يقوله لولا ما ووجه به من السوء.

القرآن

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)} [يوسف : ٧٨]

التفسير:

قالوا مستعطفين ليوفوا بعهد أبيهم: يا أيها العزيز إن له والدًا كبيرًا في السن يحبه ولا يطيق بُعده، فخُذْ أحدنا بدلا من «بنيامين» ، إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا} [يوسف : ٧٨]، أي:" قالوا مستعطفين ليوفوا بعهد أبيهم: يا أيها العزيز إن له والدًا كبيرًا في السن يحبه ولا يطيق بُعده"[2].

بُعده"[2].

قال ابن كثير:" لما تعين أخْذ بنيامين وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم ، شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم ، ف { قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا }، يعنون : وهو يحبه حبا شديدا ويتسلى به عن ولده الذي فقده"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قالت إخوه يوسف ليوسف: يا أيها الملك {إن له أبًا شيخًا كبيرًا} كلفًا بحبه، يعنون يعقوب"[4].

قوله تعالى:{فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ} [يوسف : ٧٨]، أي:" فخُذْ أحدنا بدلا من «بنيامين»"[5].

قال الطبري:" يعنون فخذ أحدًا منّا بدلا من بنيامين، وخلِّ عنه"[6].

قال ابن كثير:" أي : بدله ، يكون عندك عِوَضًا عنه "[7].

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم(١١٨٣٨):ص٢١٧٩/٧.

[2] التفسير الميسر:٢٤٥.

[3] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.

[4] تفسير الطبري:٢٠٢/١٦.

[5] التفسير الميسر:٢٤٥.

[6] تفسير الطبري:٢٠٢/١٦.

[7] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.

قوله تعالى:{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٧٨]، أي:" إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا"[١].
قال الطبري:" يقول: إنا نراك من المحسنين في أفعالك"[٢].
قال ابن كثير:" أي : من العادلين المنصفين القابلين للخير "[٣].
عن ابن إسحاق: "{إنا نراك من المحسنين} ، إنا نرى ذلك منك إحسانا إن فعلتَ"[٤].

القرآن

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩)} [يوسف : ٧٩]

التفسير:
قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحدًا غير الذي وجدنا المكيال عنده -كما حكمتم أنتم-، فإننا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين.
قوله تعالى:{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ} [يوسف : ٧٩]، أي:" قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحدًا غير الذي وجدنا المكيال عنده -كما حكمتم أنتم-"[٥].
قال الطبري:" يقول: أستجير بالله من أن نأخذ بريئًا بسقيم"[٦].
قال ابن كثير:" أي : كما قلتم واعترفتم"[٧].
قال محمد بن إسحاق:" يقول: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده إنَّا إذًا نفعل ما ليس لنا فعله ونجور على الناس"[٨].
قوله تعالى:{إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ} [يوسف : ٧٩]، أي:" فإننا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين"[٩].
قال ابن كثير:" أي:إن أخذنا بريئا بسقيم "[١٠].
عن السدي: "{قالوا يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذًا لظالمون}، قال يوسف: إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام، وقولوا له: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف، حتى يعلمَ أنّ في أرض مصر صدِّيقين مثلَه"[١١].

فوائد الآيتين:[٧٨-٧٩]

١- مشروعية الاسترحام والاستعطاف لمن احتاج إلى ذلك رجاء أن يرحم ويعطف عليه.
٢- ومن فوائد الآية الكريمة بيان مقاصد القرآن الكريم في تقرير حقوق الإنسان، فمن الحقوق التي تناولتها الآية: أنه لا يؤخذ إنسان بجريرة غيره.
فإن فحقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم أو قرار صادر عن سلطة محلية أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل ولا يسمح بالاعتداء عليها ولا يجوز التنازل عنها، ومن هذه الحقوق:
أ- حق الحياة:

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٢] تفسير الطبري:٢٠٢/١٦.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٦١٤):ص٢٠٢/١٦.
[٥] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٦]تفسير الطبري:٢٠٣/١٦ .
[٧] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٦١٥):ص٢٠٣/١٦.
[٩] التفسير الميسر:٢٤٥.
[١٠] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٦١٦):ص٢٠٣/١٦.

حياة الإنسان مقدسة لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها، قال تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢]، ولا تسلب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها، وكيان الإنسان المادي والمعنوي حمى، تحميه الشريعة في حياته، وبعد مماته ومن حقه الترفق والتكريم في التعامل مع جثمانه[١].

ب- حق الحرية:

حرية الإنسان مقدسة ـ كحياته سواء ـ وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان وقد بينا أن من مقاصد الشريعة الحرية وتحدثنا عن أنواعها، كحرية المعتقدات، وحرية التعبير، وحرية الفكر، وحرية التنقل.

ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولا يجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة، وبالإجراءات التي تقرها، ولا يجوز لشعب أن يعتدي على حرية شعب آخر، وللشعب المعتدي عليه أن يرد العدوان ويسترد حريته بكل السبل الممكنة، قال تعالى: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ}[الشورى: ٤١].

وعلى المجتمع الدولي مساندة كل شعب يجاهد من أجل حريته ويتحمل المسلمون في هذا واجباً ولا ترخص فيه، قال تعالى:{ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ}[الحج: ٤١].

ت- حق المساواة:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]، ومن ابرز أسس هذه النقطة:

١- الناس جميعاً سواسية أمام الشريعة، قال رسول الله ﷺ: "لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى[٢]، ولا تمايز بين الأفراد في تطبيقها عليهم، قال رسول الله ﷺ: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[٣].

٢- الناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء، قال رسول الله ﷺ: « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقى وفاجر شقى أنتم بنو آدم وآدم من تراب... »[٤]، وإنما يتفاضلون بحسب عملهم، قال تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ}[الأحقاف: ١٩].

وكل فكر وكل تشريع، وكل وضع يسوغ التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، هو مصادرة مباشرة لهذا المبدأ الإسلامي العام[٥].

٣- لكل فرد حق في الانتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرصة عمل متكافئة لفرص غيره، قال تعالى: " فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ" (الملك، آية: ١٥)، ولا يجوز التفرقة بين الأفراد كماً وكيفاً، قال تعالى: "

---

[١] انظر: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام محمد الغزالي:١٧٤..

[٢]مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١١).

[٣]مسلم، ك الحدود (٣/ ١٣١٥).

[٤]أخرجه أحمد (٥٢٣/٢، رقم ١٠٧٩١) ، وأبو داود (٣٣١/٤، رقم ٥١١٦) ، والبيهقى (٢٣٢/١٠، رقم ٢٠٨٥١) . وأخرجه أيضا: الترمذى (٧٣٥/٥، رقم ٣٩٥٦) ، والرافعى (٦٢/٢) ، والخطيب (١٨٧/٦) .
ومن غريب الحديث: "عبية الجاهلية": فخرها وتكبرها ونخوتها. "الجعلان": مفردها جعل، وهى حشرة سوداء تدير الخراء بأنفها.

[٥]انظر: حقوق الإنسان للغزالي:١٧٥.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة، آية: ٧ ـ ٨).

ث- حق العدالة:

من حق كل فرد أن يتحاكم إلى الشريعة وأن يتحاكم إليها دون سواها، قال تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ} [المائدة: ٤٩].

ومن الفرد أن يدفع عن نفسه ما يلحقه من ظلم، قال تعالى: {لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ} [النساء: ١٤٨]، ومن واجبه أن يدفع الظلم عن غيره بما يملك.

ومن حق الفرد أن يلجأ إلى سلطة شرعية تحميه وتنصفه وتدفع عنه، ما لحقه من ضرر أو ظلم، وعلى الحاكم المسلم أن يقيم هذه السلطة ويوفر لها الضمانات الكفيلة بحيدتها واستقلالها[1].

قال تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء: ٥٨]، وقال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[ص: ٢٨].

ج- حق الفرد في محاكمة عادلة:

أن البراءة هي الأصل، وهو مستصحب ومستمر حتى مع اتهام الشخص ما لم تثبت ادانته أمام محكمة عادلة إدانة نهائية، ولا تجريم إلا بنص، قال تعالى:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}[الإسراء: ١٥].

ولا يحكم بتجريم شخص، ولا يعاقب على جرم إلا بعد ثبوت ارتكابه له بأدلة لا تقبل المراجعة أمام محكمة ذات طبيعة قضائية كاملة، قال تعالى: " إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}[الحجرات: ٦]، وقال تعالى: {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}[النجم: ٢٨].

فلا يؤخذ إنسان بجريرة غيره، قال تعالى:{ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: ١٥]، وكل إنسان مستقل بمسئوليته عن أفعاله، قال تعالى:{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور: ٢١].

ولا يجوز بحال أن تمتد المسألة إلى ذويه من أهل وأقارب أو أتباع وأصدقاء، قال تعالى:{ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ} [يوسف: ٧٩].

ح- حق الحماية من تعسف السلطة:

فإن لكل فرد الحق في حمايته من تعسف السلطات معه، ولا يجوز مطالبته بتقديم تفسير لعمل من أعماله أو وضع من أوضاعه، ولا توجيه إتهام له إلا بناء على قرائن قوية تدل على تورطه فيما يوجه إليه، قال تعالى: " وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب: ٥٨].

خ- حق الفرد في حماية عرضه وسمعته:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}[الحجرات: ١١].

---

[1] انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

فإن عرض الفرد وسمعته حرمة لا يجوز انتهاكها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومك هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"[١].

ويحرم تتبع عوراته ومحاولة النيل من شخصيته وكيانه الأدبي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

د- حق اللجوء:

من حق كل مسلم مضطهد أو مظلوم أن يلجأ إلى حيث يأمن، في نطاق دار الإسلام وهو حق يكفله الإسلام لكل مضطهد، أيا كانت جنسيته أو عقيدته، أو لونه ويحمل المسلمين واجب توفير الأمن له متى لجأ إليهم.

قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}[التوبة: ٦].

وبيت الله الحرام ـ بمكة المشرفة ـ هو مثابة وأمن للناس جميعاً لا يصد عنه مسلم، قال تعالى: {وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}[آل عمران: ٩٧]، وقال تعالى:{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً}[البقرة: ٢٥].

ذ- حقوق الأقليات:

الأوضاع الدينية للأقليات يحكمها المبدأ القرآني العام، قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[البقرة: ٢٥٦]، والأوضاع المدنية والأحوال الشخصية للأقليات، تحكمها شريعة الإسلام إن هم تحاكموا إلينا، قال تعالى: {فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ}[المائدة: ٤٢]، فإن لم يتحاكموا إلينا كان عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم ما دامت تنتمي ـ عندهم ـ لأصل إلهي: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ}[المائدة: ٤٣]، وقال تعالى: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ}[المائدة: ٤٧].

ر- حق المشاركة في الحياة العامة:

من حق كل فرد في الأمة أن يعلم بما يجري في حياتها، من شئون تتصل بالمصلحة العامة للجماعة وعليه أن يسهم فيها بقدر ما تتبع له قدرته ومواهبه إعمالاً لمبدأ الشورى، قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[الشورى: ٢٨]، وكل فرد في الأمة أهل لتولي المناصب، والوظائف العامة، متى توافرت فيه شرائطها الشرعية، ولا تسقط هذه الأهلية أو تنقص تحت أي اعتبار عنصري أو طبقي، قال رسول الله ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم"[٢].

ز- حق الدعوة والبلاغ:

لكل فرد الحق أن يشارك مع غيره أو منفرداً في حياة المجتمع: دينياً واجتماعياً، وثقافياً وسياسياً ... الخ وأن ينشئ من المؤسسات، ويصنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}[يوسف: ١٠٨].

س- الحقوق الاقتصادية:

---

[١] صحيح مسلم، رقم ٨٨٩.

[٢] صحيح سنن أبي داود، الألباني (٢، ٥٢٥).

الطبيعة ـ بثرواتها جميعاً ـ ملك لله تعالى: {لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[المائدة: ١٢٠]، وهي عطاء منه للبشر، منحهم حق الانتفاع بها، قال تعالى:{ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ}[الجاثية: ١٣]، وحرم عليهم إفسادها وتدميرها، قال تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[الشعراء: ١٨٣].

ولا يجوز لأحد أن يجرم آخر أو يعتدي على حقه في الانتفاع بما في الطبيعة من مصادر الرزق:{وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا}[الإسراء: ٢٠].

فلكل إنسان الحق في العمل والمشي في مناكب الأرض سعياً لكسب رزقه، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك: ١٥]، حتى في يوم الجمعة قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ}[الجمعة: ١٠]، وفي الحج قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ}[البقرة: ١٩٨].

ولكل إنسان الحق في أن يتمتع بثمرة ما كسب من حلال عن طريق التملك، رجلاً كان أو امرأة: {لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ}[النساء: ٣٢][١].

ش- حق حماية الملكية:

لا يجوز انتزاع ملكية، نشأت عن كسب حلال، إلا للمصلحة العامة قال تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}[البقرة: ١٨٨].

ومع تعويض عادل لصاحبها، قال رسول الله ﷺ: "من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين" [٢]. وحرمة الملكية العامة أعظم، وعقوبة الاعتداء عليها أشد، لأنه عدوان على المجتمع كله وخيانة للأمة بأسرها، قال رسول الله ﷺ: "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلو له"[٣].

ص- حق العامل:

العمل: شعار رفعه الإسلام لمجتمعه، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ" (التوبة، آية: ١٠٥]، وإذا كان حق العمل الاتقان، قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[٤].

فإن حق العامل:

- أن يوفي أجره المكافي لجهده دون حيف عليه أو مماطلة له، قال رسول الله ﷺ: "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه"[٥].
- أن توفر له حياة كريمة تناسب مع ما يبذله من جهد وعرق.
- أن يمنح ما هو جدير به من تكريم المجتمع كله له، قال تعالى: " وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (التوبة، آية: ١٠٥).
- أن يجد الحماية، التي تحول دون غبنه واستغلال ظروفه [٦].

ض- حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة:

من حق الفرد أن ينال كفايته من ضروريات الحياة، من طعام وشراب، وملبس ومسكن .. ومما يلزم لصحة بدنه من رعاية، وما يلزم لصحة روحه، وعقله من

---

[١] انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم:٧٢.
[٢] صحيح البخاري، ك المظالم :٢/ ١١٥.
[٣] صحيح سنن أبي داود :٢/ ٢٣٠.
[٤] صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم ١٨٨٠.
[٥] صحيح سنن ابن ماجة للألباني :٢/ ٥٩.
[٦] انظر: حقوق الإنسان للغزالي :١٨١.

علم ومعرفة وثقافة في نطاق ما تسمع به موارد الأمة ويمتد واجب الأمة ليشمل ما لا يستطيع الفرد أن يستقل هو بتوفيره لنفسه من ذلك [١].

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله"[٢].

قال ابن حزم تعليقاً على هذا الحديث: "من تركه يجوع ويعري وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه"[٣]. إن الأخوة ليست مجرد عاطفة، ولكنها عقد تكافل وتعاون وتآزر وهو عقد طرفه الأساسي الأمة ممثلة في مستويات متراتبة تبدأ بالأسرة حيث أوجب على أفرادها التكافل في الإرث والوصية والنفقة، قال تعالى: { وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ}[الأنفال: ٧٥].

ثم الجيرة: قال تعالى: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ}[النساء: ٣٦]، ثم يأتي أهل الحي ثم المجتمع كله عن طريق الزكاة وهي فريضة ملزمة ثم النفقة التطوعية[٤].

ط- تأكيد حقوق الضعفاء:

قرر القرآن الكريم حقوق الإنسان عامة، ولكنه عُني عناية فائقة بحقوق الضعفاء من بني الإنسان خاصة خفية أن يجور عليهم الأقوياء، أو يهمل أمرهم الحكام والمسئولون، نجد مظاهر هذه العناية في سور القرآن الكريم مكية ومدنية، كقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}[الضحي: ٩]، وفي سورة المدثر يتحدث عن المجرمين في سقر وأسباب دخولهم فيها، فيقول على لسان أصحاب اليمين حيث يسألونهم: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ}[المدثر: ٤٢ - ٤٤]، وهاتان السورتان الضحى والمدثر - من أوائل ما نزل وفي سورة الماعون: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}[الماعون: ١ - ٣].

فلم يكتف بإيجاب إطعام المسكين بل أوجب الحض على ذلك والدعوة إليه.

وبعد... فهذه كانت بعض الحقوق التي قررها القرآن للإنسان ولا نقول: أعلنها، إذ كان الأمر أكبر من إعلان، إنه بلاغ من رب الناس للناس، أسست عليه عقيدة، ونهضت على أساسه ثقافة وتربية، وبنى عليه فقه وتشريع، وقامت عليه دولة وأمة، وامتدت به حضارة وتاريخ[٥].

القرآن

{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)} [يوسف : ٨٠]

التفسير:

فلما يئسوا من إجابته إياهم لِمَا طلبوه انفردوا عن الناس، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم، قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لتردُّنَّ أخاكم إلا أن تُغلبوا، ومن قبل هذا كان تقصيركم في يوسف وغدركم به؛ لذلك لن أفارق أرض «مصر» حتى يأذن لي أبي في مفارقتها، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وأتمكن مِن أَخْذِ أخي، والله خيرُ مَن حَكَمَ، وأعدل مَن فَصَلَ بين الناس.

قوله تعالى:{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ} [يوسف : ٨٠]، أي:" فلما يئسوا من إجابته إياهم لِمَا طلبوه انفردوا عن الناس"[١].

---

[١] انظر: المصدر نفسه:١٨٢.

[٢]البخاري (١/ ٢٥٠)، ورواه مسلم.

[٣]المحلي نقلاً عن الحريات للعنوشي :١/ ١٠٨.

[٤]الحريات في الدولة الإسلامية :١/ ١٠٩.

[٥] انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم: ٧٦.

قال مقاتل:" يقول: يئسوا من بنيامين"[٢].
قال الطبري:" فلما يئسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين، ويأخذ منهم واحدًا مكانه، وأن يجيبهم إلى ما سألوه من ذلك"[٣].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن إخوة يوسف : أنهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين ، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه ، وعاهدوه على ذلك ، فامتنع عليهم ذلك"[٤].
عن ابن إسحاق: "{فلما استيأسوا منه}، يئسوا منه، ورأوا شدّته في أمره"[٥].
وحكي السمعاني عن ابي عبيدة:"{استيأسوا}: استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم، وأنشد[٦]:
أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي   أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ
يعني: ألم تعلموا"[٧].
ولم اجد هذا التفسير لأبي عبيدة، وإنما قال:" {اسْتَيْأَسُوا مِنْه}: استفعلوا من يئست "[٨]،
وقال في تفسير الآية :"{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا}[٩] مجازه: ألم يعلم ويتبين"[١٠]. ثم استشهد بقول سحيم بن وثيل اليربوعىّ السبق.
قوله تعالى:{ خَلَصُوا نَجِيًّا} [يوسف : ٨٠]، أي:" أخذوا يتشاورون فيما بينهم"[١١].
قال مقاتل:" يعني خلوا يتناجون بينهم على حدة"[١٢].
قال أبو عبيدة:" أي: اعتزلوا نجيّا يتناجون"[١٣].
قال ابن قتيبة:" أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم يتناجون ويتناظرون ويتسارو"[١٤].
قال الطبري:" يقول بعضهم لبعض يتناجون، لا يختلط بهم غيرهم"[١٥].
يقول بعضهم لبعض يتناجون، لا يختلط بهم غيرهم"[١٦].
قال ابن أبي زمنين:" أي: جعلوا يتناجون ويتشاورون فيما بينهم في ذلك"[١٧].
قال ابن كثير:"{خَلَصُوا}، أي : انفردوا عن الناس، {نَجِيًّا}، يتناجون فيما بينهم"[١٨].
قال قتادة:" خلصوا وحدهم نجيًّا"[١٩].
قال ابن إسحاق: "أي: خلا بعضهم ببعض، ثم قالوا: ماذا ترون؟"[٢٠].

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.
[٣]تفسير الطبري:٢٠٣/١٦ -٢٠٤.
[٤] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٦١٧):ص٢٠٤/١٦.
[٦]البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في مجاز القرآن ٣٣٢/١ وتفسير الطبري ٤٥٠/١٦ نقلا عن مجاز القرآن. وهو له في اللسان ١٤٧/٨ وانظر شرحه وتخريجه من كتب أخرى : أساس البلاغة (يأس)، وخرجه الأستاذ سيد صقر في مشكل القرآن: ١٤٨، وغريب القرآن: ٢٢٨، واللسان (يأس)
[٧] تفسير السمعاني:٥٥/٣.
[٨] مجاز القرآن:٣١٥/١.
[٩] [الرعد:٣١].
[١٠] مجاز القرآن:٣٣٢/١.
[١١] التفسير الميسر:٢٤٥.
[١٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.
[١٣] مجاز القرآن:٣١٥/١.
[١٤] غريب القرآن:٢٢٠.
[١٥]تفسير الطبري:٢٠٤/١٦.
[١٦]تفسير الطبري:٢٠٣/١٦ -٢٠٤.
[١٧] تفسير ابن أبي زمنين:٣٣٦/٢.
[١٨] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤.
[١٩] أخرجه الطبري(١٩٦١٩):ص٢٠٥/١٦.
[٢٠] أخرجه الطبري(١٩٦٢٠):ص٢٠٥/١٦.

قال السدي:" وأخلص لهم شمعون، وقد كان ارتهنه، خَلَوْا بينهم نجيًّا، يتناجون بينهم"[١].
بينهم"[١].

و«النجيّ»، جماعة القوم المنتجين، يسمى به الواحد والجماعة، كما يقال:رجل عدل، ورجال عدل، وهو مصدر من قول القائل: نجوت فلانا أنجوه نجيًّا، جعل صفة ونعتًا، قال تعالى {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم: ٥٢]، فوصف به الواحد، وقال في هذا الموضع: {خلصوا نجيًّا} فوصف به الجماعة، ويجمع: «أنجية»، كما قال لبيد[٢]:

وَشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الأَفَاقَةِ عَالِيًا   كَعْبِي وَأَرْدَافُ المُلُوكِ شُهُودُ

وقد يقال للجماعة من الرجال:«نَجْوَى»، كما قال جل ثناؤه: {وإِذْ هُمْ نَجْوَ ى} [الإسراء: ٤٧]، وقال: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ} [المجادلة: ٧]، وهم القوم الذين يتناجون.

وتكون«النجوى» مصدرا، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) [سورة المجادلة: ١٠] تقول منه": نجوت أنجو نجوى" فهي في هذا الموضع، المناجاة نفسها، ومنه قول الشاعر[٣]:

بُنَيَّ بَدَا خِبُّ نَجْوَى الرِّجَالِ   فَكُنْ عِنْدَ سِرّكَ خَبَّ النَّجِيّ

فـ«النجوى» و«النجي»، في هذا البيت بمعنى واحد، وهو المناجاة، وقد جمع بين اللغتين[٤].

قوله تعالى:{قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} [يوسف : ٨٠]، أي:" قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لتردُّنَّ أخاكم إلا أن تُغلبوا"[٥].

قال ابن كثير:" { قَالَ كَبِيرُهُمْ } وهو رُوبيل ، وقيل : يهوذا ، وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما همّوا بقتله ، قال لهم : { أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ } لتردنَّه إليه ، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك"[٦].

واختلف في المعني بقوله تعالى:{قَالَ كَبِيرُهُمْ} [يوسف : ٨٠]، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه عنى كبيرهم في العقل والعلم، وفيه قولان:

أحدهما: أنه شمعون الذي كان قد ارتهن يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم، وأما كبيرهم في الميلاد: روبيل. قاله مجاهد[٧].

والثاني: أنه روبيل، كان كبيرهم في العلم، ولم يكن بأكبرهم سنا. وهذا قول السدي[٨].

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٦١٨):ص٢٠٥/١٦.

[٢]ديوانه قصيدة: ٧، بيت: ٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٣١٥ من أبيات يقولها لابنته بسرة، يذكر طول عمره، فيقول لها: وَلَقَدْ سَئِمْتُ من الحَيَاةِ وطُولِهَا ... وسُؤَالِ هذَا النَّاسِ: كَيْف لَبِيدُ ؟
وَغَنِيتُ سَبْتًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ ... لَوْ كَانَ للنِّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ
وَشَهِدْتُ................ ... .
" مجرى داحس"، هو الخبر المشهور عن داحس والغبراء وإجرائهما، وكانت بسببه الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة، وقوله:" سبتًا"، أي: دهرًا.
و" الأفاقة" اسم موضع، حيث كان اليوم المشهور بين لبيد، والربيع بن زياد العبسي. و" أرداف الملوك"، من" الردف"، وهو الذي يكون مع الملك، وينوب عنه إذا قام من مجلسه.

[٣] البيت لصلتان العبدي، انظر: شرح الحماسة ٣: ١١٢، والشعر والشعراء: ٤٧٩، والخزانة ١: ٣٠٨، وغيرها، وهو من وصيته المشهورة التي أوصى بها ولده التي يقول فيها: أَشَابَ الصّغيرَ وَأَفْنَى الكَبيرَ ... كَرُّ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَشِي
ثم يقول له بعد البيت الشاهد: وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلاَثَةِ غَيْرُ الخَفِي
و" الحب" (بكسر الخاء) ، المكر، و" الخب" (بفتحها) ، المكار.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٢٠٤/١٦-٢٠٥.

[٥] التفسير الميسر:٢٤٥.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٠٤/٤-٤٠٥.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٢١)-(١٩٦٢٤):ص٢٠٦/١٦.

[٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٥٤):ص٢١٨١/٧.

وروي عن السدي: "{قال كبيرهم} في العلم {إن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض}، الآية، فأقام روبيل بمصر، وأقبل التسعة إلى يعقوب، فأخبروه الخبرَ، فبكى وقال: يا بنيّ ما تذهبون مرَّة إلا نقصتم واحدًا! ذهبتم مرة فنقصتم يوسف، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، وذهبتم الآن فنقصتُم روبيل!"[1].

القول الثاني : أنه عنى كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف، وهو الذي نهاهم عن قتله. قاله قتادة[2]، وابن إسحاق[3].

القول الثالث : يعني: عظيمهم في أنفسهم وأعلمهم، وهو يهوذا، ولم يكن أكبرهم في السن. قاله مقاتل [4].

وحكي الماوردي عن مجاهد:" أنه عنى كبيرهم في الرأي والتمييز وهو يهوذا"[5].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عنى بقوله: (قال كبيرهم) روبيل، لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنًّا. ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم:"فلان كبير القوم"، مطلقا بغير وصل، إلا أحد معنيين: إما في الرياسة عليهم والسؤدد، وإما في السن. فأما في العقل، فإنهم إذا أرادوا ذلك وصَلوه، فقالوا:"هو كبيرهم في العقل". فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك، فلا يفهم إلا ما ذكرت.

وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشمعونوإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به على إخوته رياسةٌ وسؤدد، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله: {قال كبيرهم} فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا الوجه الآخر، وهو الكبر في السن، وقد قال الذين ذكرنا جميعًا: «روبيل كان أكبر القوم سنًّا»، فصح بذلك القول الذي اخترناه "[6].

قوله تعالى:{وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ} [يوسف : ٨٠]، أي:" ومن قبل هذا كان تقصيركم في يوسف وغدركم به"[7].

قال ابن كثير:" مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه"[8].

قوله تعالى:{فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي} [يوسف : ٨٠]، أي:" لذلك لن أفارق أرض «مصر» حتى يأذن لي أبي في مفارقتها"[9].

قال الزجاج:" أي لن أبرح أرض مصر، وإلا فالناس كلهم على الأرض"[10].

قال ابن كثير:" أي : لن أفارق هذه البلدة ، { حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي } في الرجوع إليه راضيًا عني "[11].

قال ابن إسحاق:" لن أبرح الأرض التي أنا بها حتى يأذن لي أبي أي: بالخروج"[12].

قال السدي:" فأقام روبيل بمصر، وأقبل النفر إلى يعقوب فبكى، وقال: يا بني ما تذهبون من مرة إلا نقصتم واحدا"[13].

قوله تعالى:{أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي} [يوسف : ٨٠]، أي:" أو يقضي لي ربي بالخروج منها وأتمكن مِن أَخْذِ أخي"[1].

---

[1] أخرجه الطبري(١٩٦٢٧):ص٢٠٧/١٦.
[2] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٢٥):ص٢٠٦/١٦.
[3] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٢٨):ص٢٠٧/١٦.
[4] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.
[5] النكت والعيون:٦٧/٣.
[6] تفسير الطبري:٢٠٧/١٦-٢٠٨.
[7] التفسير الميسر:٢٤٥.
[8] تفسير ابن كثير:٤٠٥/٤.
[9] التفسير الميسر:٢٤٥.
[10] معاني القرآن:١٢٥/٣.
[11] تفسير ابن كثير:٤٠٥/٤.
[12] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٥٦):ص٢١٨٢/٧.
[13] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٥٧):ص٢١٨٢/٧.

قال مقاتل:" فيرد علي بنيامين"[2].

قال الطبري:" أو يقضي لي ربي بالخروج منها وترك أخي بنيامين، وإلا فإني غير خارج"[3].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي} [يوسف : ٨٠]، وجوه:

أحدها: بالسيف. قاله أبو صالح[4].

قال الطبري:" وكأنَّ أبا صالح وجّه تأويل قوله: {أو يحكم الله لي}، إلى: أو يقضي الله لي بحرب من مَنَعَني من الانصراف بأخي بنيامين إلى أبيه يعقوب، فأحاربه"[5].

الثاني: بأن يمكنني من أخذ أخي. حكاه ابن كثير[6].

الثالث: بالموت. قاله ابن أبي زمنين[7].

قوله تعالى:{وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يوسف : ٨٠]، أي:" والله خيرُ مَن حَكَمَ، وأعدل مَن فَصَلَ بين الناس"[8].

قال مقاتل:" يعني: أفضل القاضين"[9].

قال الطبري:" يقول: والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس"[10].

الفوائد:

١- مشروعية المناجاة للتشاور في الأمر الهام.

٢- مشروعية التذكير بالالتزامات والعهود والمحافظة على ذلك.

٣- أن التصرف في الكون لا يكون إلا الله سبحانه وتعالى، يؤخذ ذلك من قوله: {وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [الأعراف: ٨٧، يونس: ١٠٩، يوسف: ٨٠]، فالآية تثبت التصرف في الكون لله وحده وتنفي التصرف فيه عن غيره سبحانه.

القرآن

{ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)} [يوسف : ٨١]

التفسير:

ارجعوا أنتم إلى أبيكم، وأخبروه بما جرى، وقولوا له: إن ابنك «بنيامين» قد سرق، وما شهدنا بذلك إلا بعد أن تَيَقَّنَّا، فقد رأينا المكيال في رحله، وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على ردِّه.

قوله تعالى:{ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} [يوسف : ٨١]، أي:" ارجعوا إلى أبيكم فأخبروه بحقيقة ما جرى وقولوا له إن ابنك بنيامين سَرَق"[11].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل روبيل لإخوته، حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذي استخرج من وعائه: ارجعوا، إخوتي، إلى أبيكم يعقوب فقولوا له يا أبانا إن ابنك بنيامين سرق"[12].

قال مقاتل:" يعني: بنيامين"[1].

---

[1] التفسير الميسر:٢٤٥.

[2] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.

[3] تفسير الطبري:٢٠٩/١٦.

[4] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٥٨):ص٢١٨٢/٧.

[5] تفسير الطبري:٢٠٩/١٦.

[6] انظر: تفسير ابن كثير:٤٠٥/٤.

[7] انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٣٣٦/٢.

[8] التفسير الميسر:٢٤٥.

[9] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.

[10] تفسير الطبري:٢٠٩/١٦.

[11] صفوة التفاسير:٥٨/٢.

[12] تفسير الطبري:٢٠٩/١٦.

عن ابن إسحاق: {ارجعوا إلى أبيكم}، فإني ما كنت راجعًا حتى يأتيني أمرُه{ فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق...}"[٢].

ورُوي عن ابن عباس:«إنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ»، بضم السين وتشديد الراء[٣]،

قوله تعالى:{وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا} [يوسف : ٨١]، أي:" ولسنا نشهد إلا بما تيقنا وعلمنا فقد رأينا الصاع في رَحْله"[٤].

قال مقاتل:" يعني: رأينا، الصواع حين أخرج من متاعه"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا} [يوسف : ٨١]، وجهان:

أحدهما : وما شهدنا عندك بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من وجود السرقة في رحله ، قاله ابن إسحاق[٦].

قال ابن إسحاق: " أي: قد وجدت السرقة في رحله، ونحن ننظر"[٧].

الثاني : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ إلا بما علمنا من دينك ، قاله ابن زيد[٨].

قال ابن زيد:" قال لهم يعقوب عليه السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم! فقالوا: (ما شهدنا إلا بما علمنا) ، لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته إلا وذلك الذي علمنا. قال: وكان الحكم عند الأنبياء، يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدًا فيسترقّ"[٩].

قال الطبري:" وأولى التأويلين بالصواب عندنا في قوله: {وما شهدنا إلا بما علمنا} قولُ من قال: وما شهدنا بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع في وعائه، لأنه عَقِيب قوله: {إن ابنك سرق} ؛ فهو بأن يكون خبرًا عن شهادتهم بذلك، أولى من أن يكون خبرًا عما هو منفصل، وذكر أن«الغيب»، في لغة «حمير»، هو الليل بعينه[١٠]"[١١].

قال الشافعي رحمه الله: "وحكى - الله تعالى - أن إخوة يوسف، وصفوا أن شهادتهم كما ينبغي لهم، فحكى - الله تعالى - أن كبيرهم قال:{ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين}، قال الشافعي رحمه الله: ولا يسع شاهدا أن يشهد إلا بما علم، والعلم من ثلاثة وجوه:

١ - منها: ما عاينه الشاهد فيشهد بالمعاينة.

٢ - ومنها: ما سمعه، فيشهد ما أثبت سمعا من المشهود عليه.

٣ - ومنها: ما تظاهرت به الأخبار مما لا يمكن في أكثره العيان وتثبت معرفته في القلوب، فيشهد عليه بهذا الوجه"[١٢].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ} [يوسف : ٨١]، أي:" وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على ردِّه"[١٣].

قال مقاتل:" يعنى: وما كنا نرى أنه يسرق، ولو علمنا ما ذهبنا به معنا"[١٤].

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.
[٢] أخرجه الطبري(١٩٦٣٢):ص٢١٠/١٦.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٢١٠/١٦.
[٤] صفوة التفاسير:٥٨/٢.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٣٢):ص٢١٠/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٦٣٢):ص٢١٠/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٣٣):ص٢١٠/١٦.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٦٣٣):ص٢١٠/١٦.
[١٠] قال المحقق: "هذا معنى عزيز في تفسير" الغيب"، لم أجده في شيء من كتب اللغة التي بين أيدينا".
[١١] تفسير الطبري:٢١٢/١٦.
[١٢] تفسير الإمام الشافعي:٩٨١/٢.
[١٣] التفسير الميسر:٢٤٥.
[١٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٢.

قال الطبري:" يقول: وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا {ونحفظ أخانا} مما لنا إلى حفظه منه السبيل"[١].
قال ابن إسحاق: " لا علم لنا بالغيب"[٢].
عن عكرمة: "{وما كنا للغيب حافظين}، قال: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق"[٣].
قال قتادة:" ما كنا نرى أنه سيسرق"[٤].
وقال مجاهد:" لم نشعر أنه سيسرق"[٥].

القرآن

{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)} [يوسف : ٨٢]

التفسير:

ولما رجعوا وأخبروا أباهم بما حدث، وطلبوا منه أن يتوثق مما أخبروه قائلين: واسأل -يا أبانا- أهل «مصر» ، ومَن كان معنا في القافلة التي كنا فيها، وإنا صادقون فيما أخبرناك به.

قوله تعالى:{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} [يوسف : ٨٢]، أي:" واسأل أهل مصر عن حقيقة ما حدث"[٦].

قال الطبري:" يقول: وإن كنتَ مُتَّهِمًا لنا، لا تصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق: {فاسأل القرية التي كنا فيها}، وهي مصر، يقول: سل من فيها من أهلها"[٧].

قال ابن عباس:" يعنون مصر"[٨].

قال ابن إسحاق:"قد عرف رُوبيل في رَجْع قوله لإخوته، أنهم أهلُ تُهمةٍ عند أبيهم، لما كانوا صنعوا في يوسف. وقولهم له: {اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها}، فقد علموا ما علمنا وشهدوا ما شهدنا، إن كنت لا تصدقنا، {وإنا لصادقون}"[٩].

قوله تعالى:{وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} [يوسف : ٨٢]، أي:" واسأل أيضاً القافلة التي جئنا معهم"[١٠].

قال الطبري:" وهي القافلة التي كنا فيها، التي أقبلنا منها معها، عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سَرَقِهِ، فإنك تَخْبُر مصداق ذلك"[١١].

قال ابن كثير:" أي : التي رافقناها ، عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} [يوسف : ٨٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها القافلة ، وقافلة الإبل تسمى :عيراً على التشبيه[١٣].

الثاني : الحمير ، قاله مجاهد[١٤]، والمعنى: أهل العير .

الثالث: أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً ، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه نبي ، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه ، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً. حكاه الماوردي[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٦/٢١٠-٢١١.
[٢] أخرجه الطبري(١٩٦٣٢):ص١٦/٢١٠.
[٣] أخرجه الطبري(١٩٦٣٤):ص١٦/٢١١.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٦٣٩):ص١٦/٢١٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٦٣٥):ص١٦/٢١١.
[٦] صفوة التفاسير:٢/٥٨.
[٧] تفسير الطبري:١٦/٢١٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٦٤٢):ص١٦/٢١٣.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٦٤٣):ص١٦/٢١٣.
[١٠] صفوة التفاسير:٢/٥٨.
[١١] تفسير الطبري:١٦/٢١٢-٢١٣.
[١٢] تفسير ابن كثير:٤/٣٠٤.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٣/٦٨.
[١٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٦٨):ص٧/٢١٨٣.

قال الإمام الشافعي:" فهذه الآية في مثل معنى الآيات قبلها، لا تختلف عند أهل العلم باللسان، أنهم إنما يخاطبون أباهم بمسألة أهل القرية وأهل العير؛ لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم"[٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [يوسف : ٨٢]، أي:" صادقون فيما أخبرناك من أمره"[٣].

قال ابن كثير:أي:" فيما أخبرناك به ، من أنه سرق وأخذوه بسرقته "[٤].

فوائد الآيتين:[٨١-٨٢]:

١- مشروعية النصح وتزويد المنصوح له بما يقوله ويعمله.

٢- قد يغلب الحياء على المؤمن فيمنعه من أمور هي خير له.

٣- ومن الفوائد: اختصاص علم الغيب بالله، ونفيه عن غيره تعالى من الملائكة والأنبياء، والأولياء، والجن.

القرآن

{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)} [يوسف : ٨٣]

التفسير:

قال لهم: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء مكيدة دبَّرتموها كما فعلتم مِن قبل مع يوسف، فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى معه، عسى الله أن يردَّ إليَّ أبنائي الثلاثة -وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه- إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره.

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف : ٨٣]، أي:" قال لهم: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء مكيدة دبَّرتموها كما فعلتم مِن قبل مع يوسف"[٥].

قال الطبري:" في الكلام متروك، وهو: فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم، وتخلف روبيل، فأخبروه خبره، فلما أخبروه أنه سرق قال: {بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا}، يقول: بل زينت لكم أنفسكم أمرًا هممتم به وأردتموه"[٦].

عن قتادة، قوله: "{بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل}، يقول: زينت"[٧].

قال ابن كثير:" قال بعض الناس : لما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الأول ، سُحب حكم الأول عليه ، وصح قوله : { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ }"[٨].

قال ابن إسحاق:" لما جاءوا بذلك إلى يعقوب، يعني: بقول روبيل لهم، اتَّهمهم وظن أن ذلك كفعلتهم بيوسف، ثم قال: {بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا}، أي: بيوسف وأخيه وروبيل"[٩].

قوله تعالى:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف : ٨٣]، أي:" فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى معه"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فصبري على ما نالني من فقد ولدي، صبرٌ جميل لا جزع فيه ولا شكاية"[١١].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٦٨/٣.

[٢] تفسير الإمام الشافعي:٩٨٢/٢.

[٣] صفوة التفاسير:٥٨/٢.

[٤] تفسير ابن كثير:٣٠٤/٤.

[٥] التفسير الميسر:٢٤٥.

[٦] تفسير الطبري:٢١٣/١٦.

[٧] أخرجه الطبري(١٩٦٤٤):ص٢١٤/١٦.

[٨] تفسير ابن كثير:٣٠٤/٤.

[٩] أخرجه الطبري(١٩٦٤٥):ص٢١٤/١٦.

[١٠] التفسير الميسر:٢٤٥.

[١١] تفسير الطبري:٢١٣/١٦-٢١٤.

قوله تعالى:{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} [يوسف : ٨٣]، أي:" عسى الله أن يردَّ إليَّ أبنائي الثلاثة -وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه-"[١].

قال الطبري:" عسى الله أن يأتيني بأولادي جميعًا فيردّهم علي"[٢].

قال قتادة وابن إسحاق:" أي: يوسف وأخيه وروبيل "[٣].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف : ٨٣]، أي:" إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره"[٤].

قال الطبري:" {إنه هو العليم}، بوحدتي، وبفقدهم وحزني عليهم، وصِدْقِ ما يقولون من كذبه، {الحكيم}، في تدبيره خلقه "[٥].

الفوائد:

١- جواز اتهام البرىء لملابسات أو تهمة سابقة.

٢- إثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«العليم»، و«الحكيم»:

- فـ«العليم»، والْعِلْمُ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ ،فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[٦].

قال الخطابي:"«العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"[٧].

- ومن اسمائه تعالى:«الحكيم»: "هو المحكم لخلق الأشياء.قال تعالى:{آلر، تلك آيات الكتاب الحكيم} [يونس:١] وقال في موضع آخر: {كتاب أحكمت آياته} [هود: ١].

فدل على أن المراد بـ«الحكيم» هنا، الذي أحكمت آياته، صرف عن مفعل إلى فعيل، ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها[٨].

القرآن

{وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)} [يوسف : ٨٤]

التفسير:

وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتا على يوسف وابيضَّتْ عيناه، بذهاب سوادهما مِن شدة الحزن فهو ممتلئ القلب حزنًا، ولكنه شديد الكتمان له.

قوله تعالى:{وَتَوَلَّى عَنْهُمْ} [يوسف : ٨٤]، أي:" وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٢) تفسير الطبري:٢١٣/١٦-٢١٤.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٧٣)، و(١١٨٧٤):ص٢١٨٤/٧،

(٤) التفسير الميسر:٢٤٥.

(٥) تفسير الطبري:٢١٣/١٦-٢١٤.

(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.

(٧) شأن الدعاء:٥٧.

(٨) انظر: شأن الدعاء، للخطابي:٧٣-٧٤.

قال الطبري:" وأعرض عنهم يعقوب"[2].
قال ابن كثير:" أي : أعرض عن بنيه"[3].
قال ابن إسحاق:" أي: أعرض عنهم، وتتام حزنه وبلغ جهوده حين لحق بيوسف أخوه، وهيج عليه حزنه على يوسف"[4].
عن أبي روق قال: لما احتبس يوسف أخاه بسبب السرقة، قال: كتب إليه يعقوب: من يعقوب بن إسحاق، بن إبراهيم خليل الله إلى يوسف عزيز فرعون، أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، إن أبي إبراهيم ألقي في النار فصبر فجعلها الله عليه بردا وسلاما، وإن أبي إسحاق قرب للذبح في الله فصبر، ففداه الله بذبح عظيم، وإن الله كان قد وهب لي قرة عين فسلبنيه لحمي على عظمي، فلا ليلي ليل ولا نهاري نهار والأسير الذي في يديك بما ادعى عليه من السرق أخوه لأمه فكنت إذا ذكرت أسفي عليه قربته مني فسلا عني بعض ما كنت أجد، وقد بلغني أنك حبسته بسبب سرقة فخل سبيله فإني لم ألد سارقا، وليس بسارق، السلام"[5].
قوله تعالى:{وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [يوسف : ٨٤]، أي:" وقال: يا حسرتا على يوسف"[6].
قال الطبري:" يعني: يا حَزَنا عليه"[7].
قال ابن كثير:" وقال متذكرا حُزنَ يوسف القديم الأول : { يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ } جَدَّد له حزنُ الابنين الحزن الدفين "[8].
وفي قوله تعالى:{وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [يوسف : ٨٤]، وجوه:
أحدهما : معناه: يا جزعا على يوسف. قاله مجاهد[9]، ومنه قول كثير :
فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه وللنفس لما سليت فتسلّتِ
الثاني : يا حزنا على يوسف. قاله ابن عباس[10]، ومجاهد[11]، والضحاك[12]، وقتادة[13].
الثالث: معناه: يا جزعاه ، قاله مجاهد[14].
وروي عن مجاهد:" يا جَزَعاه حزنًا"[15].
ومنه قول حسان بن ثابت يرثي رسول الله-ﷺ-[16]:
فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت عليه وما تحت السلام المنضد
وفي هذا القول الثالث، وجهان[17]:
أحدهما : أنه أراد به الشكوى إلى الله تعالى ولم يرد به الشكوى منه رغباً إلى الله تعالى في كشف بلائه .

---

(1) التفسير الميسر:٢٤٥.
(2)تفسير الطبري:٢١٤/١٦.
(3) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٤.
(4) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٧٦):ص٢١٨٤/٧-٢١٨٥.
(5) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٧٧):ص٢١٨٥/٧.
(6) التفسير الميسر:٢٤٥.
(7)تفسير الطبري:٢١٤/١٦.
(8) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٤.
(9) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٧٩):ص٢١٨٥/٧.
(10) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٨٧٨):ص٢١٨٥/٧.
(11) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٤٨):ص٢١٥/١٦.
(12) .انظر: تفسير الطبري(١٩٦٥٥):ص٢١٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١٨٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
(13) .انظر: تفسير الطبري(١٩٦٥١):ص٢١٦/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم:٢١٨٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
(14) انظر: تفسير الطبري(١٩٦٤٨):ص٢١٥/١٦. هكذا الترقيم بالمطبوع!
(15) أخرجه الطبري(١٩٦٤٩):ص٢١٦/١٦.
(16) انظر: النكت والعيون:٦٩/٣.
(17) انظر: النكت والعيون:٦٩/٣.

الثاني : أنه أراد به الدعاء، أي: يا رب ارحم أسفي على يوسف.
قال سعيد بن جبير:" ما أعطيت أمة مثل ما أعطيت هذه الأمة الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ألم تسمع إلى قول يعقوب: يا أسفى على يوسف ولو أعطيها أحد أعطيها يعقوب"[١].
قوله تعالى:{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف : ٨٤]، أي:" وابيضَّتْ عيناه، بذهاب سوادهما مِن شدة الحزن"[٢].
وفي قوله تعالى:{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف : ٨٤]، وجهان:
أحدهما : أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه[٣].
الثاني : أنه ذهب بصره ، قاله مجاهد[٤].
روي عن مجاهد، قال:"ذهب بصره، وقال: له أجر سبعين شهيدا"[٥].
قوله تعالى:{فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف : ٨٤]، أي:" فهو ممتلئ القلب حزنًا، ولكنه شديد الكتمان له"[٦].
وفي قوله تعالى:{فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف : ٨٤]، وجوه:
أحدها : أنه الكمد، قاله الضحاك[٧]، ومجاهد-في إحدى الروايات-[٨].
الثاني : أنه الذي لا يتكلم، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلّمهم. قاله ابن زيد[٩].
الثالث : أنه المقهور ، قاله ابن عباس[١٠]، قال الشاعر[١١]:
فإنْ أكُ كَاظِمًا لمُصَابِ شَاس فإني اليَوْمَ منْطَلِقٌ لِسَاني
وروي عن عطاء الخراساني: "{فهو كظيم}، قال: مكروب"[١٢].
والرابع : أنه المخفي لحزنه، قاله مجاهد[١٣]، وقتادة [١٤]، والسدي[١٥]، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه.
قال قتادة:" أي: سكت، يكظم حزنه ويردده في جوفه"[١٦].
ومنه قول الشاعر[١٧]:
فَحَضَضْتُ قومي واحتَسَبْتُ قتالَهم والقومُ من خوفِ المَنايا كُظَّمُ
عن الأحنف بن قيس أن النبي ﷺ قال: "إن داود عليه السلام قال: يا رب: إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق، ويعقوب فاجعلني لهم رابعا، فأوحى الله عز وجل إليه، أن يا داود: إن إبراهيم ألقي في النار بسبب فصبر وتلك بلية لم تنلك، وإن إسحاق بذل مهجة دمه

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨١):ص٢١٨٥/٧.
[٢] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٣] انظر: النكت والعيون:٧٠/٣.
[٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٨٦):ص٢١٨٦/٧.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨٦):ص٢١٨٦/٧.
[٦] التفسير الميسر:٢٤٥.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٦)-(١٩٦٦٨):ص٢١٨/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٤):ص٢١٧/١٦-٢١٨.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٧٤):ص٢١٩/١٦.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٧٠/٣.
[١١]هو قيس بن زهير، والبيت من الوافر، وابن الأنباري في "الوقف والابتداء" ١/ ٨٧، وانظر: "الدر" ٤/ ٥٧، القرطبي ٩/ ٢٤٩، و"النكت والعيون" ٣/ ٧٠.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٦٧٢):ص٢١٨/١٦.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٠)-(١٩٦٦٣):ص٢١٧/١٦.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٦٩)-(١٩٦٧١):ص٢١٧/١٦-٢١٨.
[١٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١٨٧/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٦]أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٠):ص٢١٨٧/٧ .
[١٧] انظر: البيت لعبد المطلب بن هاشم في الكشف والبيان:١٦٦/٣، البحر المحيط في التفسير:٢٤٩/٩، وغير منسوب في النكت والعيون:٧٠/٣، وتفسير القرطبي:٢٤٩/٩،

في سبب فصبر، وتلك بلية لم تنلك، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه حتى ابيضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تنلك"[١].

نضر بن عربي قال: بلغني أن يعقوب عليه السلام لما طال حزنه على يوسف ذهبت عيناه من الحزن وهو كظيم جعل العواد يدخلون عليه فيقولون: السلام عليك يا نبي الله، كيف تجدك؟ فيقول شيخ كبير، قد ذهب بصري فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب شكوتني إلى عوادك؟ قال: أي رب هذا ذنب عملته، لا أعود إليه، فلم يزل بعد يقول: نما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون"[٢].

عن ليث بن أبي سليم:" أن جبريل دخل على يوسف في السجن فعرفه فقال له: أيها الملك الكريم على ربه هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم قال: ما فعل؟ قال: ابيضت عيناه من الحزن عليك، قال: فما بلغ من حزنه؟ قال حزن سبعين، قال: هل له على ذلك من أجر؟ قال نعم، أجر مائة شهيد"[٣].

عن عبيد بن عمير؛ قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأها، حتى إذا بلغ: {وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم}، بكى حتى انقطع، فركع"[٤].

وفي رواية: "لما انتهى إلى قوله: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}، بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف"[٥].

الفوائد:

١- جواز إظهار التأسف والحزن والشكوى لله تعالى.

٢- العلاقة بين الانفعالات النفسية والأمراض العضوية كالمياه البيضاء والمياه الزرقاء، : قال تعالى:{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ }، وكظم غيظ شديد { وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } [يوسف : ٨٤] .

فإنه هناك علاقة بين الحزن وبين الإصابة بالمياه البيضاء ، حيث إن الحزن يسبب زيادة هرمون " الأدرينالين " وهذا يعتبر مضادًا " للأنسولين " وبالتالي فإن الحزن الشديد ـ أو الفرح الشديد ـ يسبب زيادة مستمرة في هرمون الأدرينالين الذي يسبب بدوره زيادة سكر الدم ، وهو أحد مسببات العتامة ، هذا بالإضافة إلى تزامن الحزن مع البكاء.

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨٢):ص٢١٨٦/٧.

قال ابن كثير: هذا مرسل وفيه نكاره فإن الصحيح هو الذبيح. ٤/ ٣٢٩.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨٣):ص٢١٨٦/٧.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٨٤):ص٢١٨٦/٧.

[٤]أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص١٣٧) من طريق النضر بن إسماعيل، عن ابن أبي ليلى، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، به. وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو صدوق، إلا أنه سيء الحفظ جدا كما في "التقريب" (٦١٢١).

وذكر ابن حجر في "فتح الباري" (٢/ ٢٠٦) أن ابن المنذر أخرجه من طريق عبيد بن عمير.

ولم ينفرد به ابن أبي ليلى.

فقد أخرجه أبو عبيد في الموضع السابق من طريق ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن علقمة بن وقاص، عن عمر مثله، إلا أنه ذكر صلاة العتمة بدل الفجر.

وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ثقة فقيه فاضل، إلا أنه كان يدلس كما في "التقريب" (٤٢٢١)، ولم يصرح بالسماع.

[٥] أخرجها عبد الرزاق في "المصنف" (٢٧١٦)، وسعيد بن منصور في "سننه" (١١٣٨ / التفسير)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٥٥١٦)، جميعهم من طريق عبد الله بن شداد بن الهاد؛ قال: "سمعت نشيج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني لفي آخر الصفوف: {قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}". وسنده صحيح.

٣- أن «الأسف» في اللغة له معنيان:
المعنى الأول: الأسف بمعنى الحزن، مثل قول الله تعالى عن يعقوب: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف: ٨٤].
الثاني: الأسف بمعنى الغضب، فيقال: أسف عليه باسم، بمعنى: غضب عليه[١].

القرآن

{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)} [يوسف : ٨٥]

التفسير:

قال بنوه: تالله ما تزال تتذكر يوسف، ويشتدُّ حزنك عليه حتى تُشْرِف على الهلاك أو تهلك فعلا فخفف عن نفسك.

قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ} [يوسف : ٨٥]، أي:" قال بنوه: تالله ما تزال تتذكر يوسف وتتفجع عليه"[٢].

قال ابن عباس:" لا تزال تذكر يوسف"[٣].

قال السدي:" أما «تفتؤ»: فتزال"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لا تفارق تَذَكُّر يوسف "[٥].

قوله تعالى:{حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} [يوسف : ٨٥]، أي:" حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك"[٦].

قال الطبري:" يقول: حتى تكون دَنِفَ الجسم مخبولَ العقل"[٧].

قال ابن كثير:" أي : ضعيف الجسم ، ضعيف القوة "[٨].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} [يوسف : ٨٥]، وجوه:

أحدها : يعني هرماً ، قاله الحسن[٩].

والثاني : دنفاً من المرض ، وهو ما دون الموت ، قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١]، والسدي[١٢].

والثالث : أنه الفاسد العقل، قاله محمد بن إسحاق[١٣].

قال أبو الصخر:" أما «الحرض»، فيقولون: لا يعقل ولا ينتفع به"[١٤].

وقال الضحاك:" «الحرض»: الشيء البالي"[١٥].

وقال ابن زيد:" «الحرض»: الذي قد رُدَّ إلى أرذل العمر حتى لا يعقل"[١٦].

وأصل «الحرض»: فساد الجسم والعقل من مرض أو عشق ، قال العرجي[١٧]:

إنِّي امْرُؤٌ لَجّ بي حُبٌّ فأَحْرَضَني   حَتَّى بَلِيتُ وحَتّى شَفَّني السَّقَمُ[١٨]

---

[١] انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين:٢٧١/١.
[٢] انظر: التفسير الميسر: ٢٤٥، وصفوة التفاسير:٥٩/٢.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩١):ص٢١٨٧/٧.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٣):ص٢١٨٧/٧.
[٥] تفسير ابن كثير:٣٠٥/٤.
[٦] صفوة التفاسير:٥٩/٢.
[٧] تفسير الطبري:٢٢١/١٦.
[٨] تفسير ابن كثير:٣٠٥/٤.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٦):ص٢١٨٨/٧.
[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٤):ص٢١٨٧/٧.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٩٦٨٤):ص٢٢٢/١٦.
[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٥):ص٢١٨٨/٧.
[١٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٨٩٩):ص٢١٨٨/٧.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٧):ص٢١٨٨/٧.
[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٨٩٨):ص٢١٨٨/٧.
[١٦] أخرجه الطبري(١٩٧٠٠):ص٢٢٤/١٦.
[١٧]ديوانه: ٥، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣١٧، واللسان (حرض).
[١٨] انظر: تفسير الطبري:٢٢١/١٦-٢٢٢.

قوله تعالى:{أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} [يوسف : ٨٥]، أي:" أو تهلك أسىً وحسرة وتموت"[١].

قال ابن كثير:" يقولون : وإن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف "[٢].

عن ابن عباس:" {أو تكون من الهالكين}، قال: من الميتين"[٣]. وروي عن مجاهد[٤]، والحسن[٥]، والضحاك[٦]، والربيع بن أنس[٧]، وقتادة[٨]، والسدي[٩].

قال الماوردي:" يعني: ميتاً من الميتين. قاله الجميع"[١٠].

فإن قيل : فكيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً متمكناً بمصر ، وأبوه بحرّان من أرض الجزيرة ؟ وهلاّ عجّل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء ؟

قيل يحتمل أربعة أوجه[١١]:

أحدها : أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالى ، ابتلاء له لمصلحة علمها فيه لأنه نبيّ مأمور .

الثاني : أنه بلي بالسجن ، فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر .

الثالث : أن في مفاجأة السرور خطراً وأحب أن يروض نفسه بالتدريج .

الرابع : لئلا يتصور الملك الأكبر فاقة أهله بتعجيل استدعائهم حين ملك .

القرآن

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)} [يوسف : ٨٦]

التفسير:

قال يعقوب مجيبًا لهم: لا أظهر همِّي وحزني إلا لله وحده، فهو كاشف الضرِّ والبلاء، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا تعلمونه.

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف : ٨٦]، أي:" قال لهم يعقوب: لستُ أشكو غميّ وحزني إليكم وإنما أشكو ذلك إلى الله فهو الذي تنفع الشكوى إليه"[١٢].

قال الطبري: اي:" لست إليكم أشكو بثي وحزني، وإنما أشكو ذلك إلى الله"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : همي وما أنا فيه { إِلَى اللَّهِ } وحده"[١٤].

قال ابن عباس:"{بثي}، همي"[١٥].

عن الحسن: "{إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}، قال: حاجتي وحزني إلى الله"[١٦].

قال ابن إسحاق:" قال يعقوب عَنْ عِلْمٍ بالله: {إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون}، لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لَفْظهم له: لم أشك ذلك إليكم، {وأعلم من الله ما لا تعلمون}"[١٧].

---

[١] صفوة التفاسير:٥٩/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٠٥/٤.
[٣] تفسير ابن ابي حاتم(١١٩٠٠):ص٢١٨٨/٧.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠١):ص٢٢٤/١٦.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٥):ص٢٢٤/١٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٣)، و(١٩٧٠٤):ص٢٢٤/١٦-٢٢٥.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٢١٨٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٦):ص٢٢٤/١٦.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٠٨):ص٢٢٤/١٦.
[١٠] النكت والعيون:٧٠/٣.
[١١] انظر: النكت والعيون:٧١/٣.
[١٢] صفوة التفاسير:٥٩/٢.
[١٣] تفسير الطبري:٢٢٥/١٦.
[١٤] تفسير ابن كثير:٣٠٦/٤.
[١٥] أخرجه الطبري(١٩٧٠٩):ص٢٢٦/١٦.
[١٦] أخرجه الطبري(١٩٧١١):ص٢٢٦/١٦.
[١٧] أخرجه الطبري(١٩٧١٠):ص٢٢٦/١٦.

قوله تعالى:{وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف : ٨٦]، أي:" أعلم من رحمته وإحسانه ما لا تعلمون أنتم"[١].

قال ابن كثير:" أي : أرجو منه كل خير"[٢].

قال ابن عباس:" يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له"[٣].

قال السدي:" لما أخبروه بدعاء الملك، أحسَّت نفسُ يعقوب وقال: ما يكون في الأرض صِدِّيق إلا نبيّ! فطمع قال: لعله يوسف"[٤].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْنَ ظنّه بالله من ورائه"[٥].

قال الحسن:" قيل: ما بلغ وجدُ يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين ثكلى! . قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيدٍ. قال: وما ساء ظنه بالله ساعةً من ليل ولا نهار"[٦].

عن طلحة بن مصرِّف الإيامي قال:"ثلاثة لا تذْكُرْهنّ واجتنب ذكرهُنّ: لا تشك مَرَضَك، ولا تَشكُّ مصيبتك، ولا تزكِّ نفسك. قال: وأنبئت أنّ يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له، فقال له: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيتَ، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هَشَمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف وذكره! فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتُها، فاغفرها لي! قال: فإني قد غفرت لك. وكان بعد ذلك إذا سئل قال، {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون}"[٧].

عن حبيب بن أبي ثابت قال:" بلغني أن يعقوب كبر حتى سقط حاجبَاه على وجنتيه، فكان يرفعهما بخِرْقَة، فقال له رجل: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني؟ قال: خطيئة فاغفرها"[٨].

قال ثور بن يزيد: "دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجبَاه على عينيه، فقال: ما بلغ بك هذا يا إبراهيم؟ فقالوا: إنّه يعقوب، فقال: ما بلغ بك هذا يا يعقوب؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فقال الله: يا يعقوب أتشكوني؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي"[٩].

قال مجاهد:" حُدّثت أن جبريل أتى يوسف ﷺ وهو بمصر في صورة رجل، فلما رآه يوسف عرَفه، فقام إليه: فقال: أيها الملك الطيبُ ريحه، الطاهرُ ثيابه، الكريم على ربه، هل لك بيعقوب من علم؟ قال: نعم! قال: أيها الملك الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فكيف هو؟ قال: ذهب بصره. قال: أيها الملك الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، وما الذي أذهب بصره؟ قال: الحزنُ عليك. قال: أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فما أعطي على ذلك؟ قال: أجر سبعين شهيدًا"[١٠].

قال أبو شريح: "سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبريل: ما بلغ من حزن يعقوب؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره؟ قال: أجر سبعين شهيدًا"[١١].

عن عبيد الله بن أبي جعفر قال:" دخل جبريل على يوسف في البئر أو في السجن، فقال له يوسف: يا جبريل، ما بلغ حزن أبي؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره من الله؟ قال: أجر مئة شهيدٍ"[١].

---

[١] صفوة التفاسير:٥٩/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٠٦/٤.
[٣] أخرجه الطبري(١٩٧١٥):ص٢٢٧/١٦.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٧١٦):ص٢٢٧/١٦.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٧١٧):ص٢٢٧/١٦.
[٦] أخرجه الطبري(١٩٧١٨):ص٢٢٧/١٦.
[٧] أخرجه الطبري(١٩٧١٩):ص٢٢٧/١٦-٢٢٨.
[٨] أخرجه الطبري(١٩٧٢٠):ص٢٢٨/١٦.
[٩] أخرجه الطبري(١٩٧٢١):ص٢٢٨/١٦.
[١٠] أخرجه الطبري(١٩٧٢٤):ص٢٢٩/١٦.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٧٢٥):ص٢٢٩/١٦.

وهب بن منبه يقول: أتى جبريل يوسف بالبشرى وهو في السجن. فقال: هل تعرفني أيها الصِدّيق؟ قال: أرى صورة طاهرة ورُوحًا طيبة لا تشبه أرواح الخاطئين. قال: فإني رسول رب العالمين، وأنا الروح الأمين. قال: فما الذي أدخلك على مُدْخَل المذنبين، وأنت أطيب الطيبين، ورأس المقربين، وأمين رب العالمين؟ قال: ألم تعلم يا يوسف أن الله يطّهر البيوت بطُهْر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرَضِين، وأن الله قد طهَّر بك السجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن المطهَّرين؟ إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلَصِين! قال: كيف لي باسم الصدّيقين، وتعدُّني من المخلصين، وقد أدخلت مُدْخَل المذنبين، وسميت في الضالين المفسدين؟ قال: لم يُفْتَتَنْ قلبُك، ولم تطع سيدتك في معصية ربك، ولذلك سمَّاك الله في الصديقين، وعدّك من المخلَصين، وألحقك بآبائك الصالحين. قال: لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين؟ قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن عليك، فهو كظيم. قال: فما قَدْرُ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فماذا له من الأجر يا جبريل؟ قال: قدر مئة شهيدٍ"[٢].

قال السدي:" أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن فسلّم عليه، وجاءه في صورة رجلٍ حسن الوجه طيّب الريح نقيّ الثياب، فقال له يوسف: أيها المَلك الحسن وجهه، الكريم على ربه، الطيب ريحه، حدثني كيف يعقوب؟ قال: حزن عليك حزنًا شديدًا. قال: وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلة. قال: فما بلغ من أجره؟ قال: أجر سبعين أو مئة شهيدٍ. قال يوسف: فإلى من أوَى بعدي؟ قال: إلى أخيك بنيامين. قال: فتراني ألقاه أبدًا؟ قال: نعم. فبكى يوسف لما لقي أبوه بعده، ثم قال: ما أبالي ما لقيت إنِ اللهُ أرانيه"[٣].

عن عبد الرحمن بن زياد، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبي ﷺ قال: "من بثَّ لم يصبر، ثم قرأ: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}"[٤].

عن هشام، عن الحسن، قال:" "كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة، لم يفارق الحزن قلبه، يبكي حتى ذهبَ بصره. قال الحسن: والله ما على الأرض يومئذ خليقةٌ أكرم على الله من يعقوب ﷺ"[٥].

الفوائد:

١- شدة الحزن تعرض صاحبها للحرض أو الموت.
٢- تحرم الشكوى لغير الله عز وجل.
٣- الركون إلى حصن الله المتين عند الشدائد.
٤- هناك أمور لا تنافي الصبر ولا بأس بها، منها ما يأتي:

أ- الشكوى إلى الله تعالى؛ فالتضرّع إليه، ودعاؤه في أوقات الشدّة عبادة عظيمة، فإن الله أخبر عن يعقوب بقوله: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف:١٨]، وقال تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى الله أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف:٨٣]، وقال تعالى: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [يوسف:٨٦]، وأيوب عليه الصلاة والسلام أخبر الله عنه بقوله تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء:٨٣]، وقال الله تعالى عنه: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص:٤٤]، فإذا أصاب العبدَ مصيبةٌ فأنزلها بالله، وطلب كشفها منه فلا ينافي الصبر[٦].

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٧٢٦):ص٢٢٩/١٦.
[٢] أخرجه الطبري(١٩٧٢٧):ص٢٢٩/١٦-٢٣٠.
[٣] أخرجه الطبري(١٩٧٢٩):ص٢٣٠/١٦-٢٣١.
[٤] أخرجه الطبري(١٩٧٣٢):ص٢٣١/١٦.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٧٣٣):ص٢٣١/١٦-٢٣٢.
[٦]انظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي: ٨٤.

ب- الحزن ودمع العين؛ فإن ذلك قد حصل لأكمل الخلق نبينا محمد بن عبد الله - ﷺ -؛ لحديث أنس - رضي الله عنه - قال: دخلنا مع رسول الله - ﷺ - على أبي سيف القين[١] - وكان ظئرًا[٢] لإبراهيم - عليه السلام - فأخذ رسول الله - ﷺ - إبراهيم فقبَّله وشمَّهُ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه[٣]، فجعلت عينا رسول الله - ﷺ - تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: وأنت يا رسول الله؟[٤] فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى[٥]، فقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما ما يرضى ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[٦].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ووقع في حديث عبد الرحمن بن عوف نفسه: فقلت يا رسول الله تبكي أَوَلَمْ تَنْهَ عن البكاء؟ وزاد فيه: «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهوٍ ولعبٍ ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه، وشق جيوب، ورنّة شيطان». قال: «إنما هذا رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحم»"[٧].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمّه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع الخطاب للغير، وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي - ﷺ - ولده مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما: صغره، والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق، وفيه جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله؛ ليظهر الفرق"[٨].

الأمور التي تعين على الصبر على المصيبة بفقد الأحباب كثيرة منها ما يأتي:
الأمر الأول: معرفة جزاء المصيبة وثوابها وهذا من أعظم العلاج الذي يُبَرِّد حرارة المصيبة، وتقدمت الأدلة على ذلك.
الأمر الثاني: العلم بتكفيرها للسيئات وحطّها كما تحطّ الشجرة ورقها.
الأمر الثالث: الإيمان بالقدر السابق بها، وأنها مقدرة في أم الكتاب كما تقدم.
الأمر الرابع: معرفة حق الله في تلك البلوى، فعليه الصبر والرضا، والحمد والاسترجاع والاحتساب.

---

[١] القين: الحداد، ويطلق على كل صانع، يقال: قان الشيء: إذا أصلحه. فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٧٣.
[٢] ظئرًا: مرضعًا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر: من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يشاركها في تربيته غالبًا. وإبراهيم: ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٧٣.
[٣] يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله. فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٧٤.
[٤] وأنت يا رسول الله: أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع، فأجابه بقوله: ((إنها رحمة)):أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد، لا ما توهمت من الجزع)) فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٧٤.
[٥] ثم أتبعها بأخرى: قيل: أتبع الدمعة بدمعة أخرى، وقيل: أتبع الكلمة الأولى المجملة وهي قوله: ((إنها رحمة)) بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله: ((إن العين تدمع))،فتح الباري لابن حجر،٣/ ١٧٤.
[٦] متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إنا بك لمحزونون))، برقم ١٣٠٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته - صلى الله عليه وسلم - الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم ٢٣١٥.
[٧] فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٧٤.
[٨] فتح الباري، لابن حجر، ٣/ ١٧٤.

الأمر الخامس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوفِ قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.
الأمر السادس: العلم بترتّبها عليه بذنبه، فإن لم يكن له ذنب كالأنبياء والرسل فلرفع درجاته.
الأمر السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة دواء نافع ساقه إليه العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر ولا يسخط ولا يشكو إلى غير الله فيذهب نفعه باطلاً.
الأمر الثامن: أن يعلم أن عاقبة هذا الدواء: من الشفاء والعافية والصحة وزوال الآلام ما لم تحصل بدونه، قال الله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[البقرة:٢١٦].
وقال - عز وجل -: {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩].
الأمر التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبيّن حينئذٍ: هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.
الأمر العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السرّاء والضرّاء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال[1].
الأمر الحادي عشر: معرفة طبيعة الحياة الدنيا على حقيقتها؛ فهي ليست جنة نعيم ولا دار مقام، إنما ممرّ ابتلاء وتكليف؛ لذلك فالكيّس الفطن لا يفجأ بكوارثها، ولله دَرُّ القائل:
إن لله عبادًا فُطَنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا ... أنها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا ... صالحَ الأعمال فيها سفنا
فالحياة الدنيا لا تستقيم على حال، ولا يقر لها قرار، فيوم لك، ويوم آخر عليك، قال الله تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[آل عمران:١٤٠].
وقد أحسن أبو البقاء الرندي القائل:
لكل شيء إذا ما تمَّ نُقصان ... فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان
هي الأيام كما شاهدتَها دول ... فمن سرَّه زمنٌ ساءته أزمان[2]
الأمر الثاني عشر: معرفة الإنسان نفسه؛ فإن الله هو الذي منح الإنسان الحياة فخلقه من عدم إلى وجود، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولاً وآخرًا، وصدق لبيد بن ربيعة - رضي الله عنه - القائل:
وما المال والأهلون إلا ودائعُ ... ولا بُدَّ يومًا أن ترد الودائع
الأمر الثالث عشر: اليقين بالفرج، فنصر الله قريب من المحسنين، وبعد الضيق سعة، ومع العسر يسرًا؛ لأن الله وعد بهذا، ولا يخلف الميعاد، وقال سبحانه: {إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}[هود:٤٩].
وقد أحسن القائل:
ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت ... حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرجُ
وقد وعد الله - عز وجل - بحسن العوض عما فات؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كما قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[النحل:٤١-٤٢].

---

[1] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، ص٤٤٨ - ٤٥٩، وانظر: زاد المعاد، ٤/ ١٨٨ - ١٩٦، وعدة الصابرين لابن القيم، ص٧٦ - ٨٦.
[2] هكذا نُقل عند البعض، ولكن للإمام البستي في نونيته نحو هذا قال رحمه الله:
لا تحسبن سرورًا دائمًا أبدًا ... من سره زمنٌ ساءته أزمانُ
انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص ٦٢٥.

ولله دَرُّ القائل:

وكل كسرٍ فإن الله يجبرُه ... وما لكسرِ قناةِ الدين جبرانُ [1]

الأمر الرابع عشر: الاستعانة بالله، فما على العبد إلا أن يستعين بربه أن يعينه، ويجبر مصيبته، قال تعالى: {اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[الأعراف:١٢٨]، ومن كانت معية الله معه فهو حقيق أن يتحمل ويصبر على الأذى.

الأمر الخامس عشر: التأسّي بأهل الصبر والعزائم، فالتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان الابتلاء والشدائد يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي، قال الله تعالى لنبيه - ﷺ -: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}[الأحقاف:٩٢١/٢].

الأمر السادس عشر: استصغار المصيبة، قال النبي - ﷺ -: "يا أيها الناس أيما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدَّ عليه من مصيبتي"[2].

وكتب بعض العقلاء إلى أخ له يعزّيه عن ابن له يقال له: محمد، فنظم الحديث الآنف شعرًا فقال:

اصبر لكل مصيبة وتجلَّدِ ... واعلم بأن المرء غير مخلَّدِ [3]

وإذا ذكرت محمدًا ومصابَهُ ... فاذكر مصابك بالنبي محمّد

الأمر السابع عشر: العلم أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمن، ولله دَرُّ القائل:

وكل كسرٍ فإن الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

وذكر أن امرأة من العرب مرت بابنين لها وقد قتلوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت: وكل بلوى تصيب المرء عافية ... ما يُصَبْ يومًا يلقى الله في النار[4]

الأمر الثامن عشر: العلم بأن الدنيا فانية وزائلة، وكل ما فيها يتغير ويزول؛ لأنها إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة:

أما الأدلة من الكتاب، فعلى النحو الآتي:

١ - قال الله تعالى: {وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٣٣-٣٥].

٢ - وقال الله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[يونس:٢٤].

٣ - وقال - عز وجل -: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا}[الكهف:٤٥].

٤ - وقال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ} [القصص:٦٠].

---

[1] جاء في كتاب« **عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة**»:٩٢٠/٢: "هكذا سمعته من الشيخ محمد بن حسن الدريعي، يقول: إنه كتبه له بعض أصدقائه عندما انكسرت رجله، ولكن البيت في نونية علي بن محمد البستي هكذا:

كل الذنوب فإن الله يغفرها ... إن شيَّع المرء إخلاص وإيمان

وكل كسر فإن الدين يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران"

انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص٦٢٦.

[2] ابن ماجه، واللفظ له، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم ١٥٩٩، والدارمي، ١/ ٤٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١١٠٦.

[3] انظر: مقومات الداعية الناجح، للمؤلف، ص٢٦٠ - ٢٧٩.

[4] برد الأكبار عند فقد الأولاد؛ لابن ناصر الدين، ص٦١.

٥ - وقال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[القصص:٨٣].
٦ - وقال تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص:٨٨].
٧ - وقال الله تعالى: {فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى:٣٦].
٨ - وقال سبحانه: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [الأنعام:٣٢].
٩ - وقال الله - عز وجل -: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}[العنكبوت:٦٤].
١٠ - وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ الله وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}[الحديد:٢٠].
١١ - وقال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ} [الرحمن:٣٦-٣٧].
١٢ - وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر:٣٩].
وأما الأدلة من السنة المطهرة، فقد زهَّد النبي - ﷺ - النَّاس في الدنيا، ورغَّبهم في الآخرة، بفعله وقوله - ﷺ -، على النحو الآتي:
١ - أما فعله فمنه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "خرج النبي - ﷺ - ولم يشبع من خبز الشعير"[١].
٢ - وقالت: "ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر"[٢].
٣ - وقالت: "إنا كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله - ﷺ - نار، فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء"[٣].
٤ - وقال - ﷺ -: "لو كان لي مثل أُحد ذهبًا ما يسرني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء إلا شيء أرصُدُهُ لدَيْن"[٤].
٥ - وقد ثبت عنه - ﷺ - أنه اضطجع على حصير فأثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: يا رسول الله لو أخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال - ﷺ -: "ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سار في يومٍ صائفٍ فاستظلّ تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها"[٥].
٦ - وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: "ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض"[٦]. والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالبًا كان بسبب قلة الشيء عندهم، على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم[١].

---

[١] البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يأكلون، برقم ٥٤١٤.
[٢] البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٥٥.
[٣] البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٥٩.
[٤] متفق عليه: البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، والحجر والتفليس، باب أداء الديون، برقم ٢٣٨٩، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، برقم ٩٩١.
[٥] أحمد في المسند، ١/ ٣٠١ بلفظه، والترمذي بنحوه، في كتاب الزهد، باب ٤٤، برقم ١٣٧٧، وقال: ((حديث حسن صحيح))، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٢٨٠، وصحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٩٤.
[٦] البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: {كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} الآية، برقم ٥٣٧٤.

٧ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان فراش رسول الله - ﷺ - من أدَم وحشوُهُ ليف"[٢].
٨ - ومع هذا كان يقول - ﷺ -: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا"[٣].
٩ - وقال - ﷺ -: "قد أفلح من أسلم، ورُزِق كفافًا، وقنَّعَهُ الله بما آتاه"[٤].
وأما قوله في التزهيد في الدنيا والتحذير من الاغترار بها، فكثير، ومنه:
١٠ - حديث مطرف عن أبيه - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي - ﷺ - وهو يقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} قال: "يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت"[٥].
١١ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: "يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، [و] ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه الناس"[٦].
١٢ - وقال النبي - ﷺ - مرة لأصحابه: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله"؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه. قال: "فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر"[٧].
١٣ - ودخل النبي - ﷺ - السوق يومًا فمرَّ بجدي صغير الأذنين ميت، فأخذه بأذنه ثم قال: "أيكم يحب أن هذا له بدرهم"؟ قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: "أتحبون أنه لكم"؟ قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه؛ لأنه أسكٌّ[٨]، فكيف وهو ميت؟ فقال: "فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم"[٩].
١٤ - وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء"[١٠].
والدنيا مذمومة إذا لم تستخدم في طاعة الله - عز وجل -.
١٥ - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "ألا إن الدنيا ملعونةٌ، ملعون ما فيها إلا ذكرُ الله، وما والاهُ، وعالمٌ، أو متعلم"[١١]، وهذا يؤكد أن الدنيا مذمومة، مبغوضة من الله وما فيها، مبعدة من رحمة الله إلا ما كان طاعة لله - عز وجل -؛ ولهوانها على الله - عز وجل - لم يبلّغ رسوله - ﷺ - فيها وهو أحب الخلق إليه.
١٦ - فقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير[١٢].
وقوله: "وما والاه" أي: ما يحبه الله من أعمال البر، وأفعال القُرَب، وهذا يحتوي على جميع الخيرات، والفاضلات، ومستحسنات الشرع، وقوله: "وعالم أو متعلم" العالم والمتعلم: العلماء

---

[١] انظر: فتح الباري لابن حجر، ٩/ ٥١٧، ٥٤٩.
[٢] البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٥٦.
[٣] متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٦٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، واللفظ له، برقم ١٠٥٥.
[٤] مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، برقم ١٠٥٤.
[٥] مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٥٨.
[٦] مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٥٩.
[٧] البخاري، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، برقم ٦٤٤٢.
[٨] الأسك: مصطلم الأذنين مقطوعهما.
[٩] مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٥٧.
[١٠] ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٠، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله - عز وجل -، وقال: ((هذا حديث صحيح))، برقم ٢٣٢٠، وابن المبارك في الزهد والرقائق، عن رجال من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، برقم ٤٧٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٤٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢٤٠.
[١١] الترمذي، بلفظه، كتاب الزهد، بابٌ: حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٢٣٢٢،وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٢،وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢٤٤.
[١٢] انظر: البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الطعام إلى أجل، برقم ٢٢٠٠، ومسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر، برقم ١٦٠٣.

بالله، الجامعون بين العلم والعمل، فيخرج منه الجهلاء، والعالم الذي لم يعمل بعلمه، ومن يعلم علم الفضول، وما لا يتعلق بالدين. والرفع في "عالم أو متعلم" على التأويل: كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمدُ مما فيها "إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم"[١]،فإذا رأى العاقل من ينافسه في الدنيا فعليه أن ينصحه ويحذّره وينافسه في الآخرة[٢].

١٧ - وفي قصة أبي عبيدة - رضي الله عنه - عندما قدم بمال من البحرين فجاءت الأنصار وحضروا مع رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح، فلمَّا صلى بهم الفجر، تعرَّضوا له، فتبسَّم حين رآهم وقال: "أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء"؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: "فأبشروا، وأمِّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»، وفي رواية: "وتلهيكم كما ألهتهم"[٣].

١٨-وفي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ -: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»، قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»، ثم قال: «إن هذا المال خَضِرَة حلوة، من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع [ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة]»"[٤].

١٩ - وقال خَبَّابٌ - رضي الله عنه -: "إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب"[٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أي: الذي يوضع في البنيان وهو محمول على ما زاد على الحاجة"[٦].

وذكر رحمه الله آثارًا كثيرة في ذمّ البنيان ثم قال: "وهذا كله محمول على ما لا تمسُّ الحاجة إليه مما لا بدَّ منه للتوطّن، وما يقي البرد والحرّ"[٧].

والمسلم إذا لم يجعل الدنيا أكبر همه وفقه الله وأعانه.

٢٠ - فعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ قلبك غنىً، وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم لا تباعد عني فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً"[٨].

٢١ - وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: "إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً، وأسدّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسدَّ فقرك"[٩]. قال ذلك عندما تلا: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ}[الشورى:٢٠].

---

[١]انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ١٠/ ٣٢٨٤ - ٣٢٨٥، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري، ٩/ ٣١، وتحفة الأحوذي للمباركفوري، ٦/ ٦١٣.

[٢]فقه الدعوة للمؤلف، ٢/ ١٠٠٧.

[٣]متفق عليه: البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، برقم ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٦١.

[٤]متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم ٦٤٢٧، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، برقم ١٠٥٢، وما بين المعقوفين من رواية مسلم.

[٥]متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧٢، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨١.

[٦]فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ١٠/ ١٢٩.

[٧]فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١١/ ٩٣، و١٠/ ١٢٩.

[٨]الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٤/ ٣٢٦، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ((وهو كما قالا))، وصححه في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٦٥.

[٩]الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا قتيبة، برقم ٢٤٦٦، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم ٤١٠٨، وأحمد، ٢/ ٣٥٨، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ٤٤٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٦٦، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ٣٤٦، وفي صحيح الترمذي، ٢/ ٥٩٣.

ولا شك أن كل عمل صالح يُبتغى به وجه الله فهو عبادة، بل وحتى الأعمال المباحة.
٢٢ - وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة"(١).
٢٣ - وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"(٢).
٢٤ - وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: "من أحب دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى"(٣).
٢٥ - وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أنه لَمّا حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشعريين ليُبلِّغ الشاهد الغائب، إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "حلاوة الدنيا مرةُ الآخرة، ومرةُ الدنيا حلاوة الآخرة"(٤).
الأمر التاسع عشر: العلم بأن الله تعالى يجمع بين المؤمن وذريته، ووالديه وأهله، ومن يحب في الجنة، وهذا الاجتماع الذي لا فراق بعده لقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}[الطور:٢١]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتّبعتهم ذرّيتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك"(٥). وهذا فضله تعالى على الأولاد ببركة ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأولاد فثبت في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رَبِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك"(٦).
قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "وهذا من تمام نعيم أهل الجنة أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتّبعوهم بإيمان: أي الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعًا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئًا"(٧). وهذا هو الفوز العظيم(٨).
نسأل الله تعالى أن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع آبائنا، وذرّيّاتنا، وأزواجنا، وجميع أهلينا وأحبابنا في الله تعالى؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمدلله رب العالمين.
القرآن
{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)} [يوسف : ٨٧]

---

(١) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم ٤١٠٥، وصحح الألباني إسناده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٥٠، وصحيح الجامع، ٥/ ٣٥١.
(٢) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب: حدثنا سويد، برقم ٢٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٥٩٣، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٤٩ - ٩٥٠.
(٣) أحمد، ٤/ ٤١٢، وابن حبان، برقم ٧٠٩، والحاكم، ٤/ ٣١٩، قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، برقم ٤٧٤٤: ((رواه أحمد ورواته ثقات)). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب على الحديث رقم ٣٢٤٧: ((صحيح لغيره))، وذكر له شاهدًا في الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٢٨٧.
(٤) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي،٤/ ٣١٠،وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢٤٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٤.
(٦) أخرجه أحمد في المسند،٢/ ٢٠٩،قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: ((إسناده صحيح)).
(٧) تفسير السعدي:٨١٥، وانظر: تفسير الطبري، ٢٢/ ٤٦٧ - ٤٧٠، وتفسير البغوي، ٤/ ٢٣٨.
(٨) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة: ٩١٣/٢-٩٣٢.[بتصرف بسيط]

التفسير:
قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى «مصر» فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه، ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله، إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به.
قوله تعالى:{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} [يوسف : ٨٧]، أي:" قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى «مصر» فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه"[١].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن يعقوب ، عليه السلام ، إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين، و«التحسس» يكون في الخير، و«التجسس»: يستعمل في الشر"[٢].
عن السدي: "{يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه}، بمصر"[٣].
قال مقاتل:" يعني: فابحثوا عن يوسف وأخيه بنيامين"[٤].
قال ابن إسحاق:" ثم إن يعقوب قال لبنيه، وهو على حسن ظنه بربه مع الذي هو فيه من الحزن: {يا بني اذهبوا} إلى البلاد التي منها جئت{ فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله}، أي من فرجه{إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}"[٥].
قال الطبري:" حين طمع يعقوب في يوسف، قال لبنيه: {يا بني اذهبوا} إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به{فتحسَّسوا من يوسف}، يقول: التمسوا يوسف وتعرَّفوا من خبره.. {وأخيه}، يعني: بنيامين"[٦].
قال الماوردي: {فتحسَّسوا}" أي: استعملوا وتعرّفوا، ومنه قول عديّ بن زيد[٧]:
فإنْ حَيِيتَ فلا أحسسك في بلدي وإن مرضت فلا تحسِسْك عُوّادِي
وأصله طلب الشيء بالحس"[٨].
قوله تعالى:{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} [يوسف : ٨٧]، أي:" ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله"[٩].
قال الطبري:" يقول: ولا تقنطوا من أن يروِّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرَجٍ من عنده، فيرينيهما"[١٠].
قال ابن كثير:" ونَهّضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله ، أي : لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه "[١١].
وفي قوله تعالى:{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} [يوسف : ٨٧]، وجهان:
أحدهما : من فرج الله ، قاله ابن زيد[١٢]، ومحمد بن إسحاق[١٣].
قال ابن زيد:" من فرج الله، يفرّج عنكم الغمّ الذي أنتم فيه"[١٤].
والثاني : من رحمة الله ، قاله الضحاك[١]، وقتادة[٢]، ومقاتل[٣]، وابن قتيبة[٤]، والنحاس[٥]، وفي والنحاس[٥]، وفي تسميته بالروح، قولان:

---

[١] التفسير الميسر:٢٤٦.
[٢] تفسير ابن كثير:٤٠٦/٤.
[٣] أخرجه الطبري(١٩٧٣٤):ص٢٣٣/١٦.
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٨/٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٧٣٧):ص٢٢٣/١٦.
[٦] تفسير الطبري:٢٣٢/١٦.
[٧] انظر: النكت والعيون:٧٢/٣.
[٨] النكت والعيون:٧٢/٣، وانظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٦.
[٩] التفسير الميسر:٢٤٦.
[١٠] تفسير الطبري:٢٣٢/١٦.
[١١] تفسير ابن كثير:٤٠٦/٤.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٣٩):ص٢٣٣/١٦.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١١٩١٢):ص٢١٩٠/٧.
[١٤] أخرجه الطبري(١٩٧٣٩):ص٢٣٣/١٦.

أحدهما: أنه مأخوذ من الريح التي بالنفع. ذكره الماوردي[٦].
الثاني: سماها روحا لأن الروح والراحة يكونان بها. وهذا قول ابن قتيبة[٧].
قال الماوردي :"وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنّبه على يوسف برد البضاعة واحتباس أخيه وإظهار الكرامة ولما حكي أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف ؟ فقال : لا"[٨].
قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف : ٨٧]، أي:" إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به"[٩].
قال ابن إسحاق:" أي: من فرجة الله إلا القوم الكافرون"[١٠].
قال الطبري:" يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه {إلا القوم الكافرون}، يعني: القوم الذين يجحدون قُدرته على ما شاءَ تكوينه"[١١].
قال ابن كثير:" فإنه لا يقطع الرجاء ، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون"[١٢].
قال الجصاص:" متى كان للمذنب رجوع إلى الله في فعل الخير وإن كان مقيما على الذنب أنه مرجو الصلاح مأمون خير العاقبة، وقال الله تعالى: {ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}، فالعبد وإن عظمت ذنوبه فغير جائز له الانصراف عن الخير يائسا من قبول توبته لأن التوبة مقبولة ما بقي في حال التكليف فأما من عظمت ذنوبه وكثرت مظالمه وموبقاته فأعرض عن فعل الخير والرجوع إلى الله تعالى يائسا من قبول توبته فإنه يوشك أن يكون ممن قال الله عز وجل: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : ١٤] "[١٣].
الفوائد:
اقتران الإحباط واليأس بالكفر، فإن اليائس من رحمة الله قد ظن ظن الجاهلية بالله، وقد ظن ظن السوء بالله، والله جل وعلا يقول: (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} [الفتح:٦] وقال الله تعالى حاكياً عن يعقوب أنه قال: {يَا بَنِيَ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:٨٧] وقال حاكياً عن إبراهيم: {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ} [الحجر:٥٤ - ٥٥] وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره"[١٤].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٣٨):ص٢٣٣/١٦.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١١٩١١):ص٢١٩٠/٧.
[٣] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٨/٢.
[٤] انظر: تاويل مشكل القرآن:٢٦٦.
[٥] انظر: معاني القرآن:٤٥٥/٣.
[٦] انظر: النكت والعيون:٧٢/٣.
[٧] انظر: تاويل مشكل القرآن:٢٦٦.
[٨] النكت والعيون:٧٢/٣.
[٩] التفسير الميسر:٢٤٦.
[١٠]أخرجه ابن أبي حاتم(١١٩١٣):ص٢١٩٠/٧ .
[١١] تفسير الطبري:٢٣٢/١٦.
[١٢] تفسير ابن كثير:٤٠٦/٤.
[١٣] أحكام القرآن:٣٥٤/٤-٣٥٥.
[١٤]أخرجه أحمد (١١/٤، رقم ١٦٢٣٢) ، وابن ماجه (٦٤/١، رقم ١٨١) قال البوصيرى (١ ص ٢٦) : هذا إسناد فيه مقال. والطبرانى (٢٠٧/١٩، رقم ٤٦٩) ، والدارقطنى فى الصفات (ص ٢٧، رقم ٣٠) . وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٤٧، رقم ١٠٩٢) ، وابن أبى عاصم فى السنة (٢٤٤/١، رقم ٥٥٤) . ومن غريب الحديث: "غيره": أى تغير الأحوال.

١- الحذر من القنوط من رحمته واليأس من روحه سبحانه وتعالى، قال تعالى: {قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر:٥٥، ٥٦]، وقال حاكياً عن نبيه يعقوب عليه السلام: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:٨٧]

٢- إن اليقين والثقة بالله عزَّ وجلَّ من أعظم ما يناله العبد من توحيد الله تعالى؛ فصاحب التوحيد على يقينٍ من ربه، مصدق بآياته، مؤمن بوعده ووعيد كأنه يراها رأي العين، فهو واثق بالله متوكل عليه راضٍ بقضائه وقدره، محتسب الأجر والثواب منه.

قال الفضيل رحمه الله: "والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا، لأعطاك مولاك كلَّ ما تريد"[١].

قال ابن رجب:" فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعُه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة يرجع إلى نفسه بالملائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحبُّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل به من البلاء، وأنَّه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنّه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله"[٢].

قال وهب رحمه الله: "تعبَّد رجل زمانًا، ثم بدت له إلى الله حاجةٌ، فصام سبعين سبتًا، يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يُعطَها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت، لو كان فيك خير، أعطيت حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملكٌ، فقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خيرٌ من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك"[٣].

٣- إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أثراً كبيراً في سلامة القلب واتزانه، وبالتالي سلامة واتزان التفكير والسلوك، كما أن لها أثراً مهماً في طمأنينة القلب وتوكله وركونه إلى ربه، وتسليمه لشرعه، راضياً بقدره، واثقاً بعدله وحكمته، مطمئناً إلى عفوه ومغفرته عند زلته وتوبته.

قال ابن القيم رحمه الله كاشفاً هذا الأثر العظيم لمعرفة العبد بأسماء الله وصفاته، وكيف أنها تعمل في إصلاح القلب واطمئنانه واستقراره: " جلباب الهيبة والعظمة والجلال فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال على كمال الذات فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله فيصبح فؤاد عبده فارغا إلا من محبته فإذا أراد منه الغيران يعلق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء كما قيل:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

فتبقى المحبة له طبعا لا تكلفا وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوي طمعه وسار إلى ربه وحادى الرجاء يحدو ركاب سيره وكلما قوي الرجاء جد في العمل كما أن الباذر كلما قوي طمعه في المغل غلق أرضه بالبذر وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارة وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات وانقبضت

---

[١]جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحم بن أحمد بن رجب الحنبلي:٤٩٤/٢.

[٢] انظر: جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحم بن أحمد بن رجب الحنبلي، ص ٤٩٤/٢ ، وانظر: ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة:٤٤.

[٣]جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحم بن أحمد بن رجب الحنبلي:٤٩٤/٢، وقال :خرجه ابن ابي دنيا".

أعنة رعوناتها فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل وإنزال الكتب شرع الشرائع انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره والتبليغ لها والتواصي بها وذكرها وتذكرها والتصديق بالخبر والامتثال للطلب والاجتناب للنهي وإذا تجلى بصفة السمع والبصر والعلم انبعث من العبد قوة الحياء فيستحي ربه أن يراه على ما يكره أو يسمع منه ما يكره أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد وسوق أرزاقهم إليهم ودفع المصائب عنهم ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه والرضا به وما في كل ما يجريه على عبده ويقيمه مما يرضى به هو سبحانه والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته والانكسار لعزته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح له فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ويذهب طيشه وقوته وحدته.

وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة وبصفات ربوبيته تارة فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة والشوق إلى لقائه والأنس والفرح به والسرور بخدمته والمنافسة في قربه والتودد إليه بطاعته واللهج بذكره والفرار من الخلق إليه ويصير هو وحده همه دون ما سواه ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار إليه والاستعانة به والذل والخضوع والانكسار له وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته وإلهيته في ربوبيته وحمده في ملكه وعزه في عفوه وحكمته في قضائه وقدره ونعمته في بلائه وعطاءه في منعه وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته وعدله في انتقامه وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجاوزه ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه وعزه في رضاه وغضبه وحلمه في إمهاله وكرمه في إقباله وغناه في إعراضه وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين أشهدك ملكا قيوما فوق سماواته على عرشه يدبر أمر عباده يأمر وينهي ويرسل الرسل وينزل الكتب ويرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل ويخفض ويرفع يرى من فوق سبع ويسمع ويعلم السر والعلانية فعال لما يريد موصوف بكل كمال منزه عن كل عيب لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا يشفع زهد عنده إلا بإذنه ليس لعباده من دونه ولي ولا شفيع"[1].

القرآن

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)} [يوسف : ٨٨]

التفسير:

فذهبوا إلى «مصر» ، فلما دخلوا على يوسف قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا القحط والجدب، وجئناك بثمن رديء قليل، فأعطنا به ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، وتصدَّقْ علينا بقبض هذه الدراهم الرديئة القليلة وتسامح معنا فيها، إن الله تعالى يثيب المتفضِّلين على أهل الحاجة بأموالهم.

---

[1] الفوائد: ٦٩-٧١.

قوله تعالى:{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} [يوسف : ٨٨]، أي:" فخرجوا راجعين إلى مصر فدخلوا على يوسف فلما دخلوا قالوا يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الشدة من الجدب والقحط"[١].

قال ابن كثير:"يعنون من الجدب والقحط وقلة الطعام "[٢].

قوله تعالى:{وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ} [يوسف : ٨٨]، أي:" وجئنا ببضاعة رديئة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ومعنا ثمن الطعام الذي تمتاره ، وهو ثمن قليل"[٤].

قال الطبري:أي:" بدراهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها"[٥].

وأصل «الإزجاء»: السَوْق بالدفع ، وفيه قول الشاعر عدي بن الرقاع[٦]:

تزجي أغَنّ كأن إبرَة روقِهِ   قلمٌ أصاب من الدواة مدادها

ومنه قول النابغة[٧]:

وَهَبّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ   تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صَرَّادِهَا صِرَمَا

ومنه قول أعشى بني ثعلبة[٨]:

الوَاهِبُ المِئةَ الهِجَانَ وعَبْدَهَا   عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَها أطْفَالَها

وقول حاتم[٩]:

لِبَيْكِ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ   وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِى مَعَ اللَّيلِ أَرْمَلا

يعني: أنها تسوقه بين يديها على ضعف منه عن المشي وعجز ؛ ولذلك قيل: {ببضاعة مزجاة}، لأنها غير نافقة، وإنما تُجَوَّز تجويزًا على وَضعٍ من آخذيها[١٠].

وفي بضاعتهم هذه خمسة أقوال:

أحدها : أنها كانت دراهم ، قاله ابن عباس[١١]، ومجاهد[١٢]، عكرمة[١٣]، وعطية[١٤]،والسدي[١٥].

قال مجاهد: "الدراهم الرُّذَال، التي لا تجوز إلا بنقصان"[١٦].

وقال عكرمة: "دراهم فُسُول"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٠٧/٤.
(٣) صفوة التفاسير:٥٩/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٠٧/٤.
(٥) تفسير الطبري:٢٣٤/١٦.
(٦)انظر: الأغاني ٩/ ٣٠٨ حيث أخبار عدي.
(٧)يوانه: ٥٢، و" ذو أرل"، جبل بديار غطفان. و" الصراد"، سحاب بارد رقيق تسفره الريح وتسوقه. و" الصرم" جمع صرمة، وهي قطع السحاب. وقبل البيت: هَلاَّ سَأَلْتَ بَنِي ذُبْيَانَ ما حَسَبي ... إذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأشْمَطَ البَرَمَا
من أبيات يذكر فيها كرمه في زمن الجدب والشتاء.
(٨)ديوانه: ٢٥، من قصيدته في قيس بن معد يكرب، مضت منها أبيات. و" الهجان"، الإبل الأبيض، وهي كرام الإبل. و" العوذ" جمع عائذ، وهي الناقة الحديثة النتاج.
(٩) نسبه الطبري إلى حاتم:٢٣٥/١٦، وليس في ديوانه، وأنشده ابن بري غير منسوب (اللسان: رمل) ، وظاهر أن الشعر لحاتم، لأن" ملحان"، هو ابن عمه" ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج الطائي"، وكنت وقفت على أبيات من هذا الشعر، ثم أضعتها اليوم.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٣٥/١٦، والنكت والعيون:٧٣/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٦):ص٢٣٦/١٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٥):ص٢٤٠/١٦.
(١٣)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٨):ص٢٣٦/١٦.
(١٤)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٩):ص٢٣٨/١٦.
(١٥)انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٦):ص٢٤٠/١٦.
(١٦) أخرجه الطبري(١٩٧٧٥):ص٢٤٠/١٦.

وقال عطية:" دراهم ليست بطائل"[٢].
قال السدي: "دراهم فيها جَوازٌ"[٣].
الثاني : متاع الأعراب، صوف وسمن ، قاله عبدالله بن الحارث[٤].
الثالث : الصنوبر والحبة الخضراء، قاله أبو صالح[٥].
الرابع : سويق المقل . قاله الضحاك[٦].
الخامس : خلق الحبْل والغرارة والشيء، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً[٧].
وفي «المزجاة»، وجوه من التفسير:
أحدها : أنها الرديئة ، قاله ابن عباس[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، وعكرمة[١٠].
قال ابن عباس:" الردِيّة التي لا تنفق حتى يُوضَع منها"[١١].
وفي رواية أخرى عن ابن عباس:" الدراهم الرديّة التي لا تجوز إلا بنقصان"[١٢].
وعن مجاهد قال: "الدراهم الرُّذَال، التي لا تجوز إلا بنقصان"[١٣].
عن السدي قال: "دراهم فيها جَوازٌ"[١٤].
والثاني : الكاسدة ، قاله الضحاك[١٥].
الثالث :الناقصة. قاله سعيد بن جبير[١٦]، وعكرمة[١٧].
وروي عن سعيد، بن جبير قال:"فسول"[١٨].
الرابع: القليلة ، قاله الحسن[١٩]، مجاهد[٢٠]، وقتادة[٢١]، وإبراهيم[٢٢]، وابن زيد ة[٢٣]، وابن إسحاق[٢٤].
قال ابن إسحاق : "أي قليلة، لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به، إلا أن يتجاوز لهم فيها، وقد رأوا ما نزل بأبيهم، وتتابعَ البلاء عليه في ولده وبصره، حتى قدموا على يوسف"[٢٥].

---

[١] أخرجه الطبري(١٩٧٤٨):ص٢٣٦/١٦. «فسول»: جمع" فسل" (بفتح فسكون) : وهو الردئ الرذل من كل شيء. يقال:" دراهم فسول"، أي: زيوف
[٢] أخرجه الطبري(١٩٧٥٩):ص٢٣٨/١٦.
[٣] أخرجه الطبري(١٩٧٧٦):ص٢٤٠/١٦.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥١)، و(١٩٧٥٢):ص٢٣٧/١٦.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٣):ص٢٣٧/١٦.
[٦] انظر: النكت والعيون:٧٣/٣.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٣):ص٢٣٦/١٦.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤١):ص٢٣٥/١٦.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٧):ص٢٣٨/١٦.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٠):ص٢٣٧/١٦.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٧٤٢):ص٢٣٥/١٦.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٧٧٤):ص٢٤٠/١٦.
[١٣] أخرجه الطبري(١٩٧٧٥):ص٢٤٠/١٦.
[١٤] أخرجه الطبري(١٩٧٧٦):ص٢٤٠/١٦.
[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٦٩)-(١٩٧٧٢):ص٢٣٩/١٦.
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٨)، و(١٩٧٧٣):ص٢٣٦/١٦، ٢٣٩.
[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٦٧):ص٢٣٩/١٦.
[١٨] أخرجه الطبري(١٩٧٦٧):ص٢٣٩/١٦.
[١٩] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٧):ص٢٣٨/١٦.
[٢٠] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٦٠):ص٢٣٨/١٦.
[٢١] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٧):ص٢٤٠/١٦.
[٢٢] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٥٤):ص٢٣٧/١٦.
[٢٣] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٧٩):ص٢٤٠/١٦.
[٢٤] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٤٠):ص٢٣٤/١٦.
[٢٥] أخرجه الطبري(١٩٧٤٠):ص٢٣٤/١٦.

وفي رواية اخرى لابن اسحاق:" أي: قليلة لا تبلغ ما كنا نشتري به منك، إلا أن تتجاوز لنا فيها"[١].

وقال أبو عبيدة:" «مُزْجاةٍ» : يسيرة قليلة"[٢]، ثم استشهد بقول الراعي[٣]:

ومرسل برسول غير متّهم   وحاجة غير مزجاة من الحاج

أي: غير يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها.

ويسند القول الأخير: قراءة عبد الله:"«وَأَوْقِرْ رِكَابَنا»، يعني: قوله: {مزجاة}"[٤].

قال الراغب:" التزجية: دفع الشيء لينساق، كتزجية رديء البعير، وتزجية الريح السحاب، قال: {يزجي سحابا}[النور: ٤٣] ، وقال: {ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر}[الإسراء: ٦٦] ، ومنه: رجل مزجى، وأزجيت رديء التمر فزجا، ومنه استعير: زجا الخراج يزجو، وخراج زاج"[٥].

وقال الكلبي : "هي كلمة من لغة العجم، وقال الهيثمي: من لغة القبط"[٦].

قوله تعالى:{فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} [يوسف : ٨٨]، أي:" أتمم لنا الكيل ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا"[٧].

قال الطبري:" وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيّد والدراهم الجائزة الوافية التي لا ترد"[٨].

وفي قوله تعالى:{فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} [يوسف : ٨٨]، وجهان:

أحدهما : الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم ، وهو قول ابن جريج[٩].

الثاني : مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل ، قاله السدي[١٠]، وابن إسحاق[١١].

قال السدي:" كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد"[١٢].

قال ابن إسحاق:" أي: أعطنا ما كنت تعطينا قَبْلُ، فإن بضاعتنا مزجاة"[١٣].

قوله تعالى:{وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف : ٨٨]، أي:" وتسامح معنا فيها"[١٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قالوا: وتفضل علينا بما بَيْنَ سعر الجياد والرديّة، فلا تنقصنا من سعر طَعامك لرديّ بضاعتنا"[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف : ٨٨]، أقوال:

أحدها: معناه: تفضل علينا بما بين الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير[١٦]، والسدي[١٧]، والحسن[١٨]، وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء.

---

[١]أخرجه الطبري(١٩٧٨٠):ص٢٤٠/١٦ .

[٢] مجاز القرآن:٣١٧/١.

[٣] انظر: اللسان (زجى)، وعجز البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة:٣١٧/١.

[٤] أخرجه الطبري(١٩٧٥٥):ص٢٣٨/١٦.

[٥] المفردات:٣٧٨.

[٦] النكت والعيون:٧٣/٣.

[٧] صفوة التفاسير:٥٩/٢.

[٨] تفسير الطبري:٢٤١/١٦.

[٩] انظر: النكت والعيون:٧٣/٣.

[١٠] أخرجه الطبري(١٩٧٨٢):ص٢٤١/١٦.

[١١] أخرجه الطبري(١٩٧٨١):ص٢٤١/١٦.

[١٢] أخرجه الطبري(١٩٧٨٢):ص٢٤١/١٦.

[١٣] أخرجه الطبري(١٩٧٨١):ص٢٤١/١٦.

[١٤] التفسير الميسر:٢٤٦.

[١٥] تفسير الطبري:٢٤١/١٦.

[١٦]انظر: انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٩٣٣):ص٢١٩٣/٧ ، وتفسير الطبري(١٩٧٨٤):ص٢٤١/١٦ .

[١٧]انظر: تفسير الطبري(١٩٧٨٣):ص٢٤١/١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١١٩٣٣):ص٢١٩٣/٧ .

[١٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٩٣٢):ص٢١٩٣/٧.

عن عثمان بن الأسود، قال: "سمعت مجاهدًا، وسئل: هل يُكْرَهُ أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدّق عليّ؟ فقال: نعم، إنما الصَّدقة لمن يبغي الثوابَ"[1].

الثاني : تصدق علينا بالزيادة على حقنا، وهذا معنى قول سفيان بن عيينة[2].

عن سفيان بن عيينة أنه سئل: "هل حرمت الصدقة على أحدٍ من الأنبياء قبل النبيّ ﷺ؟ فقال: ألم تسمع قوله: {فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين}، قال الحارث: قال القاسم: يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلالٌ، وهم أنبياء، فإن الصدقة إنما حُرّمت على محمد ﷺ، وعليهم"[3].

قال مجاهد : "ولم تحرم الصدقة إلا على محمد - ﷺ – وحده"[4].

الثالث: تصدق علينا برد أخينا إلينا ، قاله ابن جريج[5]، وكره للرجل أن يقول في دعائه : اللهم تصدّق عَليّ ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب .

قال الطبري:" وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن جريج، وإن كان قولا له وجه، فليس بالقول المختار في تأويل قوله: {وتصدَّق علينا}، لأن"الصدقة" في متعارف [العرب]، إنما هي إعطاء الرجل ذا حاجةٍ بعض أملاكه ابتغاءَ ثواب الله عليه، وإن كان كلّ معروف صدقةً، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى"[6].

الرابع : معناه: تجوّز عنا، قاله ابن شجرة[7]، وابن زيد[8]، واستشهد بقول الشاعر[9]:

تصدّق علينا يا ابن عفان واحتسب وأمر علينا الأشعري لياليا

يعنون: أبا موسى الأشعري.

وروي عن قال سعيد بن جبير:" لا تنقصنا من السعر من أجل رديّ دراهمنا"[10].

وقال سعيد بن جبير:" ما سأل نبيٌّ قطُّ الصَّدقَة، ولكنهم قالوا:{جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا}، لا تنقصنا من السعر"[11].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف : ٨٨]، أي:" إن الله تعالى يثيب المتفضِّلين على أهل الحاجة بأموالهم"[12].

قال الطبري:" يقول: إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم"[13].

حكي القرطبي عن النقاش: قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ}" يعني: في الآخرة، يقال: هذا من معاريض الكلام، لأنه لم يكن عندهم أنه على دينهم، لذلك لم يقولوا: إن الله يجزيك بصدقتك، فقالوا لفظا يوهمه أنهم أرادوه، وهم يصح لهم إخراجه بالتأويل، قاله النقاش وفي الحديث:" «إن في المعاريض[14] لمندوحة عن الكذب»[15]"[16].

---

[1] أخرجه الطبري(١٩٧٨٨):ص٢٤٣/١٦.

[2] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٨٦):ص٢٤٢/١٦، والنكت والعيون:٧٣/٣.

[3] أخرجه الطبري(١٩٧٨٦):ص٢٤٢/١٦.

[4] انظر: النكت والعيون:٧٣/٣، وتفسير القرطبي:٢٥٤/٩.

[5] انظر: تفسير الطبري(١٩٧٨٧):ص٢٤٢/١٦.

[6] تفسير الطبري:٢٤٢/١٦-٢٤٣.

[7] انظر: النكت والعيون:٧٤/٣، وتفسير القرطبي:٢٥٤/٩.

[8] انظر: النكت والعيون:٧٤/٣.

[9] انظر: النكت والعيون:٧٤/٣.

[10] أخرجه الطبري(١٩٧٨٤):ص٢٤١/١٦ .

[11] أخرجه الطبري(١٩٧٨٥):ص٢٤١/١٦-٢٤٢.

[12] التفسير الميسر:٢٤٦.

[13] تفسير الطبري:٢٤١/١٦.

[14] المعاريض: جمع معراض، من التعريض وهو خلاف التصريح من القول.

[15] أخرجه ابن عدى (٩٦/٣ ترجمة ٦٣٤ داود بن الزبرقان أبو عمر) ، والبيهقى (١٩٩/١٠، رقم ٢٠٦٣٢) ، ورواه موقوفا وقال: هذا هو الصحيح موقوف. وأخرجه أيضا: القضاعى (١١٩/٢، رقم ١٠١١) .
وللحديث أطراف أخرى منها: "فى المعاريض مندوحة".

[16] تفسير القرطبي:٢٥٤/٩.

قال الشافعي رحمه الله: "وقف أعرابي على عبد الملك بن مروان، فسلم؛ ثم قال: أي - رحمك الله -؛ إنه مرت بنا سنون ثلاث، فأما إحداها: فأكلت المواشي؛ وأما الثانية: فانضت اللحم؛ وأما الثالثة: فخلصت إلى العظم، فإن يك عندك مال الله؛ فأعطه عباد الله، وإن يك لك: فتصدق علينا {إن الله يجزي المتصدقين} الآية، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا، ما حرمنا أحدا"[1].

الفوائد:

١- جواز الشكوى إذا كان المراد بها الكشف عن الحال للإصلاح أو العلاج كأن يقول المحتاج إني جائع أو عار مثلا وكأن يقول المريض للطبيب أشكو ألما في بطني أو رأسي مثلا.

٢- فضل الصدقة وثواب المتصدقين.

القرآن

{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)} [يوسف : ٨٩]

التفسير:

فلما سمع مقالتهم رقَّ لهم، وعرَّفهم بنفسه وقال: هل تذكرون الذي فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى في حال جَهْلكم بعاقبة ما تفعلون؟

قوله تعالى:{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)} [يوسف : ٨٩]، أي:" هل علمتم ما فعلتموه بيوسف وأخيه من أذى وعدوان عليهما، وقت أن كنتم تجهلون سوء عاقبة هذا الأذى والعدوان"[2].

قال الصابوني:" ولما بلغ بهم الأمر إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار أدركته الرأفة فباح لهم بما كان يكتمه من أمره"[3].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن يوسف ، عليه السلام : أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجدب ، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه ، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة ، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته ، وبدره البكاء ، فتعرف إليهم ، يقال : إنه رفع التاج عن جبهته ، وكان فيها شامة ، وقال : { هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } ؟ يعني : كيف فرقوا بينه وبينه { إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } أي : إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه ، كما قال بعض السلف : كل من عصى الله فهو جاهل ، وقرأ : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } إلى قوله : { إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل : ١١٩]، والظاهر - والله أعلم - أن يوسف ، عليه السلام ، إنما تعرف إليهم بنفسه ، بإذن الله له في ذلك ، كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين، بأمر الله تعالى له في ذلك ، والله أعلم ، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر ، فَرَّج الله تعالى من ذلك الضيق ، كما قال تعالى : { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح : ٥ ، ٦] "[4].

القرآن

{قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)} [يوسف : ٩٠]

التفسير:

قالوا: أإنَّك لأنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف، وهذا شقيقي، قد تفضَّل الله علينا، فجمع بيننا بعد الفرقة، إنه من يتق الله، ويصبر على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء.

---

[1] تفسير الإمام الشافعي:٩٨٣/٢.

[2] التفسير الوسيط للطنطاوي:٤١٢/٧.

[3] صفوة التفاسير:٥٩/٢.

[4] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٤.

قوله تعالى:{قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ} [يوسف : ٩٠]، أي:" قالوا: أإنَّك لأنت يوسف؟"[١].

قرأ أبيّ بن كعب : «أو أنت يُوسُفُ»، وقرأ ابن مُحَيْصِن : «إنَّك لأنتَ يُوسُفُ»[٢].

قال ابن كثير:"والقراءة المشهورة هي الأولى ؛ لأن الاستفهام يدل على الاستعظام ، أي : إنهم تَعجَّبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر ، وهم لا يعرفونه ، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه ، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام : { أَئِنَّكَ لأنْتَ يُوسُفُ..}"[٣].

قوله تعالى:{قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي} [يوسف : ٩٠]، أي:" قال: نعم أنا يوسف، وهذا شقيقي"[٤].

قوله تعالى:{قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} [يوسف : ٩٠]، أي:" قد تفضَّل الله علينا، فجمع بيننا بعد الفرقة"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف : ٩٠]، أي:" إنه من يتق الله، ويصبر على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء"[٧].

القرآن

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)} [يوسف : ٩١]

التفسير:

قالوا: تالله لقد فَضَّلك الله علينا وأعزَّك بالعلم والحلم والفضل، وإن كنا لخاطئين بما فعلناه عمدًا بك وبأخيك.

قوله تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} [يوسف : ٩١]، أي:" قالوا: تالله لقد فَضَّلك الله علينا وأعزَّك بالعلم والحلم والفضل"[٨].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: قال إخوة يوسف له: تالله لقد فضلك الله علينا، وآثرك بالعلم والحلم والفضل"[٩].

قال الصابوني:" اعترافٌ بالخطيئة وإقرار بالذنب، أي: والله لقد فضَّلك الله علينا بالتقوى والصبر، والعلم والحلم"[١٠].

قال ابن كثير:" يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق ، والسعة والملك ، والتصرف والنبوة أيضا - على قول من لم يجعلهم أنبياء -"[١١].

عن ابن إسحاق: "{آثرك الله علينا}، أي: فضلك الله علينا"[١٢].

عن قتادة قوله: "{قالوا تالله لقد آثرك الله علينا}، وذلك بعد ما عرفهم نفسه، لقوا رجلا حليما"[١٣].

---

[١] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٢] انظر: السبعة في القراءات:٣٥١.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٤.
[٤] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٥] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٦] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٤.
[٧] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٨] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٩] تفسير الطبري:٢٤٥/١٦.
[١٠] صفوة التفاسير:٥٩/٢.
[١١] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٤.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٤):ص٢١٩٤/٧.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٣):ص٢١٩٤/٧.

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ} [يوسف : ٩١]، أي:" وإن كنا لخاطئين بما فعلناه عمدًا بك"[١].

قال الطبري:" يقول: وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك، في تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك وغير ذلك من صنيعنا الذي صنعنا بك، إلا خاطئين، يعنون: مخطئين"[٢].

قال ابن كثير:" وأقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطئوا في حقه "[٣].

عن ابن إسحاق: "{وإن كنا لخاطئين}، أي: فيما صنعنا بك"[٤].

القرآن

{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)} [يوسف : ٩٢]

التفسير:

قال لهم يوسف: لا تأنيب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته.

قوله تعالى:{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [يوسف : ٩٢]، أي:" قال لهم يوسف: لا تأنيب عليكم اليوم"[٥].

قال الطبري:" يقول: لا تعيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحقّ الأخوة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو"[٦].

قال ابن كثير:" يقول : لا تأنيب عليكم ولا عَتْب عليكم اليوم ، ولا أعيد ذنبكم في حقي بعد اليوم "[٧].

قال عطاء الخراساني:" طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألم تر إلى قول يوسف: لا تثريب عليكم اليوم. وقال يعقوب سوف أستغفر لكم ربي"[٨].

قال قتادة:" لقوا رجلا حليما لم يبث ولم يثرب عليهم أعمالهم"[٩].

عن مجاهد: "{لا تثريب عليكم اليوم}، قال: لا أباء"[١٠].

قال سفيان:" قال سفيان: لا تعيير عليكم"[١١].

قال مقاتل:" يقول لا تعيير عليكم، لم يثرب عليهم بفعلهم القبيح"[١٢].

قال ابن إسحاق:" أي: لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم"[١٣].

عن قتادة قوله: "{لا تثريب عليكم} ، لم يثرّب عليهم أعمالهم"[١٤].

قال السدي:" اعتذروا إلى يوسف فقال: {لا تثريب عليكم اليوم}، يقول: لا أذكر لكم ذنبكم"[١٥].

وقال الكلبي: "يقول لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبدًا"[١٦].

---

[١] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٢] تفسير الطبري:٢٤٥/١٦.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٤.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٥):ص٢١٩٤/٧.
[٥] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[٦] تفسير الطبري:٢٤٧/١٦.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٤.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٠):ص٢١٩٥/٧.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٧):ص٢١٩٥/٧.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٤٦):ص٢١٩٥/٧.
[١١] أخرجه الطبري(١٩٧٩٦):ص٢٤٧/١٦.
[١٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٩/٢.
[١٣] أخرجه الطبري(١٩٧٩٧):ص٢٤٧/١٦.
[١٤] أخرجه الطبري(١٩٧٩٥):ص٢٤٧/١٦.
[١٥] أخرجه الطبري(١٩٧٩٨):ص٢٤٧/١٦.
[١٦]"تنوير المقباس" ص ١٥٣، و"زاد المسير" ٤/ ٢٨٢، والتفسير البسيط للواحدي:٢٣٨/١٢.

وروى ابن الأنباري عن أبي العباس: "ثرب فلان على فلان، إذا عَدَّد عليه ذنوبه"[١].
وقال الزجاج:" أي: لا إفساد عليكم"[٢].
وقال الماوردي:" لا عقاب عليكم، وقال الشاعر[٣]:
فَعَفَوْتُ عنهم عَفْوَ غَيْرِ مُثَرِّبِ وتركْتُهُم لعِقَابِ يومٍ سَرْمدِ"[٤]
قال أبو بكر: "إن يوسف لما قدم توبيخهم، وعدَّدَ عليهم قبيح ما فعلوا، وهو يستر عنهم نفسه، قال لهم عند تبين أمره لهم: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} أي: قد إنقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب، فكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع التأنيب، وعلى أن ما بعده من الأيام يجري مجراه، واليوم قد يذكر ويراد به: الحين والزمان، كقول امرئ القيس[٥]:
فاليوم أشربْ غيرَ مُسْتَحْقِب إثمًا مِنَ اللهِ ولا واغِلِ
ليس يريد يومًا بعينه"[٦].
قوله تعالى:{يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} [يوسف : ٩٢]، أي:" وأرجو الله- تعالى- أن يغفر لكم ما فرط منكم من ذنوب"[٧].
قال الطبري:" وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه وركبوا منه من الظلم، يقول: عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم، فستره عليكم"[٨].
قال الصابوني:" دعاءٌ لهم بالمغفرة وهذا زيادة تكريم منه لما فرط منهم"[٩].
قوله تعالى:{وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف : ٩٢]، أي:" وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته"[١٠].
قال الطبري:" يقول: والله أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه، وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته"[١١].
عن ابن إسحاق: "{يغفر الله وهو أرحم الراحمين}، حين اعترفوا بذنبهم"[١٢].
قال جعفر: "سمعت ابنا عمران الجوني يقولان: أما والله ما سمعنا بعفو قط مثل عفو يوسف، قال: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين}"[١٣].

---

[١] تهذيب اللغة، (ثرب) ١/ ٤٧٦.
[٢] معاني القرآن:١٢٨/٣.
[٣]القائل بشر بن أبي خازم وهو في ملحق "ديوانه" ص ٢٢٩ برواية عجزه:
أولى لهم بعقاب يوم سرمد
أوله في "اللسان" (ثرب) ١/ ٤٧٥، ونسب لتبع في "اللسان" (ولى) ٨/ ٤٩٢٤، وكتاب "العين" ٧/ ٢١٩، و"أساس البلاغة" (ثرب) / ٤٤، وقيل هو لتبع.
[٤] النكت والعيون:٧٥/٣.
[٥]البيت من "شواهد سيبويه" ٤/ ٢٠٤، "الحجة" ١/ ١١٧/، ٤١٠، ٢/ ٨٠، "نوادر أبي زيد" ص١٨٧، "الخصائص" ١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧، ٣٤٠، ٣/ ٩٦، "شرح المفصل" ١/ ٤٨، "الهمع" ١/ ١٨٧، "الخزانة" ١/ ١٥٢، ٣/ ٤٦٣، ٤/ ١٠٦، ٤٨٤، ٨/ ٣٣٩، وفي "ديوان امرئ القيس" ص ١٢٢، برواية (أسقى) بدل أشرب، وعليه فلا شاهد فيه، وبهذا أخذ المبرد، ولكنه في "الديوان" ص ١٣٤، برواية (أَشربْ) والشاهد فيه عند النحويين، تسكين الحرف في أشرب، وحذف الضمة.
قاله بعد أن أدرك ثأره في أبيه، وكان قد نذر لا يشرب الخمر، فلما أدرك ثأره رأى أنه تحلل من نذره، والمستحقب: المتكسب، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقيبة، والواغل: الداخل على القوم يشربون ولم يدع.
[٦] التفسير البسيط للواحدي:٢٣٨/١٢، و زاد المسير" ٤/ ٢٨٢ بنحوه.
[٧] التفسير الوسيط للطنطاوي:٤١٣/٧.
[٨] تفسير الطبري:٢٤٧/١٦.
[٩] صفوة التفاسير:٦٠/٢.
[١٠] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[١١] تفسير الطبري:٢٤٧/١٦.
[١٢] أخرجه الطبري(١٩٧٩٩):ص٢٤٧/١٦.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥١):ص٢١٩٥/٧.

قال مالك بن دينار:"أرسل رجل إلى عشرة من أهل البصرة أنا فيهم والحسن، فسلمنا عليه ثم إن الحسن حمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله أن يذكر، حتى أتى على ذكر يوسف وما ارتكب منه إخوته فعرفهم نفسه، ثم استقبلهم بالعفو عنهم، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم. فرضي الله به منه عملا وأثبته في كتابه، ليؤخذ به من بعده، فقال الأمير: لو صار أن أجللكم ببردي هذا ما أصابكم شيء أبدا"[1].

القرآن

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)} [يوسف : ٩٣]

التفسير:

ولما سألهم عن أبيه أخبروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا فاطرحوه على وجه أبي يَعُدْ إليه بصره، ثم أحضروا إليَّ جميع أهلكم.

قوله تعالى:{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} [يوسف : ٩٣]، أي:" فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا فاطرحوه على وجه أبي يَعُدْ إليه بصره"[2].
بصره"[2].

قال ابن كثير:" يقول : اذهبوا بهذا القميص ، { فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا } وكان قد عَميَ من كثرة البكاء "[3].

وفي قوله تعالى:{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} [يوسف : ٩٣]، وجوهان[4]:

أحدهما : مستبصراً بأمري لأنه إذا شم ريح القميص عرفني .

الثاني : بصيراً من العمى فذاك من أحد الآيات الثلاث في قميص يوسف بعد الدم الكذب وقدّه من دُبُره .

قال عامر:" كان في قميص يوسف ثلاث آيات، حين قد قميصه من دبر وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا"[5].

وقال الماوردي: "وفيه وجه آخر لأنه قميص إبراهيم أنزل عليه من الجنة لما أُلقي في النار ، فصار لإسحاق ثم ليعقوب ، ثم ليوسف فخلص به من الجب وحازه حتى ألقاه أخوه على وجه أبيه فارتد بصيراً ، ولم يعلم بما سبق من سلامة إبراهيم من النار ويوسف من الجب أن يعقوب يرجع به بصيراً "[6].

قال السدي:" ثم قال لهم ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين. وقال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص إلى يعقوب وهو متلطخ بالدماء وقلت إن يوسف قد أكله الذئب، أنا اليوم أذهب إليه بالقميص وأخبره أن يوسف حي، فأفرحه كما أحزنته، فهو كان البشير"[7].

قال المطلب بن عبد الله بن حنطب: "لما ألقي إبراهيم في النار كساه الله قميصا من قمص الجنة وكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، وكساه يعقوب يوسف، فطواه وجعله في قصبة فضة فجعله في عنقه، وكان في عنقه حين ألقي في الجب وحين سجن وحين دخل

---

[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٢):ص٢١٩٥/٧.
[2] التفسير الميسر:٥٩/٢.
[3] تفسير ابن كثير:٤٠٩/٤.
[4] انظر: النكت والعيون:٧٦/٣.
[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٤):ص٢١٩٦/٧.
[6] النكت والعيون:٧٦/٣.
[7] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٥):ص٢١٩٦/٧.

عليه إخوته، وأخرج القميص من القصبة فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا فشم يعقوب ريح الجنة وهو بأرض كنعان بفلسطين فقال :{إني لأجد ريح يوسف}"[١].

قوله تعالى:{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} [يوسف : ٩٣]، أي:" ثم أحضروا إليَّ جميع أهلكم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : بجميع بني يعقوب "[٣].

قاله مقاتل:"فدخل منهم اثنان وسبعون إنسانا من ذكر وأنثى"[٤].

قال مسروق:" دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاث مائة وتسعون من بين رجل وامرأة"[٥].

قال عبدالله:" كان أهله حين أرسل إليهم وهو بمصر ثلاثة وتسعين إنسانا رجالهم أنبياء ونساؤهم صديقات، والله ما خرجوا مع موسى حتى بلغوا ستمائة ألف، وسبعين ألفا"[٦].

قال جعفر بن سليمان: سمعت فرقدا يقول: "لما بعث يوسف بالقميص إلى يعقوب، أخذه فشمه ثم وضعه على بصره فرد الله عليه بصره، ثم حملوه إليه فلما دخلوا- ويعقوب متكئ على ابن له يقال له- يهوذا استقبله يوسف في الجنود والناس، فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر؟ قال: لا يا أبت، ولكن هذا ابنك يوسف قيل له إنك قادم فتلقاك في أهل مملكته والناس، قال: فلما لقيه ذهب يوسف ليبدأه بالسلام فمنع ذلك، ليعلم أن يعقوب أكرم على الله منه فاعتنقه وقبله وقال: السلام عليك أيها الذاهب الأحزان"[٧].

فوائد الآيات:[٨٩-٩٣]:

١- تقرير مبدأ أن المعاصي لن تكون إلا نتيجة للجهل بالله تعالى وجلاله وشرائعه ووعده ووعيده.
٢- فضل التقوى والصبر وما لهما من حسن العاقبة.
٣- فضل الصفح والعفو وترك عتاب القريب إذا أساء.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء التاسع عشر من التفسير ويليه الجزء العشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٩٤) من سورة «يوسف».

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٦):ص٢١٩٦/٧.
[٢] التفسير الميسر: ٢٤٦.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٠٩/٤.
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٠/٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٩٩٣٨):ص٢٧٦/١٦.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٧):ص٢١٩٦/٧.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١١٩٥٨):ص٢١٩٦/٧-٢١٩٧.